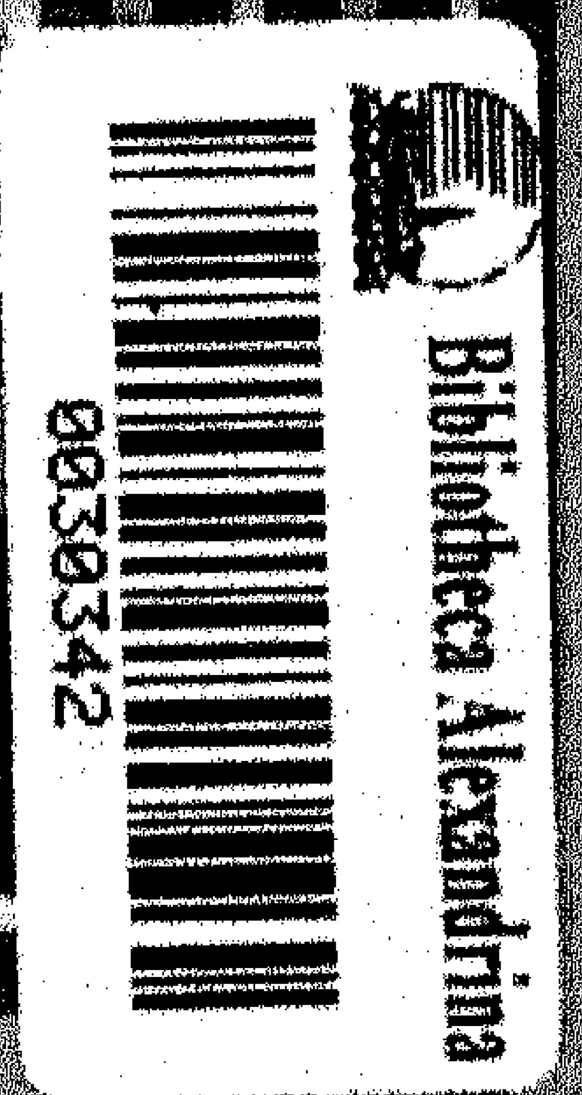
محمد حسنين هيكل

بين الصحافة والسياسة



قصة (ووثائق) معركة غريبة في الحرب الخفية!



بين الصحافة والسياسة

الناشر : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
تلفون ٣٤٤٣٤٦ تلكس ٢٢٦٦١
ص.ب ٨٣٧٥
بيروت - لبنان

بين الصحافة والسياسة

قصة (ووثائق) معركة غريبة في الحرب الخفية!



الطبعة السادسة ١٩٨٥

اهـــــداء

الى أولادي الثلاثة علي وأحمد وحسن
والى عشرات الملايين غيرهم من شباب مصر وأمتها العربية
وحتى لا يضيع منهم الغد لسبب لا ذنب لهم فيه **سوى أنهم**
لم يكونوا معنا بالأمس !

محمد حسنين هيكل

مقدمـــة

« ألم يعلم بأن الله يرى »

(قرآن كريم)

هذه صفحات حاولت تأجيل كتابتها ونشرها على الرغم من دواع كثيرة سياسية وفكرية ـ وانسانية أيضاً ـ كانت تقتضي التعجيل بالكتابة والنشر .

ولقد صبرت طويلا ، لكن السنين غلبتني على أمري ، فهي تجري سراعا ، ولا بد ـ اذا كانت لهذه الصفحات قيمة ـ أن تصدر بينما جميع الاطراف في الموضوع ـ على قيد الحياة يملكون فرصة الرد اذا شاءوا ، وبأي وسيلة يختارون .

وموضوع هذا الكتاب في الحقيقة يتعرض لواحدة من أغرب القصص في علاقة السياسة بالصحافة في مصر على امتداد الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية وحتى الآن . وهي قصة أرادوا لها أن تنسى وأن ينزل عليها ستار حتى لا تظهر مقاصد أو تبين أغراض ، ما زالت تسعى بين الناس ، وما زال أثرها محسوسا في نبض كل يوم .

ولا أظنني في حاجة ـ خلال هذه المقدمة ـ الى التشديد على خطورة العلاقة بين السياسة والصحافة ـ والاعلام بصفة عامة ـ خصوصا في بلدان العالم الثالث .

والعلاقة بين السياسة والاعلام معقدة في كل الدنيا ، وهي في دنيانا ـ

دنيا العالم الثالث ـ أكثر تعقيداً . فالعلم الحديث في معظم بلداننا منقول والتجديد مظاهر مستعارة ، لأن التغرب بالتقليد سهل والتجديد الأصيل شاق. وهكذا فإنه حتى وسائل التنوير يمكن أن تتحول في أيدينا الى أدوات تعتيم ! كما أن وسائل وأدوات التطور والنمو والازدهار والأمن يمكن أن تصبح لها عندنا استعمالات تختلف عن الهدف الذي قصده هؤلاء الذين سخّروا لصنعها ما توصلوا اليه من علوم وتكنولوجيا .

وعلى سبيل المثال فان ما ينطبق على الاعلام ـ في دنيا العالم الثالث ـ ينطبق أيضا على السلاح .

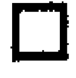
والعالم العربي بالذات يشتري في كل سنة من السلاح ما تبلغ قيمته ما بين خمسة وثلاثين الى أربعين بليونا من الدولارات (من ١٠ الى ١٢ في المائة من الناتج القومي) . ولكن السلاح في بلدان العلم والتجديد للدفاع عن النفس ، وأما في أيدينا فان السلاح لقهر النفس . . للقمع الداخلي وليس لعدو خارجي ، خصوصا في فترات تختلط فيها الأمور حتى أننا لا نستطيع أن نحدد : من هو العدو ؟

وعندما تختلط الأمور فان ما يضيع ليس هو العلم والتجديد فقط ، وانما يضيع الحلم الوطني والقومي ولا يكون هناك بديل غير القمع والقهر .

وكنت أقول دائما ـ ولا أزال ـ انه عندما يضيع الحلم فان الأنظمة لا يعود أمامها غير طريق واحد بدايته قناة تليفزيون أو محطة اذاعة أو جريدة، ونهايته دبابة أو مدفع أو طائرة !

اذا عجزت الأنظمة عن تطويع ارادة الناس بالكلام تولى السلاح مهمة اخضاعهم بالنار !

وليس ضروريا أن تكون قوى السيطرة داخلية ـ بل العكس ـ فالشواهد أمامنا كثيرة على أنّ نظم السيطرة قد أصبحت عالمية بل كونية في زمان تلاشت فيه المسافات على الأرض وفي الفضاء ، وفي نفس الوقت تمركزت فيه المصالح والمطامع والغايات !



ولقد حدث للسياسة في مصر ـ وفي غيرها ـ ما نعرفه من مد وجزر ومن انطلاق وانحسار ، وفي هذا كله كان الاعلام ـ وصحافة الكلمة في وسطه ـ ساحة وطرفا وأداة وفق طبائع الأمور التي تفرض ـ كما شرحت في بعض فصول هذا الكتاب ـ أن تكون الصحافة في أي بلد جزءاً من الحياة السياسية فيه .

ولهذا فان متابعة ومراجعة ما جرى ويجري في عالم الصحافة هو متابعة ومراجعة لما جرى ويجري في عوالم السياسة .

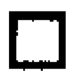
وقلت إن القصة التي يتعرض لها هذا الكتاب من أغرب القصص ، وهكذا فان روايتها ذات يوم كانت لازمة وكانت ضرورية .

ولقد كان التوقيت هو السؤال الحائر الوحيد .

ثم قر قراري على أن الموعد قد أزف لعدة عوامل ، أولها ـ كما أسلفت ـ عامل الزمن والسنين التي تجري سراعا وثانيها أن يكون كل الأطرف على قيد الحياة ومن قبل أن ينزل صمت الأبدية ، فلا يقول قائل : لماذا لم يتكلمْ وكان في مقدوره الكلام ؟ ـ أو يقول آخر : بعد فوات الأوان جاءوا يتكلمون ؟

وعلى وجه اليقين فانني أدعو بطول العمر والصحة للجميع ، لكن القلوب ساعات دقاقة ، وحساباتها بالثواني، وأجلها في يد ليس لبشر عليها سلطان .

وهكذا فقد كان عليَّ أن أحزم أمري على لحظة من اللحظات أحاول فيها وأقدم ، وليكن ما يكون ـ عارفا مسبقا أنها مهمة دونها أهوال ، فلدى الآخرين سلطة وليس في يدي شيء ، ولدى الآخرين منابر ضخمة كأنها الحصون وأنا في الهواء الطلق أو في العراء ـ وبالتالي فهي موازين غير متكافئة . وعلى أية حال ففي النهاية أطعت نداءا داخليا راح يهيب بي أنه « الآن وقت الكلام والا فلا كلام » !



لا بد أن أقول أيضا أن المناخ العام في مصر بدأت تظهر عليه امارات صحوة . فهناك أخيرا محاولة للبحث عن الحقيقة ، وتساؤل عميق حتى العظام يحاول أن يستنطق الصخر نفسه عله يجيب فيطفىء ظمأ ويشبع جوعا الى الحق وأين مكانه ؟ وكيف الوصول اليه ؟ ومن أي سبيل ؟

وربما كان التساؤل الأعمق في حياة أجيال جديدة من شعب مصر وشعوب الأمة العربية هو التساؤل عن التجربة الثورية المصرية ودور جمال عبد الناصر وماذا جرى فعلا وماذا كان ؟

والواقع أن السؤال في مصر قديم جديد ، فكل تجربة للتحرر والتقدم في مصر جرى تشويهها بعد محاولة ضربها وبعد « التعامل » مع أبطالها بأسلحة العصر السائد أيامها ووسائله .

وقد أقول ـ وهذا اجتهاد شخصي ـ أن أبطال مصر في العصر الحديث ستة ، ولا أظنهم أكثر بالمعايير المتعارف عليها للبطولة : « الانسان » و« اللحظة » أمام صراع المقادير وعند نقط التحول الكبرى .

محمد علي وجمال عبد الناصر ـ في الصراع لطلب الاستقلال والتقدم .

عرابي ومصطفى كامل ـ في الصراع من أجل التنبه واليقظة الوطنية .

الطهطاوي ومحمد عبده ـ في الصراع لاعلاء سلطان العقل والفكر .

وكلهم . . كلهم على نحو أو آخر تعرضوا لحروب ضروس ، وكان جمال عبد الناصر أكثرهم تعرضا لعدة أسباب تظهر وتتجلى خصوصا بالمقارنة مع نظيره السياسي (محمد علي) :

أولها ـ أن روابط الانتماء العضوي بالأرض كانت أقوى في حالة جمال عبد الناصر ، فاذا تمكنت الجذور في الأعماق فمعنى هذا أن القطع أو الخلع ؟ عمليا تصديا لواحدة من ظواهر الطبيعة ذاتها ، وهذا صعب . ولهذا السرعة واجبة والعنف في عجلة من أمره .

وثانيها ـ أن حدود جمال عبد الناصر كانت أكبر من حدود محمد علي .

ففي حين أن المشروع القومي لمحمد علي لم يتجاوز مصر والشام ومحاولة بناء دولة عصرية تقف على قدم المساواة مع دولة الخلافة في استانبول وتشد أزرها ـ أو ترث تركتها، فإن المشروع القومي لجمال عبد الناصر كان يمتد من الخليج الى المحيط ثم تصل أصداؤه الى آسيا وافريقيا توقظ وتحرك .

وثالثها ـ أن المصالح التي واجهت جمال عبد الناصر كانت أقوى وأعتى . فلم تعد مصر مجرد طريق الشرق وحلقة في مواصلات امبراطوريات ، ولكنها أصبحت قلب منطقة في وسط القارات والمحيطات والبحار حساسة وهي في الصميم من مواجهة عالمية كبرى بين عملاقين في القوة لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل .

ورابعها ـ أن نفس هذه المنطقة لم تعد مجرد جغرافيا ، ولكنها أيضا أصبحت موطن ثروات لم يحلم بها أحد ، لا بديل لها حتى الآن اذا أريد لعجلات المجتمعات الصناعية أن تدور ، واذا أريد لرخائها أن يزيد ويتضاعف وأن يتحمل التكاليف آخرون !

وخامسها ـ أن محمد علي كان في أيامه الطرف المحلي الوحيد . وأما جمال عبد الناصر فقد كانت أمامه أطراف محلية أخرى لديها ما تريد أن تحافظ عليه مما تتقاسم غنائمه مع الساعين الى السيطرة ، وهكذا لم تكن المعركة ضده من الخارج فقط ولكن من الداخل أيضا .

وسادسها ـ أن تجربة جمال عبد الناصر جاءت في مرحلة من التطور المصري والعربي حافلة بأسباب الفوران ، والنموذج المقابل (الجاهز للنقل من الغرب) قوي . والقوة لها قدرة اقناع كامنة ، ثم ان مجموعات القيم المطروحة لها جاذبية باهرة تفرض نفسها على الناس فلا تترك لهم فرصة كافية ليتدبروا ويدركوا أن هذه القيم لم تجيء بمجرد التمني، وانما جاءت لأن تفاعلات اجتماعية واقتصادية طويلة وعنيفة مهدت لها وفتحت الطريق أمامها .

وفي حين أن محمد علي كان على الساحة وحده ـ فان جمال عبد الناصر

كان من حوله كثيرون يحلمون ـ ولهم الحق ـ أن يجدوا في مجتمعهم ما بلغته مجتمعات السابقين .

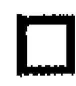
وكان هؤلاء ـ بصرف النظر عن حسن نواياهم ـ عنصر ضغط على التجربة من داخلها وعند الجذور .

وسابعها ـ أن تجربة جمال عبد الناصر تعرضت لظاهرة غريبة ، وهي أن ورثتها كانوا هم أنفسهم أحد أسلحة محاولة اغتيالها . أصحابها هم الذين أساءوا اليها على نحو أو آخر . بعضهم أساء الى وجهها الانساني الحضاري ، وبعضهم الآخر حاول تصفية وجهها التحرري والتقدمي . وتاريخ التطور الانساني يعرف ثورات أكلت أبناءها (كالثورة الفرنسية) ، وفي حالتنا فقد كان أبناء الثورة هم الذين أكلوها .

وثامنها ـ أخيرا ـ أن وسائل الحرب على التجربة كانت شيئا جديدا، بالغ الجدة في كل ما عرفته العصور من قبل . فوسائل الاعلام (الاذاعة والتليفزيون والصحف) جعلت الرأي العام في كل مدينة وقرية ونجع واحدا بين الحضور وان لم يكن واحدا من المشتركين .

كان حضوره ـ وليس اشتراكه ـ هو المطلوب . كان المطلوب منه أن يتلقى وأن يتسلم شحنات السموم المغلفة بالسكر والمعبأة في الصور والأصوات والألوان والظلال !

وهكذا ففي حين أن الحملات ضد محمد علي والطهطاوي وعرابي ومحمد عبده ومصطفى كامل وصلت الى دوائر محدودة بحدود العصر ، فان الحدود المستباحة وصلت بالحملة على جمال عبد الناصر الى كل مكان .



لا بد أن اعترف أيضا أن هذا الكتاب لم يكن خطتي للعمل هذا العام ـ ١٩٨٤ .

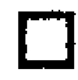
في البداية حاولت أن أكتب لمجموعة الناشرين التي تملك حق نشر كتبي في العالم كتابا عن « ظهور وتراجع القوة العربية » . وبدأت المحاولة فعلا . ثم

كنت أنا الذي تراجعت مؤقتا عما اعتزمت . فقد وجدتني أصف عالما عربيا كل أحواله تدعو للرثاء ، ولم أشأ أن يكون ما أكتبه سهما جديدا تتكسر به النصال على النصال .

وهكذا انتقلت الى مشروعي الكبير ، وهو تاريخ المنطقة من أعقاب الحرب العالمية الثانية ـ منتصف الاربعينات ـ الى أعقاب حرب اكتوبر ـ منتصف السبعينات ـ وشخصية جمال عبد الناصر أمام هذه الخلفية الواسعة الهائلة . ولم أكن أحلم بموسوعة علمية ، وانما كنت أريد أن أحاول ما حاوله غيري من الصحفيين ممن أتاحت لهم الظروف فرصة أن يروا حقبا لها معنى ورجالا لهم أدوار ـ فراحوا يروون **شهاداتهم** كما عاشوا الحوادث ورأوها تتوالى وتتعاقب .

لكني وأنا أجرب هذه المحاولة لاحظت كثافة النيران الموجهة الى جمال عبد الناصر وخطر لي أن استكشف مصادر هذه النيران .

ووجدتني أمام سبب اضافي يحفزني إلى تناول موضوع هذا الكتاب .



ولقد يثير سياق هذا الكتاب سؤالاً : هل القصة التي ركزت عليها معظم فصوله هي الوحيدة من نوعها والفريدة في بابها ؟

وأرد على هذا السؤال بأن هناك قصصا كثيرة أخرى وبعضها يستحق العودة اليه ذات يوم ! لكن قصة هذا الكتاب تختلف عن غيرها من عدة زوايا :

أولا : لأن بقاياها ما زالت معنا تجر أذيالها ـ حتى هذه الساعة .

وثانيا : لأنها تحولت بتطورات الحوادث الى ما يشبه « قصة كاملة » تتابعت أمامنا كل فصولها .

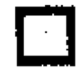
وثالثا : فهي « قصة كاملة » ليس فقط من ناحية ظهور كل فصولها ، وانما أيضا من ناحية ظهور كل أبطالها وأطرافها على مستوى

التأثير المحلي والتأثير الاقليمي والتأثير الخارجي ـ وبالتالي فهي قصة « نموذج » في الحرب الخفية .

ورابعا : لأن القصة جاهزة للتوثيق . . . ليس فقط بالأدلة والقرائن ولكن بما هو أشد وأقوى .

وخامسا : لأن هذه القصة بالذات كانت مصدر الوحي الرئيسي لكثير وكثير جدا مما ثار على الساحة المصرية في السنوات العشرة الأخيرة من غبار ورمال وحجارة ملأت الأجواء وحجبت الرؤ ية .

وسادسا : وهذا سبب مباشر ـ فقد شاءت لي الظروف أن أكون متابعا لمعظم فصولها . . وكنت قريبا من خشبة المسرح الذي دارت عليه وقائعها من الناحيتين : مقاعد المتفرجين أمام الخشبة ، والكواليس وراءها . وهكذا لم أكن مجرد مشاهد وانما كنت شاهدا .



ولقد ترددت بين أسلوبين في تناول الموضوع .

هل أكتبه على شكل دراسة أم أكتبه على شكل تجربة ذاتية ؟

لكني وجدت أن الدراسة سوف تقتضيني في النهاية اصدار أحكام ، وأنا أوثر أن أترك الأحكام للناس وللتاريخ .

ومن ناحية أخرى فقد كان شكل التجربة الذاتية ينطوي على كثير من المحاذير .

منها أن تبدو القصة ـ وقد كنت طرفا رئيسيا فيها ـ قضية شخصية .

صراع حيتان هائجة في البحر حولته بجراحها الى بقعة حمراء من الدماء .

أو تسوية حسابات قديمة كان يجب أن تذهب الى زوايا النسيان ، لكن نوازع النفس ـ والنفس بالسوء امارة ـ أعادت بعثها مرة أخرى الى الحياة .

وأقول ـ صادقا ـ ان ذلك كله ومثله ليس صحيحا .

لا هو صراع حيتان هائجة ولا هي تسوية حسابات قديمة ، وانما هي ـ كما قلت ـ واحدة من أغرب القصص في علاقة الصحافة بالسياسة في مصر . . . ثم انها ما زالت مستمرة في تأثيرها تتواصل كل صباح .

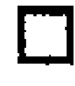
وربما كانت حساسيتي من الظنون ـ صراع الحيتان أو تسوية الحسابات ـ هي التي جعلتني أحتكم للوثائق . فلا أظن أن كتابا صدر باللغة العربية حوى هذا القدر من الوثائق الأصلية كما كتبها أصحابها وبخط أيديهم .

ولقد كان ذلك ضروريا لسبب آخر وهو أن الكلام زاد حتى فقد مصداقيته . ابتذل الحرف وامتهنت حرمة الكلمة . ولم يعد هناك من هو مستعد أن يسمع من غيره قولا مرسلا على عواهنه بغير دليل مهما كان القائل وأيا كان موقعه . فلقد ظهر أن الكبار الكبار يكذبون ، ثم أن الكذب أصبح الصناعة الثقيلة الوحيدة في عصر الانفتاح الاستهلاكي .

ولعل مشكلتي مع بعض الناس أو مشكلة بعض الناس معي أنني لا أعتمد على الذاكرة، ولا أغطي مساحة الفراغات فيها بما ينسجه الخيال أو التمني . فأنا أعرف كم هي ضعيفة ذاكرة البشر أمام الأيام وأمام الأهواء ، وهكذا فانني كنت طول عمري أسجل وأكتب وأحتفظ بكل ورقة أشعر أن ملف التاريخ الذي عشته قد يحتاجها في يوم من الأيام !

ولعلي هنا أتقدم بعرفان بالجميل عميق الى كل هؤلاء الذين صانوا مجموعة أوراقي وحافظوا عليها بمزيج من الحرص والحب .

والى جانب الوثائق فلقد تحرزت في كل ما قلت : اذا كان لديّ نص مسجل لحديث أسندت القول الى صاحبه اسنادا صريحا ، واذا كان ما لديّ مجملا أوردت الحديث بغير اسناد صريح .



ولا بد أن أعترف أن تجربة هذا الكتاب كانت مرهقة .

فلقد آثرت أن أروي القصة كما عشتها ، ومعنى ذلك أن الكتاب في جزء منه يمكن أن يبدو وكأنه تجربة ذاتية ، وليس في هذا بأس ما دام الموضوع عاما ووقائعه جزءاً من التاريخ ، ثم ان الدخول اليه هو من باب الشهود وليس من باب القضاة .

لكن البأس يجيء من عدة جوانب اخرى .

جانب منها ـ مثلا ـ أن العودة لكتابة القصة كانت على نحو أو آخر هو استعادة لمناخها وأجوائها بكل ما في ذلك من عبء نفسي وعاطفي .

(ولم يكن من ذلك مهرب !)

وجانب منها ـ مثلا ـ أن يتحول الكتاب الى مرافعة أدافع فيها عن نفسي ضد حملات شعواء اتهمت فيها بأنني أردت أن أكون الصحفي الأوحد في مصر ، وأنني هدمت أهرام الجيزة لأنقل حجارتها وأقيم فوقها مبنى الأهرام !!

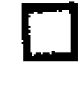
(لو كان حافز الدفاع عن النفس ضمن حوافزي كان عليه أن يحركني منذ سنوات ـ على الأقل منذ عشر سنوات) .

وجانب آخر منها ـ مثلا ـ خصوصا وأن أسلوب الكتابة هو أسلوب التجربة الذاتية ومعايشة الموضوع يوما اثر يوم ـ أن الانزلاق يمكن أن يجيء لا شعوريا فاذا حديث الموضوع يتحول الى حديث عن الذات .

(لا بد من الحذر . . ومع ذلك فليكن عذري مقدما ازاء أي خطأ : بأن البشر بشر) .

وجانب أخير منها ـ مثلا ـ هو محذور التبرير للنفس وادعاء الصواب في كل موقف .

(أدرت اهتمامي عن هذا الجانب سريعا لأن سياق الكتاب كله يكشف - مع أشياء أخرى - انني كنت على خطأ في جوانب متعددة من هذه القضية ، وأن جمال عبد الناصر كان هو الأصوب تقديرا والأدق حسا) .



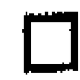
وفي بعض اللحظات فكرت أن أعطي ما عندي لغيري ليكتب هو وأعفي أنا نفسي من الحرج ومن العناء ومن المحذور !

ولقد كان ذلك ما فعله آخرون . تواروا خلف واجهات . وحرضوا غيرهم وابتعدوا هم . وألفوا الكتب ووضعوا عليها أسماء مستعارة !

ولم أجد أن ذلك منهج مقبول بالنسبة لي رغم أن كثيرين تطوعوا بكرم للتصدي .

كان رأيي أنني اذا قررت الكلام يوما فلا بد أن يكون صوتي هو المسموع وقلمي هو الذي يكتب .

وقد أكون مخطئا وقد أكون على حق - وهناك بالتأكيد من هم أكفأ وأقدر مني - ومع ذلك يظل اعتقادي أن الذين رأوا هم الذين يستطيعون أن يرووا خصوصا اذا التزموا بصدق الرواية وألزمتهم الوثائق بصدق القصد .



ملاحظة أخرى أظن أن قارىء هذا الكتاب سوف يلحظها في أجزائه الاولى وهي ما قد يبدو له بطأ في ايقاع الحوادث ، وذلك شيء لم يكن منه مفر - فقد كان ضروريا تقديم أرضية وخلفية عامة للمسرح الذي جرت عليه الوقائع .

ومن ناحية أخرى فلقد أردت - والكتاب يتبع أسلوب التجربة الذاتية في كتابته - أن تظهر وتتفتح مناظر القصة ومشاهدها أمام القارىء كما جرت

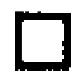
أمامي ، ثم أن تفصح الوقائع عن مكنوناتها وتفضي بأسرارها على النحو الذي وقعت به فعلا أثناء متابعتي لها .

تجيء مسألة أخرى أراها أساسية ـ قبل نهاية هذا المقدمة ـ تلك هي أنني لا أريد أن تشط الظنون بأحد منهم الى التعميم الجزافي فيتصور أن هذه هي كل قصة الصحافة والسياسة ترويها صفحات هذا الكتاب . وذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة ، ثم انه أبعد ما يكون عن هدفي .

ان الصحافة المصرية ـ والعربية ـ لعبت في بلادنا أدوارا بالغة الأهمية والجلال ، ولا يمكن لأحد أن يأخذ بقعة داكنة على صورة ثم يتوهم أن هذه هي الصورة كلها .

ان هذه المسألة وضعتني في موقع الحرج حتى وأنا أحاول اختيار عنوان هذا الكتاب . ولقد ترددت كثيرا قبل أن استقر على عنوانه العام « بين الصحافة والسياسة » ، فلقد خشيت أن يؤدي هذا العنوان الى تعميم لم أقصده . ولقد حاولت أن أجد له بدائل ، وفي لحظة من اللحظات فكرت في عنوان « الجانب الآخر من القمر » اشارة الى الجانب المظلم في كتلة مضيئة ، ثم عدلت عن هذا العنوان. فقد أحسست أنه قد يكون قصصيا وأنا لست من مدرسة هؤلاء الذي يحولون السياسة الى قصص ، والقصص الى سياسة . ثم ان مذهبي في الكتابة ليس التعميم الذي يحتمل كل التأويلات عند اللزوم ، ولكنه التحديد الذي يلزم صاحبه بمسئولية ما يكتب ـ خطأ ظهر أو صوابا . وفكرت مرة أخرى في عنوان « مصادر النيران ضد جمال عبد الناصر » ، لكني أحسست أن هذا العنوان قد يعطي انطباعا بأنني أخوض معركة للدفاع عنه ، وليس ذلك مقصدي .

وأخيرا استقر رأيي على العنوان الذي ظهر فعلا على غلاف هذا الكتاب « بين الصحافة السياسة » ، واعتبرت أن كلمة « بين » تعطي الانطباع بعلاقة محددة وقصة محصورة بظروفها .



وبعد . . فلعل الوقت قد جاء لابتعد عن هذه الوقفة ـ المقدمة ـ بين قارىء هذا الكتاب وبين صفحاته . وأن أترك الحكم له راجيا أن أجده معي عندما تثور الرياح عليّ وتزأر العواصف .

وربما أضيف خاطرا واحدا في النهاية .

ليس هدفي من هذا الكتاب أن يصبح واحدا من أكثر الكتب رواجا ، وانما سوف أشعر أنني حققت رسالته كاملة اذا امتدت به يدي فوضعته على رف من مكتبة التاريخ وليبق عليها الى ما شاء الله من السنين . المهم أن يوضع في مكانه وأن يوضع في أوانه . وحتى تجيء أجيال تحقق وتدقق وتقارن ثم تعرف وتحكم ويفعل الله ما يشاء ويختار !

محمد حسنين هيكـــل

الجـــزء الأول

الأضـــواء والظــــلال

« ان رأي أي انسان في أي قضية لا يمكن أن يكون أفضل من نوع المعلومات التي تقدم اليه في شأنها .

اعط أي انسان معلومات صحيحة ثم اتركه وشأنه ، تجعله معرضاً للخطأ في رأيه ربما لبعض الوقت ولكن فرصة الصواب سوف تظل في يده الى الأبد .

احجب المعلومات الصحيحة عن أي انسان أو قدمها اليه مشوهة أو ناقصة أو محشوة بالدعاية والزيف ـ تـــدمـــر كل جهاز تفكيره ـ وتنزل به الى ما دون مستوى الانسان » .

(آرثر سالزبورجر

مؤسس جريدة نيويورك تيمس)

الفصــــل الأول

بدايـــة طريـــق

كانت مصر كلها في حالة فوران .

وكانت حالة الفوران ترتفع أحياناً الى درجة الغليان . ثم يهدأ البخار وتعود الفقاقيع الى الظهور على سطح الحياة تنبىء بأن أشياء تجري عند القاع وتتفاعل .

أفكار وتيارات وقوى ومصالح تحتك ببعضها وتصطدم أحياناً . وتحدث من أثر ذلك شحنات تتراوح حركتها وطاقتها وتتفاوت بمقدار ما تتأثر بما يجري على السطح من أفعال وردود أفعال .

تلك كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة .

كانت تلك الحرب قد ربطت مصر نهائياً بالعالم الخارجي بقواه وأفكاره :

● من ناحية أخرجتها من قوقعة العلاقة الثنائية بينها وبين بريطانيا : الاحتلال أو الحماية أو معاهدة سنة ١٩٣٦ .

● ومن ناحية أخرى أخرجتها أيضاً من ثلاثية الصراع على السلطة الداخلية فيها بين السفارة البريطانية (القوة الاجنبية الغالبة) ، والقصر الملكي (ووراءه أحزاب الاقلية) ، والرأي العام الوطني الواسع المشايع بالدرجة الأولى لحزب سياسي واحد (الوفد) .

كانت الحرب قد غيرت كل موازين القوى العالمية والاقليمية المحيطة بمصر ، ونقلت الشرق الاوسط من حضن امبراطوريتين لحقتهما الشيخوخة (بريطانيا وفرنسا) . ووضعته في قلب الاستراتيجيات العالمية حيث دخلت الى حلبة الصراع امبراطوريتان في عنفوان القوة بالموارد والعقائد (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) .

وكانت الحرب أيضاً قد جعلت من مصر ساحة من أهم ساحات القتال ، وعلى أرضها دارت واحدة من أشهر معاركه وهي معركة العلمين . وتدفقت على الارض المصرية جيوش كان دخولها كهبوب العواصف. ودارت مواقع مشهورة ارتجت تحتها الارض كأنما أصابها الزلزال ، وسالت دماء كثيرة كأنهار من النار ذابت فيها كتل الحديد .

ولم تكن الجيوش الزاحفة والمعارك الدائرة وأنهار الدم الساخنة مجرد حركة وأصوات وألوان ، وانما كانت جميعاً رموزاً لصراع عالمي هائل ومهيب لا يكتفي بتسوية حسابات مرحلة من التاريخ مضت ، وانما يفتح الباب لمرحلة من التاريخ تجيء ، مثقلة إلى أبعد حد بمجموعات قيم جديدة ومبادىء واتجاهات ومواقف ومطالب كانت هي في الواقع دافع الحرب ووقودها .

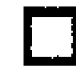
وكان هناك شيء آخر يضاف الى هذا كله ، وهو الاحساس العام في الدنيا بأسرها بأن تلك الحرب التي خفتت أصداؤ ها وخبت نيرانها وابتعدت أهوالها قد تكون آخر الحروب العالمية لان القنبلة الذرية التي تفجرت فوق هيروشيما صباح يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥ قد غيرت كل شيء .

كانت مصر اذن في حالة فوران .

راحت تبحث عن مكانها في الدنيا الجديدة تتنازعها مطالب الاستقلال وأطياف الوحدة العربية وغوايات الاحلاف في عصر الدفاع المشترك ، الى جانب تصورات مثالية عن الأمم المتحدة ومبادئها ومواثيقها .

وفي نفس الوقت راحت مصر تبحث داخل نفسها ، تفتش عن النظام الاكمل الذي يمكن أن تقيم عليه حياتها بعد أن اتضح لها ـ بشواهد كل يوم ـ

أن النظام الملكي شبه الاقطاعي ـ والطبقة المتوسطة من كبار ملاك الارض في ظله ـ لم يعد كافياً كأساس لسلطة الحكم فيها ، وتواردت أمامها الصور والرؤى وهي تفتش وتقلب ، وراودتها أحلام واسعة في الديمقراطية والعدل الاجتماعي ، وكانت تلك هي الفترة التي قرأت فيها مصر مشروع بيفردج الذي تقدمت به وزارة حزب العمال الاشتراكية في بريطانيا بعد أن دفعتها الى السلطة أصوات المقاتلين العائدين من ميادين القتال . وكانت هذه هي الفترة التي اطلعت فيها مصر لأول مرة بطريقة مفتوحة على المانيفستو الشيوعي الذي كتبه ماركس وانجلز تبشيرا بنظام اجتماعي بريءٍ من الاستغلال ، وكانت تلك هي الفترة التي شهدت فيها مصر نمو حركة الأخوان المسلمين تعبيراً عن الحاح تاريخي طويل بأن البحث عن حل جديد لا يمكن أن يدور بعيداً عن ذلك الاطار الديني الأصيل .



كان ذلك هو حال مصر في تلك الفترة ، وكان ينعكس على أحوال أهلها ، وكان أكثر ظهوره على شبابها ، ولم أكن بالطبع بعيداً عن المجموع .

وفي هذا المناخ العالمي والوطني والانساني دخلت أخبار اليوم لأول مرة في ربيع سنة ١٩٤٦ .

لم أكن موجوداً حين أنشأها الاستاذان مصطفى وعلي أمين في نوفمبر سنة ١٩٤٤ .

ولم أكن منتمياً الى ، المدرسة الصحفية ، التي ظهرت مع انشائها .

كنت قادماً اليها من خلفية مغايرة وتجربة مختلفة ، وكان قدومي اليها في ظروف غريبة .

أما الخلفية فقد كانت تتمثل في أنني قضيت فترة التكوين المهني الاولى ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ في جريدة « الاجيبشيان جازيت » وكانت وقتها أكبر الصحف

الاجنبية التي تصدر في مصر عن شركة الاعلانات الشرقية التي تملكها أسرة « فيني » . وكان التحاقي للتدريب بها فرصة أتاحها لي ولثلاثة [1] غيري من الشباب الناشيء واحد من خيرة محرريها وهو « سكوت واطسون » . كنا بين الجالسين أمامه في محاضرة عن « عناصر الخبر » واذا به يتطرق من موضوع محاضرته الى ذكرياته أيام كان مراسلاً في الحرب الاهلية الاسبانية ، وكنا نستمع اليه في انبهار وشبه خشوع ، فلقد طاف بنا فيها يشبه الملحمة بين تضاريس ومعالم تلك الحرب التي انقسمت أوروبا بسببها بين الفاشية والديمقراطية . وحين ختم محاضرته كانت دعوته لمن يريد منا أن يتدرب عمليا أن يلقاه في اليوم التالي بمكتبه في « الاجيبشيان جازيت » . وفي اليوم التالي وقبل أن يصل هو الى مكتبه كنا نحن الأربعة قد سبقناه اليه ننتظر .

وهكذا وجدت نفسي في جو الصحافة العملية لأول مرة أعمل بين رجلين كان لهما تأثير واضح على نشأتي الصحفية الأولى : « سكوت واطسون » نفسه وكان الى جانب كفاءته المهنية مثقفاً يسارياً صاغته تجربة الحرب الاهلية في أسبانيا بكل عناصرها الفكرية والانسانية العظيمة ، ثم « هارولد ايرل » رئيس تحرير « الجازيت » وكان صحفياً كلاسيكياً قديراً يعمل في نفس الوقت مراسلاً لجريدة المانشستر جارديان في مصر .

ولقد بدأت مساعد مخبر صحفي في قسم الحوادث،وظللت فيه قرابة سنة حتى جاءنا ، هارولد ايرل ، باقتراح مثير .

دعانا الى مكتبه يوماً ـ نحن الشبان الاربعة ـ يقول لنا ان هناك حربا تجري على أرض مصر ، ومع ذلك فان أحدا لم يصفها بعين مصرية ولم يكتبها بقلم مصري . ثم سألنا هل فينا من هو مستعد للمخاطرة في تجربة جديدة وعلى مسئوليته وحدها . وتحمست للتجربة ، ولعلني في ذلك كنت متأثراً بإعجابي « بواطسون » وتجربته في الحرب الاهلية الاسبانية .

---

(١) الأصدقاء ميخائيل فلتس واكرام عبد المجيد ويوسف صباغ . وكان يوسف هو الوحيد الذي أكمل مشوار المهنة الى آخره فزاملني في آخر ساعة ثم أصبح معي مساعداً لمدير تحرير الأهرام فيما بعد .

وهكذا بعد شهر وجدتني في العلمين شاهداً مصرياً على الحرب العظمى الثانية ، وأعترف أن تجربة العمل كمراسل حربي قد استهوتني .

ومن قبل، وأثناء عملي في قسم الحوادث بدت لي الجريمة وكأنها ذروة المأساة الانسانية على مستوى الفرد . فعندما يعجز شخص عن حل تناقضاته مع الآخرين بالعقل فانه يلجأ للعنف . وفي تجربتي الجديدة بدت لي الحرب وكأنها ذروة المأساة الانسانية على مستوى الشعوب والأمم . فعندما يعجز مجتمع عن ادارة صراعاته بالعقل مع مجتمعات أخرى غيره ـ يلجأ إلى القوة.

وأحسست ـ بخيالي الشاب وقتها ـ أن الظروف أتاحت لي أن ألمس بأطراف أصابعي مأساة الانسان والانسانية وعند الذرى العالية لهذه المأساة .

وكان جو القاهرة في تلك الايام معجزة من معجزات التاريخ لا تتكرر بسهولة . كان البحر الابيض هو بؤرة الحرب ، وأصبحت القاهرة بشكل ما عاصمة الحرب وعاصمة العالم . كانت كل عواصم الشمال الكبرى في أوروبا ـ لندن وباريس وروما وغيرها ـ مكشوفة لحريق القنابل أو مكبوتة بظلام الاحتلال . والقاهرة وحدها في مركز فريد . قريبة من بركان الحرب بدرجة كافية ـ وبعيدة في نفس الوقت عنه بدرجة كافية ، وأصبحت ملتقى النخب من كل نوع : قادة الحرب في السياسة وفي ميادين القتال يعيدون بقراراتهم كتابة المقادير . صحفيون ومراسلون رفعتهم الكلمة الى مصاف النجوم . كتاب ومفكرون وفنانون ولاجئون وثوار من كل جنس ومذهب واتجاه ، يحلمون بعالم جديد بعد الحرب ويظنون أنهم يرونه في لحظة الخلق الاولى هناك عند الينابيع المقدسة التي طهرتها النار .

ولم أكن أعيش في هذا الجو فقط ، ولكني كنت آكله وأشربه ، وأصحو به وأنام . وكان النوم عزيزاً في تلك الايام ، فقد كنت أشعر شعوراً غامراً أن المقادير أتاحت لي أن أكون في وسط لحظة تاريخية لا تعوض . لم نكن نستطيع أن نذهب الى العالم ، وهذا هو العالم يجيء الينا بحروفه وكلماته . . . بكتبه وأناشيده . . . بأفكاره وأحلامه وأوهامه أيضاً .

تلك كانت الخلفية المغايرة .

وفي أعقابها جاءت التجربة المختلفة . بدأت بمحض مصادفة وكانت نقطة تحوّل .



دخلت مكتب رئيس التحرير « هارولد ايرل » لشأن من شئون عملي ، وكان عنده زائر قدمني له : « الاستاذ محمد التابعي صاحب مجلة آخر ساعة ورئيس تحريرها » ، وبدا لي أن الاستاذ التابعي قد تابع بعض نشاطي أو أن « هارولد ايرل » قد حدثه عنه . وكان الاستاذ التابعي رقيقاً معي ومجاملاً .

وفي اليوم التالي اتصل بي يدعوني الى لقاء معه . وذهبت .

وسألني الاستاذ التابعي « كيف أرى مستقبلي ؟ » .

وكان السؤال مفاجئاً ، فلقد كنت أتصور أن عملي في « الجازيت » يكفيني ، ولكن الاستاذ التابعي كان له رأي مختلف :

« مهما فعلت في الجازيت فان المستقبل محصور وضيق فهي جريدة تصدر في مصر بلغة أجنبية » . ثم « ان توزيعها بعد الحرب سوف يتقلص بالطبيعة ويعود الى بضعة ألوف بدلاً من عشرات ألوف » .

ثم أضاف الاستاذ التابعي : « صحفي مصري مجاله في الصحافة المصرية باللغة العربية [1] وبقرائه فيها . . . هذا هو المستقبل » . ثم رفع سيجارته المنتصبة في مبسمها الذهبي بين شفتيه ، وراح ينظر اليّ بعينيه اللتين

(١) لم أكن غريباً عن أجواء الصحافة العربية فقد كنا في تلك الأيام نذهب مع الأستاذ « فيليب حنين » رئيس قسم الشئون المحلية في الأجيبشيان جازيت للغداء في مطعم « الباريزيانا » القريب من الجريدة . وكانت السيدة « روز اليوسف » الفنانة والصحفية الكبيرة تتردد على هذا المطعم . وقدمنا اليها الاستاذ فيليب حنين ، ثم لقيناها أكثر من مرة ، وكانت هذه السيدة ذات الشخصية القوية كريمة في تشجيعها لصحفيين مبتدئين ، ودعتنا الى مائدتها مرات ثم دعتنا الى مجلتها ، وهناك كان لقائي الأول مع الصحافة العربية .

يختلط فيهما الرمادي والأخضر والأزرق وقد تدلت نظارته على أنفه وامتد بصره الي من فوق اطار النظارة .

وهكذا انتقلت من الجازيت الى آخر ساعة .

ولم يكن الانتقال سهلاً . . ففي حين أن رئيسي الأول « هارولد ايرل » رأى أن « الجريمة » و« الحرب » هما مجال « التكوين » الأصلح والأمثل لصحفي ، فان رئيسي الثاني « محمد التابعي » كان يرى أن « المسرح » و« البرلمان » هما المجال الأنسب والأوفق .

ولبضعة أسابيع وجدت نفسي في كواليس مسارح القاهرة بدلاً من ميادين القتال ، ثم وجدت نفسي في شرفة مجلس النواب بدلاً من محافظة القاهرة التي تصب فيها أخبار كل جريمة تحدث في مصر .

وربما كان الاستاذ التابعي على حق على الاقل فيما يتعلق بمجلس النواب ، فلقد أتاح لي مقعد آخر ساعة في شرفة المجلس أن أقترب من أجواء السياسة المصرية .

وكانت تجربة العمل مع الاستاذ التابعي ممتعة . وأشهد أني تعلمت منه الكثير . ولقد وجدتني شديد الاعجاب بأسلوبه الحلو السلس . وفي البداية رحت أقلده .

وفي الحقيقة كانت تلك الفترة ، مهنياً ، فترة العثور على توازن معقول بين ثلاثة تأثيرات واضحة تجاذبتني : عقلانية « هارولد ايرل » ورومانسية « سكوت واطسون » ثم حلاوة أسلوب « محمد التابعي » .

كانت آخر ساعة في ذلك الوقت مجلة وفدية ، وفي أجوائها وجدت نفسي بحكم طبيعة المصادر المتاحة أقرب الى الوفد ، مع احساس غالب بأن ذلك مجرد تأثير مناخ وليس نتيجة مؤكدة لاختيار وقرار .

وكان الوفد قد خرج من الحكم باقالة ٨ أكتوبر ١٩٤٤ الشهيرة . وأصبحت آخر ساعة في المعارضة أمام حكومة ائتلاف أحزاب الاقلية التي

شكلها الدكتور أحمد ماهر (باشا) - رئيس حزب السعديين - تحت جناح القصر .



وصدرت مجلة أخبار اليوم الاسبوعية بعد شهر واحد من اقالة النحاس .

وكان صدورها ونجاحها حدثاً صحفياً ضخماً ، وكذلك كان حدثاً سياسياً .

ولقد كان واضحاً أن النجاح الفوري الذي حققته مجلة أخبار اليوم يرجع الى عاملين . أولهما سلسلة المقالات المثيرة التي راح الاستاذ مصطفى أمين لعدة شهور يكتبها تحت عنوان عام يقول « لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟ » . وكانت مقالات حافلة بالاسرار والحكايات والقصص . ومشوقة الى أكبر حد .

والعامل الثاني ، والفضل فيه للاستاذ علي أمين ، أن شكل أخبار اليوم وترتيبها بدا جديداً أمام القارىء المصري . ومع أنه كان استيحاءاً مباشراً لشكل وترتيب جريدة « الصنداي اكسبريس » البريطانية الا أن القارىء المصري رحب به وارتاح له [1] .

وفي كل الأحوال فان أخبار اليوم أصبحت المدفعية الثقيلة الموجهة الى الوفد تدك مواقعه دكاً عنيفاً صباح كل سبت .

كان الوفد في موقف لا يحسد عليه : فهو مطرود من الحكم **بالاقالة** .. ومحاصر تحت دك المدفعية الثقيلة بأخبار اليوم .

---

(١) كان تأثير « صحافة بيفربروك » أساسياً على أخبار اليوم ، ليس في الشكل فقط ولكن في المحتوى أيضا ، والعنصر البارز فيه ذلك المزيج من « التسلية الترفيهية » و« الاعلام الدعائي » . (هذا الوصف لـ « صحافة بيفربروك » للصحفي البريطاني الكبير « هارولد ايفانز » رئيس تحرير « التيمس » السابق ، وقد ورد في كتابه الأخير « أوقات طيبة . . . أوقات سيئة) .

ويبدو لي أن هذا بعض ما حفز الاستاذ التابعي في ذلك الوقت الى محاولة أخيرة لتطوير آخر ساعة حتى تستطيع ان تقف مع الوفد في وجه المدفعية الثقيلة الجديدة . وربما كانت هناك أسباب أخرى منها أن التابعي كان يعتبر نفسه أستاذاً لمصطفى وعلي أمين ، وربما شق عليه معنوياً أن يرى مجلة أسبوعية سياسية جديدة يصدرانها تسبق مجلته وتفوقها بكثير من نواحي عدة .

ومع أني كنت قد أصبحت سكرتير تحرير آخر ساعة ، فان عملية التطوير الجديدة تولاها التابعي بنفسه ، وظلت معظم بنودها في رأسه ينفذها واحداً بعد واحد . ولقد كانت لي ـ بغير تجاوز ـ آراء وملاحظات ، لكن التابعي كان بعواطفه كلها مندفعاً الى ما يراه . ومن سوء الحظ أن التجربة لم تنجح . وفوق ذلك فان مصروفات آخر ساعة ـ بحكم وجوه الانفاق على مشروع التطوير ـ زادت بأكثر من توقعات التابعي ، الى جانب أن الشحنة العاطفية التي دفعت محاولة التطوير كانت قد استنفذت نفسها . وهكذا قرر التابعي ـ ربما في نوبة ملل أو نوبة يأس ـ أن الوقت قد حان ليرفع عن كاهله أعباء ملكية مجلته .

ودارت مفاوضات لم أعرف أمرها في حينها ، حتى دعاني التابعي ذات يوم في بداية سنة ١٩٤٦ ليقول لي كل الاسرار مرة واحدة :

« لقد قرر أن يبيع آخر ساعة . . وقد اتفق على بيعها فعلا . . والمشترى الجديد هو أخبار اليوم . . . الاستاذان مصطفى وعلي أمين » .



كانت العلاقة بين الاستاذ التابعي وبيني قد أصبحت علاقة حميمة وكنت فيها أظن أقرب تلاميذه اليه ، ولعلي كنت آخرهم ، وكان شديد التقدير لعملي ، ثم انه كان يعتبرني « اكتشافاً » قام به هو شخصياً . وكانت هذه العلاقة تسمح لي أن أتحدث اليه بغير حواجز . وأحسب أنه دهش لموقفي صباح ذلك اليوم الذي أفضى فيه اليّ بكل الاسرار مرة واحدة . ربما كان يتوقع مني رأياً مخالفاً لتصرفه أو عتاباً لأنه لم يطلعني على ما فعل في حينه . ولم

يكن ذلك موقفي فقد كنت أحس بأزمة الرجل نفسياً ومادياً،وأدركت في لحظة أنه لم يكن ليصل الى هذا القرار لولا أن ضاقت به السبل - على الاقل في اطار ما رآه .

وقلت له ما معناه « إنني مع أسفي لانتقال ملكية آخر ساعة منه الى غيره - الا أنني أستطيع فهم دواعيه،وما دام الاتفاق قد تم وانتهى أمره فلا فائدة من اجترار الكلام ، وانما المهم أن يتم الانتقال بالطريقة اللائقة » .

وكانت هناك مفاجآت أخرى .

قال لي الاستاذ التابعي فجأة :

« انهم يريدون أن أعمل معهم . . أكتب مقالاً أسبوعياً في أخبار اليوم » .

ولم تكن هذه نهاية المفاجآت ، فقد أضاف الاستاذ التابعي :

« وهم يطلبونك أيضا . . لقد أصروا عليك بالتحديد » .

ولم أملك نفسي لحظتها من أن أسأله عن « نوع الاتفاق الذي عقده وما اذا كان من نوع عقود الاقطاع الروسي قبل الثورة حينما كانت الارض تباع بما عليها ومن عليها ؟ » .

وما زلت نادماً على هذه الملاحظة حتى الآن . فقد أحسست أنني أحرجته ، لكنه تغلب على الحرج بسرعة وقال : « انهم لا يريدون من كل طاقم آخر ساعة الا أربعة بالتحديد ، هو (التابعي) وأنا ، وصاروخان والدكتور سعيد عبده » [1] . وقلت له « إنني أريد أن أفكر في المسألة كلها ثم نعود لاستئناف الحديث فيما بعد » .

ولم تبق الاسرار أسراراً .

---

(١) « صاروخان » رسام كاريكاتور شهير . والدكتور « سعيد عبده » طبيب هوى الكتابة ، وكان أحسن من كتب الزجل السياسي في مصر في الثلاثينات والأربعينات .

وفي مصر عادة ليس هنـاك سر ، ومن باب أولى في الصحافة المصرية .

وهكذا فان ما سمعته همساً من الاستاذ التابعي في الصباح ما لبث أن أصبح حديثاً شائعاً في المساء .

وبدأ ايقاع الحركة يزيد .

اتصل بي مساء نفس اليوم الاستاذ اميل زيدان أحد صاحبي دار الهلال ودعاني للقائه ، واذا هو يعرض عليَّ رئاسة تحرير مجلة الاثنين ، وكانت مجلة سياسية تصدر وقتها عن دار الهلال ، وفيما سبق كان رئيس تحريرها هو الاستاذ مصطفى أمين ، وفي عهده بلغت أوج انتشارها وبعد خروجه منها ـ نوفمبر ١٩٤٤ ـ تولاها غيره وتأثرت أحوالها .

وشكرت للاستاذ اميل زيدان عرضه وفضله راجياً منه أن يترك لي فرصة التفكير أياماً قليلة أعود اليه بعدها .

وفكرت وأطلت التفكير وأحسست أنني أقرب الى قبول عرض الاستاذ اميل زيدان لاكثر من سبب . بينما أن صورة عقد شراء للارض وما عليها ومن عليها ، كانت تلوح أمامي بين الوقت والآخر . ومن ناحية ثانية فان « مجلة الاثنين » بدت لي تحدياً مستقلاً ، وأعترف أيضا أن رئاسة تحريرها بدت في ذلك الوقت اطراءاً لخيلاء الشاب فيَّ . فها هي رئاسة تحرير مجلة سياسية من مجلات الدرجة الاولى تعرض عليَّ وأنا لم أتجاوز بعد سن الثالثة والعشرين .

كذلك دارت أفكاري ، وعلى هذا النحو كادت تستقر عندما ذهبت الى آخر ساعة مبكراً كالعادة صباح اليوم التالي . وحينما عرفت أن الاستاذ التابعي قد وصل واستقر في مكتبه ، قصدت اليه ورويت له تفاصيل لقائي مع الاستاذ اميل زيدان،ثم أظهرت له اتجاهي الى قبول عرضه .

والحق أنني كنت أتصور أن الاستاذ التابعي سوف يوافقني على رأيي

خصوصاً أنني في سرّى تخوفت للحظة أن يكون هو الذي عرض اسمي على الملاك الجدد . لكني وجدته يقول لي :

راجع نفسك . . . ان مجالك سوف يكون أوسع وأرحب في أخبار اليوم . .

ثم أضاف بصوت مشحون بالتأثر والكبرياء معاً « انه لا يريدني أن أتركه وحده » خصوصاً و« أنهم » متمسكون بي .

ولم يتوقف سيل المفاجآت فان باب مكتب الاستاذ التابعي انفتح فجأة ودخل منه أحد الملاك الجدد : الاستاذ علي أمين .

لم أكن قد لقيته من قبل ، ولكنه أقبل عليّ فاتحاً ذراعيه يقبلني على الخدين ويقول لي أنه لا يهنئني بانضمامي ـ الى أخبار اليوم ، ولكنه أيضاً يهنىء أخبار اليوم بانضمامي اليها .

ولم أكن أعرف بعد أنني انضممت الى أي شيء ، وربما لاحظ هو آثار الدهشة عليّ فقال على الفور ، والحماسة ظاهرة في صوته ، انه كان يتابع عملي وكان يتمنى أن أعمل معه في أخبار اليوم،لكنه لم يشأ فيما مضى أن يحرم الاستاذ التابعي من جهودي ، وها هي الظروف تتيحُ لنا كل الفرص مرة واحدة .

وتطوع الاستاذ التابعي ليحدثه عن عرض دار الهلال بأن أتولى رئاسة تحرير مجلة « الاثنين » . وهز على أمين رأسه بشدة نفياً ورفضاً ، وقال«مكانه الحقيقي معنا في أخبار اليوم » .

وأردت أن أخرج من المكتب لأترك المالك السابق والمالك اللاحق وحدهما يدبران أمورهما ، واذا الاستاذ التابعي والاستاذ علي أمين يلحان أن أبقى معهما لمناقشة تفاصيل الانتقال ، ولم أجد أن ذلك يربطني بشيء فبقيت . . . وناقشت .

وذهبت الى الغداء مع الاستاذ التابعي في بيته . . . واستأنفنا الحديث بعد الظهر ، ثم في المساء وحتى آخر الليل ، وأدركه النعاس قبل الفجر فدعاني الى أن أستريح حتى الصباح في غرفة نوم اضافية بجوار غرفته . . . وفعلت .

ولم أنم ولا استرحت .

الفصل الثاني
البحث عن المتاعب

باختصار . .

وجدتني أعتذر للاستاذ أميل زيدان .

ووجدتني في دار أخبار اليوم محررا فيها وسكرتيرا لتحرير آخر ساعة في نفس الوقت . وكانت يومها تشغل دورا على السطح في عمارة تملكها احدى شركات التأمين في شارع قصر النيل .

ثم تعرفت على الاستاذ مصطفى أمين ، قدمني إليه توأمه علي أمين .

وتعرفت على محرري أخبار اليوم . وجلست إلى مكتب في واحدة من حجراتها . ورحت اتأقلم مع عالمي الجديد ، ولم تكن العملية سهلة ، وان كانت نتائجها سعيدة بالنسبة إلي وبالنسبة الى كل الاطراف فيما أظن .

بالطبع كانت هناك فترة ملاءمة ، وأكاد أقول فترة احتكاك ، لكنها مرت .

كان الجو العام في أخبار اليوم غير مستعد على الفور لقبول واستيعاب غرباء من الخارج . وكانت تلك مسألة أسابيع ، ثم تحقق الاندماج . وللحق فان الاستاذ كامل الشناوي كان صاحب الفضل الاكبر فيه . كنت أعرفه من قبل . جلست الى جواره مرات في شرفة الصحافة في مجلس النواب واستهوتني شخصيته . شاعر وكاتب . محدث وراوية . فنان قلب نواميس الكون فاذا

النهار نوم واذا الليل يقظة ومغامرات وحكايات لا أول لها ولا آخر . . ومع اختلاف شخصية كل منا وربما بسببه فقد انشدَّ كل منا الى الآخر . والتناقض أحيانا عنصر جذب . وكنت أتهمه « بالبوهيمية » وهو يتهمني « بالنظام » ، وكنت أراه يهدر ثلاثة أرباع وقته ، وكان يرى أن الحياة أجمل من أن تضيع في العمل . وكان كامل على علاقة حب دائمة مع الحب نفسه ، فقد كانت له حكاية غرام كل ليلة ، وكانت كلها غراميات يائسة تلهمه قصائد حلوة،فاذا جاء الصباح وسطعت الشمس تبدد غرام الليل وبقيت منه القصيدة الحلوة نسمعها منه ونستعيد سماعها عندما تهدأ الأحوال وتتيح لنا الظروف أن نسعى الى غرفة مكتبه . . . ملتقى الجميع بدفئها الذي يذوب فيه الصقيع .

وكان الاستاذ علي أمين كتلة متحركة من الحيوية . وكان مع حجمه الضخم ما زال يحتفظ بقلب الطفل الذي كان فيه ذات يوم وبطيبته . وأحيانا كانت تعتريه حماقة الطفل واندفاعه التلقائي ، لكن الرجل فيه يعود بسرعة ليؤكد نفسه فاذا هو مزاج صاف وروح أليفة . وكنت أحار في الطريقة التي ينفعل فيها بسرعة ثم يهدأ فيها بسرعة . ومهما يكن فقد كانت تلك أحلى جوانب شخصيته .

وأعترف أن مشاعري اتجهت اليه خالصة من أول لحظة ، وكذلك أحسست باقباله عليّ من أول لحظة .

وكنت معجبا بتقسيم العمل بينه وبين توأمه الاستاذ مصطفى أمين . علي أمين على وجه التأكيد هو « الموتور » الذي يجري فيه الاحتراق الداخلي ويولد الطاقة والحركة . ومصطفى أمين هو السائق الجالس على عجلة القيادة في الدار يوجهها إلى أي طريق يختار .

وبدا لي مصطفى أمين رجلا شديد الذكاء فيما يقصد اليه ، شديد النشاط مع بعض المبالغة في الحركة ، لطيف المعشر حين يريد . لكنه ليس بالضبط مثل توأمه كتابا مفتوحا تقرأ صفحاته في يسر وسهولة . ولم أجد غرابة ، فذلك بالطبع شأن مخبر صحفي كبير له اتصالاته الواسعة ومصادره المتشعبة وحساباته المعقدة .

ولقد وقعت بيننا في الشهور الأولى من عملي في أخبار اليوم احتكاكات سريعة ، لكن العمل المشترك والصحبة الدائمة أزاحا كل شيء جانبا .

● ولقد اختلفت معه مرة في الطريقة التي كانت أخبار اليوم تعالج بها قضية اغتيال أمين عثمان (باشا) . فقد كانت تصور حسين توفيق قاتل أمين عثمان على نحو مثير ، وتغطي محاولة تهريبه [1] من السجن بشكل يضفي على القتل والهرب نوعاً من البطولة تختلط فيه القيم . ولم يكن ذلك رأيي في الجريمة السياسية .

كان رأيي وما يزال ـ من حسين توفيق الى خالد الاسلامبولي ـ أن القيمة الحقيقية للجريمة السياسية هي أن يكون القاتل على استعداد لان يدفع الثمن كاملا ومن حيٰاته قبل أي شيء آخر في سبيل ما اعتقد هو أنه حق .

والا فان كل القيم تختل بما في ذلك جوهر روح الفداء لدى القاتل نفسه .

● واختلفت معه مرة أخرى حول التغطية الاخبارية لمفاوضات صدقي ـ بيفن . وكان هو يتمنى نجاحها ، ولم يكن ذلك مناي . وبسبب اختلاف مصادر أخباري عن مصادر أخباره فلقد بدا أن ما أحصل عليه من أخبار يتعارض مع ما يصل اليه هو .

وكانت معظم اتصالاتي ومصادري في وفد المفاوضات المصري وقتها من الجبهة المعارضة لصدقي (باشا) ، وبالتحديد مع علي الشمسي (باشا) . ولم يكن مصطفى يحب الشمسي (باشا) ، وكانت المشاعر متبادلة وذات جذور بعيدة وعميقة .

● وتعقدت الأمور بعض الشيء فيما أظن حينما كتب الاستاذ مصطفى أمين في أخبار اليوم مقالا عن مشروع معاهدة صدقي ـ بيفن عنوانه « نوقعها

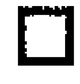
---

(١) كان القصر الملكي هو الذي تولى تهريب حسين توفيق . وكان بعض رجال القصر ضالعين في تحريضه على قتل أمين عثمان (باشا) (رويت ذلك تفصيلا في كتابي « خريف الغضب ») .

ونلعنها » . واذا « آخر ساعة » تصدر بعد ثلاثة أيام بافتتاحية عنوانها « اذا كنا سنلعنها فلماذا نوقعها ؟ » .

وكانت تلك محصلة لعوامل كثيرة داخل أخبار اليوم وخارجها ، وبشكل من الأشكال فانها كانت انعكاساً لموازين الصراع في الحياة السياسية المصرية ونتيجة لتوترات حادة حوله لم تمكّن طرفاً من فرض ارادته .

ومهما يكن فان اختلاف المواقف والاتجاهات اشاع ظلاً من القلق لبعض الوقت ثم انقشعت الغيوم ، وكان الاستاذ علي أمين هو تيار الريح المندفع الذي يحاول دائماً ان يعيد الى السماء صفاءها .



وربما ساعد على انقشاع الغيوم انني في تلك الفترة قررت تغيير اتجاهي . . . بدت لي التغطية الاخبارية في السياسة المحلية جهداً عقيماً وفكرت ان أعود الى التحقيق الصحفي .

كان وباء الكوليرا قد تفشى في مصر . وغادرت القاهرة مع الاستاذ محمد يوسف كبير مصوري أخبار اليوم وذهبنا لنقيم في منطقة ظهور الوباء بمحافظة الشرقية ، وتقرر عزل المحافظة عن بقية مصر ونحن فيها . وكانت رسائلنا تصل كل اسبوع الى اخبار اليوم تنقل الى قرائها صورة شاملة انسانية للحياة في ظلال الموت . . . عدت مرة أخرى الى الحياة مع الخطر كما كنت أفعل في « الجازيت » . كان الخطر هناك هو الحرب ، والخطر الان هو الوباء .

وأظن أن مجموعة التحقيقات التي كتبتها عن الكوليرا لفتت أنظار كثيرين في مصر . فقد وجدت نفسي بعدها أفوز بجائزة فاروق الأول للصحافة العربية ، وكانت جائزة لها شأنها في ذلك الوقت خصوصا بين الصحفيين الشبان .

وحاولت اقناع الأستاذ علي أمين بأن يفتح أمامي باب التحقيق الصحفي خارج الحدود وأشهد أنه تحمس ، وأعتقد أنه لم تكن هناك دار

صحفية أخرى في مصر وقتها على استعداد للمجازفة ، بمثل هذه الفرصة لأحد محرريها غير أخبار اليوم .

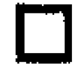
وهكذا وجدتني باحثا عن المتاعب في كل مكان أغطي الحوادث الساخنة في الشرق الاوسط وحوله ، من الحرب الاهلية في اليونان وقد شملت كل البلقان، الى حرب فلسطين من أولها لاخرها، الى سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا ، الى عمليات الاغتيال الكبرى في المنطقة من اغتيال الملك عبد الله في القدس الى اغتيال رياض الصلح في عمان الى قتل حسني الزعيم في دمشق ، ثم الى ثورة مصدق في ايران . ثم اتسعت المسافات فاذا أنا أغطي المشاكل الملتهبة في قلب افريقيا ، ثم حرب كوريا وحرب الهند الصينية الاولى .

وحين استقر بي المقام في القاهرة بعد خمس سنوات من التجوال كنت قد حصلت على جائزة فاروق الاول للصحافة ثلاث مرات قررت بعدها أن لا أتقدم للجائزة وأتركها لغيري . ثم اكتشفت ـ بعرفان شديد وتواضع أشد ـ أن كثيرين قد أصبحوا يهتمون بما أكتب ، ثم أنني أصبحت على معرفة وثيقة بأحوال شعوب المنطقة ومعرفة شخصية بكل ساستها وحكامها ، وعلى صلة بجيلي من الصحفيين في العالم الواسع- فقد جمعتنا معا ميادين القتال ومواقع الاحداث على طول المسافة الممتدة من شواطىء المحيط الهادىء الى شواطىء الاطلنطي . وأهم من ذلك كله أن أبواب السياسة المصرية تفتحت أمامي على مصراعيها . وكان ساسة مصر وقتها قد تعودوا على مجموعات من الصحفيين يقفون على أبواب دور الرئاسات والوزارات يسألون الداخلين والخارجين عن الاخبار . وكان من حسن حظي أنني لم أقف على باب أحد ولم أسأل أحد في شيء أثناء مروره في ردهة أو نزوله على سلم خروج . ولقد سبب لي ذلك حساسيات مع البعض . ومع الاسف لم أستطع اقناعهم أن الحياة مع الخطر ، هي التي فتحت لي الابواب وأعفتني من الوقوف على الاعتاب .

وأتذكر على سبيل المثال أني حين عدت من فلسطين لاول مرة بعد أن كتبت سلسلة تحقيقات بعنوان « النار فوق الارض المقدسة » تلقيت دعوة من

رئيس الوزراء في ذلك الوقت محمود فهمي النقراشي (باشا) يطلبني إلى مـ
ليسألني عما رأيت ويدقق في سؤالي ، ولم تكن مصر قد قررت دخول الحرب

وعرض عليّ الاستاذان مصطفى وعلي أمين رئاسة تحرير آخر س وأضافا اليها منصب مساعد رئيس تحرير أخبار اليوم ، وقبلت راضيا وشاكر وأظن أن الاستاذ التابعي كان أكثرنا سعادة فقد دعانا جميعا للعشاء ليلتها بيته ومعنا أم كلثوم .

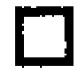


كانت أجواء مصر ملأى بالنذر في خريف سنة ١٩٥١ عندما استقر المقام في مصر . وكانت لعبة شد الحبل على آخرها بين الملك والنحـ (باشا) بسبب مصير معاهدة سنة ١٩٣٦ . وربما بالقصور الذاتي وجدتني أكاد أجلس إلى مكتبي حتى أتركه باحثا مرة أخرى عن المتاعب . هكذا ذهـ الى منطقة القناة حيث اشتدت المقاومة ضد الانجليز بعد أن ألغى النحـ معاهدة سنة ١٩٣٦ . ثم توقعت أن يحدث انفجار في السودان اذا أ الانجليز على ترحيل القوة المصرية المرابطة هناك بقيادة اللواء البشاري ، فطـ الى الخرطوم ولم يحدث شيء . وراودني الاحساس بأنني أخطأت التقدير وبأن كانت الحوادث سوف تتحرك فان حركتها سوف تكون في القاهرة وليس بـ عنها . . . . فعدت .

وصباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ اتصل بي الاستاذ أحمد حسين زعيم الحـ الاشتراكي - مصر الفتاة سابقا - يسألني : ماذا أفعل في مكتبي والشارع المصـ يفور ويغلي ؟ ونزلت ، فاذا الظروف تتيح لي متابعة حريق القاهرة من الـ الى الرماد ، واذا بين من ألقاهم وسط الدخان البكباشي جمال عبد الناصـ الذي كنت قد التقيت به لاول مرة في عراق المنشية أيام حرب فلسطين ، زارني في مكتبي أكثر من مرة في أيام تصادف وجودي فيها بالقاهرة : مرة يسألني عن الانقلابات السورية وما الذي يجري فيها ، ومرة ليطلب نسخة كتاب صدر لي وقتها عن أزمة تأميم البترول في ايران بعنوان « ايران فـ بركان » . ويوم حريق القاهرة كان قد نزل مع غيره من الضباط الى شو

العاصمة المشتعلة بالنار بعد أن عجز البوليس عن السيطرة على الموقف ، ومن ثم اقتضت الأمور نزول الجيش .

في ذلك الوقت كان أقرب الأصدقاء اليّ فكرياً هو الدكتور محمود عزمي (من بقايا الرعيل الاول من كتاب مصر العظام) وكان بيته مع زوجته الروسية البيضاء مكانا أذهب إليه كل ليلة لمناقشات تبدأ بمصر وتطوف بالدنيا كلها . وكان محمود عزمي مفكرا نافذ البصيرة ومثقفا واسع المعرفة.ولم يأخذ حظه في مصر لان القصر كان غاضبا عليه كما أن الوفد كان يحسبه من أعدائه[1] . وكان أقرب الاصدقاء إليّ سياسيا هو نجيب الهلالي (باشا) وكنت متحمسا لشعاره « التطهير والتحرير » كمحاولة أخيرة قبل أن يجيء الطوفان وأتذكر ـ ويشهد زوج ابنته الدكتور محمود محفوظ وكان معنا ـ أن نجيب الهلالي (باشا) حين كلف بتشكيل الوزارة في مارس ١٩٥٢ سألني فيمن يصلحون معه لتولي المناصب الوزارية ، وكانت تلك أول مرة أجد نفسي فيها وسط لعبة السياسة العليا في مصر ، وأتذكر أنني رشحت له من بين من رشحت اللواء محمد نجيب وزيراً للحربية . وذهب الهلالي باشا لمقابلة الملك فاروق وعاد الينا في مكتبه وكنا في انتظاره : الدكتور محمود محفوظ والاستاذ فريد زعلوك وأنا . وكان أول ما قاله لي : ان مرشحك لوزارة الحربية لم يلق قبولا من الملك الذي سألني هل تعرفه ؟ وقلت لا ، وسألني ، وهل تضمنه ؟ واحترت،فقال لي: اذن ابحث عن غيره .



كانت أخبار اليوم هي محور حياتي كلها وتحولت العلاقة التي تربطني بأصحابها الى ما يشبه علاقة أخوة خصوصاً بالنسبة لعلي أمين الذي كنت شاهد زواجه الاول،ثم أصبح بدوره شاهد زواجي بعد ذلك سنة ١٩٥٥ .

---

(١) بعد الثورة كان لي شرف تقديم الدكتور محمود عزمي الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد عينه الرئيس ممثلا دائما لمصر في الامم المتحدة ، وفارق الحياة شهيدا على منبر مجلس الامن حيث أصابته نوبة قلبية مفاجئة بينما هو يناضل دفاعا عن الحقوق المصرية .

ومع ذلك فلقد ظلت هناك مناقشات ومحاورات وأحيانا خلافات رأي يدور معظمها حول ثلاثة محاور :

● قرب أخبار اليوم من القصر بأكثر مما هو صحي وعداؤها الشديد للوفد بأكثر مما هو صحي أيضا .

● والمحور الثاني مطالبتي الدائمة بأن تدار أخبار اليوم على قواعد مؤسسية تضمن سلامة العمل وتكفل الاستمرار .

● والمحور الثالث الحاحي المستمر على تغطية أكثر عمقا للحوادث والتيارات لان القارىء المصري يتغير ويتطور ، ولان « حواديت » الثلاثينات والاربعينات لم تعد تصلح للخمسينات والستينات خصوصا وقد أصبحت مصر جزءاً من عالم بأسره تهدده مخاطر عظيمة وتراوده آمال أعظم .

وكنا قد أقمنا مشروع دار أخبار اليوم الجديد. وكانت عملية الانشاء قد أحدثت ارتباكات مالية ظاهرة وتقلصات ادارية واضحة للعيان .

ولم يؤثر شيء من هذا على صميم العلاقة . وأتذكر حينما سافر الاستاذان مصطفى وعلي أمين الى الولايات المتحدة الامريكية معا في طائرة واحدة ـ أنهما كتبا اقرارا ووصية . ومع أن المخاطرة لم تكن قائمة الى هذا الحد ، وبدت في المسألة مسحة ميلودرامية لا تقتضيها طبائع الامور ، الا أنني كنت الصديق الذي أؤتمن على الاقرار والوصية وعلى مسئولية تنفيذهما عند الضرورة ، واحتفظت بهما في مكتبي وبقيا في أوراقي حتى اليوم .

كان نص الاقرار كما يلي :(١)

« بسم الله الرحمن الرحيم

اقـــرار

في حالة وفاة علي أمين ومصطفى أمين صاحبي دار أخبار اليوم وجميع

---

(١) الاقرار بخط الاستاذ مصطفى أمين وتوقيعه الى جانب توقيع الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١) .

صحفها وشركة التوزيع الخاصة بها يتألف مجلس ادارة لادارة الدار من محمد التابعي وأحمد عنان وأم كلثوم ابراهيم وكامل الشناوي ومحمد حسنين هيكل وجلال الدين الحمامصي وزكي عبد القادر وعبد العزيز عبد العليم وحسين فريد وحافظ جلال ، ولهم وحدهم حق ادارة الدار ورسم سياستها وتعيين محرريها وعمالها وتحديد أجورهم ووضع سياسة المستقبل وأن تخصص جميع أرباح الدار لانشاءات في الدار نفسها أو مشروعات صحفية فيها ، ولرفع مستوى العمال والمحررين في الدار . ولتحسين الصحف .

ويعتبر هذا اقــرارا منا لمجلس الادارة المذكور بانتقال الملكية اليه في حالة الوفاة ، ولا حق لاحد من الورثة أو غيرهم في التدخل أو ادعاء الملكية أو التصرف ، وهذا الاقرار هو هبة منا في حالة وفاتنا . ونشهد الله على هذا الاقرار والله على ما نقول شهيد » .

٣١ ديسمبر ١٩٥٣

(الامضاء)
مصطفى أمين
علي أمين

وكان نص الوصية بعدها كما يلي :[١]

في حالة عدم قبول الاقرار الاول الذي وقعناه
وصيــــــة

في حالة وفاة مصطفى أمين وعلي أمين معا نوصي بثلث ما نملك من مال وعقار ودور ومطابع وصحف الى عمال وموظفي الدار الحاليين ممثلين في مجلس ادارة مكون من محمد التابعي وأحمد عنان وأم كلثوم ابراهيم وكامل الشناوي

---

(١) الوصية بخط الاستاذ مصطفى أمين وتوقيعه الى جانب توقيع الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢) .

ومحمد حسنين هيكل وجلال الدين الحمامصي وزكي عبد القادر وعبد العزيز عبد العليم وحافظ جلال وحسين فريد .

على أن تخصص جميع الارباح لانشاءات في الدار نفسها ومشروعات صحفية ولرفع مستوى العمال والمحررين في الدار .

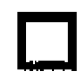
وهذا اقرار منا بذلك ، والله على ما نقول شهيد .

وكل ما نريده أن تلتزم صحف الدار الخطة السياسية والتقاليد التي سارت عليها منذ انشائها .

٣١ ديسمبر ١٩٥٣

(الامضاء)
مصطفى أمين
علي أمين

أردت بهذا كله أن أرسم صورة عامة . . . مجرد لمسات ألوان وظلال تكشف البعد والعمق في العلاقة من سنة **١٩٤٦** الى سنة **١٩٥٢** وما بعدها حين قامت ثورة يوليو وراحت تؤكد سلطتها وسياستها .



كانت الشهور الاولى من سنة **١٩٥٢** فترة جيشان هائل تشير كل وقائعها الى أن عصرا بأكمله يعيش آخر أيامه .

الرصاص يدوي في منطقة قناة السويس ذلك الشريان الحيوي المصري المفتوح أمام حركة المواصلات البحرية العالمية ، وقد وصل دوي الرصاص الى ذروته بالمعركة بين الجيش الانجليزي وكتيبة من البوليس المصري ، ولم تكن معركة بل كانت مذبحة .

والقاهرة ، القلب ذاته ، تحترق بالنار التي اشتعلت فيها ، وكان الحريق رد فعل مباشر ـ عفوي أو مدبر ـ لتفاعل آثار المذبحة مع الشحنات المكبوتة في

العاصمة التي زحفت اليها وتكدست فيها كل عوامل الانفجار الاجتماعي والاقتصادي والفكري التي كانت تموج بها مصر .

والجماهير المصرية حائرة ، أينما التفتت وجدت فســادا وتآكلا وانهيارا ليس هناك من يصده أو يرده . فالملك مشغول بولي عهد رزق به ، والاحزاب كل منهــا في واد وكلها لم تعد تمثل شيئا أو تعبر عن شيء .

والجيش في حالة قلق ، والقلق يعكس نفسه فيها حدث وقتها في انتخابات مجلس ادارة نادي ضباط الجيش ، وقد تحولت الانتخابات بالفعل الى معركة بين القصر وحركة سرية في الجيش أطلقت على نفسه اسم « الضباط الاحرار » ، وقد رشح الملك لمجلس ادارة النادي أحد رجاله ورشح الضباط الاحرار أمامه منافسا فاز عليه،وصدر قرار ملكي بحل المجلس المنتخب وتعيين رجل الملك رئيسا مؤقتا للنادي ، واذا رجل الملك يتعرض لمحاولة لاغتياله .

والوزارات تقوم وتسقط بغير سبب ظاهر ، ففي ستة شهور من سنة **١٩٥٢** شهدت مصر وزارة النحاس تقال ، ووزارة علي ماهر بعدها ترغم على الاستقالة ، ووزارة نجيب الهلالي الاولى تضطر للتخلي عن الحكم ، ووزارة حسين سري عاجزة عن الاستمرار ، ثم وزارة خامسة برئاسة نجيب الهلالي تحاول تدارك العواقب . . رئيس وزارة جديد كل شهر تقريبا .

الفصل الثالث

الثـــورة وبعـــدها

كانت الايام الخمسة السابقة على قيام صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أياما لا تنسى .

يوم ١٨ يوليو التقيت مصادفة (١) « بالبكباشي جمال عبد الناصر » والصاغ « عبد الحكيم عامر » ودار بيننا نقاش ساخن حول ما يجري في البلاد ودور الجيش فيه ، وتحمست أثناء المناقشة وقلت لجمال عبد الناصر ما معناه ، « أن الجيش عاجز عن رد كرامته ازاء عدوان الملك عليه » ، ورد جمال عبد الناصر بالتساؤ ل عما يمكن أن يفعله الجيش أوليست أي حركة من جانبه يمكن أن تؤدي الى تدخل بريطاني يعيد فيه الملك فاروق تمثيل دور الخديوي توفيق ويعود فيه الجيش الى مأساة عرابي ؟ » وتطوعت فقلت ان الانجليز لن يتدخلوا لانهم لا يملكون وسائل التدخل ، وأحسست أن عبارتي رنّت جرسا في رأس جمال عبد الناصر لانه التفت اليّ وسألني عن الاسباب التي تدعوني الى القول بذلك . . . كيف أستطيع أن أقطع على هذا النحو بأن الانجليز لن يتدخلوا ، ورحت أشرح وجهة نظري .

اذا أرادوا التدخل ضد أي حدث يجري في القاهرة فليس أمامهم غير

(١) كنت في زيارة للواء محمد نجيب في بيته وفجأة دخل جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر فاجتمعا به وحدهما ثم خرجا وبقيت بعدهما بضع دقائق ـ وعند خروجي وجدت الاثنين مرة أخرى وتواصل الحديث .

احتلال مصر كلها وهم لا يملكون القوات الكافية لذلك ، فمعلوماتي أن كل ما لديهم في منطقة القناة هو فرقة واحدة وهي على وجه القطع لن تستطيع احتلال مصر .

ثم ان ونستون تشرشل عاد الى الحكم في بريطانيا بعد وزارة للعمال رأسها آتلي ، وهو يدرك أن الرأي العام البريطاني يريد سلما ولا يريد حربا ، وهو - أي تشرشل - موضع شك باستمرار كداعية حرب وذلك يفرض قيودا على حركته في هذه الظروف .

ثم ان المناخ الاقليمي في المنطقة لا يسمح لبريطانيا - وهي تواجه مشكلة في ايران بسبب تأميم البترول - أن تخوض معركة مسلحة في مصر ، فذلك قد يؤدي بالمنطقة كلها الى انفجار لا تحمد عواقبه .

ثم انني كنت في عشاء قبل أيام في بيت اللواء « أحمد شوقي عبد الرحمن » - قائد المنطقة الشرقية - وكان بين الحضور البريجادير « جولبرن » - الملحق العسكري البريطاني - ومنه عرفت أن السفير البريطاني - السير رالف ستيفنسون - في اجازة،وكذلك قائد القوات في منطقة القناة ، بل انه هو نفسه يستعد للسفر الى لندن ، ومعنى ذلك أن شبكة الاتصالات بين لندن والقاهرة ليست مفتوحة تماما عند القمة .

وبدأ جمال عبد الناصر يسألني بالحاح في تفاصيل ما قلت.وشعرت أن اهتمامه به أكبر مما يحتمله حديث عابر بين صحفي وبين ضابط في الجيش .

(وأعتقد أنه كان قد حزم أمره ورتب خطته لما ينوي عمله، وراح يدير في رأسه كل المحتملات،واذا صحفي من وسط المصادفات يثير أمامه علناً كل ما كان يدور في أعماق تفكيره) .

وسألني هل نستطيع أن نواصل الحديث لان الموضوع يهمه ، واقترحت عليه أن نذهب الى مكتبي في أخبار اليوم ، وكان تعليقه على الفور : لا . . ليس في اخبار اليوم . . لماذا لا نذهب الى بيتك ؟

وذهبنا الى بيتي . . . وتحدثنا طويلا . . . واتفقنا على اللقاء مرة أخرى .



وفي صباح اليوم التالي كنت في سيارتي مسرعا على الطريق الصحراوي الى الاسكندرية . فقد اتصل بي الدكتور محمود محفوظ يقول لي أن الهلالي (باشا) يريدني في الاسكندرية لان الملك عرض عليه رئاسة الوزارة من جديد . وحين وصلت الى الاسكندرية والى بيت الهلالي (باشا) في المندرة لم أجد غير الاستاذ فريد زعلوك والدكتور محمود محفوظ ، وقيل لي ان الهلالي (باشا) في بيت رئيس الديوان الملكي حافظ عفيفي (باشا) ، ثم أبلغنا أن الاثنين قصدا معا الى قصر المنتزه حيث صدر التكليف الرسمي لنجيب الهلالي فعلا بتشكيل الوزارة .

وحين عاد الهلالي (باشا) لم أكن سعيدا بما حدث وسألته : كيف قبلت ؟

وقال لي أمام فريد زعلوك ومحمود محفوظ : لقد أخذت من الملك ضمانات كافية . ثم مد يده الى جيب صديري بذلته البيضاء وأخرج ورقة قرأ لي منها ستة شروط بينها عدم تدخل غير المسئولين في الحكم ، ثم الوعد بعدم اعتراض عملية تطهير جهاز الدولة ، الى آخره .

وقلت للهلالي (باشا) : ومن الذي يضمن هذه الضمانات ؟

وقال لي ضاحكا من شبابي وحماستي وقتها : « هل تريدني أن أطلب من الملك أن يوقع لي على كمبيالة ؟» .

وكنت في أعماقي أشعر ان شيئاً ما سوف يحدث في القاهرة ولم أكن أتمنى ان يحدث هذا الشيء في مواجهة نجيب الهلالي . ولم أقل شيئاً .

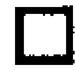
والتقيت ليلتها مع الاستاذين مصطفى وعلي أمين في فندق سيسل بالاسكندرية وتبادلنا أخبار التشكيل الوزاري الجديد. وكان عليّ أن أملي تفاصيله

على سكرتير تحرير أخبار اليوم وقتها الاستاذ حسين فريد لكي ينشر في جريدة الاخبار التي كانت قد صدرت يومية قبل ذلك بشهور قليلة .

وفي الصباح الباكر على مائدة الافطار قلت للاثنين إنني عائد الى القاهرة على الفور . وفي حين راح علي أمين يلح عليّ أن أبقى في الاسكندرية حتى تتم مراسم تشكيل الوزارة لان صلتي الوثيقة برئيس الوزراء الجديد تعطينا الفرصة لخبطات صحفية مثيرة، فان الاستاذ مصطفى أمين أحس بغريزة المخبر الصحفي فيه أن هناك شيئاً وراء عودتي المسرعة الى القاهرة ، وهكذا راح يسألني عما أتوقعه .

وكان موقف الجيش هو علامة الاستفهام المعلقة على الموقف السياسي كله . وكان مصطفى يخمن أنني منذ أيام حرب فلسطين أعرف الكثير مما يدور في الجيش وأتابع عن كثب ما يجري تحت السطح فيه .

والحقيقة أنني وجدت نفسي في بؤرة هبوب العاصفة، وتلك حكاية أخرى .



باختصار مرة ثالثة .

في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الاربعاء ٢٣ يوليو كنت في مقر هيئة أركان حرب الجيش وكان قد أصبح مقرا لقيادة حركة جديدة قامت بها مجموعة من الضباط الشبان للاستيلاء على السلطة فيه . وباستيلائهم على السلطة فيه فانهم استولوا على السلطة في الوطن كله .

بدأوا تحركهم في منتصف الليل ، وبعد ساعتين اثنتين كانوا قد حققوا ما أرادوه . وبعد دقائق كنت في وسطهم .

ورأيت بعيني تاريخ مصر يتغير في فجر يوم صيف .

ووسط حركة التاريخ نفسه وهي تجري أمامي تذكرت مهنتي ، فاتصلت بأخبار اليوم تليفونيا لاجد عامل التليفون يقول لي : ان مصطفى « بك » يبحث عني من الاسكندرية في كل مكان وهو الان معه على التليفون يتحدث

مع الاستاذ حسين فريد سكرتير التحرير فهل أريد أن يوصلني به ؟ » ولم ينتظر مني ردا وسمعت صوت مصطفى أمين معي على الخط .

سألني : « أين أنت ؟» وقلت : « لا يهم الآن » . وقال لي : « هل تعرف أن ضباطا في الجيش تحركوا من ثكناتهم ونزلوا الى الشارع ؟» وقلت : « انني أعرف » . وسألني : « كيف ؟» وقلت ببساطة : « لاني هنا في مقر قيادتهم » . وساد صمت على الناحية الاخرى من الخط، ثم تمالك مصطفى نفسه وراحت أسئلة كثيرة تتسابق على الاسلاك ، وقلت انني مع الاسف لا أستطيع ولا أملك أن أرد على سؤال منها . وسألني عن رقم التليفون الذي أتكلم منه حتى يستطيع أن يتصل بي مباشرة لان الظرف بالغ الخطورة ، ثم أضاف أنه سيذهب به أيضاً الى الهلالي (باشا) الذي يهمه في هذه اللحظة أن يسمع مني .» .

ولم يكن الموقف كله مما يسمح بأي خطوة طائشة . قلت لمصطفى أن ينتظر،والتفت الى عبد الحكيم عامر وكان في الغرفة ـ التي كانت من قبل مكتبا لمساعد اللواء حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري (سابقا) ـ وقلت لعبد الحكيم عامر : ـ الاستاذ مصطفى أمين معي على الخط . حولوني اليه من سنترال أخبار اليوم وهو يطلب رقم التلفيون هنا .

وهاج عبد الحكيم عامر وقال لي : لا تعطه الرقم .

وفجأة تحرك جمال عبد الناصر واقترب منا وسمع ما يجري بيننا واذا هو يقول : لم لا ؟ . . . اعطه الرقم .»

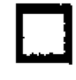
ونظر اليه عبد الحكيم عامر منزعجا وقال عبارة تمس الاستاذ مصطفى أمين ، ولم يغير جمال عبد الناصر رأيه فعاد يكرر : أعطه الرقم .»

وأعطيت الرقم لمصطفى أمين .

والتفت بعدها الى جمال عبد الناصر ـ كما التفت اليه عبد الحكيم عامر ـ ورد جمال عبد الناصر على تساؤلنا قائلا :

ـ أتصور أنهم يريدون أن يعرفوا كيف نفكر نحن هنا . . . لكننا من خلال اسئلتهم سوف نعرف كيف يفكرون هم هناك . »

واعترف أنني أعجبت بسرعة بديهة جمال عبد الناصر وقدرته على التصرف والحسم في طرفة بصر أو ومضة زمان .



باختصار أيضاً حتى لا نبتعد عن الموضوع الرئيسي في هذه الصفحات . .

في فجر ذلك اليوم وصباحه الباكر اتصل بي الاستاذ مصطفى أمين من الاسكندرية مرتين . ثم اتصل بي نجيب الهلالي (باشا) مرتين أيضا تظل تفاصيل ما دار فيهما محفورة في ذاكرتي ـ فضلا عن أنها مسجلة بالنص في أوراقي .

دق التليفون في المرة الاولى ورفعت السماعة على صوت يتأكد من شخصيتي ثم يقول لي ان « دولة الباشا » معي على الخط . وجاءني صوت الهلالي (باشا) العميق العريض كما أعرفه ، وان بدا هذه المرة مثقلا بنبرة مهمومة تحسها الاذن ـ قال الهلالي (باشا) :

ـ هيكل . . . أنا أعرف أنك في وضع صعب وربما كنا نحملك أكثر مما تحتمل ، ولكن بما أن الظروف قضت بأن تكون حيث أنت الآن في هذه اللحظة فليس أمامنا ولا أمامك الا أن نحمل مسئولياتنا . وأنا أكلمك من أجل « البلد » وأرجو أن يكون ذلك واضحا « للجماعة » عندك . »

واستطرد الهلالي (باشا) يسألني :

ـ ماذا يريد « الجماعة » عندك . انني اريد منك أن تسأل من تعتقد أنه يستطيع الرد منهم ، ولن أسألك من هو ؟ » .

ورجوته أن ينتظر على التليفون لحظة .

كان معي في الغرفة الصاغ سعد توفيق ورجوته أن يدعو جمال عبد الناصر ، وكنت قد لمحته قبل لحظات يمر في الردهة أمامي . وذهب سعد وعاد ومعه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر في أثره ، ونقلت سؤال الهلالي (باشا) كما هو . ورد جمال عبد الناصر « قل له إذا أراد أن يعرف ماذا نريد فانه يستطيع سماعه في البيان الذي سيذاع بعد نصف ساعة من راديو القاهرة » .

ونظرت في ساعتي لا اراديا وكانت الساعة السادسة وعشر دقائق بالضبط ، ورفعت سماعة التليفون التي كانت على المكتب ونقلت رد « الجماعة » على سؤال رئيس الوزراء .

ولم ييأس الهلالي (باشا) ، بل أمسك بخيط الحوار الذي بدا واهيا من اللحظة الاولى لا يستطيع تحمل أي شد أو أي جذب ، وقال :

ــ طبقا للمعلومات الموجودة هنا فان ما يطلبه « الجماعة » هو تغيير وتطهير قيادة الجيش . فهل تستطيع أن تنقل لهم أنني على استعداد للذهاب الان الى القصر واستصدار مرسوم من الملك بتعيين أي ضابط كبير يثقون فيه قائدا عاما للقوات المسلحة ثم يكون له هو بالتشاور معهم بالطبع أن يجري ما يرونه من تغييرات وتبديلات . ان التغيير على هذا النحو سوف يتم في اطار دستوري يجنب البلد مخاطر « الفرقعة » التي ستحدثها اذاعة بيان من الراديو .

ونقلت سؤال الهلالي لجمال عبد الناصر وكان رده :

ــ قل له شكرا . . ولكن الفرقعة مقصودة في ذاتها أيضا .

ويبدو أن الرد كان مفاجئا لطبيعة الهلالي (باشا) كمحام وفقيه قانون ، فقد سكت لحظة لم أسمع فيها من الناحية الاخرى الا تعبيرات صوت يهمهم وكأنه يحاول استيعاب معنى ما سمع ومدلوله .

لكنه لم ييأس أيضا . . تمالك نفسه ثم سألني :

ــ هيكل . . هل من تنقل اليه أسئلتي واحد من المسئولين فيهم يملك أن يتحدث عنهم ؟

وقلت دون رجوع الى أحد : نعم .

قال : هل هو اللواء نجيب ؟ سمعنا أنه منهم ؟

قلت : أرجوك اعفائي من الرد .

ويظهر أن هذه الاسئلة القصيرة كانت فترة لتمالك النفس ثم العودة مرة أخرى الى الاسئلة الاوسع والاكثر تحديدا ، فقد قال لي الهلالي (باشا) :

ــ هل تستطيع أن تسألهم ماذا يريدون مني أن أفعل ؟ ماذا يطلبون من الوزارة ؟ هل يطلبون أن نستقيل ؟

وكان السؤال مفاجئا بالنسبة لجمال عبد الناصر ، لكنه رد بسرعة : نعم . . . قل له اننا نريد استقالة الوزارة .

وفتحت عيني على آخرهما في دهشة ثم وضعت كفي على بوق سماعة التليفون لاقول لجمال عبد الناصر : « ولكنه رجل وطني وأمين » . وقال جمال عبد الناصر : « ليس هذا هو المهم الان . . . قل له أن يستقيل » . ولم يكن هناك مفر ، ومثقلا بالاسف نقلت للرجل : « نعم هم يريدون أن تستقيل الوزارة » . وقال الهلالي (باشا) بسرعة : « طيب . . طيب . . » .

وانتهت المكالمة الاولى .

ووقفت مع جمال عبد الناصر لحظات أستوضحه في بعض ما دار ، وكان فيما قاله تلك اللحظات لمحات ملفتة للنظر في قدرته على التصور والتصرف .

قال مثلا : ان « الفرقعة » التي يتخوف منها « صاحبك » سوف تكون اعلانا بأن شيئا ما وقع في مصر .

ثم قال : لم يكن موضوع تغيير الوزارة قد خطر ببالي ، ولكن عندما

اقترحه صاحبك طلبته على الفور لان حدوثه اشارة واضحة الى أن قيام وسقوط الوزارة في مصر لم يعد في يد الملك .

وبعد أن أذيع البيان جاءتني مكالمة الهلالي (باشا) الثانية ، ولم يكن مطلوبا مني أن أقوم بدور الترجمة الفورية بينه وبين أحد . كان يريد ابلاغي رسالة واضحة وقاطعة أنقلها الى « الجماعة » وفق ما أراه : أنه سوف يذهب الى القصر ويقدم استقالة وزارتـه ، وسوف ينصح الملك أن لا يقاوم وأن يتجنب تكرار مأساة سبقت في تاريخ مصر . . لكنه رأى من واجبه في نفس الوقت أن يكون الطرف الاخر - « الجماعة » - واعيا الظروف وان يتصرف بما لا يعطي مجالا لاحد ليشعل نارا تحرق الجميع .

وبالفعل ذهب نجيب الهلالي بعد ذلك فقدم استقالته وقدم معها نصيحته ورجاءه للملك بأن لا يسير في الطريق الذي سلكه عمه توفيق من قبل فيقاوم حركة جيش مصر مستعينا بجيش أجنبي . وعلى أية حال فان الملك وان تظاهر بالقبول أضمر شيئا آخر ، فقد جرب بالفعل أن يستنجد بالانجليز-ولم تكن هناك قوات برية كافية في قواعد منطقة قناة السويس ، كما أن المسافة الواسعة من ميناء « فاليتا » في مالطة الى ميناء الاسكندرية في مصر لم تكن فيها غير مدمرة بريطانية واحدة .

(فيما بعد وافق جمال عبد الناصر على اقتراح مني بزيارة الهلالي (باشا) في بيته ليقول له أن طلب استقالته لم يكن اهانة موجهة اليه شخصيا ، وانما كان موضوعا آخر أكبر من أي شخص . وكنت ثالثهما في هذه اللقاء .) .

وتوالت الحوادث يلحق بعضها بعضا حتى خرج الملك من ميناء الاسكندرية عصر يوم ٢٦ يوليو وانحدرت وراءه شمس النظام الملكي في مصر الى مغيب .



وتغيرت صورة كل شيء في مصر بعدها .

السلطة والسياسة . حقائق القوة وموازينها . وكنا قد اتفقنا - الاستاذان مصطفى وعلي أمين وأنا - على اجتماع منظم في أخبار اليوم نبحث فيه الاوضاع الجديدة ونقرر فيه خطوط سياسة صحف ومجلات الدار .

وفجأة، اذا بالسلطة الثورية الجديدة في مصر تعتقل الاخوين مصطفى وعلي أمين ضمن من اعتقلتهم من حاشية القصر ورجال الملك .

وذهبت الى لقاء جمال عبد الناصر في مبنى رئاسة أركان حرب الجيش المصري بكوبري القبة - وكان قد أصبح مقرا لمجلس « القيادة » كما عرف وقتها - أو مجلس قيادة الثورة كما عرف رسميا فيما بعد .

والحقيقة أنني ذهبت محتجا . قلت له :

- ان القبض على صاحبي أخبار اليوم في هذا الظرف حكم عليهما ما لم يكن هناك دليل لا أعرفه . ثم ان الحرج يمتد منهما الى الدار نفسها وكل من فيها .

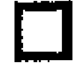
وكان رد جمال عبد الناصر : « انه ليس لي الحق أن أنظر الى المسائل من زاوية شخصية على هذا النحو » . ثم أضاف : « ان الناس كلهم يعلمون بالشكوك والظنون المحيطة بمواقفهما وارتباطاتهما ، وعلى أية حال فان اعتقالهما اجراء وقائي بعد معلومات وصلت تفيد أن الاستاذ مصطفى أمين أجرى اتصالات يوم قيام الثورة مع جهة أجنبية خارج مصر . وبما أن الظرف لا يحتمل أية مناورات فانه أصدر أمر الاعتقال حتى تنجلي الحقائق » .

وعدت في المساء ومعي الاستاذ التابعي نرجو ونلح .

ثم عدت صباح اليوم التالي أشرح الضغوط التي أحسست بها في دار أخبار اليوم بالامس . ثم دخلت أمام جمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة في شرح مفصل لعلاقة الصحافة في مصر بالسياسة ومن ثم علاقتها بالسلطة واحتمالات التجاوز في ظل الظروف الموضوعية السائدة .

وأخيرا تقرر الافراج عن الاستاذين مصطفى وعلي أمين وأخذتهما معي ، ومعنا الاستاذ محمد التابعي والاستاذ كامل الشناوي ، وذهبنا الى مجلس قيادة

الثورة . وهناك قدمتهما لجمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء مجلس الثورة ، وكان لقاءاً يستحق المتابعة الدقيقة. فقد استجمع الاستاذ مصطفى أمين كل مواهبه ليدافع عن نفسه أمام السلطة الجديدة ويشرح مواقفه . ثم رحنا جميعا نلح في كلمة تصدر عن المجلس تبرىء أصحاب أخبار اليوم أو ترد اليهم شرفهم على حد التعبير الذي استعمله الاستاذ علي أمين .



ومضت أسابيع قليلة ثم أتيح لي أن أرى نماذج من الطريقة التي حاول بها الاستاذ مصطفى أمين أن يثبت صدق ولائه للنظام الجديد .

ذات يوم في مكتبه قال لي جمال عبد الناصر : ان صديقك مصطفى أمين رجل نشيط ، والحقيقة أنه ضابط مخابرات من الدرجة الاولى .

وفتح درج مكتبه وأخرج مظروفا ضخما معنونا باسم « البكباشي جمال عبد الناصر ـ خاص من مصطفى أمين » ، ولم أكن بحاجة الى قراءة هذه العبارة الاخيرة فقد لمحت خط مصطفى من أول نظرة .

وفتح جمال عبد الناصر المظروف وأخرج ما فيه من أوراق وناولها لي ورحت أقرأ . تقارير ومعلومات وحكايات . مقابلات مع سياسيين من عصر ما قبل الثورة ودبلوماسيين وصحفيين أجانب ومصريين . ومعلومات مستفيضة عن مناورات واتصالات تجري داخل دور الصحف وبقايا الاحزاب وحتى في معسكر الثورة نفسه . وكله مكتوب بأسلوب مشوق جذاب .

واعترف أنني لم أشعر بارتياح . وقال جمال عبد الناصر :

ــ « انني اعرف أنه ينقل اخبارا من هنا الى هناك ومن هناك الى هنا وذلك ممكن ومفهوم ، ولكن القضية المهمة هي لمن ولاؤه في النهاية ؟ لهنا أو لهناك ؟ »[1] .

---

(١) بدا لي جمال عبد الناصر هنا متأثرا بآراء الاستاذ أحمد أبو الفتح والوفديين عموما في الاستاذ مصطفى أمين . وفيما بعد ـ وكما سيرى القارىء ـ كان الاستاذ مصطفى أمين يتهم الاستاذ أحمد أبو الفتح بأنه صاحب البلاغ الذي أدى بالثورة الى اعتقاله وتوأمه بعد قيامها بأيام .

وكان عليّ أن أدافع ، ولم يقل جمال عبد الناصر شيئاً ، ولكن عبد الحكيم عامر كان قاطعا في التعبير عن رفضه الاقتناع بشيء مما قلت .

وعندما عدت الى أخبار اليوم قصدت مباشرة الى مكتب الاستاذ علي أمين وأغلقت الباب ورائي وصارحته بما حدث وعقبت عليه بقولي : « انني أخشى من الانسياق في تيار كتابة التقارير . فالموقف أولا لا يحتمل شيئا من هذا النوع،ثم أن تلك ليست مهمتنا كصحفيين وليس ذلك دورنا . وعلى أي حال فاذا كنا كوطنيين نشعر أننا عرفنا شيئاً يستحق أن يعرفه غيرنا فلا ينبغي أن يكون ذلك بأسلوب التقارير .

وأشهد أن الاستاذ علي أمين وافقني على وجهة نظري.واقترحت أن أتحدث في الامر مع الاستاذ مصطفى أمين بحضوره ، وقصدنا معا الى مكتب مصطفى وهناك أعدت ما قلته في مكتب علي وأضفت اليه . أنني شعرت بحرج عندما قال لي جمال عبد الناصر في وصف مصطفى أمين بأنه ضابط مخابرات من الطراز الاول .

(ولقد سمحت لنفسي في هذا الحديث أن أذكر هذا الوصف ، وفي هذا السياق الآن لأن الاستاذ مصطفى أمين كتب بعد ذلك أن جمال عبد الناصر قال له « انه يصلح لأن يكون مديرا للمخابرات بدلا من صلاح نصر » .

وفي تلك الايام كان الاستاذ مصطفى أمين يكتب سلسلة مقالاته الشهيرة التي جمعها فيما بعد في كتاب بعنوان « قصة فاروق كاملة ».ونجحت المقالات صحفيا.فقد كانت مادة مثيرة تتحدث عن الحياة الخاصة للملك ولامه ولوصيفات القصر ولحكايات الفساد والغرام والغواني الى آخره .

ولم أكن شديد السعادة بهذه السلسلة من المقالات ومن الاستاذ مصطفى أمين . وكتبت في آخر ساعة افتتاحية أرجو فيها الكل أن ينسوا قصص الملك فاروق وأن يكفوا عن ذكر عهده وأن يلتفتوا الى المستقبل فهو الأولى .

ثم شدنا جميعا مجرى الحوادث .



بدأت مشكلة العلاقات مع بريطانيا تفرض نفسها على الموقف .

كانت حكومة الوفد قد ألغت معاهدة سنة ١٩٣٦ . وكانت هناك مفاوضات لترتيب علاقة أخرى تحل محلها . واقترح الامريكيون والبريطانيون من ورائهم - يساندهم في ذلك بعض العرب يتقدمهم السيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق وقتها - تنظيماً للدفاع عن الشرق الاوسط يحل محل المعاهدة . وكان المنطق هو أن عصر المعاهدات الثنائية قد انتهى وأن عصر ترتيبات الامن الجماعي قد بدأ . وكانت حكومة الوفد قد رفضت بالفعل - سنة ١٩٥١ - مشروعاً تقدمت به الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا لاقامة حلف دفاعي باسم منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط .

والآن كان على النظام الجديد في مصر أن يحدد موقفه . وكان موقف جمال عبد الناصر لا لبس فيه ، ومؤداه انه لا بديل غير الجلاء الكامل للقوات البريطانية عن كل أرض مصر ، وأما موضوع ترتيبات الامن الجماعي للدفاع عن الشرق الاوسط فان مصر لا تستطيع أن تبحثها ولا حتى من حيث المبدأ الا بعد اتمام الجلاء لأن مصر المستقلة وحدها هي التي تستطيع أن تحدد محاور أمنها ومصادر الخطر عليها .

وحاولت الولايات المتحدة - كما كانت تفعل في السنوات الأخيرة من العصر الملكي - أن تقدم نفسها كوسيط مقبول بين حلفائها الاستعماريين القدامى ونظام الأمن الجماعي الجديد، فبدأت تقوم بدور نشيط في الاتصالات والمحادثات . ولمح جمال عبد الناصر بسرعة احتمالات التناقض بين الموقف التقليدي البريطاني وبين الموقف الطارىء الامريكي وبدأ يرسم لاستغلاله والاستفادة منه .

وفي ذلك الوقت كان السفير الامريكي في مصر «جيفرسون كافري» يحاول إبقاء خطوطه كلها مفتوحة في مصر . وفي هذا الوقت أيضا زار مصر «ويليام

فوستر» مساعد وزير الدفاع الامريكي وأقيمت له مأدبة عشاء في السفارة الامريكية حضرها بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر. وجرى الحديث عن احتمالات عقد صفقة سلاح بين مصر والولايات المتحدة ، وأبدى فوستر قبوله للمبدأ بل وللتفاصيل لدرجة أنه طلب قائمة بما تريده مصر من أسلحة .

وتقرر ايفاد بعثة عسكرية مصرية يرأسها قائد الجناح علي صبري الى الولايات المتحدة .

ودخلت مكتبي ذات يوم في تلك الفترة فاذا عليه خطاب من «جيفرسون كافري» يوجه لي فيه دعوة لزيارة الولايات المتحدة . وكان من رأي جمال عبد الناصر أن أذهب . علي صبري يبحث احتمالات الامداد العسكري ، وأنا أحاول أن أستكشف ما يسبق ذلك ويليه من احتمالات سياسية .

وذهبت الى الولايات المتحدة والتقيت بكثيرين بينهم الجنرال أيزنهاور مرشح الجمهوريين للرئاسة والذي فاز فعلاً بها وراح يستعد لدخول البيت الابيض يوم ٢٠ يناير ١٩٥٣ .

وعدت الى مصر متشائماً من امكانية حصول مصر على سلاح أمريكي . وأشهد أن جمال عبد الناصر ـ من موقعه الذي لم يبرحه في القاهرة ـ كان قد وصل الى نفس الاقتناع وقال لي «انني قلت لبعض اخواننا هنا أننا لن نتسلم شحنات سلاح من أمريكا والشحنة الاولى التي سوف نتسلمها سوف تكون على صبري نفسه » .

لكن ضرورات السياسة لم تكن لتقنع بمشاعر التفاؤل والتشاؤم .

وهكذا راحت السياسة المصرية تستعمل التناقض الأمريكي البريطاني ، ومطامع الجديد في ارث القديم ـ ورقة من أوراق اللعبة . وكان ذلك مقبولاً شرط ان تكون الخطوط واضحة والحدود مرسومة بطريقة لا ضباب فيها ولا غمام .

وشهدت تلك الفترة اتصالات مع الولايات المتحدة . وكان الاستاذ مصطفى أمين واحداً من العناصر النشيطة في هذا المجال . وكنت ألاحظ أن جمال عبد الناصر لم يغير رأيه الذي أبداه منذ اللحظة الاولى،بل عاد يكرره في أكثر من مناسبة : ان مصطفى ينقل مـن هنا الى هنـاك ومن هناك الى هنا . لكن الولاء النهائي وهو القضية الحاسمة ظل في رأس جمال عبد الناصر موضع تساؤ ل قائم طول الوقت وباستمرار .

والحق أن سلوك الاستاذ مصطفى أمين لم يكن ليعطي أي انسان سبباً للشك . فقد كانت حماسته ظاهرة واندفاعه متصل وتقاريره المكتوبة مستفيضة ولها نفس الجاذبية والتشويق . وكانت مقالاته كلها وجرائده ومجلاته من أول سطر لآخر سطر فيها تأييداً خالصاً لا تظهر عليه أي تحفظات .

لم يكن لاحد أن يشكو منه أو يشك فيه صحفياً أو سياسياً الا بإعمال سوء النية مسبقاً والحكم على أساس مواقف جامدة لا تريد أن ترى ظواهر الأمور وتصر على أن بواطنها شيء آخر غير الظاهر ، وكان من هؤلاء عدد لا يستهان به على قمة السلطة ومن حولها .

وتعرضت لمشاكل لا حدود لها بسبب هذا الحال ، فقد راح كثيرون يدعون أنني ـ بصداقتي الوثيقة لجمال عبد الناصر ـ أحمي أخبار اليوم وأتستر على مصطفى أمين . بل ذهب البعض الى ما هو أبعد ومؤداه أن ارتباطي الى هذه الدرجة بأخبار اليوم لا يعني غير أنني من نفس النوع وذات العينة .



وحين فكرت الثورة في اصدار جريدة تعبر عنها وهي جريدة الجمهورية طلب اليّ جمال عبد الناصر أن أتولى الاشراف على اصدارها ، واعتذرت وكانت وجهة نظري :

انني متمسك بأخبار اليوم وعملي فيها وصداقتي مع أصحابها .

ثم ان الفارق بين الثورة والحكومة ضائع وفي النهاية فليست هناك صحيفة ستصدر عن الثورة وانما عن الحكومة - وأنا لا أتصور نفسي في جريدة حكومية .

وثالثاً فان الثورة لا تحتاج جرائد تعبر عنها ، لأن كل صحافة مصر تفعل هذا الشيء .

وأسباب أخرى في نفس الاتجاه .

ولقد كان اعتذاري عن مشروع الجمهورية سبباً أضيف الى دواعي الربط بيني وبين أصحاب أخبار اليوم ، هذا في الوقت الذي كنت أحاول فيه جاهداً أن أعيد الالحاح على بعض المسائل القديمة التي كنت أراها وأعيش داخلها. وأولها ضرورة التحول في نظام أخبار اليوم الى ادارة مؤسسية وضرور الاتجاه الى تغطية بالعمق للاحداث والموضوعات مع كل تقديري لعوامل الاثار والخفة .

وفي سنة ١٩٥٥ وفي لقاء في نادي الجزيرة مع علي الشمسي (باشا) رئيس مجلس ادارة البنك الاهلي ورئيس مجلس ادارة الاهرام وقتها ، تلقيت عرضاً لرئاسة تحرير الاهرام . كان علي الشمسي (باشا) قد ألح عليّ للعمل في الأهرام سنة ١٩٥١ ، وكان المنصب الذي عرضه عليّ وقتها هو منصب مساعد رئيس التحرير ، واعتذرت . والآن سنة ١٩٥٥ كان علي الشمسي (باشا) يعرض عليّ منصب رئيس التحرير واعتذرت مرة ثانية .

وفي ربيع سنة ١٩٥٦ عاد الشمسي (باشا) يلح عليّ ويبدي لالحاحه أسباباً كثيرة ، بينها أن الأهرام سوف يكون امتحانا حقيقياً لما أستطيع عمله كصحفي . فهذه جريدة شاخت مع الايام ولو استطعتُ تجديد شبابها وإعادة الحيوية إليها لأثبتّ نفسي مستقلاً . ومن ناحية أخرى فقد كان الشمسي (باشا) يرى أن الأهرام مؤسسة قومية ولا ينبغي تركها تموت بالشيخوخة أمام منافسة الصحف الشابة الجديدة . وهي تخسر أموالاً طائلة وقد يفكر أصحابها في أغلاقها أو في بيعها وهذه كارثة حتى على مستوى تاريخ الصحافة نفسه .

ولاسباب متعددة وقتها وجدتني أسمع باهتمام الى علي الشمسي (باشا) ، ثم وجدتني أذهب الى صديق أثق به وهو شيخ المحامين الاستاذ مصطفى مرعي . وتحمس الاستاذ مصطفى مرعي وقال لي أنه سيكون محامي في التعاقد مع أصحاب الأهرام . وبالفعل ذهبت معه لعدة لقاءات مع عضو مجلس الادارة المنتدب للاهرام وقتها وهو الاستاذ ريمون شميل [1] . وتقدمت محادثاتنا الى درجة كتابة عقد وقعنا عليه بالأحرف الأولى تسجيلاً للنوايا وتمهيداً لاتفاق نهائي .

ثم رجوت ترك الموضوع حيث هو حتى أتحدث فيه مع أصحاب أخبار اليوم .



كانت مشاعري نهباً لنوازع شتى في تلك الايام من شهر مايو ١٩٥٦ .

بعقلي لم أكن بعيداً عن الاقتناع بكل الحجج التي ساقها لي علي الشمسي (باشا) حين عرض عليّ رئاسة تحرير الأهرام : التحدي المهني ممثلاً في مشكلة جريدة ذات ماض عريق ومستقبل محفوف بالشكوك الا اذا حدث شيء يوقف تآكل الصدأ ، ثم تحقيق الذات في مجال مستقل يمتحن فيه كل شيء من جديد .

الى جانب ذلك فقد بدا لي أن ما كنت ألح عليه من نظم وأساليب وأهداف للعمل في أخبار اليوم ليست أمامه فرصة حقيقية . في كل مرة كنا نتناقش ، ويبدو أننا وصلنا الى اتفاق ـ لا يحدث شيء وتعود الأمور الى سيرتها الاولى . وبدا لي أن شيئاً ما في تركيب أخبار اليوم الداخلي يحول دون اعادة تنظيمها على قاعدة مؤسسية قابلة للبقاء والتطور والتجدد . ومهما يكن فقد كانت تلك مشكلة حالة ولم تكن مشكلة حادة . فقبل أي شيء وبعده كان

(١) الاستاذ ريمون شميل ينتمي الى واحدة من أشهر العائلات المسيحية اللبنانية التي جاءت الى مصر في نهاية القرن الماضي ، وكان نقيباً لمحامي المحاكم المختلطة وكان المستشار القانوني الدائم لأسرة « تقلا » مالكة الأهرام .

مصطفى وعلي أمين هما أصحاب الدار بغير شريك ، ثم ان الدار كانت ناجحة من الناحية الصحفية ، واذن فاذا كان لأي واحد منا أن يتصور ويقترح ـ فان الرأي الاخير كان من حقهما .

كان ذلك كله بالعقل ، وأما القلب فقد كان له حديث آخر .

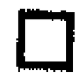
كانت السنوات العشر التي قضيتها في أخبار اليوم (١٩٤٦ ـ ١٩٥٦) سنوات خصبة،وفيها وضعت الاساس لأي شيء يمكن أن أصل اليه مهنياً ، وفيها عرفني الناس وقرأوا لي ، وفيها وصلت بالفعل الى مكان الرجل الثالث بعد صاحبيها .

ثم ان علاقات انسانية واصلة الى الاعماق ربطتني بكثيرين من هؤلاء الذين جمعتني واياهم فرصة العمل في أخبار اليوم ، وخصوصاً بالاستاذ كامل الشناوي وبصاحبي أخبار اليوم الاستاذين مصطفى وعلي أمين ، الى جانب صداقات غالية أخرى مثل الاستاذ توفيق الحكيم والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني والاستاذ سلامة موسى والاستاذ أحمد الصاوي محمد والاستاذ بيرم التونسي والاستاذ محمد يوسف ، وجماعات أخرى من الشباب بدأوا يجدون مكانهم في مكاتب الدار وعلى صفحاتها .

كيف أترك هذا كله وأخرج ؟ كيف أترك بيتا شاركت في بنائه وألفت كل شيء فيه ثم أذهب الى بيت آخر غريب عتيق يكاد أن يتهاوى تحت وطأة الايام والحوادث ؟

ولعل ذلك كله اختلط بتهيب التجربة واستهوال أعبائها ـ فاذا أنا أواجه فترة من الشكوك والهواجس ثقيلة .

وكان لا بد في النهاية أن أحزم أمري . . وفعلت .



صباح يوم ٢١ مايو ١٩٥٦ قصدت من مكتبي الى مكتب الاستاذ علي أمين ، ثم رجوته أن يدعو الاستاذ مصطفى أمين للانضمام الينا لأن لدي

شيئاً أريد أن أفضى به إليهما معا. وحين اكتمل عقدنا كنت أريد أن أفرغ من كل ما عندي مرة واحدة حتى لا يكون هناك مجال للتلعثم أو التردد .

قلت بدون مقدمات : ان لديّ عرضاً من الاهرام . . . .

وقبل أن أكمل عبارتي قام الاستاذ علي أمين مهرولاً الى باب الغرفة فأدار فيه المفتاح وأخذ المفتاح ووضعه في جيبه وعاد يسألني : ماذا أقول ؟

وقلت وأنا حريص على أن لا تختلج نبرة في صوتي ، أن لديّ عرضاً من الاهرام وقد قبلته مبدئياً ووقعت مع الاستاذ ريمون شميل مشروع عقد بالأحرف الأولى وجئت أحصل على موافقتكما قبل توقيعه نهائياً .

أسبابي في هذا أنها فرصة تحد مهنياً . . . ثم انها مجال مستقل لتحقيق الذات .

وحتى هذا اليوم لا أستطيع أن أعرف على وجه الدقة ماذا حدث بعد أن قلت ما قلت لحظتها .

تحولت الغرفة فجأة الى اعصار انساني . مشاعر وعواطف أفلتت من كل قيد . اختلط فيها العتاب والحب والحزن .

وتنبهت لنفسي ولما حولي بعد ما يقرب من نصف الساعة فاذا علي أمين يبكي ومصطفى امين يبكي واذا دموعي أنا الآخر تسابق دموع الاثنين .

وبشكل ما انتهى المشهد العاصف بورقة كتبت فيها خطاب اعتذار الى أصحاب الاهرام أرجوهم فيه اعفائي من مشروع العقد الذي وقعنا عليه بالأحرف الأولى « لاني وجدت أن روابطي بأخبار اليوم أقوى من اعتبارات أخرى تصورتها أثناء مناقشاتي معهم » . ثم كتبت خطاباً آخر الى الاستاذ ريمون شميل أعتذر له «عن الوقت الذي أضعته عليه في مناقشات مشروع العقد راجياً أن لا يؤثر ذلك على تقدير متبادل ساد كل لقاءاتنا في الاسابيع الاخيرة » .

ثم جرى عناق حار وقبلات وبعدها فقط أخرج الاستاذ علي أمين مفتاح باب المكتب من جيبه وفتح الباب .

ولم تعط الايام أحداً منا فرصة مراجعة ما جرى في مكتب علي أمين ذلك اليوم . فقد داهمتنا أحداث السويس : معركة التأميم ثم معركة الحرب ثم ذلك الانتصار الكبير لحركة التحرر الوطني والذي أصبحت به السويس نقطة تحول بارزة في التاريخ الانساني كله .

الفصل الرابع
الانتقال الى الأهرام

وفي ربيع سنة ١٩٥٧ كانت هناك قصص وحكايات في دار أخبار اليوم لا أرى مناسباً أن أخوض في تفاصيلها . ولم تكن هذه القصص والحكايات شيئاً طرأ فجأة ، فقد كانت أعراضه ظاهرة وان راحت تزيد مع السنين . وكنت فيما سبق قد أثرت أمرها وأوضحت بما لا يقبل مجالاً للشك أن اختلاط الخاص والعام في أي عمل من شأنه ان يؤثر على مساره . وراودتني في بعض المرات أحاسيس ندم على فرصة تخليت عنها تحت مؤثرات عاطفية ونفسية ، لكني كنت أدفع هذه الأحاسيس بعيداً عني وأطردها الى عوالم النسيان .

وفي يوم ٦ أبريل ١٩٥٧ كنت على موعد لفنجان شاي في نادي الجزيرة مع علي الشمسي (باشا) ، ورحنا نتمشى ساعة الغروب في أرجاء النادي ومعنا صديق له ـ لم تكن معرفتي به وثيقة في ذلك الوقت ـ وهو الدكتور علي الجريتلي ـ أستاذ الاقتصاد الأشهر . وتشعب الحديث من السياسة الى الصحافة واذا نحن مرة أخرى نعود الى قصة الأهرام ، فقد راح علي الشمسي (باشا) يروي لنا « كيف انه ترك رئاسة مجلس ادارته للسيدة رينيه تفلا أرملة جبرائيل تقلا (باشا) ، وكيف ان أسرة تقلا تواجه في شأن جريدتها مشاكل معقدة ـ خسائر زادت على مليون ونصف المليون جنيه في العشر سنوات الأخيرة ، وتوزيع تدنى الى حدود ٦٠ ألف نسخة . ولقد ورثت الأسرة مجموعة مصالح في

لبنان بينها نصيب أغلبية في بنك صباغ ـ أسرة السيدة رينيه تقلا ـ ثم كيف أن الأسرة الآن تفكر جدياً في بيع الأهرام » .

وقال الدكتور الجريتلي انه ليس من حق أحد ان يتصرف في الأهرام كملكية خاصة لأن الأهرام مؤسسة عريقة في تاريخ مصر السياسي والصحفي ثم أضاف : « انه لا بد للشمسي (باشا) ان يمارس كل نفوذه لكي يحول دون انتقال ملكية الأهرام الى مالك جديد لا يعرف كيف يحافظ عليه » .

وقال الشمسي (باشا) انه جرب اقناع أسرة تقلا بأن الأمر يحتاج الى تجربة أخيرة قبل أي قرار نهائي ، وفي رأيه ـ كما قال لهم ـ أن الأهرام يحتاج الى صحفي شاب يستطيع تجديد حيويته مع الحفاظ على تقاليده .

ورد الدكتور الجريتلي بأن تلك فكرة صائبة . واذا الشمسي (باشا) يقاطعه قائلاً : « انه عرض رئاسة تحرير الأهرام فعلاً على صحفي شاب ولكن هذا الشاب تردد في اللحظة الأخيرة وأوقعه في حرج كبير » .

ودون أية حسابات ، ولعله كان العقل الباطن يدفع الكامن فيه على السطح ، وجدتني أقول للشمسي (باشا) : « انني سوف أريحه الى أبعد حد . في العام الماضي عرضوا عليّ الأهرام واعتذرت ، وفي هذا العام أنا الذي أعرض نفسي على الأهرام » .

وتوقف الشمسي (باشا) عن المشي ودقق النظر عبر ظلال الغروب النازلة على الأرض الخضراء والأشجار الباسقة المستعدة لاستقبال الليل في نادي الجزيرة ـ ثم قال لي : « وهل تراني أصدقك بعد ما حدث في العام الماضي ؟ » .

وراح يروي ما جرى للدكتور الجريتلي الذي عبّر عن رأيه بوقار وتحفظ ـ قائلاً : « ان رئاسة تحرير الأهرام مطمح أي صحفي في مصر . ومع أن الأهرام الآن في أوضاع صعبة الا ان ذلك يجب ان يكون حافزاً مضافاً وليس عقبة مانعة » .

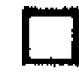
وقلت للشمسي (باشا) : « انني لا أفهم جدوى لهذا « التأنيب » ـ اذا كنت أنا الذي أعرض نفسي الآن » .

وقال الشمسي (باشا) : « ان الماء يكذب الغطاس ، وها هو بيت الأستاذ ريمون شميل على طرف نادي الجزيرة البحري فلنذهب اليه الآن ونتكلم » . وذهبنا ـ هو وأنا ـ الى بيت ريمون شميل على غير موعد ، وكان الرجل جالساً في صالون بيته الى البيانو وأصابعه تجري على المفاتيح بلحن كنسي لباخ .

وتظل محفورة في ذاكرتي ـ ومسجلة في أوراقي ـ دهشته لرؤيتنا . ولما جئنا نقوله له .

وقلت له : « انني لا أريد مناقشات جديدة . تكفيني صورة من العقد القديم أوقعها باسمي كاملاً ونحدد موعد البدء ، وتجيء أية تفاصيل أخرى فيما بعد » .

وجرت اتصالات وحضر آخرون وانتهى المساء بتوقيع العقد ملزماً للطرفين . وأخذت نسختي منه وذهبت الى بيت الأستاذ مصطفى مرعي أسأله رأيه.وكان تعليقه أنه « خير ما فعلت » .



وكانت ليلة بيضاء ناصعة البياض كثلوج الجبال ، ليلة بلا نوم . فقد اتخذت قراراً مصيرياً في حياتي . ووجدت أن أمامي مهمتين تسبقان غيرهما من المهام :

الأولى : ان أقول لجمال عبد الناصر ما فعلت .

والثانية : ان أقول الشيء نفسه لأصحاب أخبار اليوم .

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي كنت أمام جمال عبد الناصر في غرفة مكتبه في بيته بمنشية البكري . ولم أدخل في مقدمات وانما قلت على الفور : « انني وقعت عقداً مع الأهرام » .

وكان الأمر مفاجئاً له ، وكان تعليقه الأول :

ـ « أليس غريباً ان تقبل العمل في الأهرام وأصحابه أسرة تقلا بينما اعتذرت عن العمل في الجمهورية وأنا صاحبها ؟ »[1] .

وقلت له : « إن الأهرام له صاحب استطيع أن أتعامل معه مهنياً ، وأما الجمهورية فلا يمكن أن يكون لديك الوقت لممارسة مسئوليات صاحبها وبالتالي فهي بلا صاحب ، وهذا يجعلها مهنياً معضلة شبه مستحيلة » .

وانتقل الى نقطة أخرى ، قال : « سوف تتعب مع هؤلاء الناس . ما أسمعه عنهم غير مشجع ، ولا أظنهم يتركون لك الفرصة لتفعل ما تريد » .

قلت : « الحكم بيني وبينهم هو العمل نفسه . . . هم يريدون نجاحاً لجريدتهم وهو ما أريده أيضاً . الموقف كله يختلف اذا لاحت علامات نجاح » .

وراح يفكر قليلاً ثم سألني :

ـ هل هناك مشاكل في أخبار اليوم ؟ .

وقلت على الفور :

ـ مطلقاً ، كل شيء هناك في مجراه العادي ، لكني أشعر أنني وصلت ـ مهنياً ـ الى آخر السلم فيما يمكن تحقيقه في أخبار اليوم . في الأهرام شيء مختلف ، سلم جديد من بدايته والطريق طويل ، وهو في كل الأحوال امتحان أشعر أنني متحمس لدخوله . . .

وكان كريماً ومشجعاً وقال : « الأمر لك كما تراه ، فهو عملك ومستقبلك ، وان كنت لا أخفي انني مشفق عليك من عناء تجربة جديدة مع اعتقادي أنك قادر على النجاح » .

---

(١) كان امتياز جريدة الجمهورية حين صدورها باسم الرئيس جمال عبد الناصر .

وانتقلنا الى موضوع آخر .

وهكذا انتهت المهمة الأولى وبقيت الثانية .

واستقر رأيي على تأديتها كتابة وعن طريق خطاب أشرح فيه المسألة للأستاذين مصطفى وعلي أمين . فلم أكن أريد لهما ولا لنفسي تكرار ذلك المشهد المشحون في مكتب علي أمين قبل عام واحد .

وهكذا تركت لهما خطاباً وسافرت الى الاسكندرية دون ان أتركِ عنواني لأحد .

وحينما عدت الى القاهرة بعد عشرة أيام كان النبأ قد تسرب وأصبح حديث المحافل الصحفية . وأصبحنا جميعاً أمام أمر واقع يفرض نفسه على الكل .

والتقينا نحن الثلاثة في مكتب الأستاذ علي أمين لكن المناخ كان مختلفاً ، فقد كنا ندرك أن ما حدث يصعب الرجوع عنه بصرف النظر عن مشاعرنا وروابط السنين بيننا .

وفي البداية كان علينا ان نتأكد أمام أنفسنا قبل أي طرف آخر انه لم تكن هناك مشاكل بيننا تؤدي الى الخروج ، وكان هذا صحيحاً .

ثم كان علينا ان نبحث بعد ذلك في كيفية ارساء تقليد جديد في الصحافة المصرية ، وهو ان نحتفظ بعلاقات الصداقة الوثيقة رغم اختلاف مواقع العمل .

واتفقنا على شيئين :

أولهما : أنه تحت أي ظرف لا ينبغي ان يبدو انتقالي الى الأهرام انفصالاً في نفس الوقت عن أخبار اليوم ، وهكذا فاني سأحتفظ برئاسة تحرير آخر ساعة ـ الى جانب الأهرام ـ لمدة سنة ، والله يعلم كم سبب لي هذا الأمر من مشاكل مع أصحاب الأهرام ، وكان لهم الحق .

والثاني : أن يكون هناك لقاء منظم بيننا كل أسبوع ، لا يحتاج الى دعوة او تأكيد ، وهكذا أصبح موعدنا الغداء يوم الثلاثاء من كل أسبوع في بيت الأستاذ مصطفى أمين ، نلتقي ونتحدث ونتبادل الرأي فيما يعن لنا من أمور ، واستمر غداء الثلاثاء بغير انقطاع ثمان سنوات لم نخلف موعداً الا لسفر أحدنا او لعذر قاهر وقع على غير انتظار .

ورغم ان هناك من حاولوا انتهاز الفرصة ، خصوصاً مع بدء المنافسة بين الأهرام والأخبار ـ الا ان الأسابيع والشهور والأعوام مضت وكل شيء كما ينبغي أن يكون . والحق ان غداء الثلاثاء أثبت فاعليته،فقد كان دوماً فرصة منظمة تزيل أية عوائق وتحول دون أي تراكمات .

الفصل الخامس
تنظيم الصحافة ... وقصته

انقضت سنوات ١٩٥٧ و١٩٥٨ و ١٩٥٩ وبدأت سنة ١٩٦٠ . لم يكن هناك شيء الا اشارات جمال عبد الناصر بين حين وآخر الى أوضاع الصحافة المصرية . منذ أول يوم في الثورة لم يكن راضياً عن الظروف المحيطة بملكية الصحافة في مصر . كان يعتقد أن « آل زيدان » أصحاب دار الهلال ، و« آل تقلا » أصحاب الأهرام ، و« آل نمر » أصحاب المقطم ـ قد أدوا دورهم في مرحلة معينة من تاريخ مصر ، لكن مصر الآن أمام مرحلة جديدة لا يستطيعون مسايرتها . وكانت له تجربة مزعجة مع « آل أبو الفتح » أصحاب المصري . كما أن علامة استفهام ظلت أمامه طول الوقت على « آل أمين » أصحاب أخبار اليوم . ولم يكن جمال عبد الناصر في أي وقت من الأوقات يفصل بين المال وهوى صاحبه ، وكان رأيه أن هوى كل صاحب مال يرتبط بمصالحه ، وغير ذلك غير جائز ، واذا جاز فهو مؤقت تفرضه ضرورات .

وكانت بيننا مناقشات طويلة امتدت من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٦٠ حول ملكية الصحافة في مصر . لم يكن راضياً عن الملكية الفردية او العائلية للصحف . وكنت أرى غير رأيه وأناقشه مطولاً ومفصلاً . وفي بعض الأحيان كنت أستطيع ان أفهمه ولكني لم أكن أتصور في نفس الوقت ان تتحول الصحف من ملكية الأفراد او العائلات الى ملكية الدولة ، فقد بدت لي تلك كارثة الكوارث ، ولم يكن هناك حل وسط .

واعتقد بأمانة أنني وقفت في الفترة ما بين سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٦٠ وحدي تقريبا في محاولة الدفاع عن « الواقع الراهن في الصحافة » حتى ولو أدى الأمر الى بقاء ملكية الأفراد والعائلات . فقد بدا لي ذلك أهون الضررين وأخف الشرين . وكان للثورة وقائدها وللتنظيم السياسي ورجاله رأي آخر .

ثم جاءت ظروف وتحولات .

دعاني جمال عبد الناصر الى بيته وجلسنا معاً لواحدة من أصعب مقابلاتنا .

قال لي انه مهما كانت آرائي في موضوع الصحافة فهو الآن وصل الى اقتناع كامل بأنه لا يستطيع ان يترك الأمور كما هي .

واستدرك يقول : « لا تتصور أنني أريد ان أتخلص من أحد ، لو أردت أن أتخلص من أحد فأنت تعرف ان لديّ من الشجاعة ومن السلطة ما يسمح لي بأن أقول له اذهب الى بيتك ، ثم انك ترى أن الكل يتسابق الى التأييد أحيانا بأكثر مما أريد ، لكن القضية أكبر من ذلك » .

ثم قال : « أنت تعلم أن لديّ تحفظاتي ولديّ شكوكي حتى في الذين يتسابقون الى التأييد ، ومع ذلك فهذه التحفظات والشكوك لا أثر لها فيما اعتزمه الآن ، كما قلت لك هناك قضية أهم » .

ثم استطرد : « اننا مقبلون على تحولات اجتماعية كبيرة ، وقد بدأت هذه التحولات بتأميم البنك الأهلي وبنك مصر[١] . اذا كنا نريد حقاً تنفيذ خطة للتنمية واذا كنا نريد اجراء تحولات اجتماعية عميقة في مصر فلا بديل عن سيطرة المجتمع على وسائل المال والانتاج . ولا أستطيع عقلاً ولا عدلاً ان أفرض سيطرة المجتمع على الاقتصاد ثم أترك لمجموعة من الأفراد ان يسيطروا على الإعلام . انهم لا يسيطرون الآن عملياً لأن الثورة قوية وذلك مجرد خوف ، وانا لا أثق في خائف خصوصاً اذا تغيرت الظروف . ثم ان المرحلة

(١) صدر قرار تأميم البنك الأهلي وبنك مصر يوم ١١ فبراير ١٩٦٠ .

الجديدة من التحول الاجتماعي تحتاج الى تعبئة اجتماعية شاملة ، وأعرف أن الموجودين الآن سوف يصفقون لأي قرار لكن المطلوب شيء آخر غير التصفيق .

وراح جمال عبد الناصر في هذا اللقاء يستعرض بعض الأسماء وبعض أنماط السلوك مما لا أريد أن أعرض له الآن . ورحت أناقشه وأحاوره وان بدا لحظة بعد أخرى أنني على وشك ان أخسر نتيجة المناقشة والحوار . وكانت القضية بالنسبة له قضية مبدأ . وهو مبدأ يتصل بغيره من المبادىء التي تحكم رؤيته لمدى التحولات الاجتماعية التي يريدها في مصر .

ثم قال لي جمال عبد الناصر : « ان ما يدهشني انك تنظر الى الموضوع بحساسية شديدة ، ثم انك تنظر اليه من وجهة نظر أشخاص » .

وقلت : « إن خشيتي في الواقع على المهنة » .

وكان رده : « فكر في أية ضمانات تريدها للمهنة ، ولنلتق هنا غداً في الحادية عشرة صباحاً ، وسوف يكون معنا محمد فهمي السيد (المستشار القانوني للرئاسة وقتها) .

وفي اليوم التالي حاولت بكل ما أستطيع .

وربحت بعض النقط وخسرت بعضها الآخر .

ربحت ـ فيما أظن ـ عندما استطعت ان أستبعد منطق التأميم بحدوده القاطعة ووصلنا الى صيغة أخرى تسمح بمرونة ، وهكذا كان « تنظيم الصحافة » ، وليس « تأميمها » .

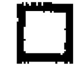
وحاولت أن أجعل الملكية مشتركة بين التنظيم السياسي وبين جمعية العاملين في كل دار صحفية : ٥٠٪ لكل فريق . ولم يقبل جمال عبد الناصر وخرج باقتراح وسط ، انتقال الملكية الى التنظيم السياسي وليس الى الدولة واحتفاظ كل صحيفة بأرباحها داخلها ، ثم توزيع هذه الارباح مناصفة : نصف للتجديد والاحلال في دور الصحف ، ونصف لجمعية العاملين في كل دار صحفية .

واعترضت على المذكرة التفصيلية للقانون ، فقد أحسست ان المنطق

والمبررات والأسانيد الواردة فيها يمكن ان تحتمل ما يمكن اعتباره نقداً لما كانت عليه الأحوال في المهنة الأمر الذي استوجب اعادة ترتيب هذه الأحوال بالقانون .

وأشهد ان جمال عبد الناصر كان صبوراً ، فقد قال لي : « دعك من مذكرة فهمي واكتب انت واحدة غيرها » .

وكتبت مذكرة كانت في الواقع اعلاناً بتأكيد حرية الصحافة اكثر منها مذكرة تفسيرية لنصوص القانون الذي صدر فعلاً يوم ٢٤ مايو ١٩٦٠ [١] .



ولا بد أن أقول ان بعض اسبابي للتخوف من القانون الجديد كانت ذاتية . ففي ذلك الوقت كان قد مضى عليّ في رئاسة تحرير الأهرام ثلاث سنوات وكان التيار فيها قد تحول : فالأهرام بدأ يربح بدلاً من الخسارة ، ثم ان توزيعه بدأ يصعد بدلاً من الهبوط . وكنت قد اتفقت مع مجلس ادارته وأنا أعرض أمام أعضائه تقريري الأوّلي عن خطة العمل التي اقترحها ـ انه اذا حقق الأهرام أرباحاً فانه يكون مسموحاً لي ان أبدأ بتطوير منشآت الأهرام (المبنى والمطابع) .

وكنا في الميزانية التقديرية المقترحة لعام ١٩٦٠ قد رصدنا فعلاً أول اعتماد لمشروع تطوير الأهرام الجديد بعد أن تأكد أصحابه ان التيار تحوّل .

والان كان تخوفي ان مشروع تطوير الأهرام قد يتوقف بعد ان بدأ خطواته الأولى ، فالقانون الجديد يضعنا امام احتمالات مجهولة لا أعرف هل أستطيع في ظلها ان أواصل ، او انه سيفرض عليّ أن أطوي ملفات الخطط والبرامج والرسوم مودعاً حلمي الى الأبد ؟ .

وصباح اليوم الذي أذيعت فيه نصوص القانون دعوت كل أسرة تحرير الأهرام الى اجتماع عام لكي أتشاور معهم في الأوضاع الجديدة .

---

(١) القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠ .

وشرحت لهم في البداية موقفي :

قلت انني لم « أكن متحمساً للقانون من ناحية المبدأ » .

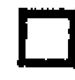
وفوجئت بالزميلة الراحلة السيدة جاكلين خوري تقاطعني قائلة :

ـ هل نستطيع ان نسألك « لماذا ؟ » وأليس الوضع في ظل القانون الجديد أحسن مائة مرة للمهنة وللصحفيين من الملكية الخاصة للصحف ؟ .

وبدا لي ان تياراً قوياً يؤيدها ، ودهشت .

واستطردت أشرح مجمل الأسباب التي كانت تدعوني ـ من ناحية المبدأ ـ للتخوف . وكان أولها قلقي من احتمالات تدخل التنظيم السياسي [1] ـ الذي انتقلت الملكية اليه ـ في سياسات الصحف وتوجيه تحريرها بدعوى القانون .

ثم كان هناك أيضاً تخوفي من احتمال تأثير الظروف الجديدة على مشروعنا لتطوير الأهرام ، وقد قلت للجميع ، اننا أمام معركة جديدة ويجب ان نقاتل فيها .



وعند الظهر اتصل بي جمال عبد الناصر تليفونياً ـ معاتباً .

قال لي : « ان تقريراً وصل اليه عما قلته في اجتماع محرري الأهرام،ومع تقديره لكل الظروف فهو يرى انني أضعف موقفي بهذه المسافة التي أريد أن أضعها بيني وبين القانون الجديد . وانه سمع تحفظاتي من ناحية المبدأ وحاول بكل جهده ان يريحني في التفاصيل،وبذلك فانه لم يعد هناك داع لأن أعود فأتخذ موقفاً سلبياً من القانون ، خصوصاً وان هناك من قد ينتهزون هذه الفرصة ضدي » .

ثم قال لي الرئيس :

---

(١) كان التنظيم السياسي وقتها هو الاتحاد القومي وكانت مشكلته انه ككل تنظيم ينشأ في حمى السلطة يتحول الى جهاز بيروقراطي او طرف من أطراف لعبة الحكم ذاتها .

ـ انهم حاولوا ان يصوروا لي قولك : « بأننا يجب ان نقاتل » على أساس انها معركة ضد القانون.ولقد قلت لهم ان هذا التعبير يجري على لسانك كثيراً في صدد مواجهة أي عقبة ، وان ذلك لا يعني انك في معركة ضد القانون وانما أنكم في معركة لاثبات أنفسكم في الأهرام في ظل هذا القانون » .

وقلت له ان ما فهمه عني صحيح ، وذلك ما قصدته .

ثم راح يحدثني عن قرار أصدره بضم دار الهلال الى الأهرام في التشكيلات الجديدة لمجالس الإدارات . . .

وكنت من قبل قد أبعدت نفسي تماماً عن قضية تشكيلات مجالس الإدارات دفعاً لأية حساسيات ، وعدت الآن أرجوه ان يعفي الأهرام من دار الهلال لأن كلا من الدارين لها طبيعة مختلفة .

وكان كريماً الى أبعد حال ، وقال :

ـ لقد وقعت التشكيلات وصدرت فعلاً وسوف تصلكم في الصحف بعد قليل ، ولا يصح ادخال تعديل عليها الان والا بدا وكأن شيئاً أضيف اليك قد نزع منك . غداً نصدر تعديلاً يتعلق بدار الهلال ، وينشر ان ذلك تم بناءاً على طلبك حتى لا يسيء أحد تفسير القرار » .

وحين انتهت المكالمة كنت أشعر بعرفان شديد لصبره ، وأظنني أيضاً كنت أراجع نفسي وأسائلها ما اذا كانت وساوسي وهواجسي قد تجاوزت بي الحد المعقول .

ولم تمض دقائق حتى جاءني نص قرار تشكيل مجالس ادارات الصحف ، وكان يحمل اليّ مفاجآت غير منتظرة أهمها ما كان متعلقاً بدار أخبار اليوم .

كان القرار يقضي بتعيين السيد « أمين شاكر » ـ وهو ضابط سابق في مكتب جمال عبد الناصر ـ رئيساً لمجلس ادارة أخبار اليوم ، ثم ان تشكيل مجلس الادارة خلا من اسمي الاستاذين مصطفى وعلي أمين .

الفصل السادس
المشاكل تظهر

ورفعت سماعة التليفون أحاول أن أتصل بجمال عبد الناصر ، وفجأة انفتح باب مكتبي ودخل الأستاذان مصطفى أمين وعلي أمين ، وأعدت سماعة التليفون الى مكانها ورفعت أصابعي عن القرص .

وكان بادياً أنهما في محنة . وكنت بمشاعري متعاطفاً معهما .

وبدأ الأستاذ مصطفى أمين فقال : « انهما قرآ قوائم التشكيلات ووجداها خلواً من اسميهما وقررا المجيء اليّ على الفور » .

وقلت : « انني اعتقد ان في الأمر خطأ من نوع ما ، وقد كنت حين دخولهما على وشك الاتصال بالرئيس استوضحه وأرجوه تصحيح الخطأ » .

وراح الأستاذ مصطفى أمين يعرض عليّ موقف الاثنين حتى أنقله الى الرئيس ، وكان مؤدى هذا الموقف - الذي كان في الواقع رسالة - كما يلي :

« ان قانون تنظيم الصحافة لن يؤثر في ولائهما لقيادة جمال عبد الناصر ، ونفس الشيء ينطبق على خلو قوائم التشكيلات من اسميهما .

لكن المشكلة ان هذه المسألة الأخيرة - خلو قوائم التشكيلات من اسميهما - قد تعطي لبعض الناس انطباعاً بعدم رضا الرئيس عنهما ، وهذا هو الوضع الذي لا يستطيعان تحمله » .

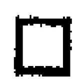
ثم استطرد الاستاذ مصطفى أمين يقول : « انه اذا كانت للرئيس ملاحظات على نشاطه فانه يتمنى ان يصارحه الرئيس بما لديه ، وانه حاول بكل الوسائل ان يخدم النظام ، فمقالاته منشورة ثم انه كل ما يحصل عليه من معلومات يكتبه في تقارير الى الرئيس او الى السادة صلاح نصر وعبد القادر حاتم وسامي شرف ، بحسب نوع المعلومات التي تصل اليه » .

وكانت تلك أول مرة أعرف فيها ان نطاق التقارير قد اتسع فلم يعد قاصراً على الكتابة لجمال عبد الناصر ـ وهو ما كنت أعترض عليه من ناحية المبدأ ـ بل انها الآن أصبحت أيضاً لثلاثة غيره .

ولم أملك نفسي من ابداء تعليق عابر على حكاية كتابة التقارير كلها من أولها الى آخرها ، وكان تعليق الأستاذ مصطفى أمين هو : « انني أعرف ان هناك أخباراً كثيرة لا يمكن نشرها وفي نفس الوقت فانها مهمة لأجهزة الدولة » ، وقلت باقتضاب : « ان ذلك ليس عملنا » ، ولم أشأ ان أستفيض أكثر من ذلك لأن اللحظة لم تكن مناسبة . كنا امام مشكلة ولم يكن هناك ما يدعو الى اثارة مشاكل غيرها .

واتفقت معهما على انني سوف أتصل بالرئيس، وفي كل الأحوال فاني سأنضم اليهما على الغداء في بيت الأستاذ مصطفى أمين .

واتصلت بجمال عبد الناصر ، ودار بيننا حوار طويل. واستطعت بعد عناء اقناعه باضافة اسميهما الى قائمة التشكيلات الجديدة لمجالس إدارات الصحف . وذهبت اليهما بالبشرى في بيت الأستاذ مصطفى أمين ، وانتظرنا الى ما بعد الظهر حتى أذيع نبأ الاضافة الى التشكيلات ، ثم ركبنا نحن الثلاثة سيارة واحدة وذهبنا الى دار أخبار اليوم . ودخلت معهما على مرأى ومشهد من مئات المحررين والإداريين والعمال في الدار ، وكان مشهداً لا تخطىء العين في دلالته .



ولم تكن هذه نهاية المشاكل . بل لعلها كانت بداية لنوع آخر من

المشاكل . فلقد رأى السيد أمين شاكر ما حدث، وأحس ان أصحاب أخبار اليوم القدامى قد فرضوا عليه بتدخل خارجي ، وبدأ محاولة شد وجذب . وكان الاستاذان مصطفى وعلي أمين زواراً لمكتبي كل يوم بتفاصيل ما يجري في أخبار اليوم . وانتهزت فرصة لقاء بجمال عبد الناصر وعرضت عليه الأمر ، وكانت وجهة نظري ان مثل هذا الشد والجذب في أخبار اليوم لا مصلحة فيه لأحد ، وربما كان من الخير توزيع الاختصاصات بين رئيس مجلس الادارة الجديد ـ وهو من غير الصحفيين ـ وبين بقية أعضاء مجلس الادارة ـ وهم من الصحفيين ـ بحيث تستقيم الأمور . وكان رأيي ان أصحاب أخبار اليوم السابقين ـ الذين قبلوا القانون الجديد بصدر رحب من ناحية ، والذين يملكون كفاءة صحفية لا شك فيها من ناحية أخرى ـ لا بد ان تكون لهم كلمة نافذة في شئون التحرير ، وذلك ليس منطق الانصاف وحده وانما هو أيضاً صالح المهنة والدار وكل صحفها ومجلاتها .

وأشهد ان جمال عبد الناصر لم يمانع ، وانما قال : « انه من الأفضل أن يجيء الاقتراح من السيد أمين شاكر نفسه » .

وبالفعل فان مجلس ادارة أخبار اليوم عقد جلسة يوم ٢ يونيو ١٩٦٠ وأصدر ـ بناء على طلب السيد أمين شاكر ـ قراراً بأن يكون الاستاذ مصطفى أمين نائباً لرئيس مجلس الإدارة لشئون التحرير وأن يكون له لقب المشرف العام على التحرير .

وتصورت ان الأمور سوف تأخذ مجراها الطبيعي . ثم اكتشفت ان ذلك كان ضد منطق الأشياء .

كان « غداء كل يوم ثلاثاء » لا يـزال تقليداً سارياً يجمعنا نحن الثلاثة ـ الأستاذان مصطفى وعلي أمين وأنا ـ وتحول « غداء كل يوم ثلاثاء » تلك الأيام الى حكايات لا تنقطع عما يجري في أخبار اليوم وعن تصرفات رئيس مجلس الادارة .

وبالطبع فقد كنت أسمع من طرف واحد . وعلى وجه اليقين فقد كنت

منحازاً ليس فقط بسبب علاقات الصداقة،ولكن أيضاً لأن الموضوع بدا لي في تلك الأيام صراعاً على مقدرات الصحافة بين الصحفيين وغير الصحفيين، وكان طبيعياً ان أنحاز لزملاء المهنة .

ويمكن إجمال موضوعات الخلاف بما تسجله بعض محاضر جلسات مجلس ادارة أخبار اليوم في تلك الأيام ، وأستشهد منها بمحضر جلسة يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٠ .

يقول المحضر ـ وأنقل الآن من نصوصه ـ ما يلي :

«طلب الاستاذ مصطفى أمين الكلمة وقال ان عنده بياناً يريد القاءه ، فاقترح الأستاذ محمد زكي عبد القادر تأجيله الى ما بعد جدول الأعمال،ولكن الأستاذ مصطفى أمين قال ان البيان متعلق بشئون التحرير وهي البند الأول في جدول الأعمال . ووافق المجلس على ذلك وقال الأستاذ أبو النجا انه يقترح أن يلقى الأستاذ مصطفى أمين بيانه على أن يرد عليه الأستاذ أمين شاكر ثم ينتقل المجلس الى جدول الأعمال ، فوافق المجلس على ذلك ، وهنا تلا الأستاذ مصطفى أمين البيان الآتي نصه :

بالأمس دعا الأستاذ أمين شاكر السعاة والعمال الى هذه القاعة وقال لهم انه طالب عدة مرات بدعوة مجلس الادارة للاجتماع لرفع أجور العمال والسعاة ، ولكن أعضاء مجلس الادارة تهربوا من الحضور .

وقال إن المسئولين في المؤسسة قدموا له ميزانية مزورة فيها ان الدار تخسر .

وقال إنه سيعقد اجتماع مجلس الادارة ، واما ان تنفذ مطالبه واما أن يستقيل .

وقال إن أحد المحررين من أصدقاء مصطفى أمين حصل على تذكرة طائرة فأعطته الدار ألف جنيه ليتفسح في الخارج .

وقال إن هناك محررين يأخذون خمسمائة جنيه في الشهر وان هناك عمالاً

يأخذون خمسة جنيهات ، وانه طالب كبار المحررين بتخفيض مرتباتهم فهربوا .

وقال انه سيجتمع بكرة أي اليوم وسيتخذ القرارات التي أعدها ، وسأنفذ كل الخطوات التي وعدتكم بها . . . وانتظروا ماذا سيحدث .

ومما قاله : انا كنت منتظراً ان يعرضوا موضوع زيادة أجوركم في الاجتماع ، ولكن ها هو جدول الأعمال الذي كتبه مصطفى أمين أعرضه عليكم،وهو يتكلم عن الدشت ولا يتكلم عن أجوركم .

وهي ادعاءات كاذبة تتنافى مع الواقع ، الذي يؤيد دائماً اننا كنا نعمل على رفع مستوى العمال والسعاة والموظفين والمحررين . وقد كان من مفاخر أخبار اليوم اهتمامها بكل من يعمل فيها ، ورعاية أسرهم في حياتهم وبعد مماتهم .

وقد كان من واجبي ان أبلغ النائب العام عن هذا الحادث وعن هذه المحاولات لتخريب المؤسسة ، باذاعة أنباء ومعلومات كاذبة لا يقصد بها الا اثارة العمال على ادارة العمل ، وبث روح التفرقة وإثارة الكراهية بين العاملين في مؤسسة واحدة ، مما قد يؤدي الى وقوع حوادث تخريب وتدمير وحريق ، واعتداءات تؤدي الى التأثير الخطير على انتاج العمال والموظفين ، ويصرفهم عن تأدية واجباتهم الى صراع طبقي يحطم المؤسسة التي أصبحت ملكاً للشعب ، ويؤدي في الوقت نفسه الى انهيار باقي المؤسسات الصحفية الأخرى . ولكني رأيت حفظاً لكرامة مؤسسة أخبار اليوم ولكرامة الصحافة نفسها ، ان أعرض الأمر على المسئولين .

وقد حاولت جاهداً وتحملت ما لا يتحمله البشر من تصرفات الأستاذ أمين شاكر عضو مجلس الادارة المنتدب ، هذه التصرفات التي ستؤدي الى القضاء على دار أخبار اليوم ، والصحافة كلها . وتحملت من الإساءات الشخصية والاهانات والشتائم في سبيل المحافظة على كيان مؤسسة أخبار اليوم واستمرارها ، تنفيذاً لرغبة الرئيس جمال عبد الناصر بصيانة أخبار اليوم

وبالعمل على أن يكون الاستقرار فيها بعد التنظيم أكثر مما كان قبل الت

وقد رأيت ان أصبر على كل ما يتعلق بشخصي ، في سبيل ت
الدولة التي تقضي بأن تكون الصحافة قوية ، وأن لا يحدث أي
سير العمل ، او يؤدي الى تحطيم سلاح من أسلحة الوطن .

والآن وقد أصبحت عاجزاً عن التعاون مع الأستاذ أمين شـ
أرى ان يرفع مجلس الادارة الأمر الى المسئولين لكي يختاروا شـ
للعمل في هذه الدار مع الأستاذ أمين شاكر الذي يتصرف تصرفات
تخريب مؤسسة أخبار اليوم والى القضاء عليها ، ولم يحدث في تاري
أن استطاع فرد واحد ان يسيء الى مهنة ويلطخها بالطين
بالأقدام ، كما فعل الأستاذ أمين شاكر خلال الشهرين الماضيين .

ورد الأستاذ أمين شاكر بما يلي :

هذه مذكرة تافهة ولا تستحق مني الرد لأن كل ما جاء
مقصود . ولعل عقدة الذنب التي دفعت السيد مصطفى أمين
الكلام التافه ليغطي أخطاءه المتكررة ومحاولاته لإفشال الأهداف
الشعب من اصدار قانون تنظيم الصحافة .

ويهمني بهذه المناسبة ان أذكر للسيد مصطفى أمين أن ا
صدوره استبعده هو وشقيقه من دار الأخبار رعاية لمصلحة هذه ال
اقترحت عودتهما للعمل كمحررين لا كملاك . ولكن السيدين علي
أمين يحاولان جاهدين ارجاع عجلة الزمن والابقاء على الأوضاع
التي كانت تسود هذه الدار قبل اصدار قانون التنظيم والتي تعتبر
الرئيسية التي بسببها صدر قانون التنظيم . أما عن الألفاظ النابية ا
الأستاذ مصطفى أمين بيانه فاني أترفع عن الرد عليها لأنني لم أتعـ
بنفسي الى هذا الدرك .

وبعد مناقشات متشعبة وافق المجلس على الانتقال الى جدول ا

الأستاذ مصطفى أمين :

أعرض انني مسافر الى الولايات المتحدة لتغطية أخبار رحلة السيد الرئيس ، وأقترح ان يتولى الأستاذ علي أمين عمل المشرف على التحرير أثناء غيابي .

الأستاذ أمين شاكر :

القرار المؤقت الذي اتخذه المجلس في أول اجتماع له باختيار الأستاذ مصطفى أمين مشرفاً على التحرير لا محل لاستمراره ، ولفظة مشرفاً او مستشاراً لا يترتب عليها سلطات للسيد المشرف ، وليس من حق المجلس ان ينشيء وظيفة جديدة تغير من الوضع الوظيفي او التنظيمي الرئيسي في الدار بدون الحصول على موافقة صريحة على ذلك من أصحاب المؤسسة ، وهذا ما لم يحدث .

ثانياً : التحرير في هذه المؤسسة ليس ارثاً يتبادله الأخوان علي ومصطفى أمين . سفر الأستاذ مصطفى أمين لا يستدعي تعيين او اختيار شخص آخر يقوم مقامه لأن لجريدة الأخبار سبعة رؤساء تحرير وهم بطبيعة الحال يقومون بأعمالهم بحكم وظيفتهم وليس عن طريق أوامر او توصيات تصدر اليهم من مجلس الإدارة . وضمن هؤلاء الرؤساء الأستاذ أحمد الصاوي محمد والأستاذ زكي عبد القادر وكلاهما أكثر خبرة وكفاءة من السيد علي أمين. فلا أدري سبباً يدعو المجلس لأن يتخطاهما باختيار الأستاذ علي أمين .

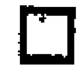
واستطرد الأستاذ أمين شاكر قائلاً :

حكاية مشرف فسرت خطأ واستغلها الأستاذ مصطفى أمين لبسط سيطرته على باقي رؤساء التحرير ، علماً بأن قانون التنظيم قد نص على اختيار رؤساء التحرير هؤلاء لادارة الدار من الناحية الفنية الادارية ، بينما استبعد هو وشقيقه علي أمين. فلا يجوز لذلك ان يتخذ مجلس الادارة قراراً يتعارض تعارضاً مباشراً مع هذا الاتجاه .

الثابت ان مستوى مجلات الدار منهار جداً ولو أعطيت الفرصة للسادة

رؤساء تحرير هذه المجلات للعمل بحرية فيها لأمكن الارتقاء بمستواها وتحقيق التوصيات الخاصة باعادة تنظيم الصحافة . ولا أفهم أبداً ولا يمكن لأي انسان ان يفهم ان ينصب الأستاذ مصطفى أمين نفسه قيّماً على أعمال التحرير في الدار بينما يوجد في الدار ثمانية رؤساء تحرير وليس فيهم من يقل عن سيادته كفاءة في العمل » .

وأكتفي بهذا القدر من المحضر ، فقد شطت المناقشات فيه بعد ذلك الى أقاويل عن « السكرتيرات » واختصاصهن ، وقال واحد للثاني « أنت دون كيشوت » وقال الثاني « انت ابن . . . » وارتفعت منفضة بللورية في الهواء توشك ان تصيب أحداً في وجهه لولا ان تداركتها يد قبل الانقضاض .



واستمرت الاشتباكات بين الأستاذين مصطفى أمين وعلي أمين والسيد أمين شاكر قائمة حتى سنة ١٩٦١ ، وحينما كانت تسمح الظروف وتكون هناك مسألة واضحة المعالم ـ فقد كنت أحدث جمال عبد الناصر في الأمر . وأحياناً كان يرى الأمر طبيعياً في التناقض بين ملاك سابقين وادارة وافدة . ثم تخطى السيد أمين شاكر حدود الخط المسموح به حين قام بتحريض بعض العاملين في أخبار اليوم فتصدوا لأصحابها السابقين ومنعوهم من دخولها . وأعفي السيد أمين شاكر من رئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم .

ومرة ثانية ذهبت مع الاثنين الى دار أخبار اليوم ودخلنا نحن الثلاثة معاً في مشهد لم يخطىء في دلالته أحد . . . هذه المرة أيضاً .

وكان جمال عبد الناصر متيقظاً لم يترك للشامتين ـ ولا لأصدقائهم ! ـ فرصة . فما لبث ان أصدر قراراً بتعيين السيد كمال رفعت رئيساً لمجلس ادارة أخبار اليوم ، وكان كمال رفعت أحد البارزين في حركة الضباط الأحرار وكان وزيراً للعمل وعضواً في اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ، وكان بالقطع عوداً أصلب .

ومع ذلك فقد تكررت القصة .

ظهرت الخلافات بعد قليل ثم استفحلت . ورد كمال رفعت ، فاذا الاستاذ علي أمين ينقل الى دار الهلال ، واذا الأستاذ جلال الحمامصي يفصل من دار أخبار اليوم .

وبقي الأستاذ مصطفى أمين وحده.ولعله أحس ان التجربة الجديدة مع كمال رفعت أصعب من التجربة السابقة مع أمين شاكر فقام بتقصير خطوطه . ومن سوء الحظ أن حياته الخاصة في ذلك الوقت ارتبكت . وأظنني كنت أشعر بمخاطر الملابسات التي اكتنفت حياته في ذلك الوقت ، وهكذا كرست مساعي حثيثة لكي يعود الأستاذ علي أمين الى أخبار اليوم ويعود التوأمان معاً ليؤنس كل منهما الآخر .

ومضت الأيام ثم ما لبثت العواصف أن ثارت من جديد في أخبار اليوم لأن السيد كمال رفعت في خضم مسئولياته الواسعة ترك أخبار اليوم لأحد مساعديه الذي قرر في نوبة غضب ان يعطي الأستاذين مصطفى وعلي أمين اجازة مفتوحة .

وذهبت الى جمال عبد الناصر ، وكان صدره قد ضاق بالكل بما فيهم أنا. وقال لي : كمال رفعت ليس لديه وقت يعطيه لأخبار اليوم ، وسكرتيره أخطأ . وسوف أعين رئيساً جديداً لمجلس الادارة ، وعلى « أصحابك » ان يتعاونوا معه . قل « لأصحابك » ان يعقلوا وأن يعملوا كصحفيين محترفين فقط . لعلمك هم يستندون على صلتك بي وهي تشجعهم ، وهذا يخلق تعقيدات لا لزوم لها » .

وحاولت ان أعترض مشيراً الى كفاءة الاستاذين مصطفى أمين وعلي أمين واخلاصهما وقاطعني قائلاً : « كفاءتهما لا أتكلم عنها ، وأما الاخلاص فمسألة أخرى . والحقيقة انني لا أستطيع ان أثق في اخلاص أضيرت مصالحه فهذا فوق الطبيعة البشرية . وعدا ذلك فان لي رأياً من قديم رغم كل ما تقوله انت . . . » .

ثم أبدى جمال عبد الناصر ملاحظات أخرى .

وخرجت من عنده الى بيت الأستاذ مصطفى أمين وقلت للاثنين انهما سيعودان الى أخبار اليوم ، ثم أضفت رجائي بأن يتصرفا بهدوء لأن الظروف لم تعد تحتمل . وعلى أي حال فقد صحبتهما للمرة الثالثة الى دار أخبار اليوم ، وللمرة الثالثة رآنا مئات المحررين والعمال فيها ننزل نحن الثلاثة من سيارة واحدة ونصعد سلم الدار الخارجي . . . للمرة الثالثة في مشهد لا تخطىء العين دلالته .

وبعد يومين ، في ٢٧ سبتمبر ١٩٦٤ ، أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً بأن يتولى الأستاذ خالد محيى الدين اختصاصات رئيس مجلس الادارة في أخبار اليوم .

الفصل السابع

١٩٦٥ السنـة الحافـلة

وجاءت سنة ١٩٦٥ وكانت سنة حافلة .

في الشهور الاولى من السنة كان كل شيء هادئا على جبهة أخبار اليوم ، أو على الاقل هكذا كان باديا على السطح . كان أقصى ما سمعته من الاستاذين مصطفى وعلي أمين روايات هامسة عن الطريقة التي يتسلل بها « الشيوعيون » الى أخبار اليوم .ورجوت منهما مبكرا عدم احراجي بمشاكل يمكن تجنبها مع الاستاذ خالد محيى الدين .

والحق أن المشاكل كلها ظلت في اطار ما يمكن تقبله مع مراعاة طبائع الامور وطبائع الظروف وطبائع الناس .

وكانت مدة رئاسة جمال عبد الناصر تنتهي في مارس ١٩٦٥ . وكان الجو معبأ بالحماسة لاعادة ترشيح جمال عبد الناصر مرة أخرى ، وكانت الاستاذان مصطفى أمين وعلي أمين أكثر المتحمسين ، ولا أعتقد أن أحدا بين الصحفيين ـ بمن فيهم أنا ـ كتب في تأييد اعادة ترشيح جمال عبد الناصر لمدة رئاسة ثانية أكثر منهما . والواقع أن تسجيل هذه الحقيقة تتزايد أهميته في ضوء ما تلا ذلك من التطورات .

وعندما اقترب موعد الاستفتاء على الرئاسة وكان محددا له يوم ١٥ مارس ١٩٦٥ ، قرر الاستاذ مصطفى أمين أن لا يكتفي بمقاله الاسبوعي ، الموقف

السياسي في أخبار اليوم بل راح يكتب كل يوم . وبالطبع كان باب « فكرة » الذي يكتبه الاستاذ علي أمين يظهر يوميا .

وفي يوم ١٣ مارس ١٩٦٥ كان مقال الاستاذ مصطفى أمين في أخبار اليوم كما يلي بالنص :

نعـــــم

بعد غد ، سوف انتخبه رئيسا للجمهورية العربية المتحدة ، لانه أول فلاح مصري في تاريخ بلادي أصبح حاكما لها . لم يصعد فوق الحراب ، وانما ارتفع فوق القلوب . لم يتملق الشعب ، وانما واجهه بالحقائق المريرة . لم يخدعه بالوعود ، وانما بصره بالصعاب . لم يستأثر بأمجاد الشعب لنفسه ، بل وزع أمجاده هو على العرب أجمعين . لم يقدس نفسه ، وانما قدس هذه الأمة وكرامتها وعزتها وحقها في الحرية والحياة .

لم يبن لنفسه القصور ، وانما بنى مئات الالوف من البيوت لصغار العمال والفلاحين .

سوف انتخبه ، لانه كلما سما الى المجد اقترب من الله ولم ينفصل عن الارض .

زاد ايمانه بالله وزاد التصاقه بالشعب الذي يقوده . لم يرتفع عندما انحنت الرؤوس ، ولكنه ارتفع عندما رفع الشعب رأسه .

لم يرتفع صوته عندما صمتت الافواه ، وانما دوى صوته عندما تحولت همسات الامة الى زئير . لم يغط صدره بالاوسمة والنياشين وانما ملأ قلبه بحب الملايين .

لم يجعله الحكم سلطانا وجبروتا ، وانما جعله قيادة ورحمة . لم يتجبر في قوته ، ولم يتخاذل في أزماته ، بل قابل الانتصارات والهزائم بروح واحدة وثقة لا حد لها بالرسالة التي كرس حياته من أجلها .

سوف أنتخبه لأنه يؤمن بالله ويقاوم الالحاد ، لانه يحترم الاديان كلها . لانه لا يعرف التعصب والطائفية . لانه يؤمن بحكم الشعب بالديمقراطية السليمة ، ويمقت الدكتاتورية العسكرية ، ودكتاتورية الطبقة ، وحكم الفرد . لانه لا يؤمن بالعنف ، ولا يقبل حكم الدم ، وانما يقيم ثورته على الحب والتسامح وتحالف قوى الشعب العاملة كلها .

سوف أنتخبه لأنه يؤمن بالاستقلال الكامل . ويأبى التدخل الاجنبي مهما كان مصدره . لانه يرفض أن ينضم الى أي معسكر ، أو أن يكون تابعا لاي حركة دولية .

سوف أنتخبه لانه يقود ثورة اشتراكية فريدة في نوعها ، منبعثة من ظروفنا ، مستمدة من حياتنا ، ليس فيها عبيد وأسياد ، ليس فيها محظوظون ومنبوذون . ليس فيها انتقام ولا اذلال ولا ذبح ولا حمامات دماء .

سوف انتخبه لانني بذلك أعطي صوتي لعهد جديد .

لمرحلة خطيرة في ثورتنا .

مرحلة تمهد الطريق لجيل جديد يقود ثورتنا .

مرحلة فيها تضحيات عظيمة لان فيها انتصارات عظيمة .

فيها عرق أكثر لان فيها ابتسامات أكثر . فيها تشييد لطوابق أعلى في بناء بلادنا ، وفيها تعميق تحت الارض لاسس هذا البناء الكبير .

مرحلة فيها عواصف ، ولكن فيها شعب أقدر على مواجهة العواصف والازمات .

ان الصوت الذي سنعطيه لعبد الناصر ليس معناه أننا ننتخبه رئيسا للجمهورية ، ولكن معناه أننا نجند أنفسنا في الست سنوات القادمة لنسير معه الى معارك أكبر ، وانتصارات أعظم . . .

مصطفى أمين

وفي اليوم التالي ١٤ مارس كانت فكرة الاستاذ علي أمين في الاخبار كما يلي بالنص :

سأنتخبه لانه متفائل .

وهو لا يغمض عينيه ويتفاءل . . .

وانما يفتح عقله وقلبه فيرى أنوار الفجر ويتجه اليها .

سأنتخبه لانه شجاع جريء .

فلقد رأيته في أحلك الايام التي مرت ببلادي . رأيته أثناء العدوان على القنال ، رأيته والاساطيل تضرب الشعب بقنابلها الفتاكة والطائرة تهدم البيوت والمستشفيات . . .

رأيته عندما كان وحده في المعركة .

وقبل أن تثور شعوب العالم على المعتدين . كان في تلك اللحظة يعتمد على الشعب المصري وحده . ومع ذلك كان يؤمن بأن الشعب سينتصر . كان يؤمن بأنه سيطرد الجيوش المحتلة من بلادي .

وكان يؤمن بأن الله لن يتخلى عن هذا الشعب العظيم .

سأنتخبه لايمانه بالله . . وهو ايمان لا حدود له . وهو ايمان نظيف لم يلوثه التعصب أو الكراهية .

سأنتخبه لانه يعرف كيف يحب .

. . . . ولا يعرف كيف يكره . فهو يحاسب نفسه قبل أن يحاسب الناس . وهو يفترض أن الخطأ من صفات الانسان ، ولهذا يعطي دائما فرصة للمخطىء ، ليتراجع عن الخطأ الذي وقع فيه . فاذا تكررت أخطاؤه عاقبه . . . واذا أوقع العقاب ، تذكر المخطىء ، ومنحه فرصة ثانية . فهو لا

ينسى الناس . حتى الذين أخطأوا في حقه يعود اليهم ، ويمنحهم فرصة أخرى .

وهو لا يضرب خصما وقع على الارض فهو يكره اذلال الناس . . حتى الذين تآمروا عليه في وقت من الاوقات . مد لهم يده .

سأنتخبه لانه صمام الامان في بلادي ، انه يخاف من سيف السلطان الذي في يده . . . ويكره استخدامه . لا يتحمس لعمليات البتر ، وانما يؤمن بعلاج المرضى دون أن تسيل نقطة دم واحدة .

سأنتخبه لانه يؤمن بحرية الصحافة ، ويعرف أن هذه الحرية تحمي الحاكم من التمادي في أخطائه، وتحمي الشعب من تصور ان الحاكم معصوم عن الخطأ .

سأنتخبه لانه أول حاكم في بلادي انتقد النواب لانهم يوافقون بالاجماع على قرارات الحكومة ، وشجعهم على أن ينتقدوها . . . لايمانه بأن النقد يهذب الاراء ويفتح عيون الحكومة الى اخطائها .

سأنتخبه لانني أطمئن على نفسي وعلى بلدي والصولجان في يده .

علي أمين

وفي يوم الاستفتاء نفسه كتب الاثنان في نفس العدد من الاخبار .

كانت مقالة مصطفى أمين كما يلي بالنص :

باسم هؤلاء . . . ننتخبه . .

باسم الدولة الجديدة ننتخبه . . . باسم الشعب ننتخبه . .

باسم العرب ننتخبه . . . باسم العدل ننتخبه . . باسم

جيش الشعب ننتخبه . . . باسم الدستور ننتخبه . . باسم الشهداء ننتخبه .

بقلم مصطفى أمين

باسم الشعب . . . ننتخبه .

باسم الشعب ننتخبه . وصوت الشعب من صوت الله . ومن كان الشعب معه فالنصر له . وباسم الشعب نرفعه على سواعدنا الى مقعد القيادة . والرجل الذي يعتمد على الشعب لن يسقطه الشعب . والرجل الذي يعيش للشعب لا يمكن أن يتخلى عنه الشعب .

باسم هؤلاء الملايين في سوريا ومصر . الذين فرقهم الاحتلال وجمعهم الاستقلال . الذين مزقتهم الحدود السياسية وضمتهم القومية العربية . الذين قسمهم الاستعمار الى دول وممالك وولايات وهم في الواقع أمة واحدة بأسماء مختلفة . باسم الذين يعيشون في الوديان والذين يقيمون فوق الجبال . الذين يسكنون الاكواخ والخيام . والذين يأوون في العراء . البدو في الصحراء والحضر في المدن . الفقراء والاغنياء . الضعفاء والاقوياء .

باسم الذين صرعوا الطغيان في معركته الاخيرة ، والذين صرعهم الطغيان في معاركهم الاولى . الذين ماتوا والذين بقوا أحياء . الذين صمدوا الى النهاية والذين تخاذلوا أمام جبروت الاقوياء . الذين حاربوا وسقطوا شهداء . والذين تفرجوا على المعركة وعاشوا نصف أحياء . الذين كانوا وقود الثورات العديدة الماضية والذين كانوا ضحاياها . الذين أشعلوها والذين احترقوا في لهيبها . والذين عاشوا في نورها . والذين كانوا رمادها .

باسمهم جميعا ننتخبه . لانه الرجل الذي قاد المعركة الكبرى التي لم يتخلف فيها أحد ، ولم يفر منها أحد . المعركة التي لم يكن فيها صفوف أولى وصفوف أخيرة . لم يكن فيها أبطال صامدون وجبناء فارون . انما هي المعركة التي جعلت الشعب كله بطلا صامدا . نساؤه ورجاله . شيوخه وشبابه .

أطفاله ومرضاه . انها المعركة التي حولت كل القاعدين الى واقفين . كل المتخاذلين الى شجعان . كل الغافلين النائمين الى يقظين منتبهين . وكل البكم الصامتين الى فصحاء متكلمين . انها المعركة التي أزالت الحدود . ووحدت الشعور . وأذابت الفوارق . وقضت على روح الهزيمة والاستسلام . وجعلت الشعب كله جيشا واحدا ليس فيه مجندون يحاربون ومدنيون يصفقون ، وليس فيه طليعة تموت ومؤخرة تعيش . وليس فيه محاربون يقاتلون ومتفرجون يلهون . انما هو شعب كامل تحت السلاح .

في يد الصغير سلاحه وفي يد الكبير مدفعه . في يد الرجل قنابله وفي يد المرأة بندقيتها . كل الشعب مجند ، يحارب ويقاتل ليموت شهيدا أو يعيش بطلا .

باسم هؤلاء الملايين من الابطال ننتخبه .

لاننا باسم الشعب ننتخبه .

مصطفى أمين »

وكانت « فكرة » على أمين في نفس اليوم كما يلي بالنص :

سأنتخبه لنظافة يده . واصراره على أن يعيش عيشة بسيطة متواضعة .

سأنتخبه لانه يحب عمله . ويتفانى فيه . ويعطيه قلبه وعقله وكل ساعات فراغه .

ولهذا فان طاقته للعمل لا حدود لها . وهو لا يرفع سماعة التليفون .

انه الموظف الوحيد في الدولة الذي تستطيع أن تستنجد به في كل ساعات الليل والنهار .

سأنتخبه لانه يخلق ولا ينقل ويترجم .

انه لا يستورد أفكاره من الخارج . . . انه يقرأ كثيرا . ويهضم كل ما يقرأ . ثم يفكر تفكيرا عربيا خالصا .

وهو يستفيد من تجارب الاخرين . ولكنه لا يترجم تجارب غيره . . ان كل تجربة يدخل فيها ولدت في عقله . وترعرعت في قلبه .

وهو من الحكام القلائل في الدنيا الذين يجيدون الاستماع .

انه يحب أن يسمع رأي الناس . والحاكم عادة يحب أن يسمعه الناس . وهو لا يسخر من بعض الاراء الساذجة التي يسمعها . انه ينصت باهتمام . لانه يؤمن بأن واجبه أن يسمع كل الاراء حتى يصل الى الرأي السليم .

سأنتخبه لانه يحاسب نفسه قبل أن يحاسب الناس . ولانه لا يتمسك بأخطائه .

انه يدافع عن رأيه بقوة . . ولكنه مستعد دائما أن يعدل رأيه . وأن يعلن بشجاعة أنه أخطأ . فهو من الزعماء القلائل في التاريخ الذين لا يتصورون أنهم معصومون من الخطأ .

سأنتخبه لايمانه المطلق بالله وتمسكه بكل المثل العليا . . . ولانه لا يتاجر بهذا الايمان كما يفعل بعض الحكام .

سأنتخبه لقدرته العجيبة على الحركة . وعلى الخروج من الازمات . وعلى الاستفادة من أخطاء أعداء البلاد .

سأنتخبه لانسانيته ، ولانتصاره للضعفاء ، ولوقوفه دائما مع كل الذين يحاولون تحطيم القيود والاغلال .

سأنتخبه اليوم لانني أحب بلادي . . .

وأؤ من بأن هذا الرجل قادر على أن يجعلها أسعد بلاد الدنيا .

سأنتخبه اليوم لانني أريد أن أنام الليل . . . ولن أنام الليل اذا تصورت أن حارس بلادي غارق في نوم عميق .

علي أمين »

ومرت أيـام . . .



وصباح يوم ٢٣ أبريل ١٩٦٥ اتصل بي الاستاذ علي أمين في بيتي مبكرا يسألني اذا كان يستطيع أن يمر عليّ في الاهرام في أي وقت قبل الظهر . وجاء . وكان الموضوع الذي أتى به مفاجئا لي .

قال وهو يقدم لما يطلبه « انه يعرف أنني تحملت الكثير معهما ولم يكن يريد أن يحملني أكثر بعد كل ما جرى ، لكنه ـ وهو يعتبرني بمثابة ابن له ـ لا يجد من يذهب اليه غيري » .

وقاطعته أعاتبه على ما قال وأؤكد له أن ما بيننا يسمح له بأن يطلب مني ما يشاء ، خصوصاً اذا كان في نطاق ما أستطيع .

وراح الاستاذ علي امين يلقي بكل ما عنده مرة واحدة : « لقد أصبح جو العمل في أخبار اليوم ثقيلا عليه ، وقد أصبح ضيق الصدر بكل شيء قابلا للانفجار في كل لحظة . . . . » .

ودخل في التفاصيل ، ولم يستثن أحدا حتى توأمه الاستاذ مصطفى أمين (ولا أنوي بالطبع أن أضع على الورق الآن كل ما قال ، فلقد كانت لحظة تدفق نفسي طال كبته) . ثم وصل الاستاذ علي أمين الى ما يريد فقال :

ـ . . . والان ما أريده هو أن أجيء معك هنا في الأهرام . . . ثم أسافر في أول فرصة مراسلا للاهرام في لندن . . . » .

ونظر اليّ وفي عينيه استغاثة صامتة وقال : هل تعطيني هذه الفرصة ؟

وأحسست أنني أستجيب دون أن أفكر، وكانت استجابتي لاستغاثته الصامتة التي أحسست بها تصل الى أعماق مشاعري .

وقلت له : « ان كل شيء في الاهرام تحت تصرفك وأنا أعتبر طلبك أمرا . . . » .

وسألني : « ألا أريد أن أفكر ؟» .

وكان ردي « أن الاهم أن يكون هو قد فكر » .

وعاد يسألني « ألا أريد أن أستأذن . . . » .

وكان ردي « أن الامر لا يحتاج الى استئذان . فهذا تصرف في الاهرام وفي حدود مسئوليتي عنه ، ولن يجد الاهرام في لندن مراسلا أفض علي أمين » .

وقام يقبلني، وتوجهت إلى مكتبي فجلست اليه وكتبت بخط يدي اداريا بتعيين الاستاذ علي أمين محررا في الاهرام بالحد الاقصى لل وقتها ـ ثم اضافة بتكليفه أن يكون مراسلا للاهرام في لندن ببدل سف للمرتب . وقدمت القرار له قائلا « انني كنت أتمنى لو كان في استطا أفعل ما هو أكثر ولكن ذلك هو أقصى حدود سلطتي » .

ثم عدت الى مكاني بجانبه وقلت له : « الان وقد فرغنا من الش فان ما يشغلني حقا هو حالتك النفسية كما أراها »

ولم يحبس الاستاذ علي أمين شيئا في صدره وراح يفيض . ووص الساعة الثالثة بعد الظهر وتركني وانصرف لكي يقابل مصطفى ويفاتحه ف وفيها فعلت .

الفصل الثامن

الظـلال الزاحفــة

وفي مساء ذلك اليوم كنت على موعد مع الرئيس جمال عبد الناصر، ووجدت مناسبا أن يكون على علم بما جرى . وفي البداية شعرت بأنه لم يكن متحمسا لما سمعه مني.وحاولت أمامه أن أشرح ـ بأثر رجعي ـ وعقلانيا قرارا اتخذته في الصباح عاطفيا .

قلت في البداية ان عليّ التزام صداقة وزمالة طويلة مع الاستاذين مصطفى وعلي مين . ثم ان انضمام علي أمين للاهرام كسب للاهرام .

وأخيرا أضفت أن هذا الوضع قد يكون بديلا أفضل من أن نجيء اليه بعد أسابيع أو شهور بمشكلة في دار أخبار اليوم بين أصحابها القدامى وبين المسئولين الجدد عن ادارتها ، خصوصا وأنه هو ـ « الرئيس » ـ قد نبهنا مقدما الى انه لم يعد يريد أن يقحمه أحد في أوضاع الدور الصحفية والمعارك الدائرة أو التي تدور فيها .

ولست أعرف لماذا أضفت :

ـــ « أن علي أمين يحمل في قلبه طيبة طفل رغم اندفاعاته أحيانا » .

وسألني جمال عبد الناصر فجأة :

ـــ « ومصطفى ؟ . . . »

وقلت أن كل واحد منهما فيه مزاياه . لكن علي طيب القلب .

لكن جمال عبد الناصر واصل الحاحه يسألني : ومصطفى ؟

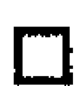
وأحسست أن الحاحه يتعدى منطوق سؤاله ، فقلت : لا أفهم ما الذي تقصده ؟

ولم يفصح عن شيء ، وأحسست أن لديه شيئا يقوله لكنه لا يريد . وانتقلت الى نقطة أخرى ، فقد رجوته أن يقابل الاستاذ علي أمين قبل سفره حتى يعطيه ذلك ثقة بالنفس وقوة .

وتردد جمال عبد الناصر للحظة ثم قال :

ـ سأقابل عليا، ولكن ليس مصطفى .

وكانت سعادتي بموافقته على ما سألته منه كافية لتنسيني رفضه ما لم أسأله منه أصلا ، وكان تطوعه بالرفض حريا بأن يلفت نظري . وفاتت عليّ .



وتحركت المسائل بسرعة بعدها .

في اليوم التالي جاء الاستاذان مصطفى وعلي أمين الى مكتبي وتحدثنا طويلا .

ثم كتبت « كلمة للاهرام »[1] عن انضمام علي أمين لاسرته نشرت يوم ٣ مايو ١٩٦٥ .

---

(١) نص « كلمة الأهرام » :

« علي أمين ينضم الى أسرة الأهرام

انضم الى أسرة « الأهرام » واحد من جيل الصحفيين الرواد الذين صنعوا التقدم الحديث لمهنة الصحافة وشاركوا بقسط ضخم في تطويرها وهو الاستاذ علي أمين .

وقد وقع « الأهرام » أمس عقدا مع علي أمين يصبح بمقتضاه هذا الكاتب الصحفي اللامع مراسلا خاصا « للاهرام » في أوربا مركزه لندن .

وسوف يكتب علي أمين بابه اليومي المشهور « فكرة » في الصفحة الاخيرة من « الأهرام » وكذلك سوف يقدم رسالة أسبوعية ، سياسية واجتماعية ، فضلا عن الاشتراك مع مراسلي « الأهرام » ومكاتبه في أوربا في متابعة أحداث القارة الهامة والخطيرة حيث تتحرك هذه الأحداث . » .

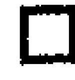
ثم تحدد موعد السفر .

وكان علي أمين قد سألني على استحياء : « هل يستطيع مقابلة الرئيس قبل أن يسافر ؟» .

وقلت له : « أنني تحسبت لهذا الطلب وقد فاتحت الرئيس فيه فعلا ، وقبل » .

وكانت سعادته غامرة .

وتحدد الموعد ، وحاولت مراجعة جمال عبد الناصر فيما اذا كان يأذن لمصطفى بحضوره ، لكنه أعاد الرفض. وكان عليّ أن أقول للاستاذ مصطفى أمين أن الموعد لا يشمله لسوء الحظ .



وفي يوم السفر سبقنا هو الى مطار القاهرة بينما مررنا ـ علي أمين وأنا ـ على بيت الرئيس جمال عبد الناصر في منشية البكري ، وكان عبد الحكيم عامر هناك .

واستغرق اللقاء خمسا وعشرين دقيقة بالضبط . وكان أبرز ما دار فيه سؤال من الاستاذ علي أمين « عما اذا كان يستطيع أن يتصل بالسفارة في لندن دون حرج ؟ » وكان رد جمال عبد الناصر بالايجاب . ثم قال الاستاذ علي أمين « أنه قد يصادف أثناء عمله الصحفي في لندن معلومات سياسية تهم « البلد » ـ فهل يستطيع اعطاءها للسفير ويطلب منه ارسالها الى مصر بالشفرة لاطلاع الرئيس ؟ » ولم يتردد جمال عبد الناصر وانما قال على الفور : « لا . . . اذا كان لديك شيء من ذلك فابعث به الى هيكل وهو يخطرني به » . ثم استطرد جمال عبد الناصر قائلا : « لا داعي لبرقيات شفرية والا كان لنا في لندن سفيران ؟ » وقال الاستاذ علي أمين : « إن أي مراسل أجنبي في عاصمة يعتبر بمثابة سفير لبلده فيها الى جانب عمله الصحفي » . ورد جمال عبد

الناصر بسرعة قائلا : « لا مانع من أن تكون سفيرا أهليا وليس سفيرا رسميا يبعث رسائل بالشفرة » .

وفيما بعد وفي الطريق إلى المطار سألني الاستاذ علي أمين عن انطباعي عن المقابلة ، وقلت انها كانت إيجابية،ولكني صارحته بأنني لم أسترح الى مسألة « السفارة والسفير الى آخره » .

وفي الطريق من المطار عائدا الى قلب القاهرة بعد وداع الاستاذ علي أمين كنت أشعر بتعاطف مع الاستاذ مصطفى أمين . فقد قدرت مقدما أنه سوف يشعر بوحشة لا شك فيها بعد غياب توأمه ، ومن ثم أصبح حرصي أشد على موعد « الغداء كل يوم ثلاثاء » .

ثم حدث بعد فترة من الوقت شيء أدهشني . ذهبت الى موعد مع جمال عبد الناصر يوما فاذا هو فجأة وسط حديث طويل يقول لي :

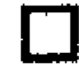
ــ « أنت تتقابل مع مصطفى أمين بطريقة منتظمة . وليس من شأني أن تقابله أو لا تقابله، هذه مسألة تخصك . ولكني أرجوك أن تتحفظ في أحاديثك معه . »

وحينما أظهرت استغرابي قال : « انني أبديت لك من قبل ملاحظاتي حول هذه المسألة لكن ملاحظاتي لم تنتج أثرا فيما أرى . والان أقول لك بوضوح : تحفظ » .

وأثناء عودتي الى مكتبي من بيت جمال عبد الناصر استعدت هذه الملاحظة ، وتداعى في خواطري لدى استعادتي لها شعور غريب راودني مرات اثناء « غداء يوم الثلاثاء ».كنت أشعر أحيانا أنني أتعرض لمحاولة « ضخ » أو « سحب » من نوع ما يحدث لبئر ماء أو بترول يسقطون فيها ماسورة تتصل بمحرك قوي « يشد » و« يشفط » . وكان الشعور بذلك يحدث معي دائما أثرا عكسيا ، فقد كان رد فعله الغريزي انقباض يحتبس به أي كلام له معنى أو فيه قيمة .

وكنت أعزو ما أتعرض له في هذا الشأن الى الرغبة الخارقة لدى صحفي تقطعت عنده مصادر الأخبار من ينابيعها الاصلية فراح يحاول اصطيادها من حيث يجدها .

ولم أطل التفكير في الأمر ، وانصرفت عنه إلى غيره من شواغلي .



وبدأت رسائل الاستاذ علي أمين تتوالى من لندن .

كنا قد اتفقنا معا قبل سفره على وصـــف وتحديد مجالات عمله مراسلا للاهرام في لندن .

من ناحيته كان رأيه أن يواصل كتابة بابه اليومي « فكرة » في الأهرام كل يوم . وكان لي رأي آخر ، فقد كنت أرى أن أبواب كل جريدة يجب أن تبقى لها ولا تنتقل الى غيرها بانتقال محرر أو كاتب . ان الباب الثابت في صحيفة واحدة من قسمات وجهها وهو بالطبيعة منسجم مع ما حوله ، ونقله بما يشبه عملية جراحية من وجه الى وجه قد يحدث جرحا في المكان الاصلي وتورما في المكان الجديد . والى جانب ذلك فلم أكن متحمسا للابواب اليومية الثابتة ، وكنت أراها في الصحافة المصرية ظاهرة لا مثيل لها في الصحافة العالمية . فليس هنالك كاتب يستطيع أن يجد موضوعا كل يوم ، ثم انه ليس هناك كاتب يستطيع أن يتناول كل الموضوعات من نوبات البرد التي تصيب الناس بالزكام الى أخطار الحرب النووية التي يمكن أن تمحو كل وجود انساني على ظهر الارض .

ومع ذلك فقد نزلت عند رأي الاستاذ علي أمين .

ومن ناحيتي فقد كان رأيي أن يركز الاستاذ علي أمين على العلاقات المصرية البريطانية المتأزمة وقتها بسبب المواجهة بين البلدين في الجنوب العربي - مع التواجد المصري في اليمن - ومع المشاكل التي تواجه بريطانيا في منطقة الخليج وهي منطقة كانت على وشك أن تشهد تطورات بعيدة الاثر .

وكان رأيي أيضا أن لندن ـ في ذلك الوقت ـ من أهم المراكز التي تصب فيها أخبار العالم العربي ، وذلك يمكن أن يكون مجالا واسعا مفتوحا أمامه .

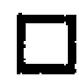
والى جانب ذلك فقد اقترحت عليه أن يكتب رسالة أسبوعية من لندن يمد فيها اهتمامه الى ما وراء السياسة ، فالعاصمة البريطانية حافلة بمناحي النشاط والحركة والحيوية .

واتفقنا على أن يبدأ بزيارة تقليدية للسفارة المصرية .

ثم تكون زيارته الثانية لوزارة الخارجية البريطانية يقدم لها خطاب اعتماده مراسلا للاهرام في لندن .

ثم تكون زيارته الثالثة لجريدة « الصنداي تيمس » يحمل خطابا كتبته الى السير « دنيس هاملتون » رئيس تحريرها . وكنت قد فاتحت « هاملتون » مبدئيا في تخصيص مكتب في « الصنداي تيمس » ليكون مقرا لمراسل الاهرام الجديد يعمل منه وسط مناخ صحفي نشط .

وقلت للاستاذ علي أمين قبل سفره انني في كل الاحوال سوف أكون معه في لندن بعد شهرين ـ في يوليو ـ لان أحد أبنائي سوف يجري عملية جراحية في عينه وسوف أصحبه إلى هناك . وفي تلك الفرصة ـ وعلى ضوء التجربة ـ قد تخطر لنا اقتراحات أخرى ، وقد تطرأ مشاكل نقوم بتذليلها معا .



كانت أولى رسائل الاستاذ علي أمين إليّ تقريرا مفصلا عن بدايات حركته في العاصمة البريطانية ، وجاء في الرسالة بالحرف :

لندن في ٢٧ مايو ١٩٦٥[١]

عزيزي هيكل

(١) صورة الرسالة بخط الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٣) .

رأيت أن أبدأ بالسفارة . وجدت السفير معتكفا بعد الالتهاب الرئوي الذي أصيب به ، وسيستأنف العمل بعد ثلاثة أيام . وقد اجتمعت به اجتماعا طويلا وأبدى روحا طيبة أرجو أن تستمر. ولكني لاحظت أنه في حاجة الى «يد يمنى» تخلق صداقات مع الوزراء ورجال وزارة الخارجية . فهو رجل ممتاز يثير الثقة ، ولكن ليس من السهل عليه أن يكسب صداقات سريعة . وكان الوزير سميح أنور يكمل السفير . ولكن سميحا أبدى رغبته في العودة الى القاهرة وأجيب الى طلبه وينتظر أن يغادر لندن قريبا .

وهذا وضع غريب . فانه من الصعب على الوزير الجديد أن يملأ الفراغ بسرعة . انه في حاجة الى ستة أشهر على الاقل . وبقاء السفير ستة أشهر بدون يد يمنى متحركة ، غير طبيعي في الشهور القادمة .

وقد تصورت في أول الامر أن هناك خلافا بين الاثنين وأن سميح أنور غير قادر على التعاون مع السفير ، ولكني اكتشفت أن التعاون بين الاثنين على أشده . كل ما حدث هو أن سميحا يحن هو وزوجته للعودة الى القاهرة .

وهذا السبب قد يكون مفهوما في الظروف العادية . . . ولكنه غير معقول في الظروف الجديدة . فان تعيين وزير جديد في رأيي سيعطل أي جهد جديد .

ولهذا اقترح وقف اجراءات نقل سميحا أنور على الفور ، لانه حجز تذاكره على الباخرة وبدأ يستعد للسفر . ورغم أن سميحا مصمم على العودة ، فانني أعتقد أن خطابا رقيقا من وزير الخارجية أو أحد المسئولين قد يورطه ويقنعه بالبقاء لمدة عام آخر .

وفي نفس الوقت أرى اصدار الامر للسفير والوزير بالتوسع باقامة المآدب للوزراء والموظفين والنواب الانجليز . فان أموال بدل التمثيل تصرف على اقامة المآدب للزوار المصريين .

وقد علمت أن صافي ما يقبضه سفيرنا في لندن هو ٤٩٤ جنيها ، وما يقبضه الوزير المفوض هو ٣٢٨ جنيها . وهي مبالغ لا تتناسب مع ارتفاع

أسعار المعيشة في لندن التي ارتفعت ارتفاعا ضخما في السنتين الاخيرتين . ومن رأيي تخصيص مبلغين اضافيين للسفير والوزير بشرط أن تخصص هذه المبالغ لاقامة مآدب للانجليز خلال الفترة التي نرى[فيها]أننا في حاجة للتوسع في الاتصالات . ولتكن الفترة ستة أشهر أو تسعة أشهر ثم بعد ذلك يتوقف المبلغ الاضافي عندما ترى القاهرة أنها ليست في حاجة الى اتصالات اضافية ، أو يثبت لها أن التوسع في الاتصالات عديم الجدوى .

ويمكن اتباع هذا التقليد في عواصم الدول الكبرى ، عندما ترى القاهرة أن الظروف تستدعي التوسع في الاتصالات في عاصمة من العواصم .

وقد اتبعت وزارة الخارجية البريطانية في عهد ارنست بيفين هذا النظام عام ١٩٤٧ لما واجهت بريطانيا أزمة حادة في العملات الاجنبية .

انني اعرف الظروف المالية التي نمر بها ، والرغبة في تخفيض مصروفاتنا من العملة الصعبة ، ولكني أرى أن تضاعف سفارتنا اتصالاتها على الفور بأصحاب النفوذ من الانجليز في الستة أشهر القادمة . ومآدب الغداء والعشاء هي المكان التي تثار فيها المشاكل والازمات بصراحة .

اقترح اعتماد ألفي جنيه للسفير وألف جنيه للوزير المفوض للصرف منها خلال الستة الاشهر القادمة على أن تخصص هذه المبالغ الاضافية لاقامة مآدب للانجليز من أصحاب النفوذ .

فانني أرى أن تتوسع السفارة فورا في اتصالاتها .

وأخيرا أحب أن أذكر لك أن زيارة الكولونيل ويج الى القاهرة قد فشلت . وقد فهمت من السفير أن سبب فشلها هو تأخر القاهرة في الموافقة على الفكرة ، ثم وصول الموافقة أثناء الازمة مع ألمانيا الغربية ، وخشية الانجليز أن يسيء الالمان تفسير هذه الزيارة أثناء الاستقبالات الضخمة التي تقام لملكة انجلترا في ألمانيا .

أرجو أن أسمع منك في مسألة سميح أنور والتوسع في المآدب .

ولك قبلاتي .

(الامضاء)
علي أمين

كان ذلك تقريره عن خطوته الاولى : زيارة السفارة .

ثم جاءت رسالته الثانية تقريرا عن خطوته التالية : زيارة الصنداي تيمس .

وجاء في الرسالة ما يلي بالحرف :

لندن في ٤ يونيو ١٩٦٥(١)

عزيزي هيكل

قابلت صديقك دنيس هاملتون رئيس تحرير الصنداي تيمس . وتحدثنا طويلا في مسألة مكتب الاهرام في مبنى تومسون . ووعدني وعدا قاطعا بأن يعد لي مكانا في الدار في شهر سبتمبر القادم ، ووعدني بأن يبحث عن طريقة لايجاد مكان مؤقت . والمنتظر أن أعرف النتيجة بعد أسبوع . فانه مسافر الى دانكرك ليحتفل مع زملائه الضباط بمناسبة مرور ٢٥ سنة على المعركة . وقد تبنت الصانداي تيمس هذا اللقاء التاريخي ودعت كل أصحاب القوارب والمراكب الذين ساعدوا في نقل الجنود من دانكرك الى الشاطىء البريطاني . وأعتقد أنه يمكن للاهرام أن تحتفل بمرور عشرين سنة على معركة الفالوجة وتدعو كل الضباط والجنود الذين اشتركوا في المعركة الى حفلة ضخمة تشترك فيها أم كلثوم وكل نجوم بلادنا وتضع باقات من الورد على الذين ماتوا في المعركة أو بعدها .

(١) صورة الرسالة بخط الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٤) .

ولم يصدق هاملتون أنك ستحضر الى لندن في شهر يوليو . وقال أنك وعدته بالحضور الى لندن عدة مرات ولم تحضر .

ولكني قلت له أن هذه المرة « كلام شرف » . فأرجو أن لا تخيب ظني .

قال لي إنه من عشاق جمال عبد الناصر ومن المؤمنين به . وأنه قابل الرئيس أربع مرات ، وفي كل مرة كان يخرج من المقابلة ويطير الى لندن ويقابل رئيس الوزراء ووزير الخارجية وينقل إليها مشاعره .

وقال إنه قابل سفيرنا المصري في لندن مرة وتعارك معه . وعلمت أن سبب المعركة هو ثمن أعداد الصنداي تيمس ومصادرة أحد أعدادها . وقال لي هاملتون أن القاهرة تخسر كثيرا باصرارها على عدم دفع ثمن الجرائد الانجليزية التي ترسل الى القاهرة . وقال لي أنه اجتمع مع صاحب لندن تيمس (التيمس اليومية) وشكا له هو أيضا من عدم وصول ثمن النسخ . وقال لي أنه رغم ضآلة المبالغ بالنسبة الى دخل الصحف الانجليزية الضخم ، الا أن موقف الحكومة المصرية يثير الشكوك داخل الصحف الانجليزية ويشعرها بأن القاهرة لا تطيق سداد ديونها . وقال لي أن المبالغ المستحقة للصحف تتضخم لانها تدفع نفقات النقل بالطائرة وهي نفقات ضخمة .

ومن رأيي أن تتصل شخصيا بالمسئولين عن هذه المشكلة وتحاول أن تجد لها حلا سريعا . . . لانه ليس من مصلحتنا أن تنشر الاشاعات في فليت ستريت بأننا نماطل في دفع ثمن الصحف . . . وأننا الدولة الوحيدة في العالم التي تماطل الصحف .

وأنا أعرف دقة موضوع العملة الصعبة .

ولهذا أقترح أن تدفع القاهرة ثمن النسخ بالعملة الصعبة بعد خصم تكاليف النقل بالطائرة .

وأن نتفق مع الشركة العربية على نقل الصحف الانجليزية على طائرتها ، وندفع ثمن النقل بالجنيه المصري .

وهذا الاقتراح يقلل المبلغ الذي تدفعه القاهرة بالعملة الصعبة .

واذا وافقت الجهات المسئولة على هذا الاقتراح يمكن عرضه على جمعية أصحاب الصحف الانجليزية والحصول على موافقتها عليه .

ويمكن أيضا وضع ثمن نسخ كل جريدة بالجنيه المصري في حساب خاص في أحد بنوك القاهرة ، وتستخدم الجريدة هذا المبلغ في الصرف على مراسلها في القاهرة .

وأصحاب الصحف الانجليزية يشكون من أنهم لا يتلقون ردودا على خطاباتهم . . . فأرجو أن تعرض الامر على المسئولين لنضع حدا لهذه الشكوى .

قال لي هاملتون انه يتوقع أن يكون اجتماع الجزائر من أهم الاجتماعات . وهو لن يستطع الذهاب الى الجزائر . وقرر ايفاد مندوب جريدة الصنداي تيمس في باريس لانه على علاقة طيبة مع زعماء الجزائر .

وقال لي انه لا يستبعد أن تجري الانتخابات البريطانية في شهر يوليو ، وفي هذه الحالة سيعود المحافظون الى الحكم .

ولكني استبعد اجراء الانتخابات في شهري يوليو وأغسطس ، فانهما شهريا الاجازات في انجلترا . . . والانجليزي يرتب اجازته من أول العام ويحجز حجرة في فندق أو بنسيون ، ولا يمكن أن يرجىء اجازته ليعطي صوته . وسيخسر العمال الرأي العام اذا اصروا على اجراء انتخابات في هذين الشهرين .

ولك قبلاتي .

(الامضاء)
علي أمين

أخبار أخرى :

١ ـ قابلت السفير البريطاني مقابلة سريعة ووعدني أن يلتقي بي ثم هرب مني . يظهر أنه لم يجد في لندن جو التفاؤ ل الذي كان يتوقعه عندما التقيت به في القاهرة .

٢ ـ مقابلة السفير المصري بوزير الدولة البريطانية تومسون كانت مقابلة عائمة . رغم أن تومسون كان يتعجل مقابلة السفير في الاسبوعين الماضيين .

٣ ـ بدأت أتشكك في أن الانجليز يحاولون كسب الوقت حتى تنتهي صفقة بيع الاسلحة للسعودية بثمانين مليون جنيه . وبعد ذلك يبدأون جديا في محاولة تصفية الخلاف مع القاهرة . وهذه الشكوك ليست نتيجة أخبار ، وانما هو مجرد شعور . . . وقد أكون مخطئا .

٤ ـ تولى منصب وكيل الخارجية المشرف على مسائل الشرق الاوسط روجرز ألين . وهو أحد « أولاد » أرنست بيفين ، وكان يشرف على المباحثات المصرية الانجليزية في فترة مفاوضات صدقي بيفين . وسأحاول أن اجتمع به لان اجتماعه مع السفير المصري كان اجتماعا « عائما » .

٥ ـ سأحاول هذا الاسبوع أن « أشمشم »حقيقة النوايا الانجليزية . فانا لا أريد أن أرمي سنارة الصيد في النهر ، قبل أن أتأكد أن هناك سمكا تحت الماء .

٦ ـ شكرا على اسراعك بالرد على رسالتي الاولى . وأرجو أن أتلقى دائما ردودا سريعة، فان السرعة تريحني حتى ولو كانت تحمل رفض[١] بعض اقتراحاتي » .

علي

---

(١) اشارة الى رد بعثت به الى الاستاذ علي أمين بعد رسالته الاولى من لندن وقد اعتذرت له بأننا لا نستطيع أن نتدخل في تنظيم العمل في السفارات وفي تحديد المرتبات وبدلات السفر ، وأنه اذا أراد اثارة هذه الموضوعات فالمجال لذلك هو مقال رأي ينشره في باب « فكرة » أو غيرها ، لكن الحدود يجب أن تكون واضحة بين عملنا وعمل السفارة أو وزارة الخارجية .

الفصل التاسع
صاعقـــة تنقـــض

كنت بالطبع أطلع الاستاذ مصطفى أمين علي ما يصلني من توأمه . وبالتأكيد فقد كان هو من ناحيته على اتصال به بوسيلة أو بأخرى .

وكان « غداء كل يوم ثلاثاء » مستمراً لاثنين بدلاً من ثلاثة ، وان اضطررت للتخلف عنه مرات لظروف أو لتحرج خصوصاً بعد طلب جمال عبد الناصر « بالتحفظ » !

وبدت لي الأمور سائرة في مجراها العادي . وبدأت أستعد للسفر الى لندن . وحين وصلت مطار هيثرو كان الاستاذ علي أمين في انتظاري . ولاسبوعين كاملين أكاد أقول أنه لم يفارقنا طول الوقت ، وحتى حين ذهبت الى ارتباطات بمواعيد مع شخصيات سياسية أو صحفية كان يرافقني الى حيث أذهب وينتظرني حتى أفرغ مما لديّ ثم يعود معي الى حيث أقصد بعدها .

وذهبنا معاً مرات الى مسارح ومتاحف ومطاعم . وحتى عطلة نهاية الاسبوع قضيناها معا ، فقد أصر الاستاذ علي أمين على أن نذهب معه الى ضاحية مارلو نتمشى في الاحراش الخضراء على ضفاف نهر التيمز .

وجاء معنا الى مستشفى مورفيلد حيث أجرى الطبيب الاخصائي أول كشف على عيني ابني ثم طلب عدة اختبارات قبل أن يقرر نهائياً في شأن الجراحة . ومضت الأيام وفكرت لحظة في أن أبعث للرئيس جمال عبد الناصر

أرجوه أن يأذن لي في التأخير ، فقد كنت قبل سفري وعدته بأن أعود قبل احتفالات ٢٣ يوليو. لكن رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر اليّ نقلتها لي السفارة سبقت فعلاً رسالة كنت أنوي أن أبعثها اليه عن نفس هذا الطريق .

كان يريدني أن أحضر الى القاهرة قبل يوم ٢١ يوليو لكي أشترك في اعداد خطابه السنوي الكبير في عيد الثورة . وشاورت الاستاذ علي أمين في مأزقي وكان رأيه . « أن أعود الى القاهرة لما أنا مطلوب على الفور من أجله ، وهو بدلا مني هنا حتى يبت الطبيب في أمر ابني على نحو أو آخر ، وعلى أية حال ففي خلال يومين أو ثلاثة أستطيع أن أعود الى لندن اذا جد ما يدعوني الى العودة » .

وسافرت يوم الثلاثاء ٢٠ يوليو وهو في وداعي في المطار حتى أقلعت الطائرة الى القاهرة ـ مطمئنا الى أنه بدلا مني في رعاية ابني حتى يبت طبيبه برأي .

ويبدو أن الطبيب بت برأي في نفس اللحظة التي ركبت فيها الطائرة ، فقد اتصل من المستشفى يقول أن الجراحة لازمة وأنه يفضل أن يجريها غدا . وقد كان .

وأبلغت حين وصولي الى مطار القاهرة في الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٠ يوليو أن الرئيس جمال عبد الناصر ينتظرني عند الظهر تماماً في بيته .

وصباح الأربعاء ٢١ يوليو ذهبت مبكراً الى مكتبي في الاهرام وراجعت بعض ما استجد في غيابي ، ثم اتصلت تليفونياً بلندن واذا من يقول لي أن الجميع في المستشفى . واتصلت بالمستشفى واذا العملية قد أجريت بنجاح ، وعرفت أن الاستاذ علي أمين موجود بالمستشفى وطلبت أن أتحدث اليه لاطمئن زيادة منه . وجاء الاستاذ علي أمين الى التليفون وراح بشكل قاطع يؤكد لي أن كل شيء تم على ما يرام ، بل وأكثر من ذلك فانه ناول سماعة التليفون لابني وسمعت صوته بنفسي وتنفست الصعداء . وخرجت من « الاهرام » قاصداً بيت جمال عبد الناصر بعد أن طلبت الى مكتبي أن يرتبوا حجز مقعد لي على

الطائرة المسافرة الى لندن صباح بعد غد الجمعة ـ يوم ٢٣ يوليو ـ ورحت هادىء الاعصاب الى حد كبير أعد نفسي لمقابلة الرئيس وأفكر في موضوعات حوارنا حول خطابه في ٢٣ يوليو .



ودخلت غرفة المكتب في بيت جمال عبد الناصر في الساعة الثانية عشرة ودقيقتين ، وكنت متشوقاً لاخبار مصر وأخباره ، وكان يريد أن يعرف مني أخبار لندن الخاص منها والعام . وكان حمياً كعادته ، فقد أبدى أسفه لإنه انتزعني من هناك ولم يكن في باله أن هناك جراحة لابني هذا اليوم ، ورويت له ملابسات ما حدث وأنني عائد باذن الله بعد غد . ثم حدثته عن مقابلاتي في لندن وملاحظاتي على ما رأيت وسمعت . واستغرقنا هذا الحديث نصف ساعة أو أكثر قليلا ، ثم ركزنا الحديث حول خطابه المقبل . وأخذنا الوقت . وفجأة دق جرس التليفون في مكتبه وتوجه اليه من حيث كنا في ركن من القاعة تطل نافذته على الحديقة . ولم يكن يتكلم وانما كان يسمع . ولم يستغرق وقتاً طويلاً على التليفون ، فما لبث أن قال لمحدثه بهدوء : « طيب » . ثم وضع السماعة وعاد الى حيث كنت أجلس . وكنت قد نظرت إلى ساعتي عند قيامه استجابة لرنين التليفون وكانت الساعة الثالثة الا ثلثاً بعد الظهر .

واستقر مرة أخرى في مقعده أمامي ، ثم أشعل سيجارة جذب منها نفساً عميقاً وأحسست أن فكره تحوّل عما كنا نتكلم فيه ، ثم قال لي وصوته يحمل نبرة حزم وأسف في نفس الوقت :

ـ « انني سأقول لك الآن شيئاً أعرف أنه سوف يضايقك . . . »

ثم استطرد « لقد قبضوا الآن على مصطفى أمين متلبساً بالتجسس للأمريكان . . . » .

وعقد الذهول لساني وتساءلت غير مصدق لما سمعت : « غير معقول » .

وقال : « ذلك ما حدث مع الأسف » .

وقلت والذهول ما زال مستبداً بي : « سيادة الرئيس . . انني لا أفهم تماماً ما تقوله لي ؟ . . » .

وراح يقول بنفس النبرة التي يختلط فيها الحزم والأسف :

ـ اسمع . . . انني أريدك أن تعرف بشكل واضح أن الموضوع كبير وخطير وأنا لا أريدك أن تحتكم فيه الى مشاعرك الشخصية .

" أنت تعرف أولاً أنه كانت هناك شكوك ، ومن ناحيتي فاني طرحت هذه الشكوك جانباً وأعطيت فرصة جديدة ، ولم أعط فرصة واحدة وانما أعطيت عشرات الفرص،وكان آخرها موافقتي على سفر علي أمين الى لندن مراسلاً للاهرام . ولقد وافقت وأنا أعلم أن مصطفى متورط في أشياء ، لكني لم أمانع في سفر علي لأني من ناحية لم أجد شيئاً قاطعاً عليه ، ومن ناحية أخرى لأنك كنت تلح . ولقد وافقت على ضبط مصطفى بعد أن رأيت من الادلة والوثائق ما جعلني ـ بكل أسف ولكن بكل ضمير مستريح ـ أوافق على العملية . ليس لديّ ما يدعوني الى تلفيق تهمة لرجل قابلته مرات عديدة وقرأت له ما كان ينشره وما كان يتطوع بارساله لي . وأنت تعرف أنه لم يكتب منذ اليوم الأول للثورة وحتى الآن الا تأييداً لكل خطوة قمت بها . وحتى لو كان قد اختلف معي في شيء فأنا لا أضيق بخلاف في الرأي ، وعلى أي حال فذلك لم يحدث وأنت تعرف . وعلى فرض أنه اختلف معي وعلى فرض أنه عارض فلم تكن بي حاجة الى تلفيق تهمة له » .

كنت أستمع اليه بصمت ويبدو أن التعبيرات التي بدت على وجهي وأنا أسمعه تقلت اليه رسالة لم ألفظ بها ـ واستطرد :

ـ لا أريدك الآن أن تقول شيئاً . . . أريد منك شيئاً واحداً ، أن تخطو الآن عبر الشارع الى مكتب سامي شرف وأن تطلع بنفسك على الملفات والاوراق وتستمع الى التسجيلات الصوتية . ثم فكر على مهل فيما سوف

تقرؤه وتسمعه . ثم نم عليه هذه الليلة وعد الى هنا في الصباح . . . وساعتها يكون من حقك أن تقول لي ما تشاء » .

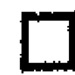
ولم يترك لي مجالاً لتعليق . قام الى المكتب ورفع سماعة التليفون يصدر أمره الى السيد سامي شرف ـ سكرتيره للمعلومات في ذلك الوقت ـ يطلب منه أن يطلعني على كل شيء .

وبخطى مثقلة بهموم نازلة مشيت. . . . قطعت مدخل البيت وعبرت الشارع وصعدت الدرجات القليلة المؤدية الى مكتب السيد سامي شرف في المبنى المقابل لبيت جمال عبد الناصر .

وتلقاني السيد سامي شرف مرحباً بعودتي من السفر. ثم راح مجاملاً يقول لي من العبارات ما ظن أنه يخفف عليّ وقع ما تصور أنني أشعر به ، ثم دعاني الى فنجان قهوة ريثما يفرغون من جلب الملفات والاوراق واعداد جهاز تسجيل أسمع عليه « الشرائط ». وقال لي انه أخلى غرفة قريبة أجلس فيها دون أن يقاطعني أحد ولا هو .

دخلت الغرفة في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر تقريباً . . . وخرجت منها في الساعة الثامنة مساء .

دخلتها مهموماً وخرجت منها ممزقاً .



كانت الغرفة التي دخلتها بجوار مكتب السيد سامي شرف غرفة اجتماعات تتوسطها مائدة تحيط بها مقاعد . على المائدة كان هناك جهاز تسجيل والى جانبه عدد من الاشرطة من ناحية ، ومن ناحية أخرى عدد من الملفات .

وسألني السيد سامي شرف عما اذا كنت أريد أن أبدأ بسماع التسجيلات . وقلت إنني أفضل أولاً أن أقرأ الاوراق . وقال انه سيترك واحداً

من مساعديه قرب باب الغرفة اذا احتجت إلى شيء : فنجان قهوة أو كوب ماء أو تشغيل جهاز التسجيل - وتركني وحدي وخرج .

وأمسكت بأول الملفات . كان عنوانه من الخارج « هيئة الامن القومي » . ثم اسم : « بروس تايلور أوديل » ، ثم رقم مسبوق بمجموعة حروف ، وفي الداخل مجموعة من التقارير تروي بداية قصة بدت لي مثيرة ، ومزعجة (١) .

والقصة ـ من واقع الملف ـ تبدأ من أول سنة ١٩٦٤ ، وترسم بدايتها صورة نشاط مكثف لوكالة المخابرات المركزية الامريكية في مصر . فالعلاقات بين مصر والولايات المتحدة تسوء والاسباب كثيرة : الحركة المصرية النشيطة في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية في اطار تيارات التحرر الوطني وعدم الانحياز، ثم الحرب في اليمن، ثم الضغط المصري على المملكة العربية السعودية كأثر من آثار التواجد العسكري المصري في شبه الجزيرة العربية (في اليمن والجنوب العربي وعدن)، ثم رفض مصر قبول اقتراحات أمريكية بتحديد حجم جيشها وحجم اهتمامها بالتسليح والانتاج الحربي وبالذات في الطائرات والصواريخ .

وسوء العلاقات وصل الى ما يشبه صراع ارادات بين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس الامريكي ليندون جونسون؛ راح الرئيس الامريكي بسببه يهدد بوقف مشتريات مصر من القمح الامريكي . وصحبت ذلك دلائل تشير الى أن المخابرات المركزية الامريكية تلقت تعليمات بالعمل على نطاق واسع في مصر ، أولا لجمع معلومات ، ثم للبحث عن ثغرات في النظام ، ثم للترتيب لعمليات في الداخل اذا سنحت فرصة مواتية .

ويظهر اسم « بروس تايلور أوديل » لاول مرة في القصة من خلال تقرير من مندوب سري لهيئة الامن القومي في أثينا ـ عاصمة اليونان ـ يقول كاتبه إن

(١) حاولت أن أستوعب الصورة وأحدد ملامحها فرحت أكتب أهم النقط فيها أنا أقرأ ثم أسمع ، فقد كنت في البداية أتصور (برغم أية انفعالات) أنني سأناقش ما أقرؤه وأسمعه بعد ذلك مع الرئيس جمال عبد الناصر .

معلومات وصلته بأن أحد رجال المخابرات المركزية الامريكية واسمه «بروس تايلور أوديل » قد رشح للعمل في مصر ، وأنه سيجيء اليها تحت ستار أنه مستشار في السفارة الامريكية في القاهرة (١) .

تاريخ هذا التقرير ٦ مارس ١٩٦٤ . لكن تقارير تلته تضم تحريات جرت في مصر أظهرت أنه لا يوجد في هيئة السفارة الامريكية في القاهرة شخص يحمل هذا الاسم . وفجأة في شهر أغسطس ١٩٦٤ ظهر « بروس تايلور أوديل » في مصر بدرجة مستشار في السفارة الامريكية في القاهرة .

ويصدر أمر بمتابعته ورصد كل اتصالاته بمنتهى الحرص لانه خبير مدرب .

ومن أغسطس ١٩٦٤ حتى نوفمبر ١٩٦٤ تشير مجموعة تقارير رقابة منظمة الى أن « بروس تايلور أوديل » يتصرف بطريقة عادية ـ كأي دبلوماسي آخر يحضر الحفلات التقليدية ويجري اتصالات لا تثير شبهات ويقوم بنشاط مألوف .

وفي الفترة من ديسمبر ١٩٦٤ الى مارس ١٩٦٥ تتخذ اتصالات « بروس تايلور أوديل » نسقاً محدداً ، ويتكرر ظهور اسم الاستاذ مصطفى أمين في عداد من يقابلهم .

ثم تبدو بعد ذلك في التقارير ظاهرة ملفتة للنظر (وضع أحدهم في هيئة الامن القومي تحتها خطا بالحبر الاحمر) فقد أصبحت اللقاءات بين الاثنين ـ الاستاذ مصطفى أمين و« بروس تايلور أوديل » ـ دورية ـ غداء في يوم الاربعاء من كل أسبوع ـ ووحدهما بدون أي شخص آخر ، وفي بيت الاستاذ مصطفى أمين في شارع صلاح الدين بالزمالك . ثم ان هذه اللقاءات كانت تحاط

(١) ظاهرة استخدام الغطاء الدبلوماسي لرجال وكالة المخابرات المركزية الامريكية معروفة ، وقد أظهرت تحقيقات الكونجرس في أعمال هذه الوكالة سنة ١٩٨٢ أن أكثر من ٤٠٪ من الدبلوماسيين في السفارات الامريكية ـ في العالم الثالث خصوصا ـ هم من رجال هذه الوكالة .

باجراءات للتمويه ، منها أن « بروس تايلور أوديل » كان ينزل من سيارته في شارع بعيد عن شارع صلاح الدين ويتركها هناك ويمشي على قدميه ثم يدخل العمارة التي يسكنها الاستاذ مصطفى أمين ويضغط زر المصعد على دور آخر غير الدور الذي يسكن فيه الاستاذ مصطفى أمين ، ثم يصعد أو ينزل السلم على قدميه الى مقصده النهائي .

وطلبت هيئة الأمن القومي في ٢٩ مارس ١٩٦٥ أن يؤذن لها بوضع أجهزة تسجيل في بيت الاستاذ مصطفى أمين للتحقق مما يجري في هذه الاجتماعات الدورية المنظمة . ويبدو أن الموضوع بدا أكبر من اختصاص أي مسئول في المخابرات المصرية وأنه كان يحتاج الى قرار سياسي ، وهكذا فان هيئة الأمن القومي لم تحصل على الاذن الذي طلبته الا في ٢٦ ابريل سنة ١٩٦٥ . ويبدو أن وضع أجهزة التسجيل السرية في بيت الاستاذ مصطفى أمين اقتضى هيئة الامن القومي أسبوعين تقريباً لأن الملفات لم تضم أول اجتماع بين الاثنين جرى تسجيله الا بتاريخ يوم الاربعاء ١٢ مايو ١٩٦٥ .

وبعده اجتماع في يوم الاربعاء ١٩ مايو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٢٦ مايو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٢ يونيو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ١٦ يونيو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٢٣ يونيو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٣٠ يونيو ، ثم اجتماع في يوم الاربعاء ٧ يوليو .

وكانت هناك مجموعة ملفات صغيرة بعد ذلك يضم كل منها مجموعة من الاوراق تحتوي على ملخص لوقائع الاجتماع المسجل بين الاستاذ مصطفى أمين و« بروس تايلور أوديل » ، وكان عدد هذه الملفات الصغيرة ثمانية على واجهة كل منها تاريخ الاجتماع وتوقيت بدايته ونهايته من واقع التسجيل .

وتركت هذه الملفات الصغيرة أعود اليها فيما بعد لكي أقرأها أثناء دوران جهاز التسجيل حتى أستطيع مضاهاة الاصوات والاقوال فيما أسمعه وما أراه مكتوباً أمامي .

وكانت هناك بعد ذلك في الملفات مذكرة من رئيس هيئة الأمن القومي

مقدمة الى رئيس المخابرات العامة يطلب فيها الاذن بضبط الاستاذ مصطفى أمين و« بروس تايلور أوديل » أثناء اجتماعهما القادم « بعدما أظهرته التسجيلات من خطورة المعلومات التي يقدمها الأول للثاني ، الى جانب الطريقة التي يتم بها ذلك . فقد كان ظاهراً من التسجيلات أن أوديل يجيء كل مرة ومعه قائمة مكتوبة بأسئلة يريد اجابات عليها ، الامر الذي يضع اللقاءات كلها في اطار عملية « تخابر » لا شك فيها » .

ويبدو مرة أخرى أن الأمر كان أكبر من اختصاص أي مسئول في المخابرات المصرية وأنه كان يحتاج الى قرار سياسي ـ فان الاذن تأخر . . . . كان طلب الاذن يوم ٨ يوليو ١٩٦٥ ولم تحصل هيئة الأمن القومي عليه الا في ١٨ يوليو ١٩٦٥ .

وهكذا فان الورقة التالية لهذا في الملف كانت خطابا بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦٥ موجها من رئيس هيئة الأمن القومي الى رئيس نيابة امن الدولة العليا ـ نصه كما يلي :

هيئة الأمن القومي

السيد رئيس نيابة امن الدولة العليا

بعد التحية ،

نحيط سيادتكم ان السيد مصطفى امين ـ مصري الجنسية ـ يعمل رئيس تحرير الاخبار ، يقيم في ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك ـ الدور السادس ـ الشقة ٦٢ وفي فيللا تقع في ٢٦ شارع الاسماعيلية المتفرع من طريق الحرية بالاسكندرية .

وقد دلت تحرياتنا السرية ان المذكور يقوم بالتخابر والعمل لحساب المخابرات الامريكية في القاهرة والعمل ضد امن وسلامة الدولة يعاونه في ذلك آخرون . وسيجتمع المذكور مع مندوب المخابرات الامريكية الحالي في القاهرة

سعت ١٤٠٠ يوم الاربعاء الموافق ١٩٦٥/٧/٢١ في احد العنوانين اللذين يقيم فيهما المذكور والموضحة عاليه .

برجاء التكرم باتخاذ اللازم قانونا لضبط هذا الاجتماع وتفتيش هذين العنوانين كذا مكتبه في « مؤسسة أخبار اليوم » بشارع الصحافة بالقاهرة وضبط أي أوراق أو مستندات تفيد التحقيق كذا أي أشياء ممنوع حيازتها قانونا .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

١٩٦٥/٧/٢٠ (امضاء)

رئيس هيئة الامن القومي



انقضى عليّ ساعة وعشر دقائق وسط هذا الهم الثقيل كله . ولحظة بعد لحظة كنت اشعر انني اتنفس بصعوبة . ومع ذلك فقد بقي لديّ خيط اتعلق به وهو التسجيلات نفسها . ماذا يمكن ان يكون فيها ؟ ثم الا يمكن ان يكون ما فيها كلام عادي مما عساه ان يدور بين صحفي ودبلوماسي،ثم جاء منطق الامن القومي والمخابرات فحمل المسائل فوق ما تحتمل ومن ثم اساء التفسير والتأويل ؟

وعدت الى الملفات الثمانية التي تحوى تلخيص ما دار في الاجتماعات الثمانية التي جرى تسجيلها ، وبينما انا اتصفح اولها فتح باب الغرفة ودخل السيد سامي شرف يسألني «هل اقتنعت»؟ . قلت انني ما زلت بعد أقرأ وسوف ابدأ في السماع وفي يدي ما لخصته الاوراق من الشرائط .

وقال السيد سامي شرف : سوف تسمع اشياء غريبة . مصطفى ينقل ضمن ما ينقله الى «الراجل» اخبار واحاديث منسوبة إلى سيادة الرئيس ويدعى انه سمعها من سيادته بنفسه . وكان الاثنان حين يتكلمان عن الرئيس يسميانه

«ر» الحرف الاول من « رئيس » وستجد ان مصطفى رتب للمخابرات الامريكية ان تتصل بعلي في لندن لكي يعمل معهم هناك » .

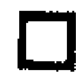
ثم استطرد السيد سامي شرف : « حينما قبضوا عليه ظهر اليوم كان هناك مبلغ خمسة آلاف جنيه مصري . قبل ذلك سوف تجد في الاشرطة ان مصطفى سلم « للراجل » مبلغ عشرة آلاف جنيه ، ولا بد أنه كانت هناك مبالغ اخرى قبل أن تبدأ التسجيلات . ››

حين كشفت التسجيلات مسألة «الفلوس» لاول مرة تصورنا أن مصطفى يقبض من «الراجل» ثم اكتشفنا ان مصطفى ايضا يعطي للراجل مبالغ ليحولها له بوسائله الى بنك في الخارج لان مصطفى كان يريد اخراج امواله كلها من مصر » .

ثم يواصل السيد سامي شرف الحاحه :

ـ هل تستطيع ان تفسر لي لماذا يقبل مندوب المخابرات وممثلها في السفارة الامريكية ان يقوم بعملية تهريب لصالح احد ؟ المفروض في رجل المخابرات في السفارة ان يتوارى وان لا يلفت الانظار اليه وان يتجنب اكثر من غيره اي مخالفة لقوانين البلد الذي يعمل فيه . لا بد ان مصطفى كان مهما جداً « للراجل » بحيث يقبل أن يقوم لحسابه بتهريب أمواله من مصر » .

ورجوته ان يتركني مع الشرائط وان يترك معي احد معاونيه لكي يتولى تشغيل الجهاز لاني لا أنوي ان اسمعها بالكامل . . . وانما اريد ان اسمع عينات من كل شريط في الوقت الحالي على الاقل ، لان سماعي لها جميعاً سوف يبقيني هنا الى الصباح . .



وبدأ الشريط الأول يدور على الجهاز :

اصداء فارغة ثم صوت يسأل عما اذا كان أحد قد سأل عنه في غيابه ،

وصوت يجيب . لم يخالجني شك في أن السائل هو الاستاذ مصطفى أمين فانا لا استطيع ان اخطىء صوته ، ثم ان المجيب هو «صادق» رئيس الخدمة في بيته وانا اعرفه حق المعرفة فقد كان من قبل رئيس الخدمة في بيت احمد حسنين (باشا) رئيس الديوان الملكي السابق ، وعندما قتل احمد حسنين في حادث سيارة استقر صادق في بيت الاستاذ مصطفى أمين .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرحب بزائر سبقه الى بيته وانتظره حتى وصل ، ولم يكن هناك شك في أن الصوت واللغة واللهجة لامريكي - « بروس تايلور أوديل » بالطبع .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يتحدث عن احد الصحفيين العاملين معه ويقول : لقد اعطوه اجازة مفتوحة . لم يرغب في كتابة مقالات شيوعية فاقصوه . تصوروا انني ساعترض على اقصائه ومن ثم يتمكنون من ابعادي ، لكني اظهرت عدم الاهتمام . « 'قال لي انهم يريدون ابعادي.«ر» اتصل بي اليوم الساعة ١٠ صباحاً وابلغني ان الدكتور القيسوني تقابل مع السفير . «ر» طلب من القيسوني ان يفهم من السفير نواياكم عن القمح . يظهر ان القيسوني متفائل .

أصوات متداخلة ثم صوت أوديل يسأل الاستاذ مصطفى أمين : سننتقل الآن الى موضوع جديد . وصوت الاستاذ مصطفى أمين يرد : نعم . وعاد صوت أوديل يسأل : هل فهمت من « ر » أنه على استعداد لبحث تسوية في اليمن ؟ . ورد صوت الاستاذ مصطفى أمين ان « ر » قرر لي أنه يبحث عن حل يحفظ للجيش كرامته بحيث لا تعود القوات وهي تشعر أنها انهزمت . « ر » أبلغني أن أحداً لا يستطيع أن يكسب هذه الحرب .

ويتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين يروي عن « ر » : علمت من « ر » أنه اتفق مع عارف على قطع العلاقات مع ألمانيا وأن سفارة سويسرا في بون سترعى مصالح العراق هناك . سفارة أفغانستان سوف ترعى مصالح مصر . لن تكون هناك اجراءات أعنف من ذلك ضد ألمانيا الغربية .

العلاقات ستعود بعد شهور والغرض من العملية كلها اظهار التضامن العربي .

يتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين : هناك مسألة مهمة . كانت هناك سيارة قادمة من السويس الى الاسماعيلية . سيارة عسكرية فيها عدد من الضباط . أوقفت عند الكيلو ٢٥ ، وعند تفتيشها وجدوا فيها ٢٤١ كيلو ديناميت . الكونستابل الذي ضبطها كان يعتقد أنها تحمل حشيش . رقم السيارة ٣٩٠٣٦ .

واكتفيت من الشريط الاول ورجوت مساعد السيد سامي شرف الذي كان جالساً أمامي صامتاً كأنه تمثال ـ أن يتفضل بإيقاف الجهاز وأن يضع الشريط الثاني عليه .

. . . .

. . . .

دار الجهاز مرة ثانية بالشريط الثاني :

أصوات متداخلة . صوت الاستاذ مصطفى أمين وصوت بروس أوديل في نفس الوقت يتبادلان ما بدا أنه حديث اجتماعي ، ثم صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : معلوماتي من « ر » أننا سنطلب شحنة أسلحة جديدة من روسيا . يبدو أن ذلك سيتم عند سفر وفد مصري للاشتراك في احتفالات موسكو . هناك اتفاق أيضا على دعوة كوسيجين (رئيس الوزراء السوفييتي وقتها) . مبدأ الدعوة اتفق عليه والتاريخ لم يتحدد بعد .

صوت بروس أوديل يسأل: لدينا تقرير عن مقابلات المشير عامر مع زعماء قبائل « جهم » في اليمن لكن هناك فجوة في تحركات عامر . لا نعرف ماذا كان نشاطه في أيام ٢١ و ٢٢ و ٢٣ ، فهل تستطيع أن تتحرى أين كان في هذه الأيام الثلاثة ؟

صوت بروس أوديل يعود للكلام : « أين صدقي محمود (قائد الطيران وقتها) لم يظهر له أخيراً نشاط » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرد : « كان في موسكو » .

صوت أوديل : « هل عاد عن طريق الشرق الاقصى » ؟

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « نعم وفي الغالب عن طريق الصين » .

تداخلت الاصوات ثم استبانت وصوت الاستاذ مصطفى أمين يسأل أوديل : « هل جرى تحويل النقود » ؟ . وصوت أوديل يجيب « سوف أسأل » . ثم يعود صوت الاستاذ مصطفى أمين يتحدث « قابلت الملحق الصحفي الانجليزي وطلبت منه ان يرتب لي موعداً مع السفير . الملحق قال لي انهم سعداء لسفر علي أمين للخارج » .

صوت بروس اوديل : « هل يعرف علي علاقتك بنا » ؟ ويرد صوت الاستاذ مصطفى أمين « لا بد ان تتصلوا به في لندن » . تداخلت الاصوات ثم استبانت مرة اخرى على صوت اوديل يقول « سوف نرتب ان يتصل به آرشي روزفلت . المهم ان تتم اتصالات بينهما خارج لندن لكي لا يعرف الانجليز . . . . » .

واكتفيت .

. . . .

. . . .

وانتقلت الى الشريط الثالث

تداخل اصوات ثم صوت أوديل بوضوح : « هل تمكن ماكلويد من زيارة مصنع ٦٣ » ؟ ورد صوت الاستاذ مصطفى أمين بما لم استطع تبينه . ثم ظهر صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول « على بنك ميدلاند في لندن . الحساب باسم علي » .

ثم صوت أوديل يسأل : « هل اتصل بك « ر » او اتصلت به ؟ » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرد : « نعم . اتصل بي يوم الخميس » .

صوت اوديل يسأل : « ما هي أخباره ؟ » .

يرد صوت الاستاذ أمين : « قال لي ان الحالة المالية سيئة جداً وانه سوف يخصص ١٥ مليون جنيه اعتماداً اضافياً للجيش . وان هناك اقتراحين على مكتب وزير التموين ، واحد بشأن رفع ثمن الخبز او خلطه.والثاني بشأن رفع قيمة منتجات البترول ، ولم يتخذ بعد قرارا في هذا الشأن » .

صوت بروس أوديل : ألم تتحدث معه عن الانفجارات التي وقعت لخط انابيب البترول في ليبيا ؟ » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « نعم سألته . فهمت منه ان الذي قام بالعملية عزت سليمان [1] واستعان هناك بمجموعة من ضباط ناصر .

صوت بروس أوديل : « ماذا ايضا ؟ » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « هو يحاول اقناع السوفييت بتقصير مدة تنفيذ السد العالي . « ر » قال لي ان علي صبري كتب للسوفييت في هذا الموضوع دون اخطار صدقي سليمان » .

. . . .

. . . .

وطلبت الانتقال الى الشريط الرابع :

صوت بروس أوديل يسأل : « هل لديك تأكيد لنبأ أن عامر ذهب الى اليمن ؟ » ورد صوت الاستاذ مصطفى أمين : « لا لم يذهب » . وعاد صوت بروس أوديل يسأل « ما هو مصدرك لكي تؤكد على هذا النحو؟ » . ورد صوت الاستاذ مصطفى أمين « مصدر موثوق به . جدا « شمس بدران » . قابلته في بيت الموسيقار محمد عبد الوهاب مساء يوم الاربعاء الماضي » .

صوت بروس أوديل يسأل : « هل هناك قوات اضافية ذاهبة الآن لتعزيز

(١) احد كبار المسئولين في المخابرات المصرية وقتها .

القوات الموجودة في اليمن » ؟ وصوت الاستاذ مصطفى أمين يجيب « نعم » . ويعود صوت أوديل يسأل « ما هو مصدرك ؟ » ويرد الاستاذ مصطفى أمين : « نفس المصدر » شمس بدران . حاول أن يغطي فقال أنها مجرد عملية استبدال قوات » .

. . . .

. . . .

وطلبت أن أنتقل الى الشريط الخامس ، ورجوت أن أسمعه قرب نهايته من باب التنويع :

بقايا حديث ثم صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : الرئيس العراقي عارف مريض وناصر كلف عشرة أطباء بفحصه ، ومن المحتمل أن يكون مصاباً بالسرطان . وعرفت أن الدكتور حسن أبراهيم قال لـ « ر » أنه لا بد من اجراء عملية خطيرة للرئيس عارف ، واقترح أن يجريها الطبيب الانجليزي تانر لانه ليس في امكان طبيب مصري أن يقوم بها .

صوت خشخشة أوراق ثم صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : تقابلت مع عبد الحميد السراج[1] وقال لي أنه قلق بالنسبة الى الشيوعيين. عندما يقرأ جريدة الاخبار يشعر أنها شيوعية ١٠٠٪ ، وكذلك آخر ساعة وروز اليوسف ، وهو يرى أن ذلك يسيء كثيراً الى المصريين في الدول العربية ، وطلب السراج مني أن أنقل هذا الحديث لـ « ر » . السراج قال لي أنه منذ ١٩٥٩ لم ينضم شيوعي واحد الى الاحزاب الشيوعية العربية لكن منذ أن دخل الشيوعيون الصحف انضم عدد كبير منهم الى الاحزاب الشيوعية . السراج يشعر أن « ر » يستهين بالنشاط الشيوعي ويتصور أنه يمكن القبض عليهم جميعاً ، لكن سلاح الصحافة يمكن أن ينشيء أو يتسبب في ظهور خلايا سرية جديدة غير معروفة . السراج قال لي انه ذهب الى سفارة الجزائر في القاهرة وفوجيء بأن جميع المصريين العاملين بالسفارة شيوعيون » .

---

(١) كان وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الجمهورية في سوريا أثناء الوحدة .

صوت بروس أوديل يسأل : « هل تعرف شيئاً عن الرسالة التي جاء بها رئيس حكومة سيلان السابق » ؟ . صوت الاستاذ مصطفى أمين : « لا » .

صوت بروس أوديل يسأل : « هل لديك شيء عن رحلة صدقي محمود » ؟

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرد بشيء لم أستطع تبينه .

صوت بروس أوديل يسأل : « ما هو رد الفعل على المقال الذي نشر في نيويورك تيمس حول عدد القوات المصرية في اليمن وأنها وصلت إلى مائة ألف » ؟

صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : « الرقم قد يكون قريباً من الحقيقة » .

صوت بروس أوديل يسأل : « هل تستطيع أن تحصل على نسخة من نص كلام « ر » في الاجتماع السري للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي ؟ »

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « أعتقد أن مندوب الأخبار في البرلمان لديه صورة كاملة وسأحصل عليها منه » .

. . . .

. . . .

وانتقلت الى الشريط السادس :

صوت الاستاذ مصطفى أمين يسأل من اللحظة الأولى : هل تم التحويل الى لندن ؟ . وصوت أوديل يجيب : « نعم تم كل شيء والباقي سيتم » .

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « لقد وقع انفجار في مؤخرة المدمرة المصرية « القاهر » . الانفجار وقع داخل المدمرة وقتل فيه عدد كبير جداً من الضباط والجنود . هناك ٤٥ جريحاً كثيرون منهم حالتهم سيئة ، كانت هناك

على المدمرة ذخائر لم تنفجر وألقوا بها في البحر . هذه المدمرة أحسن مدمرات الاسطول البحري » .

صوت أوديل يسأل : « أين وقع الانفجار ؟ في ميناء الاسكندرية أو في أي ميناء آخر ؟ »

صوت الاستاذ مصطفى أمين : « سحبوها من الاسكندرية » .

صوت أوديل يتساءل : غريبة لو كان هذا الانفجار وقع في الاسكندرية وصل الينا من مصادر أخرى لنا هناك .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : اهتمام المسئولين كان ينحصر في الخسائر المادية بصرف النظر عن الخسائر في الارواح .

صوت بروس أوديل يسأل : « متى كان آخر اتصال بينك وبين « ر » ؟ .

وردّ صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : يوم ٢٩ ، وكان قلقاً لاحساسه بتغيير في سياسة الولايات المتحدة تجاه البلاد ، وقال لي إنه منذ شهر أغسطس الماضي حين انتهت خدمة « جون بادو » سفير الولايات المتحدة السابق في مصر ، شعر أن المعونة الامريكية لمصر سوف تقطع ، وأن العلاقات السياسية في عهد كنيدي كانت طيبة مع الولايات المتحدة بعكس العهد الحالي (جونسون) الذي تغيرت فيه العلاقات تغيراً كبيراً . واستعملوا سياسة القوة ولم يقابلها أي تصد من جانب الاتحاد السوفييتي الذي بدا متخوفاً ، وسنكون نحن الضحايا لهذا الخوف » .

ويتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين :

« ر » لم يتصل بي يوم الأحد ٣٠ واتصل بي يوم ٣١ وقال لي انه قابل محجوب (رئيس وزراء السودان) ، وقد تلقى تقريراً قبل هذه المقابلة من محمود رياض (وزير الخارجية المصرية) يتضمن أن محجوب أعرب له عن استيائه من تغلغل العناصر الشيوعية في الصحافة المصرية وخوفه من أن يؤثر

ذلك على الشعب السوداني ، وأنه يعتقد أن المخطط الشيوعي هو الاستيلاء على الثورة السودانية ثم الاستيلاء على الثورة المصرية » .

يتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين :

« محجوب يروي فضائح كثيرة عن تصرفات زعماء الكونجو الثوريين في السودان . وصل منهم بأسلحتهم ٣٠٠ أو ٥٠٠ . هذا الرقم دقيق » .

ودخل صوت الاستاذ مصطفى أمين في تفاصيل من الكونجو وما يجري فيه ، وطلبت الانتقال الى موضع آخر من الشريط تنتهي عنده حكايات الكونجو . . .

صوت الاستاذ مصطفى أمين :

موضوع مهم جداً . « ر » أبلغني في حديث تليفوني أمس أنه تم اكتشاف خلايا سرية في وحدات المشاة بالجيش المصري وأنه لا يعرف ميول هذه الخلايا بعد .

صوت بروس أوديل يسأل : هل قابلت صديقك الكولونيل أخيراً ؟ .

صوت الاستاذ مصطفى أمين يرد : « لا » .

صوت بروس أوديل يقول : هل تستطيع أن تجعل « ر » يشعر أن حكومة الولايات المتحدة مستاءة من الاتجاه الشيوعي الظاهر في الصحف المصرية ؟ ان ذلك سوف يكون مجديا ولكن لا تقل ما هو أكثر » .

ثم تطور حديث الاصوات الى ترتيب اتصالهم بعلي أمين في لندن ومن يقوم بهذا الاتصال وكيف ؟ ويتضح من التسجيل أن الاستاذ مصطفى أمين يكتب خطاباً باللغة العربية يحمله « آرشي روزفلت » [1] الى علي أمين في لندن كدليل تعارف . ويسمع صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : « إن علي

(١) آرشي روزفلت ابن عم لكيرميت روزفلت مندوب وكالة المخابرات المركزية الشهير في الشرق الاوسط . وكان آرشي هو الآخر من البارزين في صفوف هذه الوكالة .

يعرف آرشي روزفلت فقد قابلناه سوياً سنة ١٩٤٤ » .

ويسمع صوت أوديل يقول : ان آرشي روزفلت هو رجلنا الآن في لندن .

وتسمع مرة أخرى خشخشة أوراق . ثم يجيء صوت أوديل يقول :

« أريدك أن توصل بأي طريقة الى « ر » أن ما سوف يدور في مؤتمر الجزائر (القمة الآسيوية الأفريقية) سوف يؤثر على العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ، وأنه يخطىء في فهم طبيعة الرئيس الامريكي. ولا بد أن يفهم أنه من أهل تكساس الذين يتصفون بالعناد وبالجرأة على استخدام القوة » .

ثم يظهر صوت أوديل يسأل : « هل يظنون أن الاتحاد السوفييتي سيزيد مساعدته لهم عندما تضغط عليهم الولايات المتحدة ؟ » .

ويرد صوت الاستاذ مصطفى أمين : « انهم يعرفون أن الاتحاد السوفييتي ليس عنده شيء يعطيه » .

ويعود صوت أوديل يسأل : « هل تستطيع ان ترتب أمرك لكي تحضر مؤتمر الجزائر ؟ ان هذا المؤتمر يهمنا جداً وقد كانوا يفكرون في ارسالي شخصياً الى هناك » .

. . . .

. . . .

وطلبت وضع شريط آخر. أحسست أنني لا أريد أن أسمع بعده أو أقرأ أو حتى أن أظل لحظة واحدة أمام هذه الملفات كلها وأشرطة التسجيل .

بدأ الشريط بصوت الاستاذ مصطفى أمين يقول : « ان مرض السكر يزداد على «ر» . زادت وطأة المرض عليه بعد أن علم بانقلاب الجزائر ضد بن بيللا . كان المرض قد أصابه بعد انقلاب سوريا » .

ويستطرد صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول :

« ر » نفسه قال لي ذلك . انقلاب الجزائر يقلقه . عرف أن الناس في مصر يقولون أن المشير عامر سوف يفعل في مصر ما فعله بومدين في الجزائر .

أنه أرسل عامر الى الجزائر لانقاذ حياة بن بيللا وأرسل معه هيكل لأن هيكل له أصدقاء مقربون في الجزائر مثل محمد حربي وزهوان اللذان اعتقلا في الانقلاب ثم هربا . ومحمد حربي معروف بميوله الشيوعية الصينية ، وزهوان كان وزيراً للدعاية في حكم بن بيللا وأنه زعيم الشيوعية في الجزائر » .

ويتواصل صوت الاستاذ مصطفى أمين :

« ر » مضطرب لسقوط بن بيللا ويقول ان سقوط بن بيللا يعني أنه فقد ذراعه الأيمن في العالم العربي ، « ر » قال لي إن بومدين له صديقة بعثية تؤثر فيه اسمها فاطمة عبد الله . « ر » قال لي ان الصين الشعبية تساند بومدين لكسب الجزائر قبل الاتحاد السوفييتي » .

ثم جاء صوت الاستاذ مصطفى أمين يقول :

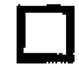
« لديّ معلومات مهمة من « ر » نقلاً عن شوين لاي [1] ، « ر » لاحظ أثناء لقائه بشوين لاي أن كراهيته للاتحاد السوفييتي أكبر من كراهيته للولايات المتحدة ، وهو يقول ان خروشوف كان صريحاً في سياسته في حين أن زعماء السوفييت الجدد يعملون في الخفاء ضد الصين الشعبية في كافة الدول الأجنبية وداخل الصين ذاتها ، وأن روسيا أصبحت دولة امبريالية والروس معجبون بالأمريكيين لدرجة أنهم أصبحوا يقلدونهم ، وأن هناك تواطؤاً سرياً بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة من أجل اضعاف الصين الشعبية ، وأن الصين لديها من الوثائق ما يثبت ذلك » .

وأحسست بأجراس تدق في ذاكرتي .

---

(١) كان شوين لاي رئيس وزراء الصين قد توقف في مصر أيامها في الطريق الى مؤتمر القمة الآسيوي الافريقي الذي كان منتظراً عقده في الجزائر .

كنت أنا الذي قلت هذا الكلام للاستاذ مصطفى أمين أثناء « غداء يوم الثلاثاء » - راح يسألني بالحاح عن مقابلتي لشوين لاي ورويت له طرفاً من حديثنا - فاذا هو في غداء يوم الاربعاء ينقله الى بروس أوديل وينسبه للرئيس جمال عبد الناصر [١] .



وأزحت مقعدي الى الوراء وقمت . وسألني مساعد السيد سامي شرف الذي كان يتولى استبدال الاشرطة وادارة الجهاز « ألا أريد أن أسمع الباقي ؟ »

وهززت رأسي نفياً .

والحقيقة أنني بدأت أحس بنوع من الدوار والغثيان .

ومررت على مكتب السيد سامي شرف أشكره قبل أن أنصرف ، وترك مكتبه وجاء اليّ ينتحي بي جانباً ويسألني : « ما رأيك ؟ » .

قلت : « انني أريد أن أفكر أكثر فيما سمعت وقرأت » .

قال : « هناك موضوع أريد أن أحدثك فيه بصراحة ، وهو موضوع علي أمين » .

واستطرد :

« ألا ترى أن علي ضالع في القضية ؟ أو على الاقل أن اتصالاً تم به ؟ انك أنت الذي توسطت لعلي أمين كي يخرج ، والواجب يقضي عليك بأن تعيده الى هنا » .

---

(١) وثائق هذا كله بما فيها التقارير والأشرطة محفوظة حتى الآن في هيئة الأمن القومي . وحتى سنوات قليلة مضت كان بعضها معروضاً في متحف هذه الهيئة الذي يضم وثائق أهم قضاياها - وقد كان آخر مسئول رسمي راجعها - على حد علمي - هو السيد كمال حسن علي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الآن ، حينما كان رئيساً لهيئة المخابرات العامة . وقد أصر - لآخر لحظة من وجوده في هذه الادارة - على ابقائها معروضة في متحف الهيئة رغم محاولات وضغوط كثيرة راحت تطالب بنقلها الى الأرشيف !

وسألته : « وكيف أفعل ذلك ؟ » .

قال : « فكرت في هذا الموضوع ، واقتراحي أن تبعث اليه برقية تستدعيه الى القاهرة للتشاور . انه بالطبع لم يعرف أن مصطفى قد اعتقل ، فنحن لم نذع شيئاً عن ذلك حتى الآن » .

وقلت للسيد سامي شرف : « إنني مع تفهمي لدوافعه لا أستطيع أن أستدرج الاستاذ علي أمين الى فخ . لا أستطيع ذلك انسانياً ولا مهنياً ولا أخلاقياً » .

وأشهد أن الرجل لم يزد الحاحاً على اقتراحه وسألني :

- « هل تريد أن تتصل بالرئيس تبلغه أنك اطلعت على كل شيء كما أمر ؟ » .

وقلت « انني على موعد معه غدا . وأوثر أن لا أتحدث اليه أو أقابله قبل أن أكون قد فكرت في كل شيء هذه الليلة » .

ولا أعرف كيف حملتني السيارة من منشية البكري الى شارع مظلوم حيث كان مقر الاهرام في ذلك الوقت . بدا لي كل شيء مسطحاً وفارغاً . حتى منظر الشوارع في وسط المدينة بألوانها وأصواتها بدت مجرد صور . وكانت الافكار والخواطر والهواجس في رأسي دوامات ورياحا ومطراً .

وكان عزمي أن لا أبقى طويلاً في الاهرام . نصف ساعة أو ساعة على أكثر تقدير ثم أقصد بيتي أخلو فيه الى نفسي وأحاول قدر ما أستطيع أن أواجه وأبحث وأرتب كل هذا الذي يدور في رأسي .

الفصل العاشر

تأمــلات في المــاضي والحــاضـر

في نصف الساعة او الساعة في مكتبي كانت أمامي شواغل محددة :

أن أعرف من مدير تحرير الأهرام شكل العدد الذي يوشك على الدخول الى المطبعة .

ثم أن أتصل تليفونياً بلندن ـ فقد تذكرت أسرتي لأول مرة في ساعات بدت لي دهوراً طويلة ، واتصلت : أحوال ابني طيبة ، كثيرون جاءوا لزيارته وجاءوا معهم بلعب وزهور وحلوى . الأستاذ علي أمين كان في المستشفى طوال اليوم وانصرف في المساء . ووجدتني تلقائياً أقول في التليفون « انني لن أستطيع القدوم الى لندن يوم الجمعة . . . لقد اطمأننت والحمد لله ، ولديّ في القاهرة عمل يقتضي بقائي » .

ثم رجوت سكرتارية الأهرام ان تقوم بالغاء حجز تذكرة السفر الى لندن لأني عدلت عن السفر .

وخرجت قاصداً بيتي .

والتجأت غريزياً الى مقعدي المألوف في ركن من المكتبة . ثم رحت أتصفح المذكرات التي نقلتها مما قرأته وسمعته بعد ظهر ومساء هذا اليوم الطويل الطويل .

وكانت الأسئلة تتزاحم في خيالي يدفع بعضها بعضاً :

● كيف أستطيع تكييف ما قرأته وسمعته ، مكتوباً في تقارير ومسجلاً في شرائط ـ وعلى أي نحو آخذه ؟

● ماذا هناك في بقية الأشرطة مما لم أسمعه ، وأية مفاجئات ما زالت فيه ؟

● ما الذي دفع الأستاذ مصطفى أمين الى هذا الطريق الوعر ؟ ولأي هدف ؟ ومنذ متى على وجه التحديد ؟

● كيف يمكن ان يتطور التحقيق مع الأستاذ مصطفى أمين والى أين نهايته ؟ ثم ماذا ؟

● ما هي انعكاسات ذلك كله على المهنة ؟ وأي ضرر يصيبها ؟ كان هو دائماً يهاجم من يسميهم بالشيوعيين ويتهمهم بأنهم يعملون لحساب الاتحاد السوفييتي ، وها هو الآن متهم بالعمل لحساب الولايات المتحدة الأمريكية . فأي انطباع يمكن ان يأخذه القارىء او المواطن المصري والعربي العادي عن « الصحفيين » جميعاً ؟ هل يستقر في ذهنه انهم بالجملة « أتباع » ـ بعضهم لروسيا وبعضهم لأمريكا ؟ .

● أي قدر من المسئولية أتحمله وقد دخلت معركة عنيفة بين الصحفيين المحترفين وبين الآخرين الوافدين من الخارج على المهنة . لقد وجدت نفسي طرفاً في اشتباكات لا تنتهي مع التنظيم السياسي ومع عناصر قيادية في النظام لأني حاولت ان أصد غارات الوافدين من الخارج على تخوم المهنة وحدودها . . . أمامهم جميعاً موقفي الآن مكشوف ، ثم الا أستحق ـ عدلاً ـ ان ألام لأني تأثرت باعتبارات شخصية لعلها جرفتني إلى أبعد مما كان لازماً ؟ .

● وعلى ذكر الاعتبارات الشخصية ، والانسانية ، كيف أتصرف مع الأستاذين مصطفى وعلي أمين ؟ وقد يكون التصرف مع الأستاذ مصطفى أمين موضوعاً مؤجلاً لأنه الآن في ذمة سلطات التحقيق ، وأما الأستاذ علي أمين فما هي الا ساعات ثم يكون عليّ ان أقرر ؟ .

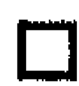
● وتتصل بذلك مسألة دقيقة وهي أسرة كل واحد منهما . لن يكون لدى أسرة كل واحد منهما الا ان تجيء اليّ ، فلقد تعودت بناتهما الأربعة ـ اثنتان لكل واحد ـ على اعتباري في مرتبة العم .

● ثم ماذا أقول لجمال عبد الناصر ؟ لقد صدقني فيما قلت وأجابني الى ما طلبت ، ومن حقه ان يعتب،ومن حقه ان يشك في أحكامي على الناس وعلى الحوادث .

● وأخيراً هل أعفيه من كل حرج وأقدم له استقالتي ؟ وكيف يؤثر ذلك على المهنة ؟ وبالتأكيد فانها سوف تصبح حرماً مباحاً لمراكز قوة أرادت دائماً ان تسيطر على الصحافة ، وهي على استعداد في أي وقت لكي تأخذ البريء بجريرة غير البريء (ولا أقول المذنب ـ ليس بعد) .

ثم ألست بتقديم استقالتي الآن أغامر بوضع نفسي في دائرة لم أدخل اليها وفي مجال لا شأن لي به ؟ .

وفي كل الأحوال ماذا أقول لجمال عبد الناصر ؟ وكيف أواجهه ؟ وبأي لغة أتحدث اليه ؟ .



وحتى طلع الفجر لم يكن قد استقر لي قرار ، وكانت معظم الأسئلة لا تزال تتدافع من داخلي ومن حولي في كل اتجاه .

كان موعدي مع جمال عبد الناصر في الساعة العاشرة من صباح الخميس **٢٢ يوليو ١٩٦٥** ، ولكنني كنت في بيته قبل التاسعة والنصف بقليل . والحقيقة انني قصدت ذلك،فلقد خطر ببالي أن أمرّ أولاً على مكتبه للمعلومات فأسأل اذا كان هناك جديد في مسألة الأستاذ مصطفى أمين ، حتى تكون عندي آخر التفاصيل في الصورة قبل أن ألتقي بالرئيس .

ولم يكن هناك جديد كثير .

كانت هناك بعض المعلومات عن واقعة القبض على الأستاذ مصطفى أمين .

المعلومات تكاد تكون تقليدية في عملية من هذا النوع . الأستاذ مصطفى أمين والمستر بروس تايلور أوديل يفاجآن بوكيل نيابة أمن الدولة وبعض ضباط الأمن القومي يدخلون عليهما بينما هما جالسان في ركن ظليل من حديقة البيت الذي استأجره الأستاذ مصطفى أمين ذلك الصيف في الاسكندرية .

جرى تفتيش بروس أوديل وعثر معه على بعض الأوراق التي كتبها خلال المقابلة . أثناء تفتيشه احتج بصفته الدبلوماسية وأخرج جواز سفره الدبلوماسي ، وسئل عما يفعله فقال انه كان مدعواً الى الغداء مع الأستاذ مصطفى أمين وأنهما تحدثا في « مشاكل العالم » .

وسئل بروس تايلور أوديل عن الأوراق التي ضبطت معه فقال انها تخصه ، وعن الخط الذي كتبت به فقال انه خطه . وبعد التحقق من شخصيته أفرج عنه فاستقل سيارته التي كانت داخل جاراج البيت وانصرف .

وسئل الأستاذ مصطفى أمين فقال ان الأمريكي الذي كان معه هو بروس أوديل من السفارة الأمريكية ، وانه يعرفه جيداً وقابله عدة مرات لأنه مكلف من الدولة بمهام تقتضي منه الاتصال المستمر بموظفي السفارة الأمريكية ، وقال انه يبلغ كل ما يحصل عليه من معلومات للجهات الرسمية .

وكانت هناك أيضاً بعض المعلومات عن محتويات الأوراق التي ضبطت مع بروس تايلور أوديل .

مجموعة من خمس ورقات صغيرة الحجم .

الورقة الأولى منها تحمل قائمة بالأسئلة التي أعدها أوديل قبل المقابلة لكي يسأل فيها الأستاذ مصطفى أمين ، وكانت نصوصها كما يلي :

١ ـ خطاب ٢٢ ـ المحتويات .

٢ ـ هل هناك خطاب في الاسكندرية يوم ٢٦ ؟ .

٣ ـ اليمن ـ العمري ـ ماذا حدث للنعمان ؟ .

٤ ـ السعودية .

٥ ـ التغيير في الحكومة .

٦ ـ مؤامرات الانقلاب .

٧ ـ حالة السخط .

٨ ـ الاتحاد السوفييتي .

٩ ـ الصين .

وكانت بقية الأوراق الأربعة تحوي النقط التي كتبها بروس أوديل بينما هو يسمع الاجابات على أسئلته من الأستاذ مصطفى أمين .

وكانت النقط المسجلة في هذه الأوراق بخط أوديل كما يلي :

يوم ١٩٦٥/٧/٢١ .

الاسكندرية الساعة ١٣:٤٥ .

أولاً : اضرابات .

يوم ١٩٦٥/٧/١٥ اتصل « ر » بـ س.م. (يبدو انه اشارة رمزية للاستاذ مصطفى أمين) في الساعة التاسعة صباحاً .

أ ـ اثنان في القاهرة . . . شركة النسيج ـ شركة الجوت .

ب ـ في يوم ١٩٦٥/٧/١٦ ـ « ر » قال له اضراب في الاسكندرية . . . شركة النقل . لم يدم أي اضراب اكثر من ٦ ـ ٨ ساعات .

سبب الاضراب المطالبة برفع الأجور .

« ر » قال له ـ المشكلة انني منحت أكثر من اللازم في فترة قصيرة أكثر

من اللازم ـ ما هي الأشياء الجديدة التي أستطيع ان أمنحها .

عدة شركات لم تحقق أرباحاً ـ ولكن لا بد من صرف أجور العمال لذلك فهم يقترضون من البنك لصرف . . . للعمال . وهذه الأخيرة لم تحقق أية أرباح .

ثانياً : يوم ١٩٦٥/٧/١٦ .

س . م . قال له كانت هناك اشاعة تقول ان العملة المصرية سوف . . .

« ر » قال له : هذا ليس صحيحاً .

« ر » قال : لماذا أفعل هذا .

« ر » قال : لا أريد أن أصل الى ذلك . انني أعرف ان هناك كميات كبيرة متداولة لانني أقوم بطبعها .

« ر » قال : قد أرتجل خطابي يوم ٢٢ ـ لن يكون خطاباً مكتوباً .

« ر » لا يعرف ماذا يقول .

س . م . قال له الناس مهتمون كثيراً بالشئون الداخلية .

« ر » رد عليه : لديّ تقارير حول أمر ما والناس تهاجمني ـ وكانت فيما مضى تهاجم المتصلين بي ـ والآن تهاجمني أنا . يبدو انهم نظموا أنفسهم لأن ما يقال يقال في القرى وفي المدن وفي الجيش .

انني أفكر في مواجهة . وأن أقوم بالرد على الناس بصراحة يوم ٢٢ .

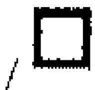
تفيد التقارير : ما هي مصالحنا في الدول الأخرى ؟ لماذا لا نهتم بشئوننا الخاصة ؟ لماذا نصرف الأموال على الدعاية في الخارج ؟ لماذا نتدخل في الكونجو ؟ لماذا توجد قوات في العراق ؟ اذا اتجهت ج . ع . م . نحو شئونها الخاصة فسوف تكون دولة أفضل . لماذا نضيع كل هذا الوقت مع شوين لاي وأيوب خان وسوكارنو وبن بيللا الى آخره ؟ لو كان « ر » يقضي هذا الوقت مع وزرائه لاصبحت الدولة أفضل مما هي .

« ر » قال ان الناس الذين يتكلمون هكذا « أغبياء »، فلو كنا بقينا ساكتين لما استطعنا ان نبني السد العالي ولا جيشاً كبيراً ولا برنامجاً واسعاً من المساعدات الامريكية . واذا كنا نسلك طريقاً واسعاً فذلك لأننا نقوم بأمور كبيرة في الخارج . واذا ما . . . شئوننا الخاصة لتلاشت كل هذه الامور تلقائياً .

« ر » قال له : كل ما يحدث من الخليج الفارسي الى المغرب هو من تخطيط المخابرات الأمريكية .

س.م. سأله : لماذا . . . في فيتنام .

« ر » قال : لانهم لم يتمكنوا من العثور في الأمم المتحدة على أمثال بورقيبة وفيصل . فيصل . . . يريد ان يبدأ .



وفرغت من قراءة تقارير المعلومات التي كانت بين يدي . ثم نظرت إلى ساعتي فوجدت ان موعدي مع جمال عبد الناصر قد أزف . ونهضت صامتاً أعبر الشارع ماشياً على قدمي من سكرتارية المعلومات الى بيت الرئيس .

لم يكف عبد الناصر حتى آخر يوم في حياته عن استثارة محبتي واعجابي .

توقعت كل شيء في لقاء ذلك الصباح الا ما حدث فعلاً . لم يترك لي فرصة، وانما أخذ هو زمام الحديث من أول لحظة دخلت فيها عليه . قال على الفور :

« الوقت يسرقنا ونحن لم نفرغ بعد من اللمسات النهائية لخطاب عيد الثورة ولم تبق عليه غير ساعات . كنت حريصاً على ان تعرف موضوع مصطفى أمين مني أولاً وان ترى وثائقه بالكامل قبل أن تبدي رأيك . أستطيع أن أتصور ما تشعر به ، ولا بد ان تعرف ان كل واحد منا معرّض لهذه التجربة . تثق بشخص وتقف معه وتدافع عنه ثم تكتشف أنك خدعت . المهم ان لا يخدع الانسان نفسه وان لا يتخذ موقف العناد أمام الحقيقة حين

تظهر له . لا تقل شيئاً فأنا أعرف أنك تحتاج الى وقت لكي تستوعب ما عرفته . انني لفت نظرك مرات وليس من حقك ان تفاجأ ، ومع ذلك فلنترك المسألة برمتها للتحقيق ونلتفت نحن لما ينتظرنا اليوم » .

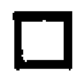
وكانت لديّ تعليقات وملاحظات وأسئلة . وكانت ردوده قاطعة :

● « لم تكن في حاجة الى ان تسألني . ثق انه لن يحدث أي ضغط في التحقيق ، ومع ذلك فما حاجة أي محقق للضغط والوقائع كما رأيت كاملة » .

● « أفهم بالطبع ان عائلات مصطفى وعلي أمين سوف يتصلون بك . وانا لا أخلط بين المسائل ، ولك ان تتصرف انسانياً كما تشاء على ان تزن كل العوامل وتضعها في اعتبارك باستمرار » .

● « لا . لا أستطيع مهما كانت دوافعك ان أسمح لك بزيارة مصطفى أمين الآن . ولست مقتنعاً بكل ما أبديت من أسباب » .

● « ليس هناك ما يدعوك الى أن تفكر على هذا النحو . صحيح انك توسطت لهما عندي أكثر من مرة،لكني أنا الذي استجبت،لك ولم يكن في استطاعتك ان تفرض عليّ شيئاً لولا قبولي به . فاذا كانت هناك مسئولية فأنا المسئول . لا داعي الآن لفرط الحساسية وأنا أطلب اليك من الآن ان تمسك أعصابك لأني أعرف ان هناك من هم على استعداد لاستغلال ما حدث ضدك ، ولا يصح لك ان تعطي أحداً وسيلة للنيل منك دون وجه حق » .



وراحت عجلة الحوادث تتحرك بسرعة . وحاولت قدر ما أستطيع أن أتابع ما يجري دون ان أقترب بأكثر مما ينبغي من مسرح الحوادث .

بدأ الخبر يتسرب ظهر يوم الخميس ٢٢ يوليو .

وتقرر استدعاء عدد من الصحفيين الى سكرتارية المعلومات وابلاغهم بتفاصيل ما حدث واتاحة الفرصة لهم كي يروا ويسمعوا .

وطبقاً لسجلات الرياسة فانه بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو دعي كل من الأستاذ أحمد بهاء الدين والاستاذ فتحي غانم والاستاذ علي الشلقاني والاستاذ محمود أمين العالم والاستاذ أحمد حمروش والسيدة سميرة الكيلاني (من الاذاعة) والاستاذ حسن فؤاد ـ للاطلاع على كل التقارير والوثائق .

ثم تقرر أن يقوم السيد محمود رياض وزير الخارجية باستدعاء السفير الأمريكي في القاهرة المستر لوشيوس باتل وابلاغه باستياء مصر مما جرى، وباعتبار المستر بروس تايلور أوديل شخصاً غير مرغوب فيه . ولم يكن محمود رياض في حاجة الى أن يلح على هذا الطلب الأخير فقد تبين ان السفير الأمريكي طلب من بروس أوديل فور علمه بما جرى بأن يركب أول طائرة ويخرج من مصر . وقد كان .

ثم كتب وزير الخارجية مذكرة عن مقابلته للسفير الأمريكي كان نصها كما يلي :

« وزارة الخارجية [1]

مكتب الوزير القاهرة في ١٩٦٥/٧/٢٢

السفير الأمريكي مستر باتل :

ـ استدعيته الساعة ١٥:٣٠ اليوم وأبلغته بموضوع القاء القبض على مصطفى أمين يوم ٢٠ يوليو في الاسكندرية أثناء تقديمه تقريراً لمستر بروس أوديل الملحق بالسفارة الأمريكية .

وانه تبين من التحقيق الأوّلي ومن الأوراق التي ضبطت ان مستر أوديل قد وجه أسئلة بخط يده الى مصطفى أمين وان المعلومات التي قدمها له الأخير كانت تتضمن معلومات سياسية وعسكرية تمس أمن الدولة وسلامتها .

---

(١) صورة مذكرة وزارة الخارجية وعلى أوراقها الرسمية في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٥) .

ـ كما أبلغته أنه قد تم الافراج عن مستر أوديل بعد التحقق من صفته الدبلوماسية .

ـ ذكر السفير انه علم بالحادث ليلة أمس وكان أوديل في اجازة ، وانه قابله صباح اليوم وفهم منه ان تواجده بمنزل مصطفى أمين بالاسكندرية كان بغرض الزيارة .

ـ أوضحت له ان زيارة الملحق الأمريكي لمصطفى أمين لم تكن زيارة عادية حيث ان مصطفى أمين كان يقدم له تقارير أسبوعية .

ـ ذكر السفير بأنه قد صدم بالحادث ورجا ان لا يترك أي أثر على العلاقات بين البلدين التي يعمل على تدعيمها .

ـ وذكر انه سيقوم باجراء تحقيق في الموضوع .

ـ وأضاف ان بعض وكالات الأنباء الامريكية علمت بالموضوع . وفي اعتقاده انه قد تصلها معلومات عن استدعائه لوزارة الخارجية كما يحتمل ان توجه اليه أسئلة بخصوص استدعائه هذا ، وان اجابته ستكون في هذه الحالة ان وزير الخارجية أبلغه بالحادث .

ـ وافقت على هذه الاجابة ثم ذكرت له ان أمثال مصطفى أمين لا يمكن ان يكونوا مصدر معلومات دقيقة ، وانما يختلق هؤلاء بعض القصص والروايات من أجل المتاجرة بها .

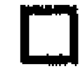
ـ وأضفت ان السيد الرئيس عندما يتحدث الى الشعب فانه يتحدث بصراحة تامة عن مشاكلنا الداخلية وعن سياستنا الخارجية ، ولذا فان أي جهد يبذل للحصول على ما يسمى بالمعلومات السرية هو جهد ضائع .

ـ كان السفير في حالة ضيق واضطراب ، وكرر أكثر من مرة رجاءه أن لا يتسبب هذا الحادث في خلق توتر في العلاقات بين البلدين .

وزير الخارجية

محمود رياض »

وأضاف السيد محمود رياض الى تقريره المكتوب ملاحظات شفوية أبلغها الى مكتب رئيس الجمهورية منها ان السفير الامريكي ذكر له انه لم يقابل الاستاذ مصطفى أمين على الإطلاق لأنه هو شخصياً يفضل التعامل المباشر والعلني وأنه ليس في حاجة الى أن يشرح له ـ لوزير الخارجية ـ الظروف العملية التي تمارس تحتها أجهزة الدولة ـ أي دولة ـ نشاطها الظاهر او الخفي .



ولم تمض على هذه المقابلة أكثر من ساعة حتى أذاع مكتب الدكتور عبد القادر حاتم وزير الارشاد القومي وقتها بياناً نصه كما يلي :

« تم القبض يوم ٢١ يوليو ١٩٦٥ على الصحفي مصطفى أمين أثناء مقابلته مع بروس تايلور أوديل الضابط بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والذي يعمل تحت ستار ملحق بالسفارة الأمريكية بالقاهرة .

وكان الصحفي مصطفى أمين عميلاً للمخابرات الأمريكية يقدم لها معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية تضر بأمن البلاد وسلامتها .

وقد قدمت المخابرات العربية لنيابة أمن الدولة قبل القبض على مصطفى أمين كل الوثائق التي تثبت أنه عميل للمخابرات الأمريكية .

وقد أفرجت نيابة أمن الدولة عن بروس تايلور أوديل بعد استجوابه واثبات شخصيته الدبلوماسية ، وتواصل النيابة تحقيقها . »

ثم أذاع مكتب النائب العام بياناً بهذا المعنى أضيف الى البيان السياسي الصادر عن وزير الارشاد القومي .

واجتمعت اللجنة الدائمة المتفرعة عن مجلس الأمن القومي وبحثت القضية من جوانب مختلفة.وكان بين قراراتها ضرورة اخطار المتصلين بمصر في بيروت ببعض التفاصيل عن الموضوع . فقد كان مؤكداً ان بعض الصحف اللبنانية سوف تثيره . وهكذا أرسل السيد سامي شرف (سكرتير الرئيس للمعلومات ، وهو في نفس الوقت سكرتير اللجنة الدائمة لمجلس الأمن

القومي) برقية شفرية للسفير عبد الحميد غالب سفير الجمهورية العربية المتحدة في بيروت تتضمن بعض المعلومات التي طلب ابلاغها الى السيد محسن ابراهيم وكان وقتها أمين جبهة القوميين العرب (التي تفرعت منها فيما بعد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) . وكان نص البرقية الموجهة الى السفير عبد الحميد غالب كما يلي :

٧٣٨ مستعجل للغاية [١]

من السيد / سامي شرف
الى السفير عبد الحميد غالب (بيروت) .

سري جداً

أرجو ابلاغ الأخ محسن فوراً بالمعلومات التالية ولا مانع من استغلالها على أوسع نطاق ونشرها (٠) بخصوص القبض على مصطفى أمين (٠) مراقب من المخابرات العامة من مدة طويلة وكان يعقد اجتماعات أسبوعية مع ممثل المخابرات الأمريكية في القاهرة وكان يعطيه تقارير أسبوعية سياسية ويأخذ منه تعليمات (٠) جميع هذه الجلسات مسجلة لدينا (٠) كان يأخذ منهم نقود وكانت تحول باسمه للخارج بواسطة المخابرات الأمريكية (٠) اتضح ان جميع التقارير التي قدمها مصطفى أمين للمخابرات الأمريكية ضد مصلحة الدولة وكذلك التعليمات التي كانت تصدر اليه من المخابرات الأمريكية كلها ضد مصلحة الدولة (٠) كان يبلغ الأمريكان كلاماً على انه سمعه من الرئيس في حين ان الرئيس لا يقابله ولا يكلمه أبداً وهذا الكلام مفبرك (٠) وكان اتجاه هذا الكلام المنسوب الى الرئيس يتضمن استعداء الامريكان على ج.ع.م. (٠) هذه القضية بالكامل منذ أن بدأت مسجلة (٠) نرحب بحضور الأخ محسن للقاهرة للاطلاع على التفاصيل بعد نشر المعلومات الواردة في هذه البرقية اليوم .

سامي » .

---

(١) صورة الرسالة التي صدرت من مكتب الشفرة في الملحق الوثائق في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٦) .



شغلتني وقائع يوم ٢٢ يوليو ـ بما فيها الخطاب الكبير للرئيس في عيد الثورة ـ فظللت في الأهرام الى ما بعد منتصف الليل وحتى صدرت الطبعة الأولى .

وحين بدأت أستعد للعودة الى بيتي تنبهت الى أنني لم أتصل بلندن لكي أطمئن على أحوال ابني . واتصلت قبل أن أترك مكتبي .

وذكرتني المكالمة بأنني مهما حاولت ان أظل بعيداً فان طبائع الظروف تأبى أن تمنحني هذه الراحة .

على التليفون من لندن ـ وبعد الاطمئنان على تقدم صحة ابني ـ عرفت أن خبر ما حدث في القاهرة قد وصل وكان صدمة بالنسبة للجميع .

كان الاستاذ على أمين في المستشفى وسأل اذا كنت قد اتصلت . ولم أكن . وترك لي رسالة عندما أتصل في أي وقت ، ومؤدى هذه الرسالة :

« ماذا يفعل ؟ مع العلم بأنه مستعد لأن يركب أول طائرة الى القاهرة ويجيء لكي يقف مع مصطفى ويدافع عن سمعة الاثنين معاً » .

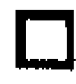
وتركت له رداً :

« انه في موقف يستطيع وحده تقدير عواقبه . لكنه اذا كان مستعداً للقدوم للقاهرة فوراً فان هذه أكبر خدمة يؤديها لمصطفى . مجرد قدومه يثبت اقتناعه بالبراءة . ثم ان هناك مسائل كثيرة يستطيع القيام بها في الدفاع عن مصطفى وفي رعاية شئون أسرة الاثنين معاً » (كانت زوجة الأستاذ علي أمين وابنته منها (منى) في القاهرة لم تصحباه في سفره الى لندن وكذلك كانت في القاهرة ابنته ـ من زوجته الأولى ـ (فاطمة) ـ وكانت هناك ابنتان للاستاذ مصطفى أمين (رتيبة ـ وصفية) تقيمان مع والدتها بعد ان وقع الطلاق بين الأب والأم قبل سنوات) .

وبعد ظهر اليوم التالي ٢٣ يوليو اتصلت مرة أخرى بالمستشفى في

لندن ، وكان الاستاذ علي أمين هناك وقال لي : « انه سيركب الطائرة غداً الى القاهرة » . وهنأته على قراره .

وكانت أسرتي هي التي عادت الى القاهرة في اليوم التالي ، وأما الأستاذ علي أمين فقد قرر ان ينتظر التطورات في لندن . ثم لم يلبث أن أدلى هناك ببيان نشرته بعض الصحف اللبنانية قال فيه : « انه كان يعتزم السفر الى القاهرة ، ولكنه ينتظر تصريح الأطباء الذين يعالجونه من مرض السكر » . وأضاف انه « كان قد أخطر القاهرة وسفارة الجمهورية العربية المتحدة في لندن باعتزامه القدوم الى القاهرة ولكن الاخصائيين الذين يعالجونه من مرض السكر نصحوه بأن يؤجل عودته الى حين تمام شفائه » .



وتتابعت أيام ثقيلة . . . متثاقلة .

وفي مساء يوم ٨ أغسطس كنت مدعواً إلى العشاء مع جمال عبد الناصر في استراحة المعمورة بالاسكندرية ، وخرجنا بعد العشاء نتمشى على شاطىء البحر ونتحدث طويلاً وبعيداً عن كل شيء .

وفجأة قال لي الرئيس :

ـ على فكرة ، سوف أعطيك نسخة من خطاب بعث به مصطفى أمين إليّ .

سوف تذهل من قراءته فهو اعتراف كامل . . .

وسألته عما يقصده « باعتراف كامل » ، وقال انه خطاب بخط يد مصطفى أمين من ستين صفحة ، ثم أضاف « لا أظنك تستطيع ان تقول ان ضغطاً وقع عليه من أي نوع لكي يكتب خطاباً من ستين صفحة . بالضغط يمكن لأحد أن يكتب صفحة او صفحتين ، أما أن يكتب بالضغط ما يكاد ان يكون كتاباً كاملاً . . . ويتفرغ لكتابته أربعة او خمسة أيام ـ فهذا مستحيل » .

ثم استطرد الرئيس :

ـ لكي أكون دقيقاً معك فاني أعتقد انه فوجىء بالتسجيلات وبكمية ما تحتويه من « مصائب »،ثم أنهم طمأنوه الى أقصى حد لكي يعترف . قالوا له فيما أتصور ان خبر القبض عليه لم ينشر وأنه اذا اعترف اعترافاً كاملاً فان الموضوع يمكن ان يكون محل نظر . وقالوا له ان اعترافاً مفصلاً هو الشيء الوحيد الذي يوفر امكانية حصر الضرر الذي يمكن ان ينشأ نتيجة لما قاله لضابط المخابرات الأمريكي ، وقد يساعد هذا على التصرف في القضية » .

وكنت أستمع ساكتاً ـ وقال الرئيس :

ـ عندما نرجع الى المكتب الآن سوف أعطيك صورة من خطاب الاعتراف تقرؤها » .

وبدأنا نعود أدراجنا في الظلام على شاطىء البحر نحو البيت ، وكنا ساكتين وليس من صوت حولنا غير تدافع الموج على الرمل .

ودخل مكتبه في استراحة المعمورة وأنا في انتظاره في مدخل البيت ، ثم عاد يحمل ملفاً ضخماً ناوله لي ، ثم أضاف :

ـ هناك أيضاً مظروف مغلق فيه ورقة واحدة لعلك تقرؤها أيضاً . لا تعلق عليها كثيراً ولا تدعها تؤثر في فكرك . أردتك فقط ان تكون على علم بما يثار » .

وركبت سيارتي والملف الضخم تحت ابطي والمظروف الصغير في يدي . وتحركت السيارة .

ولم يكن صبري قادراً على الاحتمال ، وفتحت المظروف الصغير أستطلع أمره على الضوء الخافت لمصباح السيارة الداخلي ، فاذا هو كما قال لي ورقة واحدة بتوقيع السيد سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات بوصفه مسئولاً في التنظيم السياسي للاتحاد الاشتراكي العربي ـ نصها كما يلي :

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات
تنظيم

أفندم [١]

بدأ يتردد في بعض القواعد في التنظيم ـ حيث أبلغتني بعض الحلقات التي تعمل معي وبعض الحلقات الأخرى ـ ان هناك تيار كلامي جديد بدأ يظهر متعلقاً بقضية مصطفى أمين وهو ان الاستاذ هيكل هو الذي تسبب في الصفح عن مصطفى أمين وعلي أمين أكثر من مرة لأنه لن ينسى أنه تمرس على أيديها والكلام يحمل الاستاذ هيكل ـ ضمناً ـ بعض المسئولية . . .

برجاء التفضل بالنظر .

سامي
٦٥/٧/٢٤

وتنهدت من أعماق قلبي . وبدا لي الصوت الصادر من حنجرتي شيئاً يشبه الأنين .

(١) صيغة توجيه الخطاب كتابة الى رئيس الدولة ، وأظنها لا تزال تستعمل حتى الان في مصر . ولم أستطع قبولها . وطالبت مراراً بتغييرها واعتبار صيغة « سيادة الرئيس » أو « السيد الرئيس » أكثر ملاءمة من كل الوجوه .

(صورة من المذكرة بخط السيد سامي شرف في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٧) .


الجزء الثاني

الاعـــتـــراف

«IPSE Dixit»

(قاعدة في القانون الروماني ـ ترجمتها :

« بنفسه قالها »).



الفصل الأول
الرسالة الوثيقة

كان سهلاً ان أقرأ تقرير التنظيم الذي قدمه السيد سامي شرف الى الرئيس جمال عبد الناصر على ضوء المصباح الخافت في السيارة التي خرجت بي من استراحة المعمورة متوجهة الى الشقة التي أسكنها في ستانلي بالاسكندرية في تلك الساعة المتأخرة من الليل . . . ليل ٨ أغسطس ١٩٦٥ .

لكنه كان صعباً ان أحاول نفس الشيء بالنسبة الى الرسالة التي بعث بها الاستاذ مصطفى أمين الى الرئيس لكي يقول فيها كل شيء .

واعترف انني حاولت ان أقرأ الرسالة على ضوء المصباح الخافت لكني أدركت عقم المحاولة ـ بسبب ضخامتها من ناحية ، وبسبب قوة التركيز المطلوبة لاستيعاب ما فيها وتقدير أهميته ثم خطورته ، وما يترتب على ذلك مما سوف تحمله لنا الأيام .

تركت المحاولة ، فما هي الا ربع ساعة وأصل الى حيث أستطيع ان أجلس وأتعرف على مهمة كنت أشعر مقدماً انها لن تكون سهلة او طبيعية .

وفي الليل وعبر مصابيحه الممتدة على كورنيش البحر والسيارة تمضي في الشوارع شبه الخالية في تلك الساعة المتأخرة ـ كانت خواطري نهباً لمشاعر شتى .

أحاسيس يختلط فيها القلق بالأسى والإحباط . . . وشيء من الاستغراب والحيرة والشك في كل شيء .

وكانت هناك مشاعر وصور تطفو من الذاكرة لتعترض هذه الأحاسيس وتغطي عليها في بعض اللحظات ، ثم تتلاشى معالمها وتغيب .

صور من أول لقاء بين الاستاذين مصطفى وعلي أمين وبيني . ثم مشاهد من حياتنا المشتركة في أخبار اليوم . ثم أطياف لتلك المرات التي كنت أذهب فيها معهما الى بيتهما القديم في المنيل ونجلس نحن الثلاثة حول فراش والدتهما التي كانت مريضة بالسرطان ، ونروح نحكي لها ونسمع منها . ثم تلاحق مناظر سريعة كأنها شريط سينمائي : جالس أوقع شاهداً على عقد زواج علي أمين ، علي أمين يجلس للتوقيع شاهداً على عقد زواجي ، تلك المرات الثلاث التي نزلنا فيها من سيارة واحدة أمام أخبار اليوم عندما كانت المعركة التي تصورناها بين الصحفيين المحترفين وبين الطارئين الوافدين على دور الصحف ، غداء يوم الثلاثاء ، المشي على ضفاف التيمز مع علي أمين في مارلو قبل أيام قليلة .

وتوقفت السيارة أخيراً ، لقد وصلنا .

وصلت الى لحظة رزحت على قلبي طول الطريق . . شاطىء البحر ومصابيح الليل القائمة على امتداده .

لقد جاءت لحظة الحقيقة .

وفتحت الملف الضخم (١) الذي يحوي رسالة مصطفى أمين وراحت عيناي تجريان على السطور :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر (٢) .

اني أشعر اني أسأت اليك وأنني لم أعد جديراً بالثقة التي وضعتها فيّ .

---

(١) للأهمية القصوى لهذا الخطاب الوثيقة فاني أنشره كاملا رغم طوله فقد اتصل الى ستين صفحة بخط الاستاذ مصطفى أمين ولقد رأيت ان بعض ما فيه يقتضي ايضاحات،وفضلت وضعها في حواشي منفصلة عن النص . على اني لم أحاول أكثر من ذلك ، فلم أعلق على كثير مما كتبه الأستاذ مصطفى أمين في رسالته . ولو فعلت لوجدت نفسي أكتب عشرات التعليقات ان لم يكن مئاتها !.

(٢) صورة من صفحات هذا الخطاب بخط يد الاستاذ مصطفى أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم(٨) .

وقد تصورت دائماً انني قادر أن أنتزع معلومات هامة لبلادي ، ولقد سبق أنني جئت اليك بأكبر الأسرار وأخطرها مستفيداً من صلاتي العديدة بالأمريكيين من رجال السفارة الأمريكية والمخابرات الأمريكية . ولقد هيأ لي الوهم أني حر في التحرك ما دمت قد نلت منك الاذن في الاستمرار في اتصالاتي . ولقد كان من السهل القيام بهذه الاتصالات طالما كنت على اتصال يومي بك ، وكان هذا الاتصال المستمر الدائم يجعلني أأمن الخطأ او الانحراف . ثم حدث في الشهور الأخيرة ان قضت كثرة أعمالك ومهام الدولة ان يصعب هذا الاتصال، وبذلك لم أعد قادراً على أن أستأذنك فيما أقول باسمك او عن لسانك أو منسوباً اليك . ولقد سبق ان قلت لسيادتك انني استعمل اسمك في أحاديثي ، وانك اذا رأيت ان المصلحة في أن تكذبني وتكذب كل صلة بي فانني مستعد ان أتحمل بشجاعة تبعة هذا التكذيب . ثم حدث انني شعرت اني أسأت اليك بنسب أحاديث اليك بغير استئذانك وبغير علمك . ثم زاد شعوري بالأسى عندما رأيت في الاجراء الذي اتخذ ضدي انك ترى أنني انحرفت في الطريق الذي تصورت اني أخدم به وطني . ولقد وجدت أن خير طريقة أكفر بها عن خطئي ان أكتب اليك معدداً المرات التي ذكرت فيها اسمك ، ونسبت فيها اليك أفكاراً وآراء معينة معتمداً على انني أستعمل هذه الطريقة في الدردشة لاحصل على معلومات تفيد بلادي كما فعلت قبل ذلك مرات في المعلومات الخطيرة التي حصلت عليها من هذه المصادر وقدمتها اليك منذ قيام الثورة الى اليوم . واذا رأيت ان هذا التصرف يستحق العقاب فانني قابل برضاء ما تراه ، واذا رأيت ان شفيعي حسن نيتي وسلامة هدفي فان الأمر لك على الحالين . ان الذي دفعني الى الكتابة اليك في هذا الموضوع هو ما علمته من ان الدردشة التي كنت أتحدث بها الى مستر بروس أوديل كان يكتبها في تقاريره متوهماً انها تعبر عن رأيك . ولهذا أريد ان أحرص على أن أذكر المرات التي ذكرت فيها اسمك حتى يمكن علاج ما قد يكون حدث نتيجة استخدام اسمك في هذا الاحاديث ، وانني على استعداد ان أعمل ما ترون ولو كان ثمن ذلك التضحية برأسي اذا كانت هذه هي الوسيلة لاصلاح ما أفسدت او ما قد أكون أسأت به اليك في هذه الأحاديث . وانني كنت أتوهم أن في أن

أنسب آرائي وأفكاري اليك ما يزيد أثر حديثي على مصادر معلوماتي . ولقد كنت أعطيهم بضاعة زائفة ، وأحصل منهم فيما أعتقد على بضائع حقيقية . وقد لا ترضيك هذه الطريقة ولكنها كانت دائماً الطريقة الناجحة في الحصول على ما كنت أقدم لك من معلومات .

ولهذا فسوف أحاول أن أعدد بعض ما قلته على لسانك في أحاديثي مع بروس أوديل الملحق السياسي بالسفارة الامريكية بالقاهرة .

ففي حديثي معه يوم الاربعاء ٧ يوليو سنة ١٩٦٥ قلت له عندما تحدثنا عن حادث سقوط الطائرة أنتينوف على بعد ١١ كيلو من السويس ان جميع ركابها قد لقوا حتفهم فيما عدا ضابط روسي تمكن من النجاة ، وان ثمن الطائرة يبلغ حوالي مليون جنيه وان الضابط الروسي الذي نجا رفض التحدث مع السلطات المصرية وتوجه الى السفارة الروسية.وهذه الطائرة هي التي أذاعت السلطات المصرية بلاغاً رسمياً عن سقوطها ووفاة كل من بها .

وعندما تحدث معي مستر بروس عن اليمن وعن أن تأخير القوات المصرية في الجلاء عنها يؤدي الى عدم تجديد المعونة ، قلت له على لسانك ان الفريق أول مرتجى قائد اليمن أبدى أن عملية تطهير الجيوب في جبال اليمن من المتمردين يلزم لها عام كامل ، والرئيس يعتبر فترة العام فترة طويلة جداً .

وعندما جرى الحديث عن أزمة محمد أحمد النعمان رئيس وزراء اليمن السابق قلت على لسانك ان النعمان يريد ان يكون شيئاً كبيراً على حساب الجمهورية العربية ، وانه مصرّ على تنحية الرئيس السلال ، لكن الرئيس مصرّ على بقاء السلال لانه يثق فيه ولا يثق في النعمان ، كما ان القوات المصرية في اليمن لا تثق في النعمان ، وان الرئيس السلال لا يتمسك بالحكم ، وان الرئيس يعتقد ان لسان النعمان مع مصر وقلبه مع فيصل .

وتحدثنا عن موقف السعودية من مصر ، قلت ان الرئيس يفكر في شن حملة صحفية ضد السعودية تبدأ في الصحف اللبنانية ثم تنقلها الصحف العربية ، وقال مستر بروس ان هذه الحملة بدأت فعلاً في صباح يوم الحديث .

وعندما جرى حديثي معه عن الرئيس بن بيللا قلت على لسانك ان بومدين كان على عداء مع ثلاثة من مستشاري بن بيللا هم لطف الله سليمان وهو شيوعي مصري ، وهنري كوربيل وهو مليونير يهودي كان زعيم الحركة الشيوعية في مصر عام ١٩٤٦ وسكرتير تروتسكي . وتحدثنا عن أخطاء بن بيللا ، فقلت له على لسانك ان الجيش الجزائري كان يعارض التسلل الشيوعي في الجزائر ، وان خطأ بن بيللا كان بسبب تركيزه واهتمامه بالشئون الخارجية خلال الاسبوعين اللذين سبقا الانقلاب .

وجرى حديث عن البغدادي [١] فقلت على لسانك ان البغدادي يعتقد انه اذا أتى الى الحكم فسوف يحرق ، أما اذا ظل بعيداً عنه وجرى انقلاب فهو يعتقد ان القادة الجدد سيقدمون له السلطة ، وان الرئيس سوف لا يترك الحكم ، وانه لو حدث انقلاب فان البغدادي سوف يكون في نفس القارب الذي فيه الرئيس .

وجرى حديث عن الاتحاد الاشتراكي فقلت ، ان الرئيس لا يريد ان يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه بن بيللا بأن يظل هذا الاتحاد مجرد مظهر دون صفة .

وجرى حديث عن الحصار على مصر وقلت ان الرئيس يريد الخروج من هذا الحصار وان الزعماء العرب والافريقيين غضبوا لأن الرئيس اجتمع بسوكارنو وأيوب خان وشوان لاي بمفرده دون ان يدعوهم للاشتراك في مباحثاته ، وأنه أوفد محمد فائق [٢] بمهمة ان يطلع الزعماء بأن الحالة سيئة بالنسبة للدول الافريقية والاسيوية وأن الضرورة تدعو الى الاتحاد ، وان الرئيس قلق بالنسبة لمنظمة افريقيا واتحاد مالاجاش ، وان نتيجة هذا الانقسام تقسيم افريقيا الى تجمعات .

---

(١) يقصد السيد عبد اللطيف البغدادي عضو مجلس قيادة الثورة السابق ، وكان قد استقال سنة ١٩٦٤ .

(٢) مسئول الشئون الافريقية في رئاسة الجمهورية وقتها .

وجرى حديث عن الحالة في العراق فقلت على لسانك ان الحالة في العراق سيئة وان أمين هويدي [1] ألغى اجازته ، وان ١٢ وزيراً ناصرياً سيستقيلون ، وانه يخشى ان يحدث في العراق ما حدث في الجزائر ، وان الرئيس يفكر في استدعاء القوات المصرية الموجودة في العراق .

جرى حديث عن الملك حسين فقلت على لسانك انك تلقيت معلومات تؤكد ان هناك عناصر هاشمية طلبت من الملك حسين ان يقوم بتغيير نظام وراثة العرش ، فيجعل أخاه ولياً للعهد، حتى اذا حدث انقلاب في العراق فلن يقبل العراقيون ملكاً أمه انجليزية ، وان حسين يطمع في أن يخلف نظام الحكم في سوريا .

وجرى حديث عن الموقف العربي فقلت ان الرئيس يعتقد أن هناك مخططاً بريطانياً يهدف الى عزل مصر عن بقية العالم العربي ، بما جاء في مشروع الهلال الخصيب والمغرب الكبير بجانب أن السودان في الجنوب قد ضاع ، وبذلك تكتمل حلقة عزل مصر . وأن الرئيس قلق على الحالة في افريقيا كلها .

وتحدث بروس عن خالد محيي الدين وسلمني مجلة لبنانية نشرت مقالاً مطولاً حول ميول خالد محيي الدين الشيوعية ، وقال بروس انه يعتقد ان نهاية خالد محيي الدين قد قربت ، وتساءل بروس ماذا سيكون رد فعل الرئيس عبد الناصر اذا أثبتنا ان خالد محيي الدين عميل شيوعي سوفييتي ، فقلت له ان الرئيس لن يصدق ذلك في خالد محيي الدين . وقال بروس انه منذ ان تسلم خالد محيي الدين منصبه في أخبار اليوم وهو يشك فيه وأنه قام بتحليل كل كلمة كتبها ويعتقد ان الروس اذا أعطوه مقالاً لينشره لهم فسوف يفعل ذلك .

ولقد أعطاني مستر بروس مقال جريدة الصفاء ضد خالد محيي الدين وعن اتصاله بالصين فلم أر أن أرسل لسيادتكم هذه المجلة لأنني أعلم انها

---

(١) سفير مصر في العراق في تلك الأيام .

جريدة مأجورة للغرب ، وفهمت ان الغرض هو الدس لخالد محيي الدين عندكم .

وأذكر جلسة أخرى تحدثت فيها عن مواضيع أخرى من بينها صفقة القمح الروسي وقلت بلسان سيادتكم أنه برغم ان الصفقة لم تكن كبيرة الا انكم أمرتم بالاشادة بها ، وانكم قمتم بالاتفاق بأنفسكم على هذه الصفقة من الاتحاد السوفييتي برغم ان السفير الروسي في القاهرة والسفارة الروسية نفسها كانت ترى أنه من الصعب ان تحصل مصر على كمية من هذا القمح في الظروف الحاضرة وان الولايات المتحدة تقوم بضغط شديد على البلاد الموردة للقمح لتمنع ارسال قمح بالثمن الى مصر . وأفهمته أننا نشعر بأن الولايات المتحدة وراء الصعوبات التي تقوم ضد الاتفاق مع هذه الدول ، وان الاتحاد السوفييتي يكسب بهذه الصفقة عدة أبناط في بلاد افريقيا وآسيا وأن مبادرته الى ارسال القمح لمصر سوف يزيد من هيبته في المنطقة كلها .

وتحدثت معه بشأن انقلاب الجزائر ، وقلت له بلسانك انكم كنتم تتوقعون قيام هذا الانقلاب منذ عامين وطالما حاولتم ان تتدخلوا وتتوسطوا لتوقفوا الخلافات بين زعماء الجزائر ، وان الرئيس في الأسبوع الماضي قال ان الانقلاب كان مفاجأة له . وقلت على لسانكم انكم قلتم لبوتفليقة انكم لا تسمحون باستعمال كلمة الخيانة ضد بن بيللا ، وان الرئيس طلب من علي صبري ان يعلن في البرلمان ان مصر تأكدت من أنه ليست هناك يد أجنبية وراء انقلاب الجزائر . وذكرت له بلسانكم كيف ان خالد محيي الدين اتصل بكم وطلب السماح بنشر خبر بأن السفير الأمريكي في الجزائر نصح الزعماء الجزائريين باعدام بن بيللا ، وان سيادتكم رفضتم ذلك ، وان علي الشلقاني [1] اتصل بأخبار اليوم من باريس وقال ان المخابرات الأمريكية وراء انقلاب الجزائر ، وقلت له بلسانكم ان الشيوعيين يريدون ان يقع خلاف بين

(١) كان الاستاذ علي الشلقاني أحد كبار مساعدي الاستاذ خالد محيي الدين في الاشراف على تحرير أخبار اليوم ، وهو الآن يملك ويدير واحداً من أكبر مكاتب الاستشارات القانونية في مصر .

الجزائر والقاهرة ولكن سيادتكم لا تريدون ان يقع مثل هذا الخلاف ، **وذلك** حتى لا تعزل مصر وتتحقق رغبة الغرب في حصارها . وان الحزب الشيوعي في الجزائر كان في خلاف مع بومدين .

وذكرت له على لسانكم انكم اجتمعتم مع شوان لاي وأيوب خان وسوكارنو ، وانكم حاولتم تسوية الخلاف بين الهند وباكستان وبين أندونيسيا وماليزيا ، وبين الصين والاتحاد السوفييتي ، لأن هذه الخلافات تضعف كتلة آسيا وافريقيا ودول عدم الانحياز وتقوي الغرب ، وان الرئيس يرى انه لولا الخلاف بين الصين والاتحاد السوفييتي لما جرؤت أمريكا على ضرب فيتنام . وان الرئيس يأمل ان يسوي هذه الخلافات ، وان الزعماء أجمعوا على ان كل الخلافات التي تحدث هي من تخطيط الولايات المتحدة . وان سوكارنو يعارض قيام انقلابات يقوم بها الجيش كما حدث في الجزائر حتى لا يحصل له ما حصل لبن بيللا . وان شوان لاي أعرب عن ابتهاجه بانقلاب الجزائر ، وانه قال ان الجزائر لا تعتقل الشيوعيين وانما عملاء السوفييت فقط . وان الرئيس سبق ان نصح بن بيللا بعدم اعدام العقيد الشعباني ، وان الشعباني من أهم القادة المسلمين في الجيش ، ولكن بن بيللا أخطأ باعدامه ، ولو كان بن بيللا سمع نصيحة الرئيس لما حدث له ما حدث،وان الرئيس مكث أربع ساعات في آخر مرة يحاول اقناع بن بيللا بالصلح مع بومدين ، لكن بن بيللا قال ان بومدين أضعف من أن يقوم بانقلاب .

وذكرت له ان الوفد المصري في مؤتمر هلسنكي ، على لسانكم ، انه سيتألف من خالد محيي الدين رئيساً ومجدي حسنين وسيزا نبراوي وانجي أفلاطون والدكتور أحمد خليفة وشخص آخر وهما من غير الشيوعيين بخلاف الأولين . وان الرئيس سوف يتخلص من خالد محيي الدين ويعينه سفيراً في فرنسا ، وكان خالد يريد ان يعين سفيراً باحدى الدول الافريقية ، وان خالد محيي الدين يريد بسفره الى باريس ان يعالج ابنته .

وذكرت له على لسانكم ان معبود الجبالي عين مديراً للطاقة الذرية ، واني أخشى ان يحولها الى خلية شيوعية وان سيادتكم قلتم انتم مش عايزين

الشيوعية لا في الصحافة ولا في التليفزيون أمال عايزهم فين ؟ .

وفي أسبوع آخر في احدى مقابلاتي مع بروس التي كانت تتم عادة يوم الاربعاء جرى حديث عن انقلاب الجزائر وكيف ان سيادتكم علمتم به وتألمتم له كما تألمتم عندما حدث الانفصال في سوريا، وان سيادتكم لا تريدون ان تختلفوا مع كل الدول، وان بن بيللا هو الوحيد في الجزائر الذي كان يقف معنا ، وان الرئيس يرى ان بومدين وطني ولا يناقش وطنيته وان الرئيس قام باتصالات بأصدقائه من رؤساء الدول لانقاذ حياة بن بيللا ، وانه لهذا السبب أرسل عبد الحكيم عامر الى الجزائر .

وقلت عن لسانكم ان العلاقات بينكم وبين عبد الحكيم عامر قوية جداً وانكم كالأخوة ، وأنه لا يمكن ان ينقلب عبد الحكيم عامر على الرئيس وانهم أشبه بأسرة واحدة ، وان عامر يرى ان العلاقات ستحتاج الى بضعة أشهر لتصل الى ما كانت عليه مع بن بيللا ، وان كل الاشاعات التي تذاع عن خلافات بينكم وبين عامر كاذبة لا أساس لها من الصحة .

وقلت على لسانكم ان سوريا بادرت بالاعتراف بالنظام الجديد في الجزائر اغاظة في مصر ، وان الصين سارعت بتأييد النظام الجديد لتكسب الجزائر قبل ان تكسبها روسيا وانه غير صحيح ان انقلاب بومدين انقلاب شيوعي بل هو انقلاب وطني .

وقلت له أن هناك بعض من شمتوا في سقوط بن بيللا، لا كراهية فيه ولكن كراهية في النظام الماضي ، وان الرئيس يعتقد ان هناك منظمة رجعية تقوم بنشر الاشاعات الكاذبة وانه سيقضى عليها ، وقلت على لسانكم ان جبهة التحرير في الجزائر ضعيفة جداً ، وان بن بيللا لم يهتم بها وان تنظيمها أقل من الاتحاد الاشتراكي .

وتكلمنا عن رأي المشير عامر في الحالة في الجزائر بأنها غير مستقرة بعد ، وان زعماء الانقلاب غير متفقين ولا يستبعد حدوث انقلاب ، وان الجزائريين رفضوا ان يفرجوا عن بن بيللا ويذهب الى مصر ، ولا يكون له نشاط ، وان

المشير أحضر معه من الجزائر صحيفة الشعب الجزائرية وقد كتبت عن الزيارة في العمود الأخير من الصفحة الأولى ، ونشر نص برقية الرئيس بتهنئة بومدين في صحيفة داخلية .

وتحدثنا عن الموقف في العراق وقلت بلسانكم ان العراق قد يحدث فيه ما حدث في الجزائر ، وانكم تفكرون في سحب قواتكم من العراق ، واننا سحبنا قوات ولم تبق سوى قوات مظلات . وان الناس في مصر فوجئت بانقلاب الجزائر لأنها كانت تتوقع ان يكون الانقلاب في السعودية او في تونس او في المغرب او في ليبيا . وسألني بروس هل الرئيس قلق ؟ فقلت قلق كثيراً على الحالة في المنطقة كلها .

وانه عندما قابل الرئيس النعمان قدمت له شيكولاته فيها بخت ، وان الرئيس فتح شيكولاتته فوجد فيها (عدو عاقل خير من صديق جاهل) ، وورقة شيكولاتة النعمان فيها (بالصبر تنال المنى) ، وانه عندما عاد النعمان الى صنعاء أسرع اليه المشايخ يسألونه عن النقود التي أخذها من القاهرة .

وأننا عندما ننسحب من منطقة في اليمن ، يضرب اليمنيون في الجيش المصري لانهم لا يريدون ان ننسحب ، لانهم يستفيدون من وجود الجيش المصري في اليمن ، وان شعور النعمان ان لسانه معنا وقلبه مع فيصل .

وقد تحدثنا عن زيارة شوان لاي وقلت له على لسانكم ان هناك ٤٣ دولة تؤيد دخول الاتحاد السوفييتي المؤتمر [١] ، ودول أكثر من هذا العدد تؤيد دخول ماليزيا وان شوان لاي يكره الروس ، وانه كلما قابله شعر ان كراهيته للروس زادت ، وان الصينيين يعتقدون ان روسيا في جيب أمريكا ، وان الصين تتهم روسيا بأن كل الخطط الروسية ضدها تدبر في واشنطن ، وان الفرق بين خروشوف والزعماء الجدد ان خروشوف كان صريحاً في سياسته بينما ان الزعماء

---

(١) مؤتمر القمة الآسيوي الافريقي كان على وشك ان ينعقد في ذلك الوقت في الجزائر ثم تأخر بسبب اصرار الاتحاد السوفييتي على حضوره ثم ألغي بسبب التغيير الذي طرأ على قمة السلطة في الجزائر بحلول بومدين محل بن بيللا .

الجدد يعملون ضد الصين حتى داخل أراضيها ، وان سيادتكم نصحتم شوان لاي بأن لا يهاجم امريكا في خطاباته في مصر حتى لا يحرج مصر .

وجرى حديث عن المعونة الأمريكية فقلت على لسانكم انكم حصلتم على المعونة الأمريكية دون ان تدفعوا أي مقابل سياسي ، خلافاً لما كانوا يقولون من أن أمريكا تطلب شروطاً للمعونة .

وقد جرى في هذا الحديث كلام عن رغبتي في أن أحصل من أخبار اليوم على اجازة طويلة وانني أتمنى اجازة سنة على الأقل وانني غير متفائل من عمل الصحف حتى لو خرج الشيوعيون من الصحافة ، وأتمنى أن أخرج من الصحافة بعد خروج الشيوعيين ، وان أعمل مراسلاً متجولاً . وقلت انني أتمنى أن أحصل على موافقة الرئيس على ذلك . فقال ان مثل هذا يعتبر خسارة ، وانني خدمت العلاقات الطيبة بين أمريكا ومصر ، وقال ان المهم هو سعادتي ، فقلت ان سعادتي هي أن أسافر في اجازة طويلة .

وفي جلسة مع بروس قبل ذلك بأسبوع جرى حديث عن المؤتمر الافريقي الآسيوي ، وقلت على لسانكم انكم متعبون من مقابلاتكم لجميع الزعماء الدوليين الموجودين في القاهرة ، ومحاولة ايجاد حلول للمشكلات في الخلاف بين الهند وباكستان ، وبين ماليزيا واندونيسيا ، وبين الصين والاتحاد السوفييتي ، والمشاكل الموجودة بين الافريقيين أنفسهم ، وانكم ترون انه اذا لم تحل هذه المشاكل قبل المؤتمر فسوف يفشل ،وان الذي يدفع الرئيس لحل هذه المشاكل ان قوته في وحدة المعسكر الافريقي الآسيوي .

وقلت لبروس على لسانكم أيضاً ان المارشال تيتو أرسل لكم رسالة يقترح فيها ان تؤيدوا روسيا في موقفها من فيتنام ، وان تعملوا على أن تؤيد الجزائر والهند هذا الموقف ، وكذلك الدول الافريقية ، وكذلك بالنسبة لبعض المسائل الاخرى وذلك لان روسيا في حاجة الى هذا التأييد نظراً لموقفها السيء بسبب نزاعها مع الصين ، وان تيتو سوف يزور موسكو ويقنع الزعماء الجدد بأن يعطوا معونة ضخمة للجمهورية العربية في مقابل هذا الموقف .

وتحدثنا عن معونة الولايات المتحدة ، وان هناك اتصالات مع الولايات المتحدة بشأنها ، وانكم لا تبنون آمالاً على هذه الاتصالات السرية وان هيكل قد يسافر الى أمريكا،وان السفير الأمريكي معجب بهيكل ويرحب بسفره الى الولايات المتحدة ، وان الرئيس لا يريد الاعتماد على مساعدة الولايات المتحدة لانها اذا شعرت اننا نعتمد عليها وحدها سوف تكسرنا .

وجرى حديث عن الوضع الداخلي فقلت ان سيادتكم مهتمون بتقوية الاتحاد الاشتراكي ومهتمون بالوزارة الجديدة ، وان المرشح لرياسة الوزارة هو زكريا محيي الدين .

وجرى حديث عن الشيوعيين في الصحف فقلت له على لسان سيادتكم انكم اتصلتم بخالد محيي الدين وتكلمت سيادتك معه عن استفحال الشيوعيين في الصحف ووضع حد له .

ثم قلت ان بغدادي يصلح لرياسة الوزارة وان سيادتكم ترون ان بغدادي يريد ان يكون ملكاً ، وان البغدادي استأذن في دعوة عدد من الضباط الى بيته ، وانهم كانوا يتصورون انه سيحدث لهم ما حدث في مذبحة المماليك في القلعة ، وانهم كانوا يضحكون ويقولون هذا كنكتة ، وان الرئيس لو شاء ان لا يحضر أحد من هؤلاء الضباط هذه الدعوة لما ذهب واحد منهم .

وجرى حديث عن مؤتمر الجزائر وقلت له على لسانكم ان مصر أرسلت النقاشين والعمال والبنائين للمساعدة في اتمام بناء المؤتمر .

وقلت له ان النعمان قابل الرئيس وطلب مساعدات مالية لليمن ، وان الرئيس رفض وقال انه ليس عنده نقود ، ولو كان عنده نقود فلا يدفعها لحكومة فيها سبعة من اليمنيين .

وجرى حديث عن الموقف مع أمريكا فقلت له عن لسانكم ان سبب سوء العلاقات بيننا وبين أمريكا هو اسرائيل واليمن والكونغو ، وان الرئيس

استخدم نفوذه كي يعدل أمين الحافظ [1] عن فكرته في شن حرب فورية على اسرائيل حتى أن جريدة الموند كتبت تقول ان عبد الناصر قال ما قاله بورقيبة وانما بطريقة أخرى ، وان الجمهورية العربية أوقفت مساعدتها لثوار الكونغو ، واننا نستعد للرحيل من اليمن ، وبذلك لا يكون هناك سبب للخلاف بين البلدين ولموقف أمريكا من المعونة .

وجرى حديث عن تغيير سفير الاتحاد السوفييتي وان السفير الجديد له علاقات طيبة مع زعماء الاتحاد السوفييتي الجدد بينما السفير القديم كانت علاقته طيبة مع خروشوف فقط ، وان هذا التغيير في مصلحة الجمهورية العربية المتحدة لأن السفير الجديد يتمتع بثقة الحكام الجدد ، وانه بهذا لا يحدث أي تأخير في اجابة طلبات الجمهورية العربية من الاتحاد السوفييتي .

وقلت في حديث عن العلاقات مع سوريا انها سيئة وانه الجمهورية العربية ستقوم بحملة على سوريا ، وان سوريا طلبت منا ان ندفع ايجاراً في مقابل استعمالنا للقاعدة الجوية ، وان عبد الحميد السراج سافر ليقوم بحملة ضد البعثيين في العراق ، وانه ستحدث أحداث في سوريا .

وفي اجتماع قبل ذلك بأسبوعين عرض عليّ أثناء الحديث ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة باللغة الانجليزية وفيها أن انفجاراً حدث في مدمرة مصرية ، وأن عدداً من ضباط البحرية المعارضين لناصر هم الذين قاموا بهذا التدمير انتقاماً منه ، وأن هناك ثورة في عدد من البوارج المصرية ، وأن حوادث تخريب حصلت في بوارج وسفن أخرى تابعة للاسطول المصري .

وقرأت هذه الورقة وأعدتها له .

وقلت له في أثناء روايتي عن أحاديثي مع سيادتكم أنك حدثتني بحزن بسبب وقوع انفجار في المدمرة القاهرة ، وأن هذا الانفجار حدث في الاسكندرية . وكان تعليقه أن هذا غير صحيح ، لانه لو كان هذا الانفجار

---

(1) اللواء أمين الحافظ القائم بأعمال رئاسة الدولة في سوريا في ذلك الوقت .

حدث في الاسكندرية لعرفوا بذلك . ثم شرحت كيف أن كثيراً من الضباط والجنود قتلوا ، وهم ٥ من الضباط وأصيب خمسة وأربعون اصابات سيئة وأن الانفجار حدث من الداخل ، كما أن هذه المدمرة واحدة من أحسن قطعنا .

وتحدثنا عن علاقة الولايات المتحدة بالجمهورية العربية ، فقلت على لسانكم ان أمريكا تسير على سياسة القوة ، وأن الرئيس يخشى من أثر هذه السياسة على مصر والبلاد الاخرى ، وخاصة أن الاتحاد السوفييتي لم يرد رداً قوياً على هذه السياسة العنيفة .

وتحدثنا عن زيارة الاستاذ أحمد محمد محجوب [1] لسيادتكم ، وأن محجوب قال لكم انه متضايق لتغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية ، لان جريدة أخبار اليوم صادرتها الحكومة السودانية لان فيها اتجاهات شيوعية ، وأن الحكومة السودانية احتجت في السفارة المصرية في السودان ، وأن الرئيس قال أنه لا يوافق على تغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية . وأن محجوب قال للرئيس انه يخاف من أن تؤثر الآراء الشيوعية المنشورة بالصحف المصرية على الشعب السوداني . وأن سر الختم [2] سيعتزل رياسة الوزارة ، وأن محجوب سيتولى رياسة الوزارة وأنه سيعين سر الختم سفيرا ، وأنه يخشى لو عين سر الختم سفيرا في القاهرة لأكله الشيوعيون . وأن محجوب قال ان عددا من ثوار الكونغو وصلوا الى السودان بأسلحة لم يستخدموها وأنهم كانوا يتشاجرون فيما بينهم ، وأن أحدهم أرسل الى حكومة السودان مذكرة رسمية يطلب فيها أن تعيد له عشيقته التي خطفها زعيم آخر ، وأن أحد زعماء الكونغو أرسل الى حكومة السودان مذكرة يقول فيها أن سائق سيارة خطف زوجته وهربت مع السائق ومعها ٤٨٠ ك ذهب . وأن الرئيس يرى تنظيم الانسحاب من مساعدة هؤلاء الناس تدريجياً . وأن محجوب عرض ارسال الاسلحة غير المستعملة الى مصر ، وأن الرئيس طلب ابقاء هذه الاسلحة للسودان . وطلب محجوب من الرئيس وضع خطة الانسحاب على أن تنفذها السودان .

---

(١) السيد محمد أحمد محجوب سياسي سوداني بارز تولى رئاسة الوزراة عدة مرات .

(٢) السيد سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان في ذلك الوقت .

ثم أطلعني مستر بروس على مذكرة مكتوبة باللغة الانجليزية على الآلة الكاتبة وفيها :

أن الشيوعية تغلغلت في الجيش المصري .

أن ٧٠ في المائة من الجيش اما نصير للشيوعية أو تحت قيادات شيوعية .

أن الشيوعيين وصلوا الى رتبة كولونيل .

فقلت له أن المعلومات التي عندي هي أنه اكتشفت خلايا قليلة شيوعية في بعض وحدات الجيش وأنه قبض عليها ، وأنني سمعت هذه المعلومات من الرئيس شخصياً . فهز رأسه وأخرج لسانه دهشة من كذب المعلومات التي في هذه المذكرة التي كانت معه .

وقد حدث قبل ذلك بأسبوع أن قلت لمستر بروس أن المشير عامر قال أمام الرئيس وأمامي وأمام علي أمين أنه ليس في الجيش شيوعيون إطلاقاً ويجب أن تعلموا ذلك جيداً .

فأراد بروس أن يرد على هذا الكلام فجاءني في الاسبوع التالي بالمذكرة التي تدعى أنه يوجد في الجيش المصري ٧٠ في المائة شيوعيون أو نصراء للشيوعية أو تحت قيادات شيوعية .

فلما قلت له بأن الرئيس قال إنه كانت هناك خلايا شيوعية قضى عليها ، فتح فمه دهشة وأخرج لسانه لان هذا يخالف ما لديه من معلومات .

وفي هذه المقابلة تحدثت معه عن مقابلتكم لعلي أمين (١) . وعن أنه سيعمل لتحسين العلاقات بينكم وبين لندن . ولكني لم أخبره عن الطريقة الحقيقية التي تم الاتفاق عليها بينكم وبين علي أمين بشأن طريقة المراسلة وهي أن يكتب رسائله لسيادتكم عن طريق هيكل وأن هيكل يسلمها لكم . بل

(١) لم يحضر الاستاذ مصطفى أمين مقابلة الرئيس لعلي أمين ولم ير توأمه بعد مقابلة الرئيس الا للحظات في المطار أمام كل المودعين .

رأيت أن الاسلم أن أذكر له أن الرسائل سترسل لكم شخصياً أو للاستاذ سامي شرف ، وقلت انكم طلبتم اليه أن يعطي رسائله مقفولة الى السفير الذي سيرسلها لكم أو لسامي شرف .

وقلت له ان الرئيس مستعد لتحسين العلاقات مع بريطانيا وحل مسألة التعويضات ، وسيرسل مذكرة بذلك لعلي في لندن . وأن الرئيس يفضل علاقات طيبة مع حكومة العمال . وأن علي أخبر السفير البريطاني بأنه يأمل أن تؤدي رحلة السفير الى تحسين العلاقة بين البلدين .

وأن الرئيس قال لعلي أمين أنكم تعطون الشيوعيين في الصحافة أهمية أكثر مما لهم ، وأنهم في الواقع الآن أضعف مما كانوا عندما خرجوا من المعتقل ، وأنهم منقسمون فيما بينهم ويتكالبون على المناصب أكثر من اهتمامهم بنشر الشيوعية . وأن الرئيس قال ان الشعب يكره الشيوعيين المصريين وأن كل فائدتهم أنهم جسر بيننا وبين الاتحاد السوفييتي ، ويعودون بالفائدة في اغاظة أمريكا . وأن الرئيس لا يريد أن يخاطر مع الغرب ، وأنه لا يريد أن تسوء العلاقات مع روسيا . أي أن الرئيس لا يريد أن يكون تحسين علاقاته مع الغرب على حساب علاقاته مع الشرق ، بل انه يرغب في علاقات طيبة مع المعسكرين . وأن علي أمين سيقوم بالسفر الى فرنسا وألمانيا الغربية لنحصل على مساعدات منهما حتى نخفف الأزمة . لان قطع المعونة الامريكية أرهق مصر .

وجرى حديث مع بروس عن موقفنا من بريطانيا في الخليج العربي واليمن وقلت له على لسانكم أن الرئيس على استعداد أن يهدىء الحالة ، ويصل الى اتفاق مع بريطانيا باستخدام نفوذ مصر على شعوب المنطقة ، بشرط أن توقف بريطانيا مساعدتها للملكيين ضد الجمهوريين في اليمن . واذا توقفت بريطانيا عن هذا التدخل فان مصر مستعدة أن تسحب قواتها من اليمن ، أو تحل محلها قوات من القيادة العربية المشتركة . وأن الرئيس قال انه لا يريد أن تستخدم القاعدة الجوية الموجودة في ليبيا ضد مصر .

وجرى حديث مع بروس عما تقوم به المخابرات الامريكية في المنطقة ،

وذكرت على لسانكم أنكم تعتقدون أن المخابرات الامريكية تقوم بنشاط ضد مصر في كل المنطقة وأنها هي التي أسقطت الناصرية في انتخابات ليبيا ، وأسقطت الناصرية في انتخابات السودان ، وأنها تسيطر على جيش الملك فيصل في السعودية ، وأنها أقامت حصاراً حول مصر ، وأنها تسيطر على الحكم في تونس ، وأنها هي التي أقامت الحصار حولنا من السعودية ومن ليبيا ومن السودان ومن المغرب ومن تونس .

وتحدثنا عن الحالة في اليمن والعراق ، وأن لبنان يقف علنا مع الغرب . وجرى حديث عن استعمال أمريكا للقوة ، وأن الهزيمة في الكونغو كلفتنا كثيراً ، وأنه يجب جعل روسيا تقف موقفاً حاسماً في فيتنام كالموقف الذي وقفته سنة ١٩٥٦ حين هددت بتدمير باريس ولندن . واذا كان الروس يقفون هذا الموقف في فيتنام فكيف يقفون اذا تعرضت مصر لمثل هذا الخطر . وتحدثنا في هذا المعنى الذي سبق لسيادتكم أن خطبتم فيه في احدى خطبكم وأشرتم اليه .

وتحدثت اليه عن حضور الرئيس عارف الى القاهرة وأن الرئيس كلف ١٠ أطباء بفحصه وأنهم يعتقدون أنه مريض بالسرطان وأن من رأي الاطباء أن يجري الدكتور تانر هذه العملية الخطيرة . وانني عندما رأيت عارف في القصر الجمهوري لاحظت أنه مريض فعلاً وأن هذا هو السبب في زيارة عارف .

وقبل ذلك بأسبوع اجتمعت مع بروس وجرى حديث عن اخراج حلمي سلام من الجمهورية وقلت ان السبب أن حلمي سلام نشر كلاماً على لسان سيادتكم عن مقابلتكم لماكلوي مندوب رئيس جمهورية أمريكا وكيف أنه هدد بقطع المعونة ، وأنكم قلتم له اننا لا نريد معونة ، وأن سيادتكم غضبت من أن يروى على لسانكم موقفاً بطولياً لم يحدث ، وأنك لست في حاجة الى بطولات زائفة ، لان ماكلوي لم يهدد بقطع المعونة ، وأن سيادتكم لم تقولوا له هذا الكلام .

وتحدثنا عن الميزانية ، وذكرت لبروس على لسان سيادتكم أنه سيخصص مبلغ ١٧ مليون جنيه ومبلغ عشرين مليون جنيه في الميزانية القادمة

لشراء قمح ، وأن هناك فكرة لخلط الخبز ورفع ثمن البترول وأنه على مكتبكم اقتراحان من وزير التموين بهذا الشأن لم تأخذ بأحدهما بعد ـ الاول رفع ثمن الخبز أو خلطه قمحاً وذرة دون اعلان ذلك ، والثاني رفع ثمن منتجات البترول .

وجرى حديث عن السد العالي وتحدثت على لسان سيادتكم بأننا باحثنا الاتحاد السوفييتي لاختصار المدة .

وتحدثنا عن وقف موسى صبري في أخبار اليوم وأن سبب وقفه هو أن الرئيس رأى أنه كان عليه أن يمتثل للاوامر ولا يتحداها .

وأن علي أمين قابل السفير البريطاني .

قبل ذلك بأسبوع جرى حديث مع بروس بشأن المعونة الامريكية وعن مقابلة السفير الامريكي للدكتور القيسوني ، وقلت على لسان سيادتكم أنكم غير متفائلين من أن الامريكيين سيستأنفون المعونة ، وأننا سوف ندبر أنفسنا على أسوأ الاحتمالات،أي أن أمريكا لن تستأنف المعونة،وقد قلت لبروس أنه في حالة توقف أمريكا عن اعطائنا القمح فان الرئيس سوف لا يسكت على هذا ، بل سوف يرد على ذلك بالالتجاء الى الكتلة الشرقية .

وجرى حديث عن اليمن ، وقلت له ان من رأى سيادتكم أن مسألة اليمن وحربها لن يكسبها أحد وأن الرئيس يعمل للوصول الى حل يبقي على هيبة الجيش المصري وسط الرأي العام العربي،وأن الانسحاب يجب أن يتم بطريقة مشرفة لمصر ، وأن الرئيس يعمل على الوصول الى حل لهذا الموضوع في اجتماع مؤتمر القمة العربي .

وجرى حديث عن العدوان في سان دومينجو [1] ، وذكرت لبروس على لسان سيادتكم أن الاتحاد السوفييتي طلب منكم في رسالة حملها السفير

---

(١) كانت الولايات المتحدة قد قامت بعملية غزو لسان دومينجو أثارت عاصفة في أمريكا اللاتينية وفي العالم الثالث .

السوفييتي تأييد قضية العدوان على سان دومينجو في مجلس الامن عندما تثار بنفس الطريقة التي أثير بها العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ ، وأننا لم نتدخل تدخلاً مباشراً في أزمة سان دومينجو .

وجرى حديث عن موقف العرب من ألمانيا الغربية ، فقلت على لسان سيادتكم أن الاتفاق تم بأن يبدأ العراق بقطع العلاقات ، وأن العراق سيعهد الى سفارة سويسرا في بون بشئونه ، والذي سيتولى رعاية مصالحنا أفغانستان . وكان كثيرون قد تصوروا أن الرئيس عبد السلام عارف خالف اتفاقه مع الجمهورية العربية وسبقها بقطع العلاقات .

وجرى حديث عن الحكومة فقلت على لسان سيادتكم أنكم ترون أن هناك أموراً لا تعجبكم وأنها كثيرة في الحكومة التي تسير سيراً سيئاً ، وأن الشعب يريد حكومة قوية .

وجرى حديث بخصوص شراء أسلحة من روسيا وقلت له على لسان سيداتكم أنكم طلبتم من المشير عبد الحكيم عامر تخفيض نفقات الجيش لأن البلد تواجه صعوبات وأنكم ذكرتم أن هناك بعثة ستسافر لشراء أسلحة من الاتحاد السوفييتي وأنها سافرت بغرض حضور احتفالات الذكرى العشرين في موسكو. وكان ذلك ايضاحاً لموقفنا وأننا دبرنا أنفسنا على أساس أن لا نأخذ معونة من أمريكا وأن الاتحاد السوفييتي سوف يعطينا ما نحتاجه من أسلحة بأقل من قيمتها نتيجة لموقف أمريكا منا .

وقبل ذلك بأسبوع اجتمعت ببروس وقلت له أننا سنرسل علماء الى الصين ، على لسان سيادتكم ، وأننا سوف نصنع القنبلة الذرية ، وأنه تم الاتفاق على ذلك في زيارة شوان لاي .

وجرى حديث عن معونة القمح من أمريكا وادعاء الولايات المتحدة بأننا لم نطلب منها قمحاً ، وقلت على لسان سيادتكم أنكم تعمدتم في خطابكم أن تقولوا أننا طلبنا قمحاً من الولايات المتحدة ، لان مسئولا أمريكيا صرح في

الولايات المتحدة بأن مصر لم تطلب قمحاً ولهذا لم تعطها أمريكا ، وأن الرئيس أراد أن يقطع الحجة على هذه الدعوى .

وهناك ملاحظة وهي : تعلمون سيادتكم بأن الامريكيين يستعملون في أحاديثهم الحروف الاولى من أسماء الاشخاص والاشياء أو ألقابهم ، وقد كان يحدث في بعض الاحيان أن نذكر اسمك بحرف R وهو الحرف الأول من كلمة ريس ، وأحيانا نقول الريس ، وأحيانا نذكر اسمك P وهو الحرف الاول من كلمة President ، وفي بعض الاحيان ذكرت اسمك N وهو الحرف الاول من كلمة ناصر ، وان كان على ما أذكر أن في كل ما كتبته فيما تقدم أشرت اليك بحرف R ، وفي مناسبات أخرى كنت أشير الى الاشاعة باسم R ، والى الرجال المسئولين باسم R أيضا Responsible People .

وقد كانت المقابلات بيني وبين بروس تحدث في بيتي ، ونتناول الغداء يوم الاربعاء من كل أسبوع ، وأحياناً كان يتغير اليوم فيصبح الثلاثاء أو الخميس ، وقد تمت بعض المقابلات في مكتبي بأخبار اليوم .

وهناك بعض الأمور التي دارت بيننا في أحاديثنا في فترات لقائنا قبل ذلك ، ولا تسعفني ذاكرتي في أن أحدد تواريخها أو تتابعها بالضبط بسبب ابتعاد المدة .

فقد حدث في احدى المرات أن سألني بروس ماذا يحدث اذا أصيب الرئيس جمال عبد الناصر في حادث [1] فقلت له أنه اذا حدث شيء من هذا للرئيس عبد الناصر فسوف تتحول مصر مباشرة الى بلد شيوعي ، بل انني أخشى أن المنطقة كلها سوف تتحول الى الشيوعية ، لان جمال عبد الناصر يمثل الحاجز أمام البلاد العربية الذي يمنع الشيوعية ، فقال انه سمع أنه يوجد في الجيش شخصيات قوية يمكنها أن تقود البلاد في حالة اختفاء جمال عبد الناصر ،

---

(١) ترد هنا على لسان بروس أوديل وطبقا لما كتبه الاستاذ مصطفى أمين اشارات متعددة لاختفاء جمال عبد الناصر بالموت أو بالاغتيال وهي اشارات ملفتة للنظر !

فسألته عن أسماء هذه الشخصيات التي يقول عنها فلم يذكر اسماً واحداً .

والغريب أنه عاد في مقابلة بعد ذلك بأسبوعين أو ثلاث ، وعاد يفتح الموضوع ويقول انه لا يفهم كيف أن اختفاء جمال عبد الناصر من الميدان سوف يؤدي الى أن تقع البلاد العربية في الشيوعية ، فقلت له انه اذا كان اختفاء جمال عبد الناصر نتيجة حادث اغتيال حتى لو كان القاتل مصري ، وهذا ما أستبعده ، فان المصريين سيعتبرون أن الامريكيين أو الغرب أو اسرائيل بالاتفاق مع الغرب هي التي دبرت هذا الحادث ، وسوف تكون النتيجة الاولى حدوث مذبحة في كل المنطقة ضد الامريكيين والغربيين كلهم ، وأن الذي أعلمه من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً أنه ألف جهازاً سرياً تحت الارض مهمته أن يقوم بالانتقام في حالة حدوث مثل هذا الحادث أو ما يشابهه . الذي يحدث أنه ستقوم المذبحة أولا ، ثم تجيء الفوضى ، وفي رأيي أن القوى الشيوعية المختفية والمفترقة ظاهرياً سوف تتجمع وستحدث انقلابات شيوعية في كل البلاد العربية .

فسألني بروس هل أعرف من هو رئيس هذا الجهاز السري المشرف على حوادث الاغتيالات فقلت له انني لا أعرفه ، والمعلومات التي لديّ من الرئيس أن احداً من رجاله لا يعرف أسماء هؤلاء الاشخاص ، وأنني حاولت أن أعرف من الرئيس اسم هذا الشخص فلم أستطع. وقد قال لي الرئيس مرة أن هذا الشخص ليس وزيراً وليس ظاهراً ولا يعرفه أحد حتى ولا نواب رئيس الجمهورية . فقال بروس معنى هذا أن هذا الرجل هو الذي سيخلف جمال عبد الناصر اذا حدث له شيء . فقلت له ان الذي علمته من الرئيس أن مهمة هذا الشخص هي قيادة هذه العملية السرية في المنطقة كلها في حالة حدوث أي اغتيال للرئيس جمال عبد الناصر . فقال بروس انه يهمه كثيراً أن أعرف اسم هذا الشخص . فقلت انني أعتقد أن هذا صعب جداً .

وحدث مرة أن سألني ـ ولا أذكر هل كان قبل هذا الحديث أو بعده ـ عن كمال الدين حسين وعن أن الاخوان المسلمين يعتبرونه

الزعيم المنتظر . فقلت له أن الذي أعرفه أن كمال الدين حسين متعصب دينيا ، ولكن ليس له أي قيمة شعبية ، وأن الرئيس جمال عبد الناصر قالي لي أن كمال الدين حسين اعترض على الفوائد لانها ضد الاسلام،وانه عارض في القوانين الاشتراكية . فسأله الرئيس،اذا كنت لا تؤمن بالفوائد فلماذا لا تبيع الاسهم التي تملكها ؟ فقال كمال الدين حسين أخشى أن أخسر فيها . وأن الرئيس قال اذا كان كمال الدين حسين لا يريد أن يخسر بضعة جنيهات فكيف يجيء ويطالب بالغاء الفوائد ؟

وقال بروس في احد الاجتماعات أنه تلقى معلومات بأن علي صبري شيوعي وبأنه هو الذي يتجه بمصر الى الشيوعية . فقلت له ان الذي أعلمه أن علي صبري ليست له أي سياسة خاصة به ، وأنه لا يمكن أن تكون له أي اتصالات بالشيوعيين بغير علم الرئيس جمال عبد الناصر،وأن الرئيس يحبه لأنه يعرف كل تفاصيل مسائل الوزارات منذ أن كان يعمل مديراً لمكتبه .

وقال بروس في مرة أخرى ان الشيوعيين يقولون ان علي صبري هو الذي يساعدهم ، وانه هو الذي اختار الوزراء ذوي الميول الشيوعية في الوزارة . فسألته عمن يعتقد أنهم شيوعيون في الوزارة فذكر اسم الدكتور نزيه ضيف واسم الدكتور خلاف ، وقال ان كمال رفعت حوله عدد من الشيوعيين .

وقال لي بروس انه علم بأن الرئيس جمال عبد الناصر قرب له في المدة الاخيرة صلاح دسوقي ، وأنه أصبح يعتمد عليه في المسائل الخارجية ، وأنه يثق به في الجهاز ، وأنه اختاره في عدة عمليات سياسية هامة ، وأن هناك أخباراً تقول انه الرجل القادم . وتصادف أن نشرت جريدة الاهرام كاريكاتورا هاجمت فيه بعنف صلاح دسوقي ، فأعطيته عدد الاهرام وقلت لو أن المعلومات التي لديك عن صلاح دسوقي صحيحة لما قبل هيكل نشر مثل هذا الكاريكاتور .

وقال لي بروس مرة انه سمع اشاعة بأن عدداً من قوات اليمن ترغب في

العودة ، وأنها تمردت في اليمن وأقيمت محاكمات في اليمن وصدرت أحكام عنيفة جدا ضد عدد من الضباط . فقلت له ان الرئيس جمال عبد الناصر أخبرني بأن الضباط تخانقوا على الذهاب الى اليمن وأنهم يستفيدون مادياً من هذا السفر ، وهناك أوامر باعطاء سيارة نصر وشقة ووظيفة لكل عائد من اليمن .

وذكر لي بروس أن الولايات المتحدة عقدت اتفاقا سريا مع المملكة السعودية بأنه في حالة ما اذا دخلت القوات المصرية أرض السعودية تحركت الطائرات الامريكية فورا لضرب الجيش المصري . فقلت له انني علمت من الرئيس جمال عبد الناصر بأنه أصدر تعليمات الى الجيش المصري بعدم ضرب الأراضي السعودية .

وعند سقوط خورشوف ، أو بعد ذلك بفترة لا أستطيع تحديدها ، قال لي بروس أن تعليمات سرية صدرت من واشنطن بأن أمريكا قررت استعمال القوة ، وأن الحالة في داخل الاتحاد السوفييتي تسمح لها باتخاذ هذه السياسة دون خشية من رد فعل الروس ، وأن لديهم معلومات سرية بأن الروس لن يتحركوا ، وسوف يكتفون بالاحتجاجات . وذكر لي مرة أخرى بأن حكومة الولايات المتحدة ثائرة لاسلوب الكتابة في الصحف المصرية ، وأنه أسلوب شيوعي في الكتابة ، وأن واشنطن حللت أسلوب الكتابة في الصحف المصرية فوجدتها أشد روسية من جريدة برافدا .

فقلت له ان الرئيس جمال عبد الناصر قال لي انه يعرف أن الولايات المتحدة غيرت سياستها بعد وفاة كنيدي ، وأنها أصبحت تلجأ الى استعمال القوة ، وأنه سبق وأصدر أوامره للجيش المصري بعدم عبور السعودية ، برغم الحاح اليمنيين في ضرورة ذلك ، وأن الرئيس فعل ذلك قبل أن يعرف أن أمريكا لجأت الى سياسة القوة . وقلت له ان البلد غير شيوعي وان المقالات الشيوعية التي يكتبها الشيوعيون تحدث رد فعل عكسي في الرأي العام المصري ، وأن الرئيس جمال عبد الناصر قال لي انه مسرور لانكشاف الشيوعيين المصريين أمام الرأي العام وأنه يعلم أن الناس تمقت الشيوعيين .

وقد قابلت الاستاذ سامي شرف وأبلغته ما سمعته من أن الأمريكيين

مستائين من أن الصحف المصرية تهاجم أمريكا بعنف ، وقلت له ان السياسة الامريكية تغيرت . فقال سامي اننا نعرف ذلك من قبل .

وأخبرني مستر بروس بأن الملك فيصل قال انه سيجعل اليمن « مقبرة عبد الناصر » وان فيصل استطاع أن يكسب من حرب اليمن أنه أصلح علاقاته مع الانجليز ، وأن الشيخ حافظ وهبة يقوم بتحسين العلاقات مع لندن ، بينما أن عبد الرحمن عزام يوثق العلاقة مع واشنطن ، وأن أمريكا ساعدت الملك فيصل ضد الملك سعود وأن الولايات المتحدة هي التي شجعته على التخلص من أخيه الملك سعود ، لانه لو بقي الملك سعود سنتين في الحكم لانهار الحكم السعودي كله ، وأن الخطر على الملك فيصل بأن صحته سيئة ، وقال ان زوجة الملك فيصل تكره جمال عبد الناصر لانه صادر عمارتها وأن نفوذها قوي جدا على الملك فيصل .

وهناك موضوعات أخرى تكلمنا فيها أنا وبروس خلال المقابلات بيننا ، فقد سألني بروس ذات يوم هل أعرف شخصا مسئولا في الازهر تثق فيه ؟ فسألته عن السبب . فقال ان الأزهر طلب مساعدة ثقافية من الولايات المتحدة . وأنت تعرف أنهم ليسوا تبع وزارة التربية والتعليم . وأنه يريد شخصاً موثوقاً به لمعرفة معلومات عن هذا الموضوع . فقلت له انه يمكن سؤال الباقوري وهو عنصر طيب ، وانني أرى أن من مصلحة أمريكا منح المعونة للازهر ، دون عمل دعاية كبيرة لهذا .

وحدثني مرة عن كتاب ألفه تيودور هوايت عن الرئيس جونسون ، وكان تعليق بروس أن جونسون يشبه الرئيس جمال عبد الناصر في عدة مسائل وهي أن كلا منهما معتد برأيه وجريء ولا يتراجع . وأنه سيرسل لي الكتاب لارسل نسخة منه للرئيس .

وحدثني بروس عن الحملات التي تشنها الصحافة المصرية على أمريكا ، وأنها تدل على سياسة معينة واتجاه . فقلت له ان هذه المقالات ليست موجهة ضد أمريكا ، وانها للاستهلاك المحلي . وكان هذا تعقيبا على حديث سابق .

فقد أثار بروس لهجة الصحف المصرية وقال انها عدائية إلى أمريكا ، وأن المقالات تترجم وتحلل وتصل الى نتيجة بأن مصر اتجهت الى روسيا ، وأن هذا سيمنع أي أمل في المعونة . فقلت له ان هذه المقالات ليست موجهة الى أمريكا ، وانما هي للاستهلاك المحلي ردا على الحملات الامريكية .

وقد تحدثت معه في أكثر من مرة أنني أفكر جديا في أن أطلب اجازة طويلة من عملي في أخبار اليوم ، لانني مرهق ، ومن رأيي أنه يجب أن أعتزل أي عمل صحفي اداري بعد بلوغي سن الخمسين ، وأنني أفكر في أن أكون مراسلا متجولا لاخبار اليوم ويكون مركزي في بيروت ، ولكني أخشى على حياتي في بيروت ، وقد سبق أن حذرت أن حياتي في خطر في هذه المدينة ، وطلبت منه أن يسأل أصدقاءنا عن آمن مكان في رأيهم ، من وجهة نظر سلامتي الشخصية ، يكون مركزي فيه خصوصا اذا حدث أثناء وجودي خارج مصر أي انقلاب فيها . فقال لي ان هذا يتوقف على القائمين بالانقلاب ، فاذا كان انقلابا شيوعيا فلن يكون مركزك طيبا لا في مصر ولا في أي دولة عربية في الشرق الاوسط . وقلت انني افضل أن يكون مركزي كصحفي متجول لاخبار اليوم مركزه لندن لانني أستطيع أن ألم بالاخبار بحكم معرفتي للغة الانجليزية . وقال لي بروس انك طبعا ستحصل على موافقة الرئيس جمال عبد الناصر قبل أن تقوم بهذا العمل . فقلت انني طبعا سوف أطلب موافقة الرئيس ، ولن أقوم بمثل هذا العمل أو أي عمل الا بعد موافقة الرئيس . وقال لي بروس ان من رأيه أن لا أتقدم الى الرئيس طالبا الموافقة على هذا العمل قبل انتهاء مؤتمر الجزائر ، وقال انه يعلق أهمية خاصة على هذا المؤتمر ، وقال مقترحا أن أحضر المؤتمر في الجزائر ، وذكر أنه يأمل أن يكون في الجزائر .

وقد تطرق الحديث الى الموقف في الصحف بعد خروج الشيوعيين منها ، وقلت انني لا يمكن أن أنتظر حتى يخرج الشيوعيون لاقوم بعملي كمراسل متجول لاخبار اليوم . فقال بروس انك اذا أصبحت مراسلا متجولا لاخبار اليوم في الخارج ، والشيوعيون لا يزالون في أخبار اليوم ، فانهم لن ينشروا أي

مقالة من مقالاتك كمراسل متجول.وسألني ما سيكون الموقف في الصحافة بعد خروج الشيوعيين من الصحف . فقلت ان هذا متوقف على الطريقة التي سوف يتبعها الرئيس في اخراجهم ، واذا كانت هذه الطريقة ستجعل الشيوعيين حتى بعد خروجهم قادرين على الحاق الضرر بي نظرا لموقفي ضد الشيوعية . فقال بروس انه في مثل هذه الحالة فانه يحسن أن أطلب من الرئيس تعييني في وظيفة لها صفة متجولة في الخارج .

ولقد كان بروس دائما يصف الاقامة في بيروت بأنها خطر عظيم ، وأنه من الممكن قتلي في بيروت ببضعة ليرات . وقال لي مرة أن من السهل التصويب عليك ، وكان يردد أن البعثيين أو اليهود أو الشيوعيين يستطيعون أن يرتكبوا جريمة قتلي بسهولة جدا في بيروت . وقال بروس إن اصراري أن أكون مراسلا متجولا في الخارج سيجعله يفتقدني شخصيا ولكن صلاتنا ستستمر ، واقترح بروس أن أكون سفيرا متجولا غير رسمي . وقال ان من الصعب أن أسافر الى الخارج مع وجود أخي علي أمين في الخارج . وذكر بروس أن كل ما يهمه هو سعادتي الشخصية ، وقال لي لقد ساعدت الولايات المتحدة مساعدات عظيمة بغير جدال .

وأذكر في احدى مقابلاتي مع مستر جون سيدر في صيف العام الماضي أن عرض عليّ كشفا بأسماء بعض محرري أخبار اليوم وموظفيه الشيوعيين ، وطلب مني رأيي هل هؤلاء شيوعيون حقيقة أم في ركاب الشيوعيين . فأخبرته برأيي فيمن سألني عنه . وقد أحضر بعد ذلك بروس هذا الكشف وعاد يسألني عن اسم شخص طنطاوي ، وهل هناك اثنان طنطاوي ، ومن هو الشيوعي منهما ، فأجبته على سؤاله .

وحدث مرة أن سألني بروس عن اشاعة القبض على السفير المصري في الجزائر عقب انقلاب الجزائر . فقلت له إن الاشاعة صحيحة . فقال إن السفير لم يقبض عليه ولكن فتش فقط .

وعقب انقلاب الجزائر قال لي بروس معلقا على زيارة المشير أن تصرف

المشير في الجزائر كان بحماقة ، وأنه اعتبر نفسه إلها متعاليا على الجزائريين لدرجة أنهم كانوا يتساءلون من هو عامر هذا . وأنه اذا كان هذا التصرف قد تم بناء على رغبة الرئيس فان تصرف المتعالي هو الذي يسبب الضرر للعلاقات المصرية الجزائرية . وأن الرئيس لا يواجه الحقائق كما هي .

وحدث أن أشار بروس الى مقال مناهض لامريكا نشر في صفحة ٢ بجريدة الجمهورية يوم ٦/٧ وطلب مني أن أتحرى عن كاتب هذا المقال وكيفية وصول المقال الى الجريدة لانه يعتقد أن هذا المقال في صيغته الاصلية ليس صادرا عن قلم مصري ، ولكن مكتوب بقلم سوفييتي ، وهو يريد أن يتوصل الى معرفة من مِنْ السوفييت على اتصال بجريدة الجمهورية ، وأن هذا قد يكون أحد رجال المخابرات السوفييتية ، وذكر أنه عند التوصل الى معرفة المصدر الحقيقي لهذا المقال ، وأنه اذا كان سوفييتيا ، فسيكون هذا برهانا للرئيس عبد الناصر على أن السوفييت يدسون المقال في الصحف .

وفي خلال شهر يونيو أطلعني بروس على صورة للسيدة قدرية صديقة السيد حسن ابراهيم وقد كتب عليها باللغة الانجليزية « نائبة رئيس الجمهورية الجديدة » . فقلت له ان هذه السيدة ليست زوجة حسن ابراهيم ، وأن الرئيس لم يوافق على زواج حسن ابراهيم بها .

وحدث في نفس المقابلة أن قدم لي ورقة زرقاء مكتوبة على الالة الكاتبة الانجليزية جاء فيها :

الكولونيل أحمد
سلاح المشاة

قبض عليه وهو يقود خلايا سرية كبيرة جدا في المشاه ، وله قوة كبيرة » .

وقد هززت رأسي بأنني لم أسمع مطلقا بمثل هذا الاسم ولم أسمع أن هناك خلايا سرية كبيرة ، وكل ما هناك أنه كانت بضعة خلايا سرية ولم تعرف بعد ميول هذه الخلايا .

ومرة أخرى قال لي انه علم أن الدكتور الشحات وطه النمر ومحمد مندور قتلوا في ظروف غامضة ، وأن هذه المعلومات وصلت اليهم عن طريق تقارير قدمت اليهم . فقلت له أن الدكتور الشحات انتحر لمرضه، وأن طه النمر لم يمت ولا يزال حيا ، وأن الدكتور مندور مات بالذبحة الصدرية (١) .

وفي مرة أخرى قال بروس انه يريد أن يعرف سر وجود المشير عامر في المستشفى . فقلت له ان المشير أجرى عملية الزائدة الدودية وأن هذا نشر في الصحف . فقال كنت أتمنى أن تكون العملية أسوأ من الزائدة الدودية . فرددت عليه بأن الذي يقال أنه حدث خلاف بين الرئيس والمشير بسبب مناقشة مصاريف الجيش ، وأنه عقب ذلك شعر المشير بتعب ، وأن الرئيس صحبه الى المستشفى وحضر اجراء العملية .

وقال لي بروس أن الحكومة الامريكية ترغب أن توصل بعض توجيهاتها الى السيد رئيس الجمهورية العربية في قالب يقبله وذلك عن طريقي بصورة مباشرة أو غير مباشرة . فقلت له ان أحسن طريقة لهذا أن أقوم بتبليغ الرئيس ببعض الانباء المبكرة عن التصرفات التي ستقوم بها الحكومة الامريكية حيال مصر ، وبذلك سوف يقتنع الرئيس بأنه على بينة من هذه الامور عندما تنشر بعد ذلك في أمريكا بطريقة رسمية . وقلت له ان الرئيس لن يقبل أي توجيهات من أمريكا اذا عرضت عليه في قالب نصيحة ، اذ أنه قد ضاق صدره بالناصحين الامريكيين .

وكان الامريكيون كما تذكر سيادتكم يقولون عن عبد الحميد السراج انه شيوعي ، وتذكرون سيادتكم أنه أثناء محادثات الجلاء ، بعد العدوان ، في أمريكا أن طلب مني الامريكيون أن أرجو سيادتكم العمل على اخراج عبد الحميد السراج من الحكم في سوريا لانهم واثقون أنه شيوعي مائة في المائة . وأذكر أن سيادتكم هزأتم بهذا الطلب ورفضتموه وقلتم ان عبد الحميد

(١) يلفت النظر تشابه هذه الاشاعات مع ما روج له فيما بعد - وبشدة - وعلى غير أساس - عن قتل الدكتور أنور المفتي بدس السم له .

السراج غير شيوعي وأن الامريكيين مغفلون .

وقد حدث أن قابلت عبد الحميد السراج في شهر مايو ودار حديث معه ، وقد رويته لبروس فقلت ان السراج قلق جدا بالنسبة للشيوعية وانه قال لي أنه عندما يقرأ جريدة الاخبار يشعر أنه يقرأ جريدة شيوعية مائة في المائة وكذلك مجلات آخر ساعة وروزاليوسف ، وأنه يرى أن ذلك ليسيء جدا الى الناصريين في الدول العربية ، ورجاني أن أبلغ هذا على لسانه للرئيس . وأنه منذ عام ١٩٥٩ لم ينضم احد إلى الاحزاب الشيوعية العربية ، ولكن منذ دخلت الشيوعية الى الصحافة بدأت حركة الانضمام الى الاحزاب الشيوعية . وأضاف السراج بأنه رغم أن الرئيس جمال عبد الناصر قال انه يمكنه القبض على الشيوعيين في ساعة واحدة ، الا أن الموقف حاليا قد تغير عن طريق سلاح الصحافة ، اذ تنشأ خلايا شيوعية جديدة لم يتعرف عليها بعد،وأنه عندما دخل السراج سفارة الجزائر في مصر وجد أن جميع المصريين فيها شيوعيون .

وسألني بروس عن صدى مقال عن الرئيس نشرته جريدة نيويورك تيمس وقالت فيه أن عدد الجنود المصريين في اليمن وصل الى مائة الف . وسألني مرة عن أن لديه أخباراً بأن المشير عامر ذاهب الى اليمن في رحلة سرية ، وطلب مني أن يعرف حقيقة هذا الخبر . فقلت له أن الخبر غير صحيح . وأصر أن يعرف مصدري . فأوهمته أنه مصدر موثوق به جدا وأنه شمس بدران . وسألني بأنه علم أن مصر أرسلت قوات اضافية الى اليمن . فقلت ان الذي يحدث هو استبدال القوات بنظام المناوبة أي أن وحدة تسافر وتعود وحدة أخرى . وأوهمته بأن المصدر هو شمس بدران ، بينما أن شمس لم يذكر لي شيئا من هذا ، وانما أردت أن أنفي نبأ زيادة قواتنا في اليمن .

وكان بروس دائم السؤال عن رحلات صدقي محمود ، ولعل ذلك يرجع الى ما سبق أن ادعيته بأننا نقوم بصنع قنبلة ذرية .

وأطلعني بروس على صورة تقرير عن القبض على ابن علي صبري وأن البوليس ضربه كما يضرب الجستابو الضحايا . فأنا قلت ان خبر القبض

صحيح وأن شخصيته لم تكن معروفة للبوليس ، وأن عسكري البوليس عوقب . وجاء ذكر قضية الاستيراد المتهم فيها صهر علي صبري ، وكيف أن السيد مصطفى الهلباوي كتب مذكرة يطعن فيها حكم المحكمة ، وأن حامد محمود مدير مكتب رئيس الوزارة طلب أن يعدل هذه المذكرة ، وأن سلطات حامد محمود كبيرة وأن الوزراء كانوا يجدون من الاسهل أن يقابلوا الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلة حامد محمود .

وكان يسألني كثيرا عن أخبار المشير ويطلب مني أن أتحرى عن بعض الانباء . ومن أمثلة ذلك ما ذكره حول زيارة المشير لليمن واشتراكه في مؤتمر خمروان الذي تم في أيام ٢١ ، ٢٢ و٢٣ . وأنا أفهمته أن الغرض من أسفار المشير الى اليمن أنه يرفع معنويات القوات . وقال ان تحركات المشير واضحة في خلال هذه المرحلة الا أن أيام ٢١ ، ٢٢ و٢٣ أبريل غير معلوم عنها أي شيء ، وسألني عنها ولم أخبره عن ذلك .

وأحب يا سيادة الرئيس أن أروي لكم بأمانة تامة كيف بدأت علاقتي بالامريكيين . ففي سنة ١٩٣٥ عين والدي وزيرا مفوضا في واشنطن ، وسافرت معه وأقمت بالسفارة المصرية في واشنطن . وكنت أرغب في أن أدخل كلية لدراسة الصحافة . ولكن والدي كان يرفض أن أعمل بالصحافة وأصر على أن أدرس العلوم السياسية . ودخلت جامعة جورج تاون في مدينة واشنطن سنة ١٩٣٥ في كلية العلوم السياسية حيث حصلت على ماجستير في العلوم السياسية في عام ١٩٣٨ . وهذه الكلية هي المدرسة التي يتخرج فيها أغلب رجال السلك السياسي في أمريكا ، والذين يتولون وظائف وزارة الخارجية الصغيرة ، اذ أن الوظائف الكبيرة في السلك السياسي الامريكي كانت دائما وقفا على رجال الاحزاب ، ولم يصبح هناك سلك سياسي بمعنى الكلمة يترقى فيه الموظف الى أعلى الدرجات الا بعد الحرب العالمية الثانية عندما خرجت الولايات المتحدة من عزلتها .

وفي أثناء وجودي في واشنطن كانت السفارة المصرية تقيم حفلات يحضرها شبان موظفي الخارجية ، وكنت أدعى الى جميع الحفلات التي يقيمها

السفراء الاجانب في واشنطن . فقد كان اسمي مكتوبا في قائمة الدبلوماسيين في مدينة واشنطن باعتباري ابن السفير المصري .

وفي هذه الفترة تعرفت الى عدد ضخم من شبان وزارة الخارجية ، والى طلبة الجامعة ، وكل هؤلاء أصبحوا يشغلون بعد ذلك أهم مناصب السفارات الامريكية في العالم أو في وزارة الخارجية الامريكية . ولهذا كانت لي علاقات وصداقات مع كثير من الدبلوماسيين الذين كانوا شبانا في عام ١٩٣٥، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ و١٩٣٨ عندما كنت طالبا في جورج تاون .

وبعد عودتي من أمريكا واشتغالي بالصحافة التقيت بكثير من هؤلاء وجددت صداقاتي معهم . ثم حدث في أثناء الحرب العالمية أن حضر كثيرون من الشبان الامريكيين مع جيوش الحلفاء الى مصر . وكانت علاقاتي مستمرة بأصدقائي الذين كنت أعرفهم من قبل.وكان من بين هؤلاء كاي كار وهاي هولت وبرت سميث وماهوني . وكان بعض هؤلاء يعمل في مكتب مستر لندسي وزير الدولة الامريكي لشئون التموين . وفي هذه الفترة أيضا التقيت بآرشي روزفلت وكيم روزفلت [1] . وكان روزفلت يؤلف كتابا عن البترول في الشرق الاوسط .

وكنت ألتقي باستمرار مع هؤلاء جميعا وكنا نتحدث في شئون الحرب وفي كل شئون الشرق الاوسط . وكانوا يسألوني عن آرائي في الشرق الاوسط ، وكانت آرائي تختلف مع آراء الكثيرين منهم . فقد كنت في أثناء الحرب متحمسا لعلي ماهر ولسياسة عدم الانحياز [2] ، وكان رأيهم جميعا أن

---

(١) كيرميت روزفلت كان المسئول الرئيسي لوكالة المخابرات المركزية الامريكية في الشرق الاوسط لسنوات طويلة .

(٢) الواقع أن الاستاذ مصطفى أمين كان مع القصر . ولم يكن علي ماهر يطالب بسياسة « عدم الانحياز » ولم تكن هناك أصلا سياسة « عدم انحياز » بل العكس فقد كان منذ البداية يرى ضرورة أن تطبق مصر معاهدة ١٩٣٦ وأن تعلن الحرب على ألمانيا . وكان بعض وزرائه وفي مقدمتهم عبد الرحمن عزام (باشا) هم الذين أقنعوه بالانتظار وبما عرف وقتها « بسياسة تجنيب مصر ويلات الحرب » ، وقد استطاع بعض هؤلاء الوزراء اقناع السفارة البريطانية بأن مصلحة بريطانيا نفسها تقتضي أن لا تدخل مصر الحرب لكي لا تكون من ذلك ذريعة لألمانيا تضرب بسببها كل المرافق والمنشآت المصرية وكلها كانت في خدمة الجيوش البريطانية .

علي ماهر هو عميل الماني ، وكانوا يذكرون أن مصر سوف تخسر من سياسة عدم الانحياز في الحرب وحاولوا كثيرا اقناعي بأن مصلحة مصر في أن تدخل الحرب الى جانب الحلفاء ، ولكني لم أقتنع بهذا الرأي .

وكنا في أيامها نهاجم سياسة الانجليز وحادث ٤ فبراير ، وكانوا في تلك الايام يؤيدون هذه السياسة ويدافعون بشدة عن حادث ٤ فبراير وحصار قصر الملك بالدبابات ، وكانوا يؤكدون أن لديهم وثائق سرية تؤكد أن الملك فاروق كان يتخابر سرا مع الالمان وهتلر في أثناء الحرب ، وأنهم ضبطوا هذه المناقشات . وكانت سياسة أمريكا وقتئذ أن مصر داخل منطقة النفوذ البريطاني وأنهم لن يتخانقوا مع الانجليز في أثناء الحرب من أجل مصر الواقفة على الحياد .

والتقيت في ذلك الوقت بالسفير الامريكي مستر كيرك ، وكان يدعوني باستمرار للغداء والعشاء معه ، وكان له عدة بيوت في القاهرة ، وكان لا يهمه أمر مصر اطلاقا ولا يجد لذة في أن يسمع أي شيء عنها ، وكان كل اهتمامه بالحفلات وبتأبين الانجليز في الحرب وبصابون سانلايت الذي كان يملك أغلب أسهم شركته .

وفي أثناء ذلك أمكنني أن أعرف منهم عدة أخبار هامة أفادتني صحفيا ، وقد سبقت صحفيي العالم بنشر نبأ تسليم ايطاليا ونشرته في جريدة الاهرام ، وبخبر فتح الجبهة الثانية ومكانه وموعده وأشرت اليه في مجلة الاثنين ، بل ان أحدهم وهو هاي هولت أخبرني بتوقع هجوم هتلر على روسيا ، وأردت ان أنشر هذا الخبر في جريدة الاهرام ولكن أنطون الجميل رئيس تحرير الاهرام أجل نشر الخبر ٢٤ ساعة فاذا بهتلر يهاجم روسيا في نفس الليلة . وحصلت منهم على خبر مفاوضات الصلح مع الالمان ونشرته ، وكان نقلا عن صديقة هاي هولي ، وكانت تعمل سكرتيرة لوزير الدولة البريطاني .

واستمرت علاقاتي واتصالاتي بالسفارة الامريكية بالقاهرة وبموظفيها . وحدث في سنة ١٩٤٧ أن طلب مني المرحوم النقراشي باشا رئيس الوزراء أن

أكون واسطة الاتصال بينه وبين الامريكيين لمناسبة سوء موقف المفاوضات بين مصر وبريطانيا وكنت دائم الاتصال بهم . وقد وعدونا في أول الامر بتأييد مصر في عرض قضيتها في مجلس الأمن ثم خلوا بنا بعد ذلك ، وكل ما فعلوه أن رئيس جمهورية أمريكا عرض وساطته بين الملك فاروق وانجلترا . وقد حصلت على الخطابات السرية المتبادلة بين رئيس جمهورية أمريكا والملك ، ونشرتها في أخبار اليوم ، فقامت الدنيا وقعدت ، وثار الامريكيون لهذا النشر يومها .

ثم تولى مستر تـاك منصب سفير أمريكا ، وكانت علاقتي به قوية جدا وكنت أقابله باستمرار . وفي تلك الايام تغيرت سياسة أمريكا ، وأصبحت لها سياسة مستقلة في المنطقة بعد أن كانت تصر على أن تكون ذيلا لبريطانيا في المنطقة . وكان السر في ذلك أن أهمية البترول في السعودية بدأت تظهر وأصبحت لامريكا مصالح هامة في بترول هذه المنطقة . وكثيرا ما انتقدت قبل ذلك سياسة الامريكان في أنهم يتلقون تعليماتهم من السفير البريطاني في القاهرة ، وكانوا شبه منومين نوما مغناطيسيا ، ولا يصدقون الا ما يقوله لهم الانجليز .

ثم حدث بعد ذلك أن توثقت علاقتي بمستر كافري السفير الامريكي الجديد ، وكنت أقابله باستمرار ، وكان مقتنعا برأيي بان مصلحة أمريكا هي مصلحة الشعوب العربية في الوقت نفسه ، وهي أن تؤيد أمريكا خروج المنطقة من النفوذ البريطاني . وكان يكره الانجليز كراهية شديدة ، وعندما يسمعني أنتقد تصرفات الانجليز في المنطقة يهتز طربا وكأنه يسمع قطعة موسيقية . ولكنه كان يعطف على الملك فاروق ، وكان الملك قد وثق علاقته به وكان يفهمه أنه يستشيره في المواضيع وأنه يأخذ رأيه قبل أن يفعل أي شيء .

وبعد أن تولى نجيب الهلالي الحكم عرفت أن الملك فاروق أخذ رشوة قدرها مليون جنيه من أحمد عبود باشا ليقيل نجيب الهلالي من الوزارة . وأخبرت كافري بذلك فلم يصدق ، ثم تحرى الخبر بطريقته الخاصة وتأكد أنه صحيح . وكنت أبلغته كذلك لنجيب الهلالي . ثم زار كافرى نجيب الهلالي

وقال له انه تأكد أن الملك قبض فعلا مليون جنيه ليقيل الهلالي من رئاسة الوزارة . وعندئذ استقال نجيب الهلالي وراح يصرح للناس بحكاية رشوة المليون جنيه . وهذا الموقف هو الذي جعل كافرى يغير رأيه في الملك ويرى أن بقاءه على العرش كارثة .

وعرفني كافري بمستر ليكلاند ، وهو شاب أعور يعمل ملحقا في السفارة ، واكتشفت أنه أقوى موظف له نفوذ على كافري برغم أنه ملحق صغير في السفارة ، وكان يجيد اللغة العربية اجادة تامة ، وكان يزورني في مكتبي وفي بيتي باستمرار ، وأعتقد أنه له فضل كبير في التأثير على كافري وعلى سياسة أمريكا نحو مصر . فقد كان من رأي سفراء أمريكا المتعاقبين أن مصلحة مصر ومصلحة أمريكا في أن يتولى الوفد الحكم وأن النحاس هو أحسن حاكم لمصر وأن بعد الوفد ستجيء الشيوعية لمصر مائة في المائة . وكنت أنا أهاجم النحاس باستمرار . وكان من رأي الامريكيين أن هذا الهجوم لن يكسب منه الا الشيوعيون . ولكن كافري ما لبث أن اقتنع بغير ذلك .

وعندما قامت الثورة أبلغني ليكلاند أنه في ليلة قيامها أيقظ السفير البريطاني في واشنطن مستر دين اتشنسون وزير الخارجية من النوم وأبلغه أن ثورة شيوعية قامت في مصر ، وأن الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكري فورا وتحرك الجيش البريطاني من فايد لقمع الثورة . وقال لي ليكلاند أن دين اتشنسون طلب مهلة للتشاور وأنه أبرق الى كافري يسأله رأيه ، وأن ليكلاند هو الذي أعد البرقية العنيفة التي على أثرها أبدت أمريكا اعتراضها على التدخل العسكري البريطاني في مصر . وشعرت بحكم اتصالي المستمر بأهمية ليكلاند وقوته رغم صغر سنه ، وأبلغت المرحوم صلاح سالم برأيي أن ليكلاند هو السفير الحقيقي . وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين ليكلاند وبين الرئيس جمال عبد الناصر وصلاح سالم وبعض رجال الثورة، وكان ليكلاند هو الواسطة بين الثورة وبين السفير الامريكي ، وشعرت أن ليكلاند في اجتماعاتي معه المتكررة أنه كثير الاسئلة وأنه يتظاهر بالخوف وبأنه لا قيمة له ، بينما شعرت أنه صاحب أكبر نفوذ على السفير وأكثر علما بالسياسة الامريكية من

جميع موظفي السفارة الامريكية الذين اجتمعت بهم .

وقد أبلغني صلاح سالم أنه يشعر ـ بل يعتقد ـ أن ليكلاند من المخابرات الامريكية ، وأن رأي رجال الثورة أنه من جهاز المخابرات الامريكية . وطلب مني أن أسأله بيني وبينه عن ذلك ، فسألته عن ذلك ، فنفى بشدة وقال انه طلب اليه أن يشتغل بالمخابرات ورفض ذلك .

وكان ليكلاند يسألني أسئلة كثيرة جدا ولكنه كان يبدو متحمسا للثورة ومؤيدا لها ، ولم أشعر في علاقتي الوثيقة به أنه كان يخدعني أو يضللني أو يستغلني أو يوهمني أنه مع الثورة بينما هو في الواقع ضدها . وأعتقد أنه قام بخدمات جليلة جدا في شأن علاقات أمريكا مع الثورة في بدء قيامها .

وكان ليكلاند يحضر الى أخبار اليوم يوميا وفي بعض الاحيان يتناول الغداء معي أو نتناول العشاء عنده . وكان أهم ما يسأل ليكلاند عنه هل هنا بين قادة الثورة من له ميول شيوعية ؟ وعرفت منه أن الانجليز كانوا يقولون باستمرار أن لديهم معلومات مؤكدة بأن عددا من أعضاء مجلس الثورة من الشيوعيين ، وأن اتجاههم كلهم ضد الغرب . ومن ليكلاند عرفت أن الانجليز يؤكدون أن يوسف صديق شيوعي ، وأن خالد محيى الدين شيوعي ، بل ان أنور السادات شيوعي أيضا . وكنت على صلة بأنور السادات فأكدت لليكلاند أنه اذا كان تفكير خالد محيى الدين مثل أنور السادات فلا يمكن أن يكون أحد في مجلس الثورة من الشيوعيين بل اني على العكس أرى أن مجلس الثورة ضد الشيوعية .

وقد انزعج الامريكيون عندما أفرجت الثورة عن المعتقلين في أول قيامها . وكان الانجليز يؤكدون لهم أن كثيرا من الذين أفرجت عنهم الثورة من الشيوعيين . وكان الانجليز يعتبرون كل من يهاجمون سياستهم من الشيوعيين .

وقال لي ليكلاند أنه واثق ومتأكد من أن الثورة ليس اتجاهها شيوعيا وأن الانجليز مغفلون ، وأنه غير صحيح أنهم خير من يعرف المنطقة ، وأنه جعل

كافري يكتب تقارير يهاجم هذه الاراء التي كانت تقدمها السفارة البريطانية في واشنطن الى البيت الابيض والى وزارة الخارجية الامريكية . وشعرت بأن ليكلاند وكافري أمكنهما أن يقفا ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة أمام واشنطن .

وفي هذه الاثناء كان يحضر الى مصر من وقت الى آخر كيرميت روزفلت ، وكان كيرميت يقابلني ، وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، وكانت مقابلاتي لكيرميت روزفلت بعلم الدولة وبموافقتها التامة .

وقد علمت من الرئيس جمال عبد الناصر أن كيرميت من المخابرات الامريكية وأنه عضو بارز فيها ، وأبديت فزعي من ذلك . ولكن الرئيس وافق على استمرار صداقتي بكيرميت روزفلت . وكنت أخبر الرئيس عبد الناصر باستمرار بكل ما يقوله كيرميت روزفلت وعن جميع الاراء التي يبديها في مقابلاته معي .

وكنت أيضا على اتصال بمستر وزرزبي ومستر بين الموظفين بقسم الاستعلامات الامريكي ، وكنت على صلة وثيقة ومستمرة بهما ، وكنت أشعر من أسئلتهما العديدة أنهما أيضا من رجال المخابرات . وعرفني مستر وزرزبي على ما أذكر أو المستر بين بمستر ايكل بيرجر . وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند الذي كان على صلة بالرئيس وبزكريا محيي الدين .

وفهمت من أحاديثي مع المسئولين أن قادة الثورة يعلمون جيدا أن كل هؤلاء من المخابرات الامريكية وأنهم واثقون من ذلك، ولكنهم يرون أن المصلحة في الاتصال بهم وخاصة أنه تبين بوضوح أن المخابرات الامريكية هي صاحبة السلطة الحقيقة في أمريكا وأنها أقوى نفوذاً من وزارة الخارجية الامريكية وأنها قادرة على رسم السياسة ، فان كثيرا من الاشياء التي كنا نطلبها من أمريكا أو نسأل عنها كانت تصلنا عن طريق المخابرات الامريكية قبل أن نعرفها بواسطة السفير الامريكي في القاهرة بعدة شهور .

ومع علم المسئولين المصريين وتأكدهم بأن هؤلاء جميعا من المخابرات

الامريكية ، فانهم كانوا يصرون دائما أن هذا غير صحيح وأن هذه المعلومات خاطئة ، وأن وظيفة كيرميت روزفلت مثلا هي أنه مستشار سياسي لرئيس الجمهورية . ولم يحدث مرة واحدة أن اعترف واحد منهم في أي حديث لا مباشرة ولا غير مباشرة بانهم من المخابرات الامريكية . وكان لدينا اعتقاد أن كثيرين جدا من موظفي السفارة الامريكية في القاهرة هم من المخابرات الامريكية . وكان يحدث في بعض الاحيان أن يكون أحد الموظفين من غير المخابرات ثم تظهر كفاءته فلا تلبث المخابرات الامريكية أن تجنده فيها .

وحدث في عام ١٩٥٤ أن حدثت أزمة محمد نجيب . وعلمت أن محمد نجيب اتصل بشخص من المخابرات الامريكية اسمه مستر لي وأن هذا الشخص كان ملازما لمحمد نجيب طوال الوقت . وأفهم محمد نجيب مستر لي أن أعضاء مجلس الثورة كلهم شيوعيون ، وأنه يريد أن يخلص البلاد منهم ، وأنه يرغب في تأييد الولايات المتحدة له في معركة في مجلس الثورة . وكانت الحكومة البريطانية تؤيد محمد نجيب كل التأييد وتعتقد أن مصلحة بريطانيا في الخلاص من جمال عبد الناصر وأصدقائه .

وكان كوبلاند يخبرني هو وايكل بيرجر عن تقارير تصلهم باستمرار من المخابرات البريطانية تؤكد أن جمال عبد الناصر هو الخطر الحقيقي ضد الغرب ، وأن مصلحة الغرب في بقاء محمد نجيب ، وأن المصلحة أن يبدأ انقلاب محمد نجيب بحكم مؤلف من الوفد والاخوان المسلمين والشيوعيين ، ثم بعد ذلك يتخلص الغرب من الشيوعيين ويبقى محمد نجيب الذي أكد مستر لي لهم أنه سيكون أصدق صديق لامريكا ولبريطانيا ، وأنه اذا انتصر فريق عبد الناصر فانه سيصبح خطرا على مصلحة أمريكا وبريطانيا لا في مصر وحدها بل في الشرق الاوسط كله .

وقد وقفت أخبار اليوم في هذه المعركة ضد محمد نجيب ، ونشرت مقالا في الاخبار بعنوان « سلاطة روسي » عن مشروع حكم محمد نجيب بوزارة من الوفديين والشيوعيين والاخوان . ونشرت في أخبار اليوم نص الحديث السري

التليفوني الذي جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحاس . وقد أحدث نشر الحديث ضجة كبرى في الرأي العام ، وأسقط محمد نجيب بين الجماهير . وكان كوبلاند وايكل بيرجر على ما أذكر يتصلان بي في تلك الايام باستمرار ويقابلاني يوميا ، وكنت اطلع المسئولين على المحاولات التي تبذل من أجل تأييد محمد نجيب .

ولقد شعرت يومها بأن نفوذ شخص مثل كوبلاند أقوى كثيرا من عدد من كبار موظفي السفارة الامريكية الذين كانوا يجمعون على وجوب تأييد محمد نجيب ، وأن الانجليز والمخابرات البريطانية أقدر على الحكم على الحالة في مصر منهم .

وقد حدث خلاف خطير بين الرأيين في هذا الشأن . وكان الانجليز يؤكدون أن محمد نجيب هو الذي سينتصر . وحدث في هذه الايام أن بدأ ذلك بانتصار مؤقت لمحمد نجيب وحل مجلس الثورة . وأخبرني كوبلاند أن رجال السفارة البريطانية في القاهرة كانوا يتبادلون التهاني . ولقد كانت واشنطن نفسها مقتنعة برأي الحكومة البريطانية بحتمية انتصار محمد نجيب وبضرورة تأييده . وكان رأيي الذي أبديته دائما لكل من سألني منهم أن السلاطة الروسي التي يدعو اليها محمد نجيب ستنتهي بأن يستولى الشيوعيون على الحكم ، وأن من مصلحة أمريكا أن يتولى الحكم جمال عبد الناصر وهو عدو للنفوذ الاجنبي في المنطقة ، من أن يتولاه عميل شيوعي يحول كل المنطقة الى مستعمرة روسية .

وفي سنة ١٩٥٦ عندما حدث تأميم قناة السويس كنت على صلة ببيل ميلر . وكان الرئيس جمال عبد الناصر على علم تام بهذا الاتصال، وكان ميلر يحضر الى مكتبي يومياً ، وكنت أبلغ الرئيس يوميا بما يقوله ميلر . وكان الرئيس يسميه على ما أذكر « أزمرلدا» أو اسما آخر لا أذكره ، وسألت الرئيس لماذا يسميه بهذا الاسم فقال أنه اسم رواية قرأها عن فتاة تسمع باسمها باستمرار ولا تراها . وكان بيل ميلر يطلعني باستمرار على كل الانباء والبرقيات

الهامة التي تصل اليه ، كما كان يفعل كوبلاند وايكل بيرجر الذي كان من وظيفته في السفارة أن يطلع على البرقيات السرية .

وحدث في سنة ١٩٥٤ أن أخبرني ايكل بيرجر أنه اطلع على برقية سرية جدا وصلت على التو من السفير الامريكي في تل أبيب بأن الجيش الاسرائيلي سيقوم بعدوان في يوم معين على مصر ، وألح في أن لا أخبر الرئيس بهذا الامر ، وقال انه لو عرف أحد أن هذه البرقية تسربت فسوف يفقد عمله . وأسرعت على الفور وأخبرت الرئيس عبد الناصر بما حدث . واهتم الرئيس بهذا النبأ وطلب معلومات أوسع عن هذه العملية الخطيرة ومكانها .

واتفقنا أن أذهب أنا ومحمد حسنين هيكل (١) ونقابل مستر بايرود السفير الامريكي ، واستطعنا أن ندحرجه ونعلم أن الخبر صحيح مائة في المائة . وأحضر بايرود البرقيات السرية التي وصلت اليه ، وتفاهمت أنا وهيكل أن يشغله هيكل بالحديث بينما أنا أنقل البرقية . وفعلا استطعت أن أنقل نص البرقية ، وقدمناها الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وأصدر الرئيس على الفور أمره الى الجيش المصري بالاستعداد لهذا العدوان المفاجىء .

وتم العدوان في موعده ، وكان الجيش المصري مستعدا له ، وأعطى الجيش المصري يومها درسا لليهود . وقد شكرني الرئيس جمال عبد الناصر يومها على هذا العمل الذي قمت به ، وقال إنني قد خدمت خدمة كبرى لبلادي .

ولقد كان ايكل بيرجر يسألني دائما أسئلة تدور كلها حول موقف الرئيس جمال عبد الناصر من الشيوعية ، وموقف زملائه من الشيوعية . وكنت أشعر أن أغلب المعلومات التي كانت تستند اليها اسئلته في هذا الموضوع مستندة على استفسارات تجيئه من واشنطن وأنها مستمدة من معلومات كانت تبلغ الى

(١) يورد الاستاذ مصطفى أمين اسمي في عدة مواضع من هذه الرسالة الوثيقة ولا أريد اعتراض النص هنا بالتوقف أمام نفي أو تصحيح ، فليس هذا مجاله .

أمريكا بطريق التسرب بواسطة جهاز المخابرات البريطاني الذي كان يعمل باستمرار على تشويه حقيقة جمال عبد الناصر ، ويضرب باستمرار على هذه النغمة لانه يعرف أن أمريكا تصاب بالجنون اذا عرفت أن الرئيس جمال عبد الناصر شيوعي .

ولقد حرصت باستمرار على ابلاغ المسئولين عن محاولات التشويه التي تقوم بها بريطانيا ضدنا وأنها تعطي أمريكا هذه المعلومات وهي تعلم أنها كاذبة . ولكن كان جهاز المخابرات البريطاني يعمل باستمرار على أساس أن الرئيس عبد الناصر خطر على مصالح بريطانيا الاستعمارية والاقتصادية في المنطقة وليس أن عبد الناصر يمثل خطرا شيوعيا .

وكان مايلز كوبلاند وميلر وايكل بيرجر وكيرميت روزفلت يقولون لي أنهم مقتنعون بهذا الرأي . وكانوا يقولون ان المخابرات البريطانية تحاول تضليل أمريكا لمصلحة بريطانيا ، ولكنهم مع ذلك ، ومع أنني أحسست منهم دائما بهذا الاقتناع فانهم كانوا يجيئون كل يوم ويسألونني عن أشخاص أثق جيدا أنهم غير شيوعيين ويؤكدون أنهم شيوعيون ، أو يقولون أن معلومات جاءتهم بأن لهم ميول شيوعية .

ومن الاسماء التي كانوا يكثرون من السؤال عنها ويتهمونها بالشيوعية أسماء أنور السادات وعبد الحكيم عامر وثروت عكاشة وعلي صبري وكمال رفعت وغيرهم .

بل لقد حدث مرة أن كيرميت روزفلت قال لي أن لديهم معلومات مؤكدة جدا بأن عبد الحميد السراج شيوعي مائة في المائة،وأنها معلومات لا يتطرق اليها الشك،وأنهم قاموا بتحريات واسعة في هذا الموضوع فأيدت ذلك ، وأن المخابرات البريطانية قامت ايضا بعمل جرد عام وفحص على عبد الحميد السراج فعرفت أنه شيوعي،وأن حكومة الولايات المتحدة مستعدة لمساعدة مصر اذا استعمل عبد الناصر نفوذه في سوريا لاخراج عبد الحميد السراج من الحكم في سوريا .

وطلب مني كيرميت روزفلت أن أقول هذه الانباء للرئيس جمال عبد الناصر على أنها معلومات علمتها أثناء وجودي في واشنطن أثناء اشتراكي في مفاوضات الجلاء بعد العدوان ، لا على أنها معلومات هو مصدرها .

ولكني ذهبت الى الرئيس جمال عبد الناصر بعد عودتي مباشرة من رحلتي في أمريكا وقلت له ان كيرميت روزفلت هو الذي قال لي هذه المعلومات . فقال الرئيس جمال عبد الناصر ان الامريكيين مغفلون وجهلاء ومعلومات مخابراتهم كاذبة ، وأنه لن يحارب عبد الحميد السراج بل على العكس سوف يؤيده ويدعمه .

وقبل قيام العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر كانت الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على جهل تام بهذا العدوان .

وكان بيل ميلر يتردد علينا باستمرار في أخبار اليوم ويؤكد هذا ، ويقول ان أمريكا لا توافق على هذا العدوان ، وما دامت هي لا توافق فلن يقوم العدوان .

ثم حدث أن أوفد الرئيس جمال عبد الناصر أخي علي أمين الى لندن للاتصال بحزب العمال المعارض وابلاغه وجهة نظرنا في تأميم القناة . وعاد علي أمين من لندن وقابلت معه ومحمد حسنين هيكل الرئيس في القناطر الخيرية ، فقال علي أمين للرئيس أن المعلومات السرية التي حصل عليها من انجلترا تؤكد بأن انجلترا ستقوم بالعدوان وأنها بدأت تستعد له وتجهز القوات التي ستقوم بهذه المهمة .

ثم سافرت أنا ومحمد حسنين هيكل الى أمريكا في مهمة أوفدنا اليها الرئيس في أمريكا أثناء عرض مسألة تأميم القناة في مجلس الامن . واتصلنا بكيرميت روزفلت وبايكل بيرجر وبعدد من كبار موظفي وزارة الخارجية الامريكية ، وأبلغنا مستر دالاس أن العدوان أصبح في ذمة التاريخ وأنه واثق أنه لن يحدث عدوان .

ولكن العدوان حدث بعد ذلك ببضعة أسابيع .

وكنا في جميع اتصالاتنا بهؤلاء نعلم أنهم متصلون بجهاز المخابرات الامريكية . وكانت الدولة تعلم بهذه الاتصالات وتعرفها تفصيلا ، وكان يحدث كثيرا أن يسألني هؤلاء أسئلة عن الموقف ، ولكن كانت كلها أسئلة سياسية وليست أسئلة محددة .

وعندما أوفدني الرئيس جمال عبد الناصر في مهمة الى أمريكا أثناء العدوان ، قابلت كيرميت روزفلت عدة مرات في حضور الدكتور أحمد حسين سفير مصر في واشنطن في ذلك الوقت ، وبعلم الرئيس جمال عبد الناصر ، وعرفت أن المخابرات الامريكية فوجئت بالعدوان وأنها لم تعلم به الا قبل حدوثه بأربعة وعشرين ساعة ، وأنها لم تعلمه من لندن أو باريس وانما علمت به من تل أبيب .

وفي أيام العدوان الاولى كان بيل ميلر يزورنا يومياً في أخبار اليوم وأحياناً يقابلنا أكثر من مرة في اليوم . وكان السؤال الذي يسأله دائماً سؤالاً واحداً لا يتغير وهو هل نستطيع الصمود ، وكم ساعة نستطيع أن نقف على أقدامنا ؟ وكان يسأل هذا السؤال أكثر من مرة في اليوم . وعندما كنت أجيبه بأننا سنستطيع الصمود ، كان يقول أنه لو صمدت مصر ثلاثة أيام فسوف تخسر بريطانيا المعركة .

وكنت على صلة مستمرة ودائمة بالليل وبالنهار تليفونياً بالرئيس جمال عبد الناصر وكنت أبلغه أولاً بأول بكل كلمة يقولها بيل ميلر في مقابلاته العديدة المتكررة .

واستطعنا أن نعرف أن أيزنهاور غاضب من أن العدوان تم وراء ظهره ، وأن ايدن استغفله . وكانت هذه المعلومات قيمة جداً في أثناء المعركة .

وكانت تجري المباحثات بشأن وقف اطلاق النار وارسال البوليس الدولي الى مصر في مكتبي بأخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل وبيل ميلر .

وكنا نبلغ الرئيس جمال عبد الناصر ، أولا بأول بكل المعلومات ، ونقوم

بمهمة الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وأيزنهاور ، حتى أن الرئيس عبد الناصر قال يومها أن أخبار اليوم أصبحت وزارة خارجية تحت الارض .

وكنا نشعر وقتها أن رسائلنا تصل الى أيزنهاور بهذه الطريقة أسرع كثيراً مما لو أرسلت بطريق السفير .

وكان بيل ميلر يقول أنه يقوم بهذه المساعدات لنا في مقابل أن نعطيه سراً طائرة ميج بعد انتهاء العدوان وهزيمته . وأبلغته كذباً أن الرئيس جمال عبد الناصر وافق على أن نعطيه طائرة ميج روسية ، لان الامريكيين وقتئذ كانوا يحاولون الحصول على هذه الطائرة بأي ثمن لانهم كانوا يجهلون سر صنعها .

وأبلغت الرئيس جمال عبد الناصر بما طلبه بيل ميلر وبالوعد الذي أعطيته له باسم سيادتكم ، وقلت لسيادتكم انكم في أي وقت تستطيعون أن تكذبوا علمكم بهذا الموضوع أو أنكم عرفتم أي شيء عن هذا الوعد .

وعندما انتهت المعركة بانتصارنا راح بيل ميلر يطالبني بأن أطلب الى الرئيس جمال عبد الناصر تنفيذ الوعد ، وكنت أتهرب منه . وكان يلح في ذلك الحاحاً غريباً ، وكان يقابلني يومياً ولا يدور حديثه الا عن الطائرة الميج التي وعدته بها باسم سيادتكم . وكل ما حصل عليه بيل ميلر أن سيادتكم أهديتم له صورتكم تقديراً لموقفه معنا في أثناء معركة العدوان .

ولم يكن بيل ميلر يسأل أسئلة محددة ، ولكنه كان يطلب مني أن أبلغ الرئيس عبد الناصر رسائل معينة عن وجهة نظر الحكومة الامريكية في مسائل عديدة . وكنت أبلغ سيادتكم ما يطلب مني بيل ميلر ابلاغه الى سيادتكم . وكنت على اتصال وثيق بمستر بايرود السفير الامريكي ، وكنت أقابله باستمرار ، ولكن صلتي كانت أقوى بمستر ريموند هير ، لانني كنت صديقاً له منذ عام ١٩٤٠ عندما كان قنصلاً لامريكا في مصر . وكان هير يسألني في كثير من الأمور ويطلب مني ابلاغ رسائل معينة الى الرئيس جمال عبد الناصر .

وكانت أكثر اتصالاتي بمستر هير .

وذات يوم في أثناء ثورة لبنان في النصف الثاني من سنة ١٩٥٨ ، علمت من هير أنه تلقى رسالة من وزير خارجية أمريكا يطلب اليه أن يقدم انذاراً الى الرئيس جمال عبد الناصر بأن الاسطول الامريكي سيضرب فينا اذا اعتدي على الجنود الامريكيين الذين نزلوا في لبنان ، وأنه لم يتقرر بعد الموعد الذي يقدم فيه الانذار رسمياً .

ولم تكن سيادتكم موجودين في القاهرة ، فأسرعت وذهبت بعد منتصف الليل الى منزل السيد علي صبري بمصر الجديدة وأبلغته بما سمعته من هير . فقال علي صبري أن الامر خطير جداً ولا يمكن أن نسكت على هذا ، وأصر على استدعاء هير وايقاظه من نومه وذهابه اليه في قصر القبة ، وتم اللقاء بينهما وأبلغه علي صبري بأن الجمهورية العربية سترفض هذا الانذار اذا وجه اليها .

وكانت قد وصلت الى المخابرات الامريكية في بيروت معلومات بأن الجمهورية العربية أصدرت قراراً سرياً بأن يغتال عدد من رجال الاسطول الامريكي في لبنان .

وفي هذه الاثناء قامت أخبار اليوم بحملة عنيفة جدا ضد الشيوعية ، وتعرضت أخبار اليوم للاتهام في كثير من الدوائر بأن هذه الحملة موعز بها من أمريكا .

وتعلمون سيادتكم بأنكم الذين أمرتموني بهذه الحملة ، وأنكم الذين طلبتم مني طبع كتاب المجر ، وهي الكراسة الحمراء التي دفعت الحكومة المصرية نفقات طبعها ، وأن جميع هذه الحملة كنت أستشير سيادتكم فيها ، وذلك في أثناء تنظيم حملتنا على الشيوعية بعد خطاب سيادتكم في دمشق ، وكذلك الحملة التي قامت بها أخبار اليوم عن مذابح الموصل بعد ثورة الشواف .

وقد سافرت بعد ذلك الى أمريكا في مهمة أوفدتموني سيادتكم فيها ، وقد عرضت على سيادتكم بعد عودتي كل خطواتي ومقابلاتي واجتماعاتي . وقد وعدت فيها بأن أحصل للصحافة المصرية على ورق بمليون جنيه مجاناً من

أمريكا ، وتولى مستر هير السفير الامريكي في القاهرة ابلاغ سيادتكم ذلك بنفسه .

وكنت على اتصال يومي بسيادتكم . وكنت أبلغك تفصيلياً كل مقابلاتي مع الرجال الامريكيين الذين اتصلت بهم ، وكل ما كنت أحصل عليه من أنباء ومعلومات وأسرار بحيث كنا نعرف أولا بأول كل الانباء التي يهمنا أن نعلم بها ، سواء ما يجري في أمريكا أو ما يجري في المنطقة العربية . وكنتم سيادتكم تطلبون مني الاستفسار عن مسائل معينة أو ابلاغهم مسائل معينة .

وكان الاستاذ سامي شرف يتصل بي ويطلب مني أن أحصل على معلومات معينة من أصدقائي الامريكيين . وأعتقد أنني كنت أحصل على بيانات تهم بلادي في فترات عصيبة مختلفة .

وحدث بعد تعيين الاستاذ خالد محيي الدين رئيساً لمجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم ، أن قررت ايقاف اتصالي بأي أمريكي . وسألت الاستاذ سامي شرف في ذلك ، فطلب اليّ الاستمرار كما أنا . ثم حدث أن حصلت على بضعة أخبار هامة من محادثاتي مع بروس أوديل ، فأبلغتها الى سيادتكم شخصياً ، وأبلغتها الى الاستاذ سامي شرف أو الى الدكتور عبد القادر حاتم .

وعند مقابلاتي مع بروس أوديل لم يكن يوجه اليّ أسئلة محددة ، ولكنه كان هو الذي يتحدث ويتكلم كثيراً ، ثم يسألني بعض أسئلة متناثرة . ولكن في الشهور الاخيرة بدأت أسئلته تتحول الى أسئلة محددة ، وبدأ يسأل عن تفاصيل لم يكن الذين سبقوه يهتمون بها . ولقد كنت أجيبه على أسئلته . وكنت في كثير من الاحوال أضلله وأذكر على لسان سيادتكم أشياء لم تقولوها لي .ولقد كنت أتصور أنني بهذه الطريقة أستطيع أن أحصل على معلومات هامة ، وأن من واجبي أن أصحح بعض المعلومات الخاطئة وأن أوهمهم بأن قدراتنا ضخمة وأننا قادرون على نسف آبار البترول وعلى صنع قنبلة ذرية .

وعندما أعود الى نفسي وأتذكر كل ما قلت أجد أنني أخطأت ، ولكن شفيعي في ذلك حسن نيتي وأنني قدمت لبلادي نتيجة هذه الاتصالات

خدمات عبرتم سيادتكم في أكثر من مناسبة عن تقديركم لها .

هذه هي مجمل الاحاديث التي دارت تقريباً ويمكن تلخيص علاقاتي بالامريكيين بأن علاقتي الشخصية كانت طيبة دائماً بالسفراء الامريكيين في مصر وبرجال السفارة الامريكية ، وكان هدفي الوحيد دائما من هذه العلاقات في ذلك الوقت وفيما بعد خدمة بلادي .

وحدث بعد ذلك أن عرفني السفير الامريكي مستر كافري بمستر ليكلاند الملحق السياسي بالسفارة ، وهو الذي قال صلاح سالم لي بأنه يشك أنه ضابط مخابرات أمريكي . ولست أقطع بذلك ، ولكن دلت أسئلته أنه فعلا ضابط مخابرات ، ولكني كنت أتصل به بعلم الدولة .

ومنذ ذلك الحين بدأت اتصالاتي برجال السفارة الامريكية بالقاهرة الذين أشك وتدل أسئلتهم على أنهم من رجال المخابرات الامريكية . وكانت السلطات المصرية تعلم ذلك تماما وتعرف بهذه الاتصالات .

وقد بدأت هذه العلاقات بطريقة مقابلات غير منتظمة وكانت تتم في مواعيد متغيرة وغير ثابتة ، وبحضور بعض أشخاص آخرين منهم الاستاذ محمد حسنين هيكل .

وبدأت هذه المقابلات تصبح مقابلات شبه منتظمة ، وكانت تتم بيني وبينهم في بيتي على انفراد بعد طلاق زوجتي وعودتي للاقامة في منزلي ، وذلك في أواخر سنة ١٩٦٠ .

وكان يقابلني في ذلك الوقت مستر جون سيدل الملحق بالقسم السياسي بالسفارة الامريكية ، وكنت أشير الى اسمه دائماً في اتصالاتي بسيادتكم عندما أبلغكم الاخبار التي أحصل عليها منه .

وكانت علاقتي بسيدل عبارة عن مناقشات . وكان يسأل في خلالها بعض الاسئلة وأسأله بعض أسئلة أخرى ، ولم يحدث مرة واحدة أن أشعرني بأنه يسأل اسئلة محددة ، وان كان يسأل دائماً عن الحوادث الجارية ويستفسر عنها .

وفي بعض المرات كان يطلب مني ابلاغ السيد الرئيس بعض مسائل معينة ، مثل أن رئيس جمهورية أمريكا يطلب تحديد موعد ليطير فيه مستر ماكلوي مندوبه الشخصي لمحادثة الرئيس جمال عبد الناصر في أمور هامة .

واستمر الحال هكذا بعد أن جاء الى مصر مستر بروس أوديل الذي بدأ طريقته في المناقشات مثل طريقة سيدل ، ثم حدث في الشهور الثلاثة الاخيرة أن أصبح يوجه اليّ أسئلة محددة ويشير اشارات جعلتني أشعر صراحة بأنه يعمل في المخابرات الامريكية . فقد حدث أن سألته عن عنوان بيته في الاسكندرية فرفض ، وطلب مني عدم التردد على منزله في الاسكندرية ، كما طلب مني عندما أتصل بمنزله وقت غيابه في أثينا أن لا أذكر اسمي كاملاً بل أذكر مصطفى فقط . كما طلب أيضاً أنه يريد أن تكون مقابلاته لي في الاسكندرية غير ملحوظة لاحد . وكان عندما يريد ابلاغ توجيهات من الحكومة الامريكية للرئيس جمال عبد الناصر يطلب أن أبلغها للرئيس بطريقة كأنها صادرة مني ، وبدون الاشارة اليه أو ذكر اسمه .

وبهذه المناسبة أذكر أنه طلب مني أن أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر بهذا الاسلوب ما يأتي :

١ ـ ان الحكومة الامريكية قررت أن لا تدفع لمصر سنتا واحداً من المعونة الا اذا سحبت كل قواتها من اليمن ، والا اذا توقفت عن مساعدة الكونغو ، والا اذا هادنت اسرائيل .

ولم أبلغ سيداتكم هذا التهديد ، ثم عاد وسألني هل أبلغت الرئيس ما قلته ، فكذبت عليه وقلت نعم .

٢ ـ ان الحكومة الامريكية قررت انتهاج سياسة القوة والحزم قاصداً من ذلك تخويف الرئيس جمال عبد الناصر واجباره على اتباع السياسة التي تتلاءم مع سياسة الولايات المتحدة في المنطقة .

ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد ، ثم عاد وسألني في الاسبوع التالي هل أبلغت الرئيس ما قلته لك ، فكذبت عليه وقلت نعم .

٣ ـ اشعار الرئيس جمال عبد الناصر دائماً بأن شخصية جونسون عنيفة غير مرنة ويتجه الى الاندفاع واستعمال القوة لتنفيذ رغباته .

ثم أراد أن يؤكد هذا المعنى فأرسل لي كتاباً ألفه مستر هوايت عن الرئيس جونسون وطلب مني أن اعطي هذا الكتاب للرئيس عبد الناصر .

ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد ، ثم عاد وسألني في الاسبوع التالي هل أبلغت ما قلته لك للرئيس عبد الناصر ، فكذبت عليه وقلت له أنني تحدثت تليفونياً مع سيادتكم وأبلغتكم كل ما قاله في هذا الشأن .

ولم أرسل لسيادتكم الكتاب كما طلب مني .

٤ ـ محاولة الوقيعة بين مصر والاتحاد السوفييتي ، فقد أعطاني عدة مرات مقالات نشرت في عدة صحف شيوعية وسوفييتية منها ما يمس مصر وطلب مني ارسالها للرئيس جمال عبد الناصر ، وكان المقصود بهذا الوقيعة بين مصر والكتلة الشرقية ، ولم أرسل لسيادتكم هذه المقالات ، وكذبت عليه وقلت أنني أبلغتها لسيادتكم تليفونياً .

٥ ـ محاولة الايقاع بين مصر والدول العربية ، وأذكر في هذا المجال ما قاله من أن الملك فيصل صرح بأن اليمن ستكون مقبرة للرئيس عبد الناصر .

٦ ـ الاشعار دائماً بعجز مصر المالي ، فقد طلب مني أن أبلغ سيادتكم بأن بنوك العالم قررت أن لا تعقد قروضا لمصر اذا ثبت أن الولايات المتحدة لن تستأنف ارسال المعونة .

ولم أبلغ سيادتكم هذا الخبر . سألني بروس بعد ذلك بأسبوع فكذبت عليه وقلت نعم أبلغت الرئيس .

وتنحصر باقي أهدافهم علاوة على ايصال هذه التوجيهات الى سيادتكم في الحصول على معلومات بعضها سياسي وبعضها عسكري وبعضها اقتصادي .

وقد كنت أرد على أسئلة بروس باجابات مضللة وغير صحيحة في

رأيي ، ولكي أضفي عليها صفة الاهمية كنت أنسبها أو بعضها الى أحاديث مزعومة مع سيادتكم والى بعض المسئولين المهمين .

وكانت اجاباتي على الاسئلة كلها توهمه بأن مصر في حالة سيئة وأنه على وشك أن يحدث فيها انقلاب شيوعي ضد الرئيس جمال عبد الناصر وأنه قلق ، وأن هناك خلايا سرية في الجيش ، وأنه لو أصيب عبد الناصر في حادث اغتيال فسوف يحدث في مصر انقلاب شيوعي وتعمم الشيوعية في المنطقة كلها ، وانني أرغب في الحصول على اجازة طويلة حتى لا أتعرض لاخطار الشيوعية في حالة حدوث انقلاب شيوعي .

ان هذا التصرف من جانبي دون توجيهات من سيادتكم كان خطأ ، وانني أعترف بخطئي ، الا أن دافعي من هذا أن أستدرجه لاحصل على أكبر قسط من المعلومات مما يفيد البلاد ، ولا أمكنه من الوصول الى أهدافه .

فاتني أن أذكر فيما يختص بسيادتكم أنه طلب مني في احدى المرات ـ ولا أذكر التاريخ ـ نص خطاب سيادتكم في الجلسة السرية لمجلس الامة ، ورغم أنني تظاهرت بأنني سأحضره الا أن الحقيقة أنني لم أسلمه اليه . .

بقي موضوع آخر أحب أن أوضحه على حقيقته بصراحة تامة مهما كان يتضمن من أخطاء ، وهو العلاقات المالية مع الامريكيين .

فقد حدث أن قال لي بروس انه لو أراد أن يكون مليونيرا لاستطاع ذلك ، فان كثيرين من الدبلوماسيين يعملون في التهريب ويربحون أرباحاً طائلة . وبعد ذلك طلبت اليه أن يأخذ خمسة آلاف جنيه مصري ويحولها الى لندن ، فقال انه لا يستطيع أن يفعل ذلك لان تعليمات السفير مشددة في عدم جواز ذلك ، ولكن ممكن أن يحولها لي بصفته الشخصية بواسطة صديق له يسافر الى بيروت ، وفي هذه الحالة يجب أن تحول أولاً الى ليرات ثم بعد ذلك الى جنيهات استرلينية ، وذلك نظير عمولة بسيطة وأن يتم البيع في السوق السوداء .

وفي حديث آخر عدت الى مناقشة هذا الموضوع معه وأشعرني أولاً أنه لا

يستطيع أن يجزم أن في مقدوره أن يقوم هو بهذا العمل ، بل يجب عليه أن يسأل أولاً عن امكانية ذلك ، وبعد ذلك أفهمني أنه يستطيع تنفيذ ما أطلب منه .

وعليه سلمته خمسة آلاف جنيه مصري في شهر مايو وطلبت منه أن يودع المبلغ في بنك ميدلاند في لندن ، وأبلغني بعد ذلك بثلاثة أسابيع تقريباً أنه تم ايداعها فعلا في البنك المشار اليه في لندن .

ثم بعد ذلك سلمته خمسة عشر ألف جنيه على دفعتين ، دفعة عشرة ودفعة خمسة ، واتفقنا على أن يحولها الى بيروت الى ليرات لبنانية ثم دولارات ويفتح حسابا لي بأسمي في بنك بيروت . وقد أفادني بأنه باع هذا المبلغ فعلا في السوق السوداء الا أنه قد باع المبلغ بسعر زهيد بسبب اغراق سوق بيروت بالجنيهات المصرية ، حسب ما ذكر لي ، نتيجة المؤتمر الفلسطيني في القاهرة .

وكان المفروض أن يبلغني يوم القبض عليّ باسم البنك الذي أودع فيه في بيروت المبلغ ، ولكن عملية القبض حدثت قبل ذلك .

وعندما تقرر سفر أخي علي أمين مندوباً متجولاً في أوروبا مركزه لندن ، رأيت أن مما يفيده أن تكون له اتصالات بأكبر عدد من الدوائر فيها ، خلاف الدوائر البريطانية ، واعتقدت أن علي أمين يستفيد صحفياً من أن تكون له علاقات طيبة مع السفارة الامريكية في لندن باعتبارها مركز أخبار هاماً نظراً لنفوذ أمريكا في أوروبا .

وفي مقابلة لي مع بروس في أوائل شهر مايو من هذا العام ، أخبرته بالموعد الذي سيسافر فيه علي الى لندن ، وأنه تقابل مع الملحق الصحفي البريطاني في القاهرة الذي أبلغه ارتياح السفير البريطاني لوجود شخص يمكن أن تتحدث معه الحكومة البريطانية ، اذ أنهم لا يرتاحون للاتصال مع السفارة المصرية هناك . وأنه سيتقابل مع السفير البريطاني بعد ذلك .

وقد سألني بروس في هذه المقابلة ان كان يعرف علي أمين حقيقة عمل بروس وجماعته ، وهل سبق له أن اتصل بأحد من المخابرات الامريكية .

وسألني ان كان علي أمين يعرف اسم بروس وان كان لم يقابله ، فأجبته بالنفي .

وقد سألني بروس هل يقبل علي أمين أن يتصل بالمخابرات الامريكية ، فقلت أن علي أمين يرحب بالاتصال بهم كصحفي .

وفي مقابلة أخرى مع بروس أخبرته أن علي أمين تقابل فعلاً مع السفير البريطاني بالقاهرة وتكلم عن موضوع التعويضات البريطانية كأحد المشاكل القائمة بين البلدين ، ثم في المقابلة التالية بعد ذلك بأسبوع ذكرت لبروس على لسان سيادتكم أنكم قلتم لعلي أمين في المقابلة التي تمت معكم أنكم تعتبرون علي أمين السفير في لندن ، وأنكم أمرتموه بأن يبعث برسائل يقوم بارسالها عن طريق السفير باسمكم مباشرة ان كانت على مستوى عال من السرية ، أو باسم سامي شرف بالنسبة للرسائل الاخرى ، على أن تكون في مظاريف مغلقة ومختومة ، وهي غير الطريقة المتفق عليها كما تعلمون سيادتكم .

وقد تقابلت مع بروس بعد ذلك فوجدته يسألني عن امكانية مقابلة علي خارج لندن ، فأجبته بأن ذلك ممكن . فقال انهم يخشون ان تحس المخابرات الانجليزية بمقابلاتنا مع علي أمين ، فاقترحت عليه ان يقول الشخص الذي سيقابله انه من طرفي وان مصطفى قال انك تقابلنا خارج لندن اذا حصلت على دعوة والتذاكر . وقد سألني هل ناقشت هذا الموضوع مع علي أمين قبل سفره وانه من الممكن ان يتقابل مع أحد من المخابرات الأمريكية ، فأفدته بالايجاب . ولكن الحقيقة يا سيادة الرئيس انني لم أفاتح علي أمين في هذا الموضوع . وحدث في هذه المقابلة ان تحدثنا في امكانية التعرف بعلي أمين في لندن ، فاقترحت أن يتصل به رجلهم تليفونياً ، واذا به يرفض ذلك بشدة معللاً ان هذا سوف يثير شكوك المخابرات الانجليزية .

وفي الأسبوع التالي سألني بروس اذا كنت أذكر شخصاً كان في القاهرة سنة ١٩٤٤ اسمه أرشيبلد روزفلت ، فقلت له نعم . فقال بروس انه يعرفني وشقيقي علي ، وذكر ان أرشي هو رجلهم في لندن ، وتساءل اذا كان علي

سوف يذكره ، فأفدته اني أعرف روزفلت وانه صديقي ، ولكن لا أعرف اذا كان علي سوف يذكره ، فاقترح ان أكتب خطاباً يحمله أرشي الى علي حتى يتم التعارف او يتذكره .

وذكرتني هذه المحادثة ان المخابرات الأمريكية ليست واثقة ان كان الانجليز يعرفون حقيقة عمل أرشي روزفلت ، وانه على أي حال يجب ان تلفت مقابلاته مع علي أمين أنظار المخابرات الانجليزية . وذكرت له ان علي أمين سوف يكون شخصية مهمة في لندن ، وانه سيقوم بكثير من الاتصالات الهامة ، وضربت مثلاً بالسفير السعودي والسفراء العرب .

وتكلمنا في الخطاب الذي أرسله الى أرشي . وفعلاً كتبت الخطاب وذكرت فيه ان الذي يحمل هذا اليه هو الصلة،وأنه يمكنه الاعتماد عليه كما اعتمدنا على ابن عمه في كل ما يريد . وذكرت في الخطاب خروج الشيوعيين من الصحافة ، وان هذا سوف يتأخر الى شهر سبتمبر تقريباً ، لكن التغيرات مرتقبة في الاتحاد الاشتراكي ، وأن الرئيس جمال عبد الناصر سوف يسافر الى الجزائر في آخر هذا الشهر ثم يسافر بعد ذلك الى يوجوسلافيا ، واني لا أتوقع حدوث أي تغييرات في الصحافة قبل ذلك الوقت ، كما انني علمت من الصحفي الاستاذ السعدني انه أصبح عمدة لندن (المقصود علي أمين) وانه أصبح معروفاً ، وذكرت له رأيي في كتاباته الأخيرة .

كان هذا الخطاب بتاريخ ١٩٦٥/٦/١٦ ، ومحرراً باللغة العربية ، وسلمته الى بروس ليرسله الى أرشي روزفلت .

حدث بعد ذلك في المقابلة التالية ان ذكر لي بروس انه تلقى رسالة يسألونه فيها ان كان علي أمين قد وصل الى لندن من عدمه ، وانه رد عليها بأنه وصل فعلاً وان عنوانه فندق هيلتون في لندن .

وفي مقابلة لي مع بروس في آخر شهر يونيو أخبرته بأن علي أمين اتصل بي تليفونياً يوم الأحد السابق وأنه لم ير أرشي روزفلت بعد . وسألت علي ان كان قد تلقى خطابي فأفاد بالنفي . وقد قال لي بروس لا تندهش من هذا ،

فانني أرسلت الخطاب ويجب ان يمر على ستة جهات مختلفة قبل أن يصل الى أرشي . وفي المقابلة التي تلت ذلك في ٧/٧ ذكر لي بروس خلال مقابلتي معه انه لا يستطيع ان يؤكد ان كان أرشي قد تقابل مع علي أو لا حتى ذلك التاريخ .

وأحب ان أذكّر سيادتكم بأنني كنت دائماً على اتصال بالأمريكيين ومنهم من يعملون في المخابرات الأمريكية ، وان هذا تم بعلم سيادتكم ، وان مهمتي التي وافقتهم عليها عدة مرات ، ووافقتم ان أقوم بها ، هي أن أحاول ان أحصل على معلومات وان أفهم سياستهم نحونا ، وان أحصل على برقيات سرية منهم بالطريقة التي أراها .

وفي الوقت نفسه وافقتم سيادتكم على ان أؤلف داخل أخبار اليوم جهازاً لجمع المعلومات ، وقد قدم هذا الجهاز لسيادتكم معلومات كثيرة ومتعددة في كثير من النواحي كانت موضع رضاء سيادتكم ، وانه بعد اتمام تنظيم الصحافة سألت سيادتكم ان أستمر في القيام بهذه العملية ، فأجبتم بالايجاب . ثم حدث ان سألتكم مرة أخرى بعد ان عينت رئيساً لمجلس ادارة أخبار اليوم هل أستمر في هذه العملية أم لا ، فأمرتموني سيادتكم بأن أستمر فيها .

ولقد كان هذا الجهاز مؤلفاً من مخبري أخبار اليوم . ولقد حدث أكثر من مرة أن وافقتم سيادتكم على ايفاد عدد منهم في مهمات في سوريا أثناء الوحدة وفي العراق وفي الأردن وفي غيرها ، وكنت أرسل لسيادتكم تقاريرهم الهامة ، وكثيراً ما تفضلتم سيادتكم وأبديتم رضا كم عن عملية جمع المعلومات التي يقوم بها الجهاز ، وكنت أحاول باستمرار ان أجعل سيادتكم على علم تام بما يدور وبما نحصل عليه من أشياء ، وكنت أتحدث الى سيادتكم يومياً تقريباً وأبلغكم أولاً بأول بكل جديد .

ثم حدث بعد ذلك ان انقطع اتصالي التليفوني اليومي بسيادتكم . ومع ذلك فقد حدث أكثر من مرة ان اتصل بي الاستاذ سامي شرف وسأل عن معلومات وطلب جمعها. وأذكر على سبيل المثال مسألة اضراب سائقي

التاكسي . وعندما كنت أتحدث مع سيادتكم عن هذا الجهاز ، والاخبار التي حصل عليها سواء في مصر أو خارجها ، كنت أشعر باستمرار ان سيادتكم لا تعارضون في هذه العملية ، بل على العكس تؤيدونها وترحبون بها .

ولم يكن أحد من أعضاء هذا الجهاز يعلم أنه عضو في جهاز سري لجمع المعلومات . ولم يكن أحد منهم يعلم ان هذه المعلومات تصل الى سيادتكم . وكانت هذه المعلومات بطبيعة الحال في بعض الأحيان ليست صالحة للنشر ، أو غير مسموح بنشرها بطبيعة الظرف الذي حصل عليها فيه ، او مصدره ، أو لسريتها .

في أثناء مقابلاتي للأمريكيين ، وبعضهم يعمل في مخابراتهم ، كنت أستفيد من مناقشاتي لهذه المعلومات لأصحح الصورة الخاطئة لديهم ، أو لاقناعهم بأنني في بعض الأحيان أدس عليهم معلومات صحيحة وسط المعلومات غير الصحيحة ، حتى لا يفقدون الثقة فيّ .

وقد حدث في نهاية اتصالي بمستر بروس ، وأكاد أجزم بشهر مايو الماضي ، انه لأول مرة في أحاديثي معه انني وجدته فجأة يلح في معرفة مصادر الأخبار التي تجيء في الحديث ، فكنت أدّعي انها من سيادتكم في كثير من الحالات ، أو من مسئولين كبار ، وذكرت مثلاً اسم شمس بدران ، وحاتم ، وكولونيل في الجيش ، ومندوب لي في مجلس الأمة ومندوب لي في المطار ، وبومدين ، وعبد الحميد السراج ، قاصداً من ذلك ان أوهمه بقيمة هذه الأخبار ،وكثير منها غير صحيح ،هذا علاوة على قدرتي في التحليل السياسي .

وقد كنت قبل تأميم الجريدة أكافىء هؤلاء الناس مكافآت أكثرها من الجريدة ، وبعضها من جيبي . وعندما أممت الجريدة لم أدفع أي مكافآت من الجريدة ولم أدفع مليماً واحداً من جيبي الخاص .

وعندما أمرتم سيادتكم بأن أقوم بتحقيق في دودة القطن لتضارب المعلومات التي تصل الى سيادتكم ، اخترت حوالي العشرين محرراً مهمتهم جمع المعلومات السرية عن الحالة في الأقاليم .

وعندما أمرتم سيادتكم بأن أقوم بتحقيق عن الانتخابات وعن المرشحين واتجاهاتهم وعن المعركة الانتخابية ، أوفدت عدداً من المحررين للقيام بهذه المهمة السرية .

وعندما كان البعثيون في القاهرة كلفت عدداً من المحررين للقيام بهذه المهمة السرية ، وهي تتبع أخبارهم وتصرفاتهم في القاهرة .

وأذكر انني استفدت في الفترة الأخيرة في مناقشاتي مع بروس من تقارير بعض هؤلاء الذين كنت أستعين بهم في جهاز المعلومات السري . وكانوا يرسلون تقاريرهم لي اما الى الجريدة ، أو يرسلونها اليّ مباشرة داخل مظاريف مغلقة للعلم .

فمثلاً مصطفى سنان كان مكلفاً ـ بصفته مندوبنا في نيابة أمن الدولة وأحد موظفيها السابقين ـ بقضايا الشيوعية التي لم يكن قد صرح بنشرها بعد .

وفي مجلس الأمة اعتمدت على تقارير قدمها أحمد نجم عضو مجلس الأمة ، والذي عينه الأستاذ خالد محيي الدين لتغطية أخبار اللجان في المجلس بمكافأة شهرية قدرها أربعون جنيهاً ، والأستاذ أحمد يونس عضو مجلس الأمة وشقيق الأستاذ اسماعيل يونس المحرر بأخبار اليوم . ومما أذكره لهذه المناسبة انه لما طلب مني بروس نص حديث سيادتكم في مجلس الأمة ، كان عندي هذا عن طريقهما ـ نجم ويونس ـ الا أنني لم أسلمه اليه كما يظهر ذلك في التقارير المضبوطة .

وأمدني محمود عوض مندوب أخبار اليوم بالجهاز المركزي للتنظيم والادارة ، بخبر عن الجزائر ذكر انه استقاه من برقية بالشفرة ، وأعلم تماماً ان هذه البرقية غير صحيحة .

أما ما قلته عن وجود كولونيل في الجيش فهو غير صحيح اطلاقاً ، وقد كنت أخدع بروس في هذا .

أما مصادر حديثي في موضوع عدم زيادة قواتنا في اليمن ، وغيره مما يتعلق بالنواحي العسكرية ، فان بعضها الأول كان كلاماً لم يحدث يعبر عن

استنتاجي الشخصي ، وبعضها كان يثار من المحررين خلال مناقشات مجلس التحرير .

أما بخصوص المكافآت التي كانت تصرف للمحررين منهم فقد كانت أغلبها عن طريق الجريدة ، وهذا يمكن حصره عن طريق الكشوف والتي أمرت أنا بصرفها . واني منذ تأميم الصحف لم أدفع مليماً واحداً من جيبي لأحد هؤلاء ولا غيرهم . وان كان قد حدث قبل التأميم ان دفعت من جيبي مبالغ صغيرة ولا أذكر قيمتها نظراً لبعد المسافة من أيام تأميم الصحف سنة ١٩٦٠ الى اليوم ، وان كان الذين قدموا هذه المعلومات بعد ذلك استمروا في القيام بما أكلفهم به بغير أي مكافأة .

ومما يجدر الاشارة اليه في هذا المجال انني لم أعلم أحداً بأمر هذا التنظيم ، ولا أحد من أعضائه ، بأي شخص ، لا للذين يعملون في جهاز المعلومات أنفسهم ، ولا للمسئولين الذين تعاقبوا على الجريدة .

وأذكر ان ممن أمرت لهم بمكافآت منتظمة ، لأسباب صحفية لا علاقة لها بجمع أخبار او معلومات وانما لقيامهم بأعمال فوق أعمالهم ، نواب رؤساء التحرير أحمد زين ولطفي حسونة ووجدي قنديل وسعيد سنبل وقيمتها ١٠ جنيهات لكل منهم شهرياً ، وسامي جوهر ١٠ جنيهات في مقابل سهره في الجريدة فوق عمله ، ونبيل عصمت في مقابل سهره في أخبار اليوم فوق عمله بالأخبار ، وقد انقطع هذا المبلغ عنهما عندما توقفا عن السهر . أما ابراهيم سعدة [1] فلم أدفع له مكافآت ، وهو مكلف بالقيام بأعمال مخابرات بناء على اتفاق بيني وبين السيد صلاح نصر مدير المخابرات .

وعندما سافر علي أمين الى لندن فكرت في أن أرسل اليه جميع أوراقه وكتبه ومجموعات فكرة منذ ظهورها عام ١٩٥٢ الى اليوم ، وخطاباته الخاصة ومجموعات مشروعات كتب كان يريد اصدارها ولم يراجعها بعد .

---

(١) رئيس تحرير أخبار اليوم الآن .

وخطر في بالي ان أكلف بروس بأن ينقلها لي الى لندن بأسرع وقت .

ففي يوم ٢٦ مايو قلت لبروس ان عندي ورق في حقيبة ، وان عددها حقيبتان ، وسألته هل من الممكن ان أرسلها الى بيروت ، فأمهلني حتى يأخذ الرد . وقال انه سيسأل جماعته اذا كان في الامكان نقلها . وقلت له انني أريد ان أرسلها لأخي علي أمين . فسألني هل علي أمين في حاجة اليها الآن ، فقلت نعم انه يحتاجها ، ولقد يكون في خلال سنة . وكانت وجهة نظري بأن علي أمين يقيم في الفندق لمدة ستة أشهر على الأقل وانه سوف ينقل الى بيت بعد ذلك .

وفي خلال الحديث قلت له هل من الممكن ان آخذهم معي عند سفري أم لا ؟.

فاعترض على ذلك وقال لا .

فأفهمته انها عبارة عن أوراق هامة .

وفي مقابلة ٦/٢ سألته عما اذا كان قد تلقى رداً بخصوص نقل هذه الأوراق ، فأجابني بأنه يمكنه ان يأخذها ويرسلها للخارج . وسأل أين يجب ان يرسلهم ، فسألته عما اذا كان من الممكن ان يرسلها الى بيروت للاستاذ سعيد فريحة ، وسألته هل هو شخص مؤتمن ؟ فأجاب بالنفي معلقاً بأنه لا يدري ما سوف يفعل سعيد فريحة بمثل هذه الأوراق اذا حصل عليها . وقال انه مندهش كيف اني أحتفظ بهذه الأوراق في بيتي ، فأبديت رغبتي في نقلها بسرعة . فسألني أين أحتفظ بها ، فقلت انها موجودة في بيتي وأنني حريص على نقلها بسرعة .

وفي مقابلة بعد ذلك بأسبوع مع بروس ، سألته متى يحضر سائقي بالأوراق ، فقال انني أخذت وقتاً طيباً وان عائلته ستسافر الى الاسكندرية واقترح أن أرسل الأوراق اليه في اليوم التالي ، وانه سيخلي منزله من الخدم . وطلب ان يحضر السائق بعد المغرب في الساعة الثامنة والنصف مساء يوم ١٩٦٥/٦/٢٤ ، وقال انه سيترك باب الجراج مفتوحاً وان على السائق ان

يدخل مباشرة داخل الجراج ، وفي الدقيقة التي سيصل فيها السائق سيخرج ويقفل باب الجراج .

وذكر ان الأميرة دينا تسكن الى جواره وان لديها حارسين أحدهما من رجال البوليس والثاني من رجال عبد الناصر ، وقال بروس لي : قد يكون هذا ليعرفوا من (يقابلها) . وقلت لبروس انني سأخبر السائق ان هذه كتب علي . وقد طلب مني بروس ان أطلب الى السائق ان يدخل الجراج بظهر السيارة وان يدخل السيارة بكاملها داخل الجراج .

وقد أرسلت له الحقائب في الموعد المحدد كالنظام المتفق عليه ، وكان عددها أربع حقائب حجمها ٨٠ في ٥٠ في ٤٠ تقريباً من حقائب الملابس ، وكانت تحتوي على خطابات علي أمين الخاصة ، ومجموعات من مقالات علي أمين ، ومجموعات من فكرة ، ومذكرات عن ثورة ١٩١٩ وحركة محمد فريد ، وصور فوتوغرافية .

وحدث في اجتماع بيني وبين بروس تم بين منتصف ابريل وأوائل مايو ، او حوالي ذلك ، ان قال لي بروس انه تلقى تقريراً من ليبيا يثبت ان الناصريين في البلاد العربية أصبحوا أضعف من أن يقتلوا ذبابة ، وان الشبان القوميين في ليبيا كانوا في الماضي متحمسين لناصر وكانوا يريدون ان ينتهزوا فرصة وفاة الملك ادريس ليقوموا بضم ليبيا الى مصر ، ولكن هؤلاء الشبان أنفسهم تحولوا بعد اكتشاف البترول في ليبيا وتدفقه وانقلبوا الى فكرة ان ليبيا لليبيين ، وبذلك أصبح ناصر لا يجد في داخل ليبيا أعواناً لهم قيمة ، بل ان الليبيين أصبحوا يكرهون المصريين ولا يثقون بهم ويعتقدون انهم يريدون الاستيلاء على ليبيا وأخذ خيراتها ، وان حكومة الملك تزداد قوة ونفوذاً .

وفي شهر مايو تقريباً كنا نتحدث أنا وبروس فقلت له ان شيئاً هاماً قد حدث وهو انفجار آبار البترول في ليبيا ، وانه أثناء حديثي مع سيادتكم سألتموني ماذا اعتقد من يكون وراء هذا الانفجار ، ولا بد ان يكونوا هم المصريون ، وان نتيجة الانتخابات كانت ضدنا ، وان أنصار مصر والناصريين قد سقطوا في الانتخابات ، واني قلت ان هذا محتمل وان أنصار الحكومة الليبية

كانت توهم أنها هزمت الناصريين في هذه الانتخابات ، وأضفت الى حديثي مع بروس اني برغم هذا الحديث مع الرئيس الا انني تلقيت معلومات جديدة تفيد ان المصريين هم الذين فجروا الآبار وان بعضهم يجري التحقيق معهم ، وان الذي رتب هذا هو عزت سليمان وأنه وكيل صلاح نصر ، وانه كان المسئول عن تهريب الرجال الى الجزائر .

فذكر بروس ان الرئيس جمال عبد الناصر قطع بأن المصريين لم يشتركوا في هذه العملية ـ أي عملية نسف آبار البترول ، فأكدت له ان منظم العملية هو عزت سليمان ، وان قول الرئيس قد يكون صحيحاً اذ ان الذين نفذوا عملية النسف قد يكونون من غير المصريين وبتخطيط وتوجيه عزت سليمان ، وان هذا رد على اسقاط الناصريين في ليبيا .

واني أذكر لسيادتكم انني التقيت بمستر كيم روزفلت ومستر أرشي روزفلت عام ١٩٤٤ ، وذلك في مكتبي في مجلة الاثنين التي كنت أرأس تحريرها ، والذي قدمني لهما هو الدكتور فؤاد صروف عميد الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت .

وجاء الحديث في ذلك حول ان كيم يؤلف كتاباً عن منطقة الشرق الأوسط والبترول العربي ، وانه سيستغرق عدة سنوات لاعداد هذا الكتاب .

وقد سألني خلال هذا الحديث عن رأيي في سياسة أمريكا في المنطقة ، فقلت له ان أمريكا لا سياسة لها وانها تسير في ركاب الانجليز ضد الشعب المصري . فقال كيم اننا في حرب ، ومشاكل مصر لا قيمة لها في عملية كسب الحرب . فسألته لماذا وقفت أمريكا ضد مصر في حادث ٤ فبراير وأيدت فرض رئيس وزارة على مصر بالدبابات ، فقال لي كيم ان علي ماهر عميل ألماني وأن الملك فاروق عميل ألماني ، وان لديهم من الوثائق ما يؤكد هذا ، وان هناك خطابات سرية ضبطت تدل على ان المراسلات السرية مع ألمانيا تدور بواسطة شاه ايران ، وان السفير الأمريكي لو كان محل السفير البريطاني في هذا الموقف لاتخذ خطوات أعنف .

وكان كيم وقتها يرتدي ملابسه العسكرية كضابط في الجيش الأمريكي ، ولا أذكر رتبته . ولم يتكلم أرشي في أثناء مناقشتي مع كيم ، وكان يرتدي ايضاً ملابس عسكرية كضابط بالجيش الأمريكي .

كان هذا سنة ١٩٤٤ ، ولم يحدث بعد ذلك أن تقابلت مع أحدهما او مع مندوب عنهما ، كما لم يحدث في خلال هذه المقابلة اي اتفاقات او ارتباطات بمواعيد لاحقة .

ثم حدث ان أقام مستر كافري مأدبة غداء او عشاء لا أذكر ، وكان ذلك بعد سنة ١٩٥٠ ، فتقدم اليّ خلال هذه الدعوة كيم ويده في يد مستر كافري السفير الأمريكي ، وكان في ذلك الوقت شخصاً مدنياً ، وسألني كيم اذا كنت أذكره ، وكنت في ذلك الوقت صاحب جريدة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة ، وكنا نهاجم سياسة الوفد والنحاس ، فأجبت أنني أذكره وان شكله لم يتغير . وتحدثنا على ما أذكر في استنكاره سياسة أخبار اليوم في مهاجمة النحاس ، وان هذا يغير الموقف الدولي ولا يساعد على مقاومة الشيوعية في المنطقة ، فقلت له ان الفساد هو الذي يؤدي الى نشر الشيوعية وأننا نحارب الفساد ، وانتهت هذه المقابلة دون ارتباط .

ولكني أذكر هنا انني شعرت بأهميته غير العادية بالطريقة التي كان يمسك بها يد السفير ، وكان كافري مشهوراً بالعجرفة الرسمية .

وبعد تشكيل وزارة علي ماهر بعد حريق القاهرة في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ كنت موجوداً عند رئيس الوزارة في ذلك الحين ، ودخل السكرتير يعلن وصول مستشار الرئيس أيزنهاور . وقد بدت على علي ماهر مظاهر الاهتمام بالضيف الكبير وطلب مني الانتظار في غرفة السكرتير حتى تنتهي زيارة هذا الشخص ، فاذا به كيم روزفلت . ولكني لم أحضر المقابلة وعلمت بعد ذلك من رئيس الوزراء بأنه كان يتحدث في موضوع استئناف المفاوضات مع انجلترا ، وكان هذا أول اتجاه لامريكا للتدخل في سياسة مصر .

ودعيت بعد ذلك في احدى الحفلات ووجدت ان كيم موجود فيها ،

فتوجهت اليه بعد ان عرفت من علي ماهر أهميته . وتحدثت اليه عن مقابلته لرئيس الوزارة ، وقد ذكر لي ان أمريكا مهتمة باستئناف المفاوضات التي انقطعت بين مصر وبريطانيا ، وان لندن مستعدة ان تذهب الى نصف الطريق . وانتهت المقابلة .

وكان كيم قد حضر الى مصر في هذه المرة في مهمة قصيرة لا تزيد عن يومين .

ثم قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وحضر كيم الى القاهرة ايضاً في مهمة للاتصال بقائد الثورة . ولم أقابله في هذه المرة ، ولكني عرفت بحضوره من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وزاد تردده على القاهرة بعد ذلك في مهام كثيرة ، وقد قابلته في أغلب المرات ، وسيادتكم تعلمون انني قابلته كثيراً في هذه المرحلة .

والحقيقة انني كنت أسعى الى لقائه عندما أعلم بحضوره . وكنت أجتمع به في حضور الاستاذ محمد حسنين هيكل ، وكنا نتغدى معاً في بيتي ، وقد توطدت علاقتنا به .

وكانت مناقشاتنا تدور حول المشاكل التي تدور في الأذهان ، وجرى حديث أيضاً عن محمد نجيب ، ورأينا انه لا يصلح ، وكانت هذه المرحلة خلال الفترة من سنة ١٩٥٣ الى ١٩٥٤ .

وكان كيم روزفلت على اتصال وثيق بالثورة ، وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال لدرجة انه كان في ذلك الوقت الأمريكي صاحب أقوى نفوذ من الأمريكيين في مصر ، بما فيهم السفير الأمريكي .

ولعل سيادتكم تذكرون أنكم اتصلتم بي تليفونياً في أحد الأيام ورويتم لي المشادة التي وقعت بينكم وبين مستر بايرود السفير الامريكي في منزل الدكتور أحمد حسين ، وكيف أنه نتجت عن هذا أزمة بينكم وبين السفير ، وكيف استفدت من علاقتي بكيرميت روزفلت الذي تصادف وجوده في تلك

الليلة ، وبصرته بأثر هذا الحادث السيء على أمريكا ، واستطعنا أن نرغم بايرود على الاعتذار ، وكيف أن السفير الامريكي ذهب صاغراً الى المشير عامر راجياً متوسلاً أن تقبلوا سيادتكم اعتذاره الرسمي وأسفه الشديد عما حدث ، وهو أمر لم يحدث له مثيل في تاريخ سفراء أمريكا . .

ومع ذلك ونتيجة للاتصالات المستمرة مع أصدقائنا الموجودين في القاهرة مثل ايكل بيرجر ومايلز كوبلاند ، أمكن تحويل بايرود الى رجل آخر كما تذكرون ، وأصبح موقفه مع بلادنا طيبا بشهادة سيادتكم . واختلف بايرود مع حكومته بسبب حماسه لسياسة عبد الناصر ، وأخرجه مستر دالاس وزير الخارجية من منصبه وأنزله الى سفارة من الدرجة الثالثة .

وتذكرون سيادتكم كيف أنني استطعت أن أعرف من ايكل بيرجر أن الرئيس أيزنهاور أرسل مندوباً خاصاً لمقابلتكم ، هو جورج ألن ، بعد صفقة الاسلحة ، وأنه سوف يفاجئكم بانذار من أمريكا .

ويومها قلت كلمتك المشهورة أنه اذا حدث وقدم لكم مندوب أيزنهاور هذا الانذار فسوف تطردونه من مكتبكم ، وقد أبلغت هذا الى ايكل بيرجر وكيم روزفلت ، وكان موجوداً في القاهرة وقتئذ ، وأفهمتهم أن مثل هذا الانذار سيجر كارثة عليهم .

فما كادوا يسمعون كلمة سيادتكم حتى اضطر مندوب أيزنهاور أن يؤجل موعده ٢٤ ساعة حتى يرجع الى حكومته ويبلغها انكم تنوون طرده من مكتبكم . وعلى الاثر أبرقت اليه حكومته تطلب اليه أن يقابل سيادتكم دون أن يقدم الانذار .

استمرت علاقتي مع كيم روزفلت على هذا ، عندما يحضر في مأموريات قصيرة . وكانت مأمورياته متعددة في مهمات تتعلق باتصالاته مع رجال الثورة . وكنت في كل مرة يحضر فيها أتقابل معه ، وذلك اما عن طريقي بالمبادءة في الاتصال ، أو هو يتصل بي في بعض الحالات . وكنا نجتمع أيضا في منزلي في وقت الغداء في حضور الاستاذ حسنين هيكل . وكان الاستاذ

هيكل يشغل وظيفة رئيس تحرير الاخبار وأخبار اليوم في ذلك الوقت .

ولا تزال علاقتي به ـ كما تعلمون ـ قائمة ، بمعنى أنه اذا حضر أتصل به .

أقرر هنا أن اتصالاتي مع كيم روزفلت لم تحدث الا في خلال فترات حضوره في القاهرة والمرات التي سافرت فيها الى أمريكا . وكنت في كل مرة أسافر فيها الى أمريكا أحرص على لقائه ، وفي بعض المرات لم أقابله لتغيبه .

هذا بشأن كيم روزفلت .

أما بخصوص مستر ليكلاند ، والذي ذكر لي المرحوم صلاح سالم أنه يعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكي ، والذي شككت من بعض تصرفاته وأسئلته أنه يعمل بالمخابرات ، وقد عرفني عليه السفير الامريكي كافري خلال احدى حفلات السفارة ، والذي كنت أتناقش معه في المسائل السياسية ، وكان هذا الرجل ذا نفوذ على السفير ومصدر قوة لا يتفق مع وظيفته في السفارة ، وكان على علاقة وثيقة بأعضاء مجلس الثورة في مصر .

استمرت مقابلاتي مع ليكلاند ، وكانت تتم اما في مكتبي بدار أخبار اليوم أو في مكتب الاستاذ حسنين هيكل بأخبار اليوم . وكنا نتناقش في الموضوعات السياسية ونتبادل وجهات النظر في سياسة بلدنا . وقد استمرت هذه العلاقة حتى انتهاء مهمته في القاهرة . ولا أذكر على وجه التحديد تاريخ مغادرته مصر .

وأذكر في خلال علاقتي هذه مع مستر ليكلاند أن تعرفت عن طريق مراسل الاسيوشيتد برس بالقاهرة في ذلك الوقت في سنة ١٩٥٤ بالمستر ايكل بيرجر ، وهو مستشار بالسفارة الامريكية ، وكانت مناقشاتي معه تدور حول السياسة أيضا ، وكان يعرف علاقتي بمستر ليكلاند ، وان كنا لم نجتمع ثلاثتنا الا في حفلات كبيرة .

وتعرفت في هذه الفترة أيضا بمستر مايلز كوبلاند ضابط المخابرات الامريكي وكان يعمل في سفارتهم بالقاهرة ، وعرفني به وزرزبي نائب مدير

مكتب الاستعلامات الامريكي بالقاهرة في ذلك الوقت . وكانت علاقتي به جيدة وكان يحضر الى مكتبي ، وأحياناً في منزلي .

واستمرت علاقتي مع مايلز كل فترة وجوده بالقاهرة وبعد أن انتقل الى بيروت وعمل مديراً لاحدى الشركات الامريكية هناك . ولا زلت أتقابل مع مايلز كوبلاند ، كما تعلمون سيادتكم ، في كل مرة يحضر فيها الى القاهرة أو أتوجه فيها الى بيروت ، وان كانت مقابلات بيروت لم تزد عن مرتين ، وكان يطلب مني خدمات وهي أن أتوسط لدي سيادتكم في مسائل تجارية. ولم أتحدث الى سيادتكم بخصوصها ، وهي بشأن شراء مصر لماكينات حسابات للحكومة المصرية على حساب المعونة الامريكية . وفي بعض الاحيان يكتب اليّ طالباً تحديد موعد لمقابلة سيادتكم .

وكانت محادثاتي مع مايلز كوبلاند تتصف بنفس الاسلوب ، وهي المناقشات السياسية ، وهو يطوف المنطقة بعد سفره الى بيروت .

ولاحظت عند مقابلتي الاخيرة له في بيروت أنه واسع النشاط والاتصالات ، وأنه يتنقل بين السعودية ولبنان ومصر . وتكلم معي في موضوع اليمن وذكر ان من مصلحتنا أن ننسحب فوراً من اليمن . ورأيي في عمل كوبلاند الحالي أنه عملية مخابرات منظمة باسم شركة .

وفي سنة ١٩٥٦ قدمني الاستاذ محمد حسنين هيكل الى مستر وليم دورات ميلر الملحق السياسي بالسفارة الامريكية . وهو كما علمنا فيها بعد أنه أحد ضباط المخابرات الامريكية . وكان اتصالي به خلال فترة تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي وما بعدها .

ومكث في مصر لفترة طويلة كنت أتقابل معه خلالها باستمرار اما في مكتبي بالجريدة ، وفي بعض الاحيان في منزلي ، حيث كنا نتناقش كالعادة في الموضوعات السياسية والعلاقات المصرية الامريكية وسياسة مصر بصفة عامة ، وكنت أطلع سيادتكم يومياً على هذه الاتصالات ، وكنتم سيادتكم تسمونه (ريبركا) .

وقد أصبح ميلر الان منذ عهد كنيدي نائباً لمدير الاستعلامات الامريكي ، وهو منصب كبير جدا هناك . وأنا لا زلت على اتصال به عندما يحضر الى القاهرة ، ولم يحدث أن سافرت الى أمريكا بعد أن عين في منصبه هذا ، وتذكرون سيادتكم أنه قبل وقوع عدوان اسرائيل أخبرني ميلر بالامر الذي سيصدر للامريكيين بمغادرة مصر ، وأبلغت سيادتكم بذلك .

وعندما وقع العدوان كنت أنا ومحمد حسنين هيكل على اتصال يومي ، بل وعدة مرات في اليوم ، بمستر ميلر . ولقد كنا يومها على اتصال مستمر بسيادتكم وكنا نبلغ أمريكا باستمرار أثناء المعركة بطريقة سريعة غير الطريقة الدبلوماسية وجهة نظر بلادنا ، وذلك عن طريق ميلر كما تعلمون .

وتذكرون أن فكرة البوليس الدولي ولدت أثناء اجتماعاتنا في أخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل .

ثم تفضلتم وأوفدتموني في مأمورية أثناء العدوان في أمريكا لنشر صور العدوان . وفي واشنطن علمت بأن الولايات المتحدة مترددة في قبول وجهة نظرنا بالجلاء بلا قيد ولا شرط . وقمت بعدة اتصالات وصلت بفضلها الى حل ، وهو أن اكتب مشروع تصريح تدلون به سيادتكم من القاهرة ينشر في أمريكا ، وعلى أثره تؤيد الولايات المتحدة موقفنا .

وأرسلت لسيادتكم المشروع تلغرافياً ، وحرصت في مشروع التصريح أن يعبر عن رأي سيادتكم ، وليس فيه ذرة من التفريط في أي حق من حقوق الوطن،ولكنه في الوقت نفسه يزيل المخاوف التي ترددت في الاوساط الحكومية نتيجة للمناورات البريطانية والفرنسية .

واقتضت مهمتي في أمريكا أن أتقابل مع كبار المسئولين هناك وهم على وجه التحديد شيرمان أوامس مساعد أيزنهاور ، وهمفري وزير المالية ووزير الحربية ، والسناتور فولبرايت وهمرشولد ولودج مندوب أمريكا في مجلس الأمن .

وحدث عند اجتماعي بشيرمان أوامس مساعد أيزنهاور أن سألني عما اذا

كان من نتائج العدوان على مصر انتشار الشيوعية فيها ، فأخبرته بأن موقف أمريكا في أثناء العدوان كان عاملا خلق نوعا من التوازن في المنطقة ، اذ أنه لطف من الانذار الروسي الذي لو بقي وحده دون موقف أمريكا لكان بلا جدال عاملاً قوياً في انتشار الشيوعية في هذا البلد . وقلت انه يجب أن تعمل أمريكا على الاسراع في الجلاء ، وبعد ذلك تقدم مساعدات لمصر . وفي هذه المناقشات اقترح أن أقابل آلان دالاس مدير المخابرات المركزية حتى نتكلم في موضوع أثر العدوان في انتشار الشيوعية ، وقال أنه سيدبر لي هذا اللقاء .

وتقابلت مع كيرميت روزفلت وأخبرته بما حدث ، فقال ان هذا أمر مستحيل . ثم حدث أن اتصل بي كيم وقال لي ان أوامس دبر موعداً لك مع مدير المخابرات المركزية . وقابلت مستر آلان دالاس في مكتبه لمدة ١٥ دقيقة وقد شرحت له وجهة نظر بلادنا باختصار ورغبتنا في الاسراع بجلاء قوات العدوان في أسرع وقت وأن أي تأخير سيؤدي الى كارثة .

وقدمت تقريرا بذلك الى سيادتكم فور عودتي شرحت فيه كل هذه المقابلات واحدة واحدة ، ونص ما جرى فيها .

وفي سنة ١٩٥٨ التقيت عند الاستاذ محمد حسنين هيكل بمستر جويدون يونم وهو يتولى منصب الملحق السياسي بالسفارة الامريكية ، وكنا نتقابل في أخبار اليوم ونتقابل في المنزل اذا كانت معه زوجته ، ولكن مقابلات المكتب أكثر بطبيعة الحال . وكنت أتناقش معه في نفس الموضوعات التي كنت أتناقش فيها مع سابقيه .

واستمرت علاقتي معه حتى غادر مصر .

وفي سنة ١٩٥٨ أيضا كنت على اتصال بمستر روبرت أنشوتس ، وكان رئيس القسم السياسي في السفارة الامريكية ، وكان يتميز على زملائه بأنه كان كثير الاسئلة بطريقة ملفتة . وكنا نتناقش أيضا في الموضوعات السياسية والوحدة مع سوريا ، ولم يكلفني بارسال أي معلومات للرئيس ، بل كان يقوم بهذا يونم . وكان روبرت أنشوتس يقابلني في مكتبي وفي بيتي ، ولم يحدث أن

لاحظت أنه يعرف علاقتي مع يونم ، ولم يحدث أن تقابل ثلاثتنا معاً .

وفي أثناء ذلك عرفني مراسل جريدة نيويورك تيمس بالقاهرة في فندق كوزموبوليتان بمستر جون سيدل الملحق السياسي للسفارة ، وأعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكي ، واستمر هذا في القاهرة لفترة أربعة سنوات ، وكنت أتقابل معه بمدد متقاربة ، وكنا نتفق على مواعيد ، وكانت المقابلات تتم في المكتب أو المنزل وان كان أغلبها يتم في المنزل ، وكانت مناقشتنا عن المعونة الامريكية والشئون السياسية المختلفة .

وتذكرون سيادتكم أنه هو الذي أبلغنا بنبأ الانقلاب الذي سيقوم به زياد الحريري في سوريا قبل قيامه بوقت غير قصير ، وهو أيضا الذي كنت أحصل منه على برقيات الشفرة التي كنت أقرأها باستمرار لسيادتكم عن الموقف في العراق وفي الدول العربية .

وعرفني مستر سيدل بضابط المخابرات الامريكي بروس أوديل ، الذي حل مكانه في بيته في المعادي بعد سفر الاول . وقد سبق أن شرحت الفترة الاخيرة في علاقتي مع بروس ، وهي أنه في الثلاثة شهور الاخيرة دأب على توجيه أسئلة محددة أو طلب أن أرسل لسيادتكم توجيهات الحكومة الامريكية في قالب لا يظهر أنه مصدره ولكن كاقتراح اليّ منه في مناقشتي معه ، ولعل سيادتكم تذكرون أنني في الثلاثة أشهر الاخيرة لم أبلغكم بأي شيء .

أما علاقتي السابقة به التي بدأت تنتظم بعد حريق مكتب الاستعلامات الامريكي في القاهرة . فقد كانت مقابلات تتم بيني وبينه في منزلي وكانت مناقشاتنا عن الشئون السياسية والأمور التي تشغل الاذهان ، وعلى الاخص كان يتظاهر بأنه يبلغني أنباء هامة .

وبطبيعة الحال كان لا بد في مناقشاتي مع هؤلاء جميعاً أن ألقي اليهم بعض الاخبار أقلها صحيح وأكثرها غير صحيح كنوع من الاستدراج ، وهذا يتطلب أن أذكر أخبارا غير صحيحة في بعض الاحيان لارى رد الفعل لها ، وأخبارا صحيحة قبل نشرها حتى يمكن أن يطمئنوا الى ما أقوله لهم . وفي

بعض الحالات لم أستطلع رأي سيادتكم فيما ذكرته من أخبار صحيحة ، وذلك فقط في محادثاتي الاخيرة مع بروس أوديل بسبب انشغال سيادتكم ، وقد سبق أن ذكرت ما قلته لبروس أوديل بالتفصيل في صدد مذكرتي هذه .

وهناك شخصان كنت أتصل بهما باستمرار أيضا وهما توماس سورنسون الملحق الصحفي بالسفارة الامريكية من ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٧ الى سنة ١٩٦٠ ، وريتشارد هلجرسون الملحق الصحفي أيضا من سنة ١٩٦٠ .

وكنت اقترحت على الذين أجتمع بهم من الامريكيين أن يتبادل الرئيس أيزنهاور خطابات مع الرئيس جمال عبد الناصر حتى تكون بينهما علاقة مباشرة يستطيع كل منهما أن يفهم وجهة نظر الآخر . ولكن أيزنهاور لم يوافق على هذا الاقتراح لانه اذا كتب لعبد الناصر فيجب أن يكتب لكل رؤساء الدول العربية الاخرى حتى لا يغضبوا من هذا الاتصال مع الرئيس جمال عبد الناصر وحده . ولكن سورنسون اقتنع بالفكرة . فلما عين الرئيس كنيدي شقيق سورنسون مساعداً له أقنعه بهذه الفكرة وبدأت الخطابات المتبادلة بين الرئيس كنيدي وسيادتكم .

وملخص اتصالاتي في المدة الاخيرة مع بروس هو أن كلا مناكان يمارس ضغطاً على الآخر ، هو يحاول أن يضغط على سيادتكم بواسطتي ، وأنا أضغط عليه بأحاديثي معه أنه اذا قضي على عبد الناصر فسيكون نتيجة ذلك انقلاب شيوعي ، والفرق بيننا أن ضغطه على سيادتكم لم يصل اليكم كما تعلمون ، وأن ضغطي عليه كان يصل الى واشنطن باستمرار . فمن رأيي أن الامريكيين لا يساعدون مصر الا اذا شعروا أن هناك خطرا من الشيوعية عليها ، ولا يتوقفون عن الضغط على ثورتنا الا اذا عرفوا أن بعد عبد الناصر انقلاب شيوعي مائة في المائة . ولم يحدث في أثناء اجتماعاتي بهؤلاء أن عرفت أسماء العملاء الذين يشتغلون معهم ، ولو عرفتهم لسارعت في التبليغ عليهم . ولم تكن ثقتهم بي تسمح لهم بأن يفشوا لي عن هذه المسائل . ولم يكلفني أحد من المسئولين المصريين أن أسأل أو أبحث عن أمر هؤلاء العملاء ، ولو كنت تلقيت أي تعليمات أو توجيهات في هذا الشأن لما ترددت في الحصول عليها .

وقد كانت كل اهتماماتي في هذه الاجتماعات هي من الوجهة السياسية ومن الوجهة الصحفية .

أما بخصوص الاوراق التي ضبطت مع بروس يوم القبض عليّ يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٦٥ والتي أطلعتني عليها نيابة أمن الدولة ، فأقرر بشأنها أنني لا أعلم شيئا عن ورقة الاسئلة ولا أعلم ان كان بروس ينوي أن يسألني كل هذه الاسئلة من عدمه ، ولم يخرجها أمامي في أثناء الحديث الا .أنه سألني عن السؤال الاول وهو ما أتوقع أن يكون خطاب السيد الرئيس يوم ٢٢ يوليو ، ولم أقل له أكثر من كلمة أنني أتوقع أن يتناول الخطاب المسائل الداخلية والدولية وما قدمه الاتحاد السوفييتي لنا من معونة القمح الروسي بغير أن يطلب شروطا . ولم يكن يكتب في ورقة أمامي ، وان كانت عادته في المرات السابقة أن يخرج ورقة ويكتب فيها رؤوس مواضيع فقط . وانني أستشهد برئيس النيابة الذي تولى عملية القبض بأن الورقة المضبوطة لم تكن أمامي ولا أمامه وانما كانت في جيبه ، وقد ذكرت هذا في أقوالي ، وباطلاعي على ما ورد في ترجمة التقرير الذي كتبه بروس بخطه فان الذي ورد فيه موضوعات لم تطرق في الجلسة الاخيرة ، وانما ورد على لساني بعض ما جاء فيها من مقابلات حدثت من ثلاثة شهور على الاقل ، وهي على التحديد ما يلي :

أذكر أنني قلت على لسان سيادتكم أنكم منحتم أكثر من اللازم في فترة قصيرة وأن هناك ليست ميزات جديدة لكي يمكن منحها .

وبخصوص تغيير العملة أذكر أنه سألني منذ أكثر من ثلاثة شهور أن لديهم معلومات أننا قررنا تغيير العملة وأنني أجبت على لسانكم بالنفي .

وبخصوص مناقشات حول سياسة ج . ع . م . انه قال أنه لو اهتم جمال عبد الناصر بشئون بلده الداخلية فقط وابتعد عن موضوعات التدخل في الكونغو والعراق واليمن فان الحكومة الامريكية مستعدة أن تساعد مصر مالياً مساعدات ضخمة . فقلت له على لسان سيادتكم أنكم مقتنعون بأنه لولا نفوذنا الخارجي لما اهتمت أمريكا بنا ولما أعطتنا دولاراً واحداً،ولو أننا بقينا على

حالنا في الداخل لما استطعنا أن نتحول الى دولة كبيرة ولا أن نحصل على برنامج واسع من المعونة وذلك لقدرتنا في الخارج . .

وقلت له على لسانكم انكم تعلمون أن كل ما يحدث من حركات ضدنا من الخليج الفارسي الى المغرب هو من تخطيط وعمل المخابرات الامريكية . ولكن هذا الحديث جرى من حوالي أربعة أو خمسة شهور ، ولم يكن في المقابلة الاخيرة .

سيادة الرئيس

وأحب أن أثير سؤالاً ، هل كان المقابل الذي حصلت عليه من اتصالاتي بالمخابرات الامريكية أو الامريكيين المسئولين يساوي ما قدمته لهم ؟

والجواب على ذلك أنني لم أتقاض ثمن هذه الصلة مالاً أو مرتباً شهرياً أو سنوياً ، انما جاء المقابل في الصور الآتية فقط :

١ ـ أخبار أمدني بها المسئولون الامريكيون ورجال المخابرات الامريكية خلال هذه السنوات العديدة . وكنت أتولى نشرها في أخبار اليوم والاخبار وباقي صحف الدار وننفرد بها دون باقي الصحف الاخرى التي تصدر في القاهرة ، أدت الى زيادة توزيع صحف أخبار اليوم وبالتالي أدت الى زيادة ايراداتها .

ومن هذه الاخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين ، وكانت تجري سراً في أوروبا في ذلك الحين . وكانت أخبار اليوم أول جريدة في العالم سبقت بنشر هذا النبأ .

كذلك خبر عن أول تفصيلات عن اختراع القنبلة الذرية . وكذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية في أوروبا . وكذلك خبر عن موعد الهجوم المنتظر الذي سيقوم به هتلر على روسيا . وكذلك أول خبر عن مفاوضات ايطاليا للتسليم للحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية . كذلك أول خبر عن أن الروس بدأوا يعرفون سر القنبلة الذرية .

٢ - وبهذه الصلة حصلت على امتياز اصدار مجلة المختار ، وهو يدر على أخبار اليوم مبلغاً طائلاً سنوياً . وقد وافقتم سيادتكم على أن نحصل على امتياز اصدار هذه المجلة .

٣ - وبهذه الصلة حصلت على امتياز طبع مجلة الصداقة ، وهو يدر على أخبار اليوم مبلغا كبيراً سنوياً .

٤ - وبهذه الصلة حصلت أخبار اليوم وصحفها على اعلانات من شركات أرامكو و T. W. A. وبان أمريكان ، وكانت كل الصحف الاخرى كالاهرام مثلا تأخذ نفس القدر من الاعلانات .

٥ - وبهذه الصلة حصلت على ورق من أمريكا لمصر بحوالي ٢ مليون جنيه ، وهو الورق الذي تسلمته الحكومة المصرية . ولكني كصاحب أخبار اليوم استفدت من هذا الورق لانه وزع على الصحف بنسبة توزيعها،فحصلت أخبار اليوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق ، وكان الورق الذي اشتريناه من الحكومة أرخص من ورق السوق ، فربحنا بطبيعة الحال .

٦ - حاولت أن أستفيد من هذه الصلة في شراء مطابع جديدة من أمريكا . وطلبت منهم أن يعاونوني في أن أحصل على قرض من بنك التسليف والاستيراد الامريكي لشراء مطبعة ، وكان المبلغ المطلوب حوالي ١٠٠ ألف جنيه ، فلم يوافق البنك لانه يطلب ضماناً من الحكومة المصرية ولان تقاليد البنك هي عدم تقديم قروض للصحف .

٧ - وبهذه الصلة أمكنني أن أوفد أم كلثوم لتعالج في أمريكا بالذرة بدون مقابل .

٨ - وفي الوقت نفسه حصلت لبلادي من الامريكيين على معلومات هامة وخطيرة عن موعد هجوم اسرائيل سنة ١٩٥٤ ، وقد هم سيادتكم بفضل هذه المعرفة في كسب المعركة . وجميع الاخبار عن الحالة في سوريا بعد الانفصال وانقطاع وسائل الاتصال بالاقليم السوري ، وجميع الاخبار عن الحالة في العراق بعد نزاعنا مع عبد الكريم قاسم ، وجميع أخبار الموقف في السعودية

بعد الازمة التي وقعت بيننا وبين سعود . وأنا الذي أخبرت سيادتكم بنبأ المؤامرة التي يقوم بها الملك سعود مع أحمد أبو الفتح [1] وسعيد رمضان . وبعد أن أبلغتكم هذه المعلومات ومصدرها عرفت من سيادتكم أنكم بوسائلكم الخاصة عرفتم تفاصيل وأسرار هذه المؤامرة .

(امضاء)
مصطفى أمين

هذا الاقرار والالتماس المكون من ستين صفحة الموقع عليه مني محرر بمعرفتي وقد ضمنته تفاصيل اتصالاتي برجال السفارة الامريكية التي تمت بعد استئذان السلطات وموافقتها وليست هناك اتصالات أخرى غير ما دونت باقراري هذا .

٥ /٨/ ١٩٦٥ .

(امضاء)
مصطفى أمين »

(١) الاستاذ أحمد أبو الفتح أخ غير شقيق للاستاذ محمود أبو الفتح صاحب جريدة « المصري » ، وقد حوكم الاستاذ محمود أبو الفتح بتهمة الاتصال بدول حلف بغداد ، وأصدرت محكمة ثورة - كان أنور السادات أحد أعضائها - حكما باغلاق الجريدة . وفيما بعد كان آل أبو الفتح - المقيمون وقتها في سويسرا - وراء انشاء محطة اذاعة « مصر الحرة » التي كانت موجهة الى الشعب المصري أثناء حرب السويس. وكانت دول الحلف هي التي تمولها ، والاستاذ أحمد أبو الفتح يكتب الآن مقالات اسبوعية في أخبار اليوم .

الفصل الثاني
خواطـــر واحتمـــالات

. . . لم أشعر بالوقت وأنا جالس ، مكب بحواسي كلها على هذه الرسالة ـ الوثيقة .

ونظرت إلى ساعتي بعد الفراغ منها فاذا هي قد استغرقتني لساعتين كاملتين . . . قرأتها كلها ثم أعدت قراءة بعض الفقرات فيها . . . أكثر من مرة في بعض الاحيان .

وتنبهت الى اختلاف مشاعري بعد قراءة الرسالة ـ الوثيقة ـ عما كانت عليه قبلها . . .

لقد تبدد فجأة ذلك الاحساس باختلاط المشاعر والمشاهد والصور .

ولم يكن هناك أسى . . . وحتى الحزن لم تعد فيه لسعة الألم التي كانت هناك عندما كانت الرسالة ـ الوثيقة ـ مغلقة داخل ملفها تطوي نفسها على أسرارها قبل أن أتوفر على قراءتها .

بدلا من ذلك أحسست بنوع من الهدوء الداخلي . . . ونوع من الصفاء الفكري والنفسي العميق .

وكان تفسيري لذلك على الفور : انها رؤ ية الحقيقة لاول مرة . . . على الاقل صورة لهذه الحقيقة بغير هواجس أو وساوس . . . الواقع كما هو . . .

كما جرى . . . وكما يعرض نفسه على كل الأطراف ويبدو أمامهم .

وأخذت مقعدا الى شرفة تطل على البحر وجلست أنظر من بعيد الى البحر الذي غطاه الظلام وان لم يستطع أن يوقف حركته . كان صوت تدافع الأمواج على الشاطىء يصل اليّ في سكون الليل. وكانت السماء ملأى بالنجوم التي تلألأ بريقها اكثر في تلك الساعات التي تسبق طلوع الفجر ، ورحت أحدق في النجوم العالية البعيدة . . . وبعض السحب التي تجري تحتها وتخفيها عن ناظري لبعض الوقت ثم تذهب الى حال سبيلها .

وكان في ذهني سؤال واحد يطرح نفسه عليّ بغير صخب وبغير الحاح .

وكان السؤال هو : « ولكن ما هي الحقيقة ؟ ما هي الحقيقة وراء ما يبدو في هذه الاوراق التي فرغت لتوي من قراءتها . . . ما هو جوهر الحقيقة ؟

كان صعبا علي أن آخذ ما تقول به الرسالة ـ الوثيقة ـ وما قرأته وسمعته فيها . كما هو بألفاظه وكلماته ثم أصدر على أساسه حكما وانتهى الأمر .

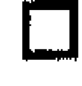
بدت الأمور في ذهني أكثر تعقيدا من هذا التبسيط .

وبدا لي أنني حتى لو قبلت ما يقول به كل الذي قرأته وسمعته في الايام الاخيرة ، بما في ذلك ما فرغت منه هذه اللحظة ـ وأخذته كله أمرا واقعا يفرض نفسه ـ فان الأمر الواقع ليس هو الحقيقة المطلقة .

وعلى فرض أنه الحقيقة النهائية ـ فماذا أوصل الامور الى هذه النهاية ؟

ان الطريق الذي أوصل الامور الى هذه النهاية بدا لي جزءا لا يتجزأ من هذه النهاية ذاتها ، ومن ثم فان البحث عن الحقيقة في كمالها وجلالها لا بد له ايضا ان يعثر على اجابة لهذا السؤال : كيف وصلت الامور الى هنا ؟ . . الى ما تقول به الاوراق والاشرطة وهذه الرسالة ـ الوثيقة ـ التي جلس صاحبها لكتابتها طوال أربعة أيام وجرى عليها قلمه عبر ستين صفحة كاملة من القطع الكبير ؟

وراحت التصورات والاجتهادات . . والآراء والقضايا تعبر خواطري كتلك السحب التي راحت تعبر السماء تحت النجوم .



حتى هذه اللحظة وبعد مرور قرابة العشرين سنة على تلك الليلة كانت بعض الاسئلة التي وردت على فكري ما زالت تعرض نفسها عليه .

كان سهلا عليّ أن آخذ بالتفسير البسيط والمسطح ، وأنسب الامر كله الى الخيانة والعمالة وما إلى ذلك من كل ما شاع في القاموس السياسي العربي من نعوت .

وكان ما سمعته وقرأته ـ بما فيه الرسالة الوثيقة التي فرغت منها لتوي ـ يوافق ويؤيد .

ثم كان في استطاعتي أن اتذكر مما أعرفه ما قد يعزز هذا التفسير ويؤكده .

لم يكن سرا أن الولايات المتحدة الامريكية راحت ـ وحتى من قبل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية ـ تسعى وترتب لنفوذها وسلطانها في عالم ما بعد الحرب . كانت تدرك أنها وريثة الامبراطوريات القديمة . وكانت تعرف انها ستخرج من الحرب باعتبارها المنتصر الاكبر الذي له وحده الحق في بناء نظام عالمي جديد يوافق هواه ومصالحه . وكان ضمن ما سعت اليه ورتبته ضرورة نشر القيم الامريكية وطريقة الحياة الامريكية في كل أرجاء الدنيا . . . خصوصا في بلاد الاعداء السابقين الذين خسروا الحرب وأصبحوا تحت رحمتها ،وكذلك في البلدان التي كانت واقعة تحت نير الاستعمار التقليدي الذي فكت الحرب قبضته وأوشك الذين كانوا تحت حكمه أن يتحرروا وأن يختاروا لانفسهم ما يريدون من مجموعات القيم وطرق الحياة . كَسْبُ هؤلاء جميعا كان أولوية تسبق غيرها من الاولويات في السياسة الامريكية بعد الحرب .

بمقتضى ذلك وتأسيسا عليه قامت المخابرات الامريكية بعمليات واسعة

في عالم النشر ، وبالتحديد في المجالين السابقين .

مجال الاعداء الذين استسلموا في أوروبا والشرق الاقصى .

ثم مجال الدول التي انفكت عنها قبضة الاستعمار التقليدي وجاءتها الفرصة لتتحرر .

لم يعد ذلك ضربا من الظن ، وانما أصبح اليوم أدلة وشواهد لا سبيل الى انكارها [1] .

يقول تقرير لجنة نشاط المخابرات في الكونجرس على سبيل المثال أن سلطات الاحتلال الامريكي في ألمانيا كانت هي التي ساعدت « آكسل سبرنجر » ـ الناشر الالماني المعروف الان ـ على اعادة تأسيس دار صحفية كبرى في هامبورج ، وهي التي جاءت له بالمطابع والورق ـ لكي يبدأ على الفور في اصدار صحف تتولى غسيل مخ الشعب الالماني مما قد يكون عالقا فيه من بقايا التراث النازي .

نفس الشيء حدث في اليابان مع الدور الصحفية التي كانت على استعداد لكي تغسل مخ الشعب الياباني من آثار العسكرية اليابانية التي كادت تنجح في رفع علم الشمس المشرقة فوق كل المحيط الهادىء .

---

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع في هذا الصدد تقرير اللجنة الخاصة التي شكلها الكونجرس الامريكي برياسة السناتور تشرش سنة ١٩٧٤ لتقصي نشاط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبالذات الجزء الخاص فيه بعمليات انشاء دور صحف ونشر في عدد كبير من بلدان أوروبا والعالم الثالث ـ وحتى في الولايات المتحدة ذاتها . ومن الظواهر الملفتة للنظر في هذا التقرير أن مجلة « الريدرز دايجيست » ـ أو « المختار » كما صدرت باللغة العربية فيما بعد ـ ورد اسمها ضمن المجلات التي ساعدت المخابرات المركزية على نشرها . ومن الغريب أن أول طبعة عربية ظهرت في مصر رأس تحريرها الدكتور « فؤاد صروف » وهو الذي يشير اليه الاستاذ مصطفى أمين في رسالته ـ الاعتراف ـ ويقول أنه هو الذي قدمه الى « كيرميت روزفلت » ـ سنة ١٩٤٤ التي صدرت في نهايتها مجلة أخبار اليوم ! ـ كذلك فان « المختار » صدرت فيها بعد عن دار أخبار اليوم ، وذكر الاستاذ مصطفى أمين في رسالته ـ الاعتراف ـ أن ذلك كان بين الفوائد التي حصل عليها من صلاته الامريكية !

ويلفت النظر في القيم التي تروج لها « المختار » شيئان : الأول أن النجاح مرهون بالحظوظ والمصادفات ـ والثاني أن العدل الاجتماعي معلق بكرم المستعدين للتبرع والاحسان !

نفس الشيء حدث في ايطاليا .

شيء مماثل حدث في بلدان العالم التي كانت واقعة تحت الاستعمار أو كانت مناطق مفتوحة للنفوذ الدولي الجديد بعد أن تغيرت مراكز السيطرة في العالم .

فور انتهاء الحرب على سبيل المثال ظهرت فجأة ـ سنة ١٩٤٥ ـ في طهران دار صحفية كبرى كان أبرز ملامحها دعوتها المستمرة لمجموعة قيم جديدة وطريقة جديدة في الحياة ـ وهي « دار كيهان » المشهورة . ولم تترك الوثائق التي وجدت في مبنى السفارة الامريكية في طهران ـ حين احتلها طلبة الثورة الاسلامية في ايران ـ مجالا لاحد أن يشك في الملابسات التي اكتنفت تأسيس الدار وظهور صحفها .

ويخطر على البال أن أخبار اليوم ظهرت في نفس هذه الفترة ـ أواخر ١٩٤٤ ـ فهل كانت « أخبار اليوم » منذ اليوم الاول حلقة من هذه السلسلة ؟[1] .

ان الاستاذ مصطفى أمين في رسالته ـ الوثيقة ـ يعترف أنه قابل كيرميت روزفلت وآرشي روزفلت ـ لاول مرة ـ في نفس هذه السنة ـ ١٩٤٤ .

فهل هي مصادفة . . أو هي أكثر ؟

خاطر آخر يطرح نفس السؤال وهو أن مراسلي أخبار اليوم في الخارج وقت انشائها كانوا ـ كما يبدو لنا الآن ـ طرازاً غريباً من الصحفيين .

كان مراسلها في نيويورك ـ مثلا ـ هو « جوزيف ليفي » . واتضح فيما بعد أنه لم يكن يهوديا فقط ، وانما كان واحدا من أبرز الدعاة للوكالة اليهودية ـ المقدمة الاولى لحكومة اسرائيل .

---

(١) كتب الاستاذ مصطفى أمين في هذه الفترة أول كتاب له في حياته وكان عنوانه « أمريكا الضاحكة » ، وكان موضوعه عرضا شيقا وجذابا لطريقة الحياة الامريكية .

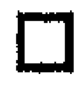
وكان مراسلها في لندن هو « جون كيمشي » والان نعرف أنه ابن عم لـ « دافيد كيمشي » وكيل وزارة الخارجية الاسرائيلية .

ولم تكن المسافة بعيدة بين الصهيونية والسياسة الامريكية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية .

مصادفات هي . . . أو شيء أكثر ؟

ان الصحف الكبرى التي نشأت في العالم الاكثر تقدما ـ بمعونة أمريكية ـ استطاعت بعد وقت أن تقطع الحبل السري الذي كان يربطها بالسياسة الامريكية . حدث ذلك بالنسبة لـ « دي فيلت » في ألمانيا . كذلك على وجه اليقين حدث لجريدة « يميوري » في اليابان وصحيفة « آساهي » أيضا ـ فهل يمكن أن تكون الصحف التي نشأت في بلدان العالم الاقل تقدما ـ ايران ومصر وغيرهما ـ أعجز عن أن تقطع الحبل السري مع جهة المنشأ ومن ثم بقي نمط العلاقات كما كان ، ثم نزلت به الحوادث الى ما هو أدنى من مجرد نشر القيم الامريكية وطرق الحياة الامريكية ؟

كل هذه تفسيرات ، ولها شواهد ، وقد تكشف ، وبالتالي قد تريح . ولكن هل يمكن القبول بها حقيقة نهائية ومطلقة ؟



وقضية أخرى تطرح نفسها وما زالت :

علاقة الصحافة والصحفي بجهات أجنبية وبساسة أو دبلوماسيين أجانب .

أي صحافة تحترم نفسها تعرف بالطبع أنها مطالبة بتغطية أخبار العالم الى جانب اهتمامها بأخبار وطنها .

وفي هذا فان الصحفي يتصل ويقابل . . . واذا كان يريد أن يسمع فعليه بدوره أن يتكلم . فالحصول على الاخبار ليس عملية استجواب لمصادرها ، وانما هو عملية حوار . وكانت للصحفي الامريكي الذائع الصيت

« جيمس رستون » عبارة مشهورة يقول فيها : لو طبقت علينا (يقصد الصحفيين) معايير المكارثية والنظرة البوليسية الى التصرفات والافعال ـ لامكن أن يثبت على كل صحفي وبدون استثناء أنه عميل لدولة أجنبية .

والقول صحيح .

لكن صميم القضية يبقى هو حدود ما يقال وطبيعته وظروف قوله ـ وهذه قضية مفتوحة للاجتهادات .

وكان جمال عبد الناصر قد عبر عن هذه القضية بطريقته وفي معرض حديثه عن الاستاذ مصطفى أمين بالذات حين قال :

ــ انه ينقل من هنا الى هناك ومن هناك الى هنا ، لكن القضية الاساسية في النهاية هي : لمن الولاء ــ لهنا أو لهناك ؟

ولماذا لا يفسر ما كان الاستاذ مصطفى أمين يقوله « لبروس تايلور أوديل » وغيره ممن كان يتصل بهم ـ باعتباره حوارا يستهدف الحصول على أخبار ؟

يمكن ؟

لكن المشكلة أن بعض ما قيل يستعصى تطويعه لهذا التفسير على الاقل ببساطة .

على سبيل المثال : هل يمكن أن تخضع لهذا التطويع أخبار من نوع :

● هذا التهويل في نشاط الشيوعيين في مصر ، وانهم استولوا على كل شيء خصوصا في الصحافة ، وان جمال عبد الناصر لا يقدر خطرهم ويتصور خطأ أنه يستطيع اعتقالهم في نصف ساعة .

● وأن هناك خلايا ضبطت في الجيش المصري من ضباط لم تعرف بعد هويتهم .

● وأن هناك انفجارا وقع على مدمرة مصرية في ميناء الاسكندرية .

● وأن هناك صفقة أسلحة جديدة مع الاتحاد السوفييتي .

● وأن قادة القوات المصرية المسلحة يفعلون كذا في يوم كذا .

● وأن مصر اتفقت مع الصين على صنع قنبلة ذرية [1] .

● وأن الوضع الاقتصادي المصري ينهار ـ لدرجة أن مصر تبيع احتياطيها من الذهب .

● وأن هناك سيارة عسكرية ضبطت محملة بأكثر من ٣٠٠ كيلو من الديناميت وأن رقمها هو ٣٩٠٣٦ .

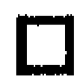
● وأن جمال عبد الناصر مريض بالسكر .

● وأن عبد السلام عارف مريض بالسرطان .

● وأنه ليست هناك اجراءات ضد ألمانيا الغربية ـ عندما باعت سلاحا لاسرائيل ـ بعد قرار قطع العلاقات الدبلوماسية معها .

وأن . . . وأن . . . من كل ما حوته الملفات والاشرطة . . . ثم ما جاءت لتؤكده الرسالة الاخيرة التي كتبها الاستاذ مصطفى أمين لجمال عبد الناصر . فضلا عن المواعيد المحددة كل أسبوع . . . والأسئلة المكتوبة الموجهة . . . والحقائب المطلوب اخراجها والأموال المطلوب تهريبها . . . الى اخره .

قضية معقدة .



لكن هذه القضية المعقدة لها وجه اخر لا تستقيم الامور بغير التعرض له ـ ذلك أن الاستاذ مصطفى أمين ينسب ما يقول لجمال عبد الناصر ويظهر أن له صلة به .

---

(١) كان هناك اتصالات بالفعل بين الصين ومصر بشأن التكنولوجيا الذرية . وكان هناك وفد مصري في الصين برئاسة الدكتور « عبد المعبود الجبيلي » ـ مدير هيئة الطاقة الذرية . وكان تسرب هذا الخبر ـ الى جانب غيره ـ من بين الاسباب التي دعت ـ في ذلك الوقت ـ الى عدم نشر الرسالة ـ الاعتراف ـ وكذلك الى جعل محاكمة مصطفى أمين امام محكمة أمن الدولة العليا .

وعلى وجه اليقين فلقد كانت له - في وقت من الاوقات - صلة ، وهذا يطرح مشكلة أخرى وهي مشكلة العلاقة بين الصحافة وسلطة الحكم .

وهذه مشكلة عويصة . . . لها جوانب متعددة ومتشابكة تستحق نظرة متأنية إليها لكي تتضح وتستقيم الامور :

● هناك أولا أن الصحافة في أي بلد هي جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية في هذا البلد .

● وهناك أيضا أن الصحف لا تصدر وتنتشر تعبيرا عن الاراء والرغبات الذاتية لمحرريها ، وانما هي تصدر وتنتشر عندما تعبر عن آراء ومصالح أوسع وأكبر لقوى وتيارات اجتماعية .

● وهناك ثالثا أن حرية الصحافة لا تتأكد بمجرد الاعلان عنها ، وانما تتأكد حين تكون الاراء والمصالح التي تعبر عنها أي صحيفة قادرة على حماية حقها في التعبير عن نفسها .

● ويترتب على ذلك - رابعا - أن تعدد القوى في المجتمع - ودرجة هذا التعدد وفق مرحلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والتوازنات الناشئة عنها - هو الذي يخلق امكانية تنوع الاراء تعبيرا عن تعدد القوى .

ونفس هذا التعدد في القوى الاجتماعية والتوازن الذي يخلقه هو الذي يهيىء امكانية تعدد السلطات ويفرض ضرورات الاحتكام الى القانون طواعية كمرجع أخير تقبله هذه القوى لتحديد خطوط العلاقة بينها . والتعدد على هذا النحو هو الذي يسمح بقيام أحزاب وبرلمانات وحكومات أغلبية وصحافة قوية وقضاء نافذ . . . وهكذا . . .

● ويتصل بذلك - خامسا - انه اذا سادت في مجتمع معين - بسبب طبيعة مرحلة التطور التي يمر بها - سلطة واحدة فان الحياة السياسية في أي بلد تنحصر في حدود هذه السلطة الواحدة ، وما عداها يكون خروجا عليها بالتمرد أو بالثورة .

ومن الصعب بالطبع تصور الصحافة في أي بلد خارج هذا الاطار . . أي خارج حركة المجتمع وخارج مراحل التطور .

ولم تكن نشأة الصحافة في مصر بعيدة عن هذه القواعد .

ظهرت الصحافة في مصر مع نشأة الدولة الحديثة التي أقامها محمد علي . وظهرت « الوقائع المصرية » تعبيرا عن سلطة الوالي الواحدة والوحيدة في مصر . في مرحلة معينة من تطور مصر الاجتماعي والاقتصادي .

وعندما تسابقت القوى الاجنبية للسيطرة على مقدرات مصر بعد انهيار دولة محمد علي ظهرت في أواخر القرن الماضي صحف تعبر ـ أو على الاقل تعتمد بشكل أو آخر ـ على القوى المتسابقة والمتنافسة . ولم تكن دار « المقطم » بعيدة عن مخططات بريطانيا ، ولا كانت دار « الاهرام » بعيدة عن أحلام فرنسا .

وعندما بدأت الحركة الوطنية ، لم تكن الصحافة المصرية بعيدة عن القوى المتصارعة في الحلبة المصرية من الخارج أو في الداخل .

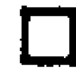
كانت هناك صحف تعبر وتستند على النفوذ البريطاني . وأخرى تعبر وتستند على نفوذ القصر الملكي . وصحف تعبر عن التيار الغالب في الرأي العام المصري ، وهو تيار الوفد ، خصوصا في فترة تقدمه الاولى التالية لثورة ١٩١٩ . وفي الحقيقة فان هذه الصحف كانت تعبر وتستند : اما الى قوة مصالح الاحتلال . او الى قوة الطبقة المتوسطة العليا التي انتهت اليها كل مكتسبات الحركة الوطنية الشعبية سنة ١٩١٩ ، والتي شدتها الظروف ـ لسبب أو آخر ـ الى التهادن مع سلطة الاحتلال .

وكان ذلك مما أدى الى ثورة ١٩٥٢ .

وأقامت ثورة سنة ١٩٥٢ سلطة واحدة تعبيرا عن مرحلة من التطور اقتضت تحولات اجتماعية عميقة تحاول تجربة فريدة في التاريخ عن طريق ضبط الصراع الطبقي والسعي لتذويب الفوارق بين الطبقات ـ في مناخ اقليمي

ودولي بالغ الحساسية . ولم يكن هناك بديل خلال هذا كله - أو هكذا بدا - الا بسلطة وطنية مركزية تناضل لتحقيق الاستقلال بديلاً عن الاحتلال ، وتنظم وتحدد طريق التغيير الاجتماعي الضروري بديلا للحرب الأهلية .

(وقصة الصحافة المصرية هي قصة الصحافة في بقية البلدان العربية . وكان يضرب المثل - في وقت من الاوقات - بصحافة لبنان . والحقيقة - وقد عبر عنها جمال عبد الناصر ذات مرة بقوله : « ان في لبنان حرية صحافة ولكن ليس في لبنان صحافة حرة » ان التعدد والتنوع الذي كان ظاهرا في صحافة لبنان في وقت من الاوقات كان سببه تعدد وتنوع مصادر التمويل . مبكرا كان للولايات المتحدة ولبريطانيا ولفرنسا صحافتهم ، وبعد ذلك أصبحت لمصر صحافتها ، وللسعودية صحافتها ، وكذلك لسوريا . . . الشكل الظاهر أن هناك حركة متنوعة الاتجاهات . لكنها لم تكن صحافة حرة بالمعنى المطلوب أو المرجو ، وانما شيئاً آخر . صراع قوي يحدث في لبنان ، وتعبيرات متعددة متنوعة بتعدد وتنوع القوى التي تعمل في ساحته باعتباره مركزا مفتوحا لصراعات العالم العربي كله وتوازناته) .



ذلك كله جانب من الجوانب .

تلوح بعده جوانب أخرى .

عندما قامت سلطة واحدة في مصر بثورة ١٩٥٢ ، لم يكن معقولا ولا ممكنا أن تكون الصحافة بعيدة عن السياسة وما فرضته عليها مراحل التطور الاقتصادي الاجتماعي .

وربما كان الخيار المتاح للصحافة في ذلك الوقت أن تحدد موقعها من السلطة الواحدة الجديدة واين هي منها ؟ . . هل هي عند الرأس تناقش وتحاور على مستوى القرار ، أم هي عند الذيل تمارس دور التابع والاداة .

وهكذا فان درجة من الاقتراب لم يكن لها بديل ، والخيار المطروح هو

أين بالضبط ؟ . . على مستوى الحوار والقرار أو على مستوى التبعية والدونية ؟

جانب ثالث هو أن علاقة الصحفي بالسلطة علاقة حيوية . فهي صانعة الاخبار وهو يريد هذه الاخبار في نفس الوقت الذي تريد هي فيه كتمانها أو على الاقل تكييف نشرها . ثم انه بالنسبة لها وسيلة الوصول الى الجماهير ، ولذلك فهي ـ السلطة ـ تفضله أداة ، ومن ناحيته هو ـ الصحفي ـ فان هناك منزلقاً أن يصبح مجرد سلك وبوق .

علاقة مركبة بين طرفين . . كلاهما يحتاج الى الاخر ، وكلاهما يحذر الاخر .

الصحفي يريد الاخبار ويريد استقلاله .

والسلطة تريد الوصول الى الناس ولا يهمها استقلاله .

وجانب رابع هو أن اقتراب الصحفي من السلطة واقتراب السلطة من الصحفي علاقة ـ هي الاخرى ـ مركبة . وعندما يقترب صحفي من عملية صنع الاخبار الى درجة كافية فانه ـ شاء أو لم يشأ ـ يصبح ليس مجرد شاهد على صنعها وانما يتحول أحيانا ـ بدرجة موقعه ـ الى طرف في صنعها .

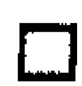
وليس ذلك قاصرا على مصر . . . بل انه شبه قاعدة حتى في اكثر البلاد تقدما .

كان عميد الصحفيين في هذا القرن « والتر ليبمان » أقرب الصحفيين الى « وودرو ويلسون » وكان هو الذي صاغ نقط « ويلسون » الاربع عشرة الشهيرة التي أحدثت دويا في العالم الثالث كله في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الاولى . كانت نقط « ويلسون » هي التي حركت عملية انشاء الوفد المصري برئاسة « سعد زغلول » في مصر .

ولم يكن كبار الصحفيين في العالم الحديث : « بيف ميري » في الموند (فرنسا) ، و« جيمس رستون » في نيويورك تيمس (أمريكا) ، و« كونراد ألرس » في درشبيجل (ألمانيا) ، « ألكسي أدجوبي » في أزفستيا (روسيا) ـ

مجرد ناقلي أخبار وانما كانوا من صناعها مع رجال من أمثال « ديجول » و« كنيدي » و« براندت » و« خروشوف » .

وفي مصر على سبيل المثال فقد كان « العقاد » وثيق الصلة ، « بسعد زغلول » ، كما أن « محمود عزمي » هو الذي كتب « لعلي ماهر » (باشا) برنامج وزارة المائة يوم الشهير سنة ١٩٣٦ .



وكان الاستاذ مصطفى أمين قد تعود على الاتصال « بالحكام » قبل الثورة . وكان اتصاله بالقصر الملكي . وقد توثق اتصاله بالقصر أثناء توليه رئاسة تحرير مجلة « الاثنين » التي كانت تصدر عن « دار الهلال » . وفي سنوات الحرب العالمية الثانية كان قد أصبح ضمن الحاشية المحيطة « بأحمد حسنين » (باشا) رئيس الديوان الملكي . وفي هذه الفترة لعب الاستاذ مصطفى أمين دورا كبيرا في الحملة على حزب الوفد وعلى رئيسه « مصطفى النحاس» (باشا) بدءا باستغلال حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الى استغلال وقائع الكتاب الاسود الذي كتبه « مكرم عبيد » (باشا) بعد أن اختلف مع « النحاس » (باشا) . وكانت مسودات هذا الكتاب ووثائقه تحفظ في خزائن القصر . كما أن القصر تولى برجاله وبوسائله توزيع هذا الكتاب بعد طبعه .

وكانت المهمة التي قام بها الاستاذ مصطفى أمين هي العمل على ترويج شعبية الملك ، وهكذا كان ضمن المجموعة التي صحبت الملك في رحلة الصعيد سنة ١٩٤٤ أثناء انتشار وباء الملاريا . وكانت مجلة « الاثنين» هي التي خلعت على الملك فاروق أوصافا مشهورة مثل « العامل الاول » و« الوطني الاول » وغيرهما من الالقاب .

واشترك الاستاذ مصطفى أمين اشتراكا فعليا في المناورات التي سبقت اقالة وزارة « مصطفى النحاس » (باشا) في اكتوبر ١٩٤٤ . و« أنعم » عليه بعدها برتبة « الباكوية ». وكان الاستاذ علي أمين هو الذي ذهب الى معتقل

« مكرم عبيد » (باشا)[1] يحمل اذن الافراج الملكي عنه ويصحبه الى وزارة المالية التي عين وزيرا لها في وزارة « أحمد ماهر » (باشا) . وكانت تلك هي المناسبة التي قال فيها « مكرم » (باشا) خطبته الشهيرة « سبحانك اللهم جئت بي من غياهب الجب سجينا ووضعتني على خزائن الارض أمينا » .

وأثناء حكم وزارات الاقلية من سنة ١٩٤٤ الى سنة ١٩٥٠ كان الاستاذ مصطفى أمين هو الصحفي المعبر عن السراي واتجاهاتها ، وقد ظل هذا الوضع قائما حتى سنة ١٩٥٢ . وتروي الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية في المجموعة ـ التي رفع عنها الحظر أخيرا ـ قصة لها دلالتها .

وهناك في هذا الصدد وثيقتان .

والحقيقة ان دلالتهما تتعدى مجرد الوقائع التي ترد فيهما .

الوثيقة الأولى تقرير من السير « رالف ستيفنسون » السفير البريطاني في القاهرة ، وموجهة منه الى السير « أنتوني ايدن » وزير الخارجية البريطانية ، وتاريخها هو ١٩ فبراير ١٩٥٢ ، ورقمها الشفري هو ج.أ ١٠١٨/٧٩ ـ وموضوعها هو جو المؤامرات والدسائس الذي ساد القصر الملكي أثناء عملية اقالة وزارة « مصطفى النحاس » (باشا) يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ ـ وهو اليوم التالي لحريق القاهرة مباشرة .

ويحتوي التقرير على عشرة بنود . الأربعة الأولى منها تتعرض للآراء المختلفة بين رجال الحاشية حول الموقف الذي يستطيع الملك ان يتخذه . وفي الواقع فان السؤال المحوري هو :

ـ هل جاء حريق القاهرة بالفرصة الملائمة التي يستطيع الملك فيها ان يقيل وزارة النحاس (باشا) ؟ .

---

(١) لم يمنع ذلك مكرم عبيد (باشا) من أن ينشر فيما بعد ـ عندما أحس بمناورات القصر ووراءه السعديون والدستوريون ضده ـ وأخبار اليوم تتصدى للحملة عليه نيابة عن الجميع ـ أن يكتب في الصفحة الاولى من جريدة « الكتلة » ما يفيد بأن القصر هو الذي ساعد على انشاء أخبار اليوم ، وأن هناك مبلغا كبيرا من المال رصد لهذه العملية .

كان بعض رجال الحاشية يرون ضرورة التأني قبل اقالة النحاس (باشا) ، ومن هؤلاء الفريق « محمد حيدر » (باشا) وزير الحربية وقتها .

وكان هناك آخرون من رجال الحاشية يرون ضرورة المسارعة بالاقالة ، وكانوا في كراهيتهم للوفد يتذرعون بدعوى انه اذا لم تتم اقالة وزارة النحاس (باشا) فوراً فان القوات البريطانية في قناة السويس سوف تتدخل على الفور لاحتلال القاهرة حتى تضمن الأمن والنظام وحياة ومصالح الرعايا البريطانيين والأجانب في مصر .

ويظهر من سياق الوثيقة ان الاستاذين مصطفى وعلي أمين كانا مع رجال الحاشية الذين يرون ضرورة الاقالة مستغلين في ذلك ما رددته بعض الاشاعات عن احتمال تدخل القوات البريطانية .

وأنتقل الى نص الوثيقة والى البند الخامس من تقرير السفير البريطاني ، وهو البند الذي يخص الاستاذ مصطفى أمين . قالت الوثيقة بالحرف [١] :

« ٥ ـ وبعد الساعة الثامنة مساء بقليل تلقى أحد أعضاء هذه السفارة [٢] مكالمة تليفونية من علي أمين ، وهو مع شقيقه مصطفى أمين يملكان جريدة أخبار اليوم ، وهي عدو ضار للوفد . وقد سأل علي أمين اذا كانت هناك صحة للتقارير التي تتحدث عن تحركات واسعة النطاق للقوات البريطانية في منطقة القناة . وقد أخطر بأن عضو السفارة الذي اتصل به ليست لديه أية معلومات محددة وان كان مما لا شك فيه ان السلطات العسكرية تعد نفسها للتدخل اذا انفجرت مرة أخرى الأعمال العدائية ضد أرواح البريطانيين وممتلكاتهم لأنه لا يمكن لأحد ان يتوقع ان يقف الجيش البريطاني ساكتاً بينما تقتل نساء بريطانيات .

(١) صورة تقرير السفير البريطاني في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٩) .

(٢) ليس متصورا بالطبع أن يكون الاستاذ علي أمين قد اتصل بشخص في السفارة لم يعرفه من قبل ليسأله هذا السؤال الخطير ، وليس متصورا ايضا أن لا يذكر السفير في تقريره اسم المسئول الذي جرى معه الاتصال ـ ومن هنا يمكن استنتاج ان الشخص الذي اتصل به الاستاذ علي أمين يعمل في السفارة ولكنه ليس في الاقسام السياسية ـ الظاهرة ـ التابعة لسلطة السفير ـ واذن من هو ؟ وتحت أي غطاء يعمل ؟! .

ان علي أمين ما لبث ان سأل محدثه عما يكون عليه الموقف « اذا حدث تغيير » ، وكان يقصد تغييراً في الحكومة . وكان الرد عليه انه اذا استطاعت حكومة جديدة ان تثبت قدرتها على استعادة القانون والنظام وحماية الأرواح والممتلكات البريطانية فان السؤال لا يطرح نفسه اطلاقاً . واذا أمكن تصديق مصطفى أمين [1] فان هذه المكالمة التليفونية كان لها تأثير كبير على الحوادث . مصطفى أمين كان في ذلك الوقت في مكتب مساعد رئيس الديوان الملكي في القصر . وعندما سمع من أخيه علي تعليق هذه السفارة فان مصطفى أمين عمل على اخطار الملك بهذه الاشاعات عن تحركات القوات البريطانية بعد ان نسبها الى هيئة الاذاعة البريطانية ، كما انه عمل على اخطار الملك باتصال شقيقه بهذه السفارة . وبدون شك فانه نقلها في صيغة تصريح مباشر بان القوات البريطانية سوف تتحرك اذا لم يكن هناك تغيير في الحكومة . وطبقاً لمصطفى أمين فان الملك أفزعته هذه التقارير وطلب الى عمرو باشا [2] ان يتحقق مني (أي السفير نفسه) مباشرة عما اذا كان صحيحاً ان هناك تحركات للقوات البريطانية . وكانت اجابة عمرو باشا - اذا صدق هذا الجزء من الرواية كلها - دليلاً على حكمته . فقد رد بقوله انه لا يحبذ مثل هذا الاتصال بي في هذا الشأن لأنه لو حدث أنني أكدت هذه الأنباء فمعنى هذا ان الملك سوف يجد نفسه مواجهاً بشيء يكاد ان يصل الى مرتبة الانذار الرسمي » .

ويتحدث البند السادس من الوثيقة عن اتصالات تشكيل الوزارة الجديدة التي تتولى الحكم بعد اقالة النحاس باشا ، ثم يتحدث عن تردد علي ماهر باشا في تأليف هذه الوزارة .

ثم يعود البند السابع في الوثيقة الى دور الاستاذين مصطفى وعلي أمين ، فيروي ما يلي :

وطبقاً لمصطفى أمين فان علي ماهر باشا غيّر رأيه استجابة لالحاح

---

(١) يلاحظ في تقرير السير رالف ستيفنسون أنه رغم أهمية الاستاذين مصطفى وعلي أمين كمصادر معلومات بالنسبة للسفارة البريطانية وقتها، فان هناك باستمرار نبرة شك في مصداقية ما ينقلان .

(٢) السفير المصري في لندن وقتها ، وكان مستدعى للقاهرة للتشاور .

الأخوين أمين . وقد بقي أحدهما وهو مصطفى في القصر بينما توجه الثاني الى بيت علي ماهر في سيارة اسعاف ، فقد كان ذلك هو النوع الوحيد من المركبات التي يمكنها السير في حالة حظر التجول (التي كانت مفروضة في ذلك الوقت) . ويمكن ان يكون الاخوان أمين قد لعبا دوراً في اقناع علي ماهر بنسيان تحفظاته التي أبداها للملك . واذا كان ذلـك كله صحيحاً فان ذلك يؤكد النكتة التي تشيع هذه الأيام وهي ان وزارة علي ماهر هي أول حكومة مصرية تولد في سيارة اسعاف .

ثم ينتقل تقرير السفير البريطاني الى البند الثامن فيقول :

« ان علي ماهر أعاد تقييم موقفه فقبل تشكيل الوزارة . ولكن حيدر باشا قال ان معلومات الاخوين أمين لا بد ان تكون مزيفة لان تقارير المخابرات العسكرية التي تلقاها توضح انه ليست هناك أية اشارات عن احتمال تحرك بريطاني الى القاهرة . ان مصطفى أمين ، بتشجيع من عمرو باشا ، واصل حرب الأعصاب التي شنها وقام باتصال تليفوني جديد مع هذه السفارة حوالي ٩,١٥ مساء وفي حضور هذا الجمع المختلف من رجال الحاشية . وعلى أي حال فان هذه المحادثة كانت لمجرد « التهويش » .

. . . .

. . . .

وتتصل الوثيقة الثانية بالوثيقة الأولى مباشرة ، فهذه الوثيقة الثانية وهي برقم ١٠١٨/٨٠ أ.د. موجهة من سكرتارية السفارة الى وزارة الخارجية ، ونصها كما يلي (١) :

« السفارة البريطانية　　　القاهرة　　　١٩ فبراير ١٩٥٢

الرجاء الرجوع الى البرقية رقم ٤٥ بتاريخ ١٩ فبراير الخاصة بالقصة الداخلية الحقيقية للتغيير الأخير في الوزارة .

(١) صورة تقرير السفارة البريطانية في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٠) .

٢) مصطفى أمين ، الذي هو المصدر الرئيسي للمعلومات الواردة في تلك البرقية ، أعطانا أيضاً التقرير التالي للاجتماع الذي انعقد يوم ٢٨ يناير لتقرير سياسة الوفد .

٣) وكما أفاد مصطفى أمين ، فقد حضر هذا الاجتماع كل من النحاس وسراج الدين وكريم ثابت وعبود باشا . وقد أوصى كريم ثابت بصفته خبير الوفد بالمسائل المتعلقة بالملك بأن المهم هو اظهار الولاء . واذا أظهر النحاس ، وبرغم طرده ، الولاء للملك عن طريق تعاونه عن طيب خاطر مع علي ماهر(٢) ، فان موقفه سيكون ايجابياً بالمقارنة بمواقف « سياسيي المعارضة » الذين رفضوا الاشتراك في وزارة علي ماهر « لأن الملك لم يدعهم لتناول الغداء » ، والملك ما زال ميالاً الى الوفد . واذا أجاد الوفديون اللعب بورقهم فان ثابت لا يظن ان رجوعهم الى الحكم خلال شهرين مستحيل . وقد قبل النحاس هذه النصيحة ، وخلال اجتماعه مع علي ماهر تعهد بمساندة الوفد لوزارته شريطة :

أ) ان لا يكون هناك أي فصل للموظفين الموالين للوفد .

ب) ان لا تكون هناك أية اجراءات او دعاوى قضائية ضد الوفد .

ج) ان لا يحل البرلمان .

د) ان يتم انهاء الأحكام العرفية في تاريخ مبكر .

ينطبق هذا التقرير مع البيانات العامة اللاحقة لعلي ماهر والنحاس . ونحن نعتقد انها غالباً صادقة . هذا بالطبع لا يعني ان كلا من علي ماهر او

---

(٢) كان الملك والانجليز في مأزق في ذلك الوقت ، فرغم العلاقات المتردية مع الوفد فان الملك كان يعرف أن شخصا مستقلا مثل علي ماهر لا يستطيع أن يشكل وزارة بدون التعاون مع أحزاب الأقلية . وكانت هذه الاحزاب هي أحزاب القصر، لكن الملك فاروق كان غاضبا من قياداتها لأنهم وجهوا اليه عريضة اعتبر ما فيها تجاوزا على حقه، وهكذا فانه كان يريد عقابهم بابعادهم فترة عن المناصب، ثم انه أعلن غضبه بعدم دعوتهم الى غداء على مائدته بمناسبة ميلاد ولي عهده (أحمد فؤاد) .

الوفد لا يستطيع الغدر بالآخر في أول فرصة . وهناك دلالات على أن شهر العسل قد انتهى وان الوفد سوف يعارض الحكومة .

٤) ان ردود علي ماهر الحالية على الصحفيين الذين سألوه عن حل البرلمان هي أنه اذا فشل التعاون بين الحكومة والقصر فسوف يتخذ « الاجراءات الدستورية اللازمة » ، وهذا معناه الوحيد هو حل البرلمان .

وقد كانت هناك فعلياً حالات فصل لموظفي الوفد مع أنه في بعض الحالات ـ كحالة رئيس جامعة الأزهر ـ فان الوفد نفسه قد يخجل من الاعتراف بأن الرئيس المفصول كان موظفاً وفدياً . ومسألة ما اذا كانت سوف تتخذ الاجراءات القانونية ضد أعضاء الوفد البارزين سواء تحت طائلة قانون الكسب غير المشروع او باعتبارهم مسئولين عن أحداث ٢٦ يناير ما زالت مطروحة بشدة . وفي الوقت الحالي فانه من غير المؤكد أيضاً ما اذا كانت الاحكام العرفية سوف تلغى في نهاية مدة الشهرين المقررة لها . وقد أعلن الوفد انه سوف يشن حملة لالغاء الأحكام العرفية » .

. . . .

. . . .

وحتى في سنة ١٩٥٢ فان أخبار اليوم خرجت ذات يوم تصف الملك فاروق بأنه « الفدائي الأول » ، وبأنه تبرع للفدائيين المصريين العاملين في منطقة قناة السويس ضد قوات الاحتلال البريطاني بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه .



وهكذا فانه عندما قامت الثورة كانت للاستاذ مصطفى أمين علاقات واسعة بالسلطة في مصر كما كانت له علاقات تحوطها تساؤلات بغيرها .

ومع الشكوك التي أحاطت به كانت عملية اعتقاله مع توأمه ضمن حاشية الملك في الأيام الأخيرة من يوليو ١٩٥٢ . وحين أفرج عنه وحاول اثبات اخلاصه للنظام الثوري الجديد سواء بكتاباته في صحف أخبار اليوم ومجلاتها

او بالتقارير الضافية والمفصلة التي راح يقدمها للمتنفذين في السلطة الحاكمة الجديدة ـ أصبح له بدون شك نوعاً معيناً من الاتصال .

هناك شكوك . . . نعم ، ولكن هناك اتصال دون شك على الأقل الى فترة ما قبل السويس عندما دخلت مصر في مواجهة مكشوفة ـ بغير ظلال ـ مع الولايات المتحدة الأمريكية التي راحت تحاول تحقيق أهداف العدوان الثلاثي بوسائل أخرى ، فطرحت « مشروع أيزنهاور » للدفاع عن الشرق الأوسط ، وبدأت محاولاتها لعزل مصر عن المنطقة تمهيداً لضربها اذا سنحت فرصة .

ولم يكن في هذا الاتصال ـ وفي المرحلة الأولى للنظام الجديد ـ ما يدعو الى الاستغراب . فمن الطبيعي ان تستفيد أي سلطة جديدة بكل من يعرض خدماته عليها خصوصاً اذا كان لديه الاستعداد [1] . وحتى اذا كانت هناك شكوك فقد كانت شكوكاً ينقصها الدليل الحاسم .

وعلى أي حال فقد كان المعيار هو : ماذا ينقل الى هنا وماذا كان ينقل الى هناك ؟ (طبقاً لتعبير جمال عبد الناصر نفسه) .

وذلك اعتبار يجب ان يوضع في الحساب عند قراءة او سماع ما كان يقوله الاستاذ مصطفى أمين لبروس تايلور أوديل .

لكن المحاذير في هذه الحالة كانت كثيرة :

● منها مثلاً ان الصلة بين جمال عبد الناصر وبين الاستاذ مصطفى أمين كانت قد توقفت فعلاً قبل سنوات من بدء علاقته ببروس تايلور أوديل .

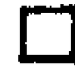
● ومنها ان الاستاذ مصطفى أمين بنص اعترافه في رسالته ـ الوثيقة ـ نسب الى جمال عبد الناصر ما لم يقله جمال عبد الناصر ، وتولى من عندياته لسنوات ان يبتكر ويؤلف وينقل عن جمال عبد الناصر .

---

(١) الواقع أن تقارير الاستاذ مصطفى أمين سواء منها ما كان يرسله الى الرئيس جمال عبد الناصر أو الى غيره من كبار مسئولي الأمن والدولة ـ صلاح نصر في المخابرات ، وعبد القادر حاتم في وزارة الارشاد ، وسامي شرف في سكرتارية الرئيس للمعلومات ـ كانت جهدا شاملا لا يقتصر على الأخبار الخارجية وحدها وانما يمتد ليشمل كل شيء ابتداءا مما يجري في كواليس الصحافة والفن الى ما يدور في مجالس الاندية والبيوت .

● ومنها ان الاستاذ مصطفى أمين لم يكن يتعامل مع سياسي او دبلوماسي ، وانما مع مندوب لادارة المخابرات المركزية لم يحاول لحظة ان يستر او يتستر على هويته (٢) .

● ومنها أخيراً مراجعة بنود ما كان ينقله الاستاذ مصطفى أمين لبروس تايلور أوديل .



يظل هناك وجه رابع لهذه القضية المعقدة ، وهو ان الاستاذ مصطفى أمين كتب لجمال عبد الناصر وفي مواجهته يقول انه فعل ما فعل بعلمه وموافقته ، ومع انه اعترف بانقطاع الصلة فقد تصور ان من حقه ان يستمر في القول كما يشاء .

وفي تلك الساعة من الليل وأنا أجلس أقلب كل ما قرأت وسمعت على جوانبه ـ بدت لي ظاهرة غريبة . . . فيها شيء يتعلق بي مباشرة ، أي أنني أستطيع ان أحكم فيه بعلمي وبدون حاجة الى أدوات أخرى للمعرفة .

عندما لاحظت انه بدأ يستشهد بي في رسالته ـ الوثيقة ـ كان شعوري لأول وهلة هو ان الاستاذ مصطفى أمين وجدني قشة يستطيع ان يتعلق بها في طوفان المأزق الذي سقط فيه .

ولم يكن في هذا بأس .

لكن ما أثار استغرابي بعدها هو بعض الوقائع التي استشهد بي على صحتها وهو يحاول ان يبرر نفسه أمام جمال عبد الناصر .

ببساطة ليست صحيحة .

واحدة منها مثلاً انني ذهبت معه الى مكتب « هنري بايرود » السفير

---

(٢) كان كيرميت روزفلت يحمل رسميا « لقب « مستشار خاص لرئيس الولايات المتحدة » ، وهكذا كان هناك غطاء رسمي وسياسي مقبول للكلام معه .

الأمريكي في مصر . . . وقمت أنا بالهاء السفير حتى استطاع الاستاذ مصطفى أمين ان ينقل نص برقية سرية وردت من واشنطن وكانت موجودة على مكتبه ، ثم سلم النص لجمال عبد الناصر .

ببساطة لم يحدث .

ليس لأن الاستاذ مصطفى أمين وأنا لم نكن نرغب في الحصول على نص برقية سرية من واشنطن الى سفيرها في القاهرة ،وانما بوضوح لأن السفير الأمريكي في القاهرة ـ وكان في الأصل جنرالاً في الجيش الأمريكي ـ لم يكن على هذه الدرجة من السذاجة والبلاهة .

والقصة قد تصلح مشهداً في فيلم « لجيمس بوند » لكنها مع الأسف لم تحدث في الحياة ـ على الأقل لم تحدث في حياتي .

نفس نظرة المغامرة الفردية لتصوير وقائع التاريخ تتكرر ـ على سبيل المثال ـ حين يروي الاستاذ مصطفى أمين حكاية مبادلة طائرة « ميج ١٥ » سوفييتية بموقف أمريكي في حرب السويس .

ببساطة لم يحدث أيضاً .

ما حدث ان الاستاذ مصطفى أمين طرح عليّ يوماً أثناء أزمة السويس هذا الاقتراح من جانبه ورجوته ان ينساه . وعلى وجه اليقين فاني لم أسمعه مرة اخرى .

لكنه يرويه باعتباره سر السويس العظيم .

كأن صمود مصر أحد عشر يوماً وحدها في السويس أمام ثلاث دول ـ وكأن التناقض بين أهداف واستراتيجيات بريطانيا وفرنسا واسرائيل من ناحية والولايات المتحدة من ناحية أخرى ـ وكأن غضبة الشعوب العربية كلها ـ وكأن وقفة شعوب العالم الثالث من داكار الى داكا ـ وكأن الانذار السوفييتي ـ وكلها أحداث هائلة ـ لم يكن لها تأثير على حرب السويس ، وكأن التأثير أساساً لوعد

بطائرة « ميج » لم يلبث جمال عبد الناصر ان استبدله بوسام لدبلوماسي أمريكي .

وكيف يمكن فهم ظاهرة ان الاستاذ مصطفى أمين يكتب هذا كله وغيره . ثم يكتبه لجمال عبد الناصر الذي يعلم الحقائق أكثر من غيره ، ثم يكتبه في هذا الظرف الدقيق والحرج بالنسبة إليه ؟ .

كيف ؟

لعلي لا أتجاوز اذا قدمت من ناحيتي محاولة للفهم لا ألجأ فيها الى الاستنتاج، وانما أعود فيها الى خبرة حياتي أكثر من عشر سنوات داخل أخبار اليوم ، وخبرة علاقة قريبة وحميمة ، لم تكن علاقة حب أعمى وانما علاقة حب مفتوح العينين يلاحظ ويتابع ويهتم .

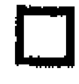
كان الاستاذ مصطفى أمين يروي قصة ، ثم يعود في اليوم التالي ليرويها وقد اختلف فيها تفصيل واحد . ثم يعود بعد أسبوع ليرويها وقد اختلف تفصيلان . وتتحول المتوالية الحسابية الى متوالية هندسية ، وتفقد القصة في آخر طبعة منها علاقتها بالطبعة الأولى حين رويت لأول مرة . لكن كثرة التكرار تولد نوعاً من الاقتناع الحقيقي لدى صاحبه بأن ما يقوله هو صدق : كذلك يخيل له .

وهكذا فان الاستاذ مصطفى أمين حين قدم الوقائع أمام جمال عبد الناصر ـ في رسالته الوثيقة ـ لم يكن يظن انه يكذب ـ كما قال بنفسه ـ وانما كان يقول ما يتصور هو انه صحيح بصرف النظر عن الحقيقة .

واذن فنحن أمام ظاهرة مثيرة للتأمل : لا تحتاج الى مجرد رجل أمن يضبط الوقائع ، ولكنها تحتاج ايضاً الى عالم نفسي يحلل الدوافع [1] .

---

(١) ربما كان من الامثلة المدهشة التي تشرح هذه الحالة من الفارق الهائل بين الطبعة الاولى لأي كلام عن الطبعة الاخيرة التي ينتهي اليها الكلام ـ هو الاستشهاد بمقال كتبه الاستاذ مصطفى أمين في دوره الجديد ـ كمدافع عن الديمقراطية والحريات ـ في عموده اليومي بجريدة الاخبار يوم ٥ يوليو ١٩٨٣ ، وقد جاء فيه بالحرف :



حتى طلع الفجر كنت ما أزال على الشرفة المطلة على البحر أحاول تقليب الأمور على كل وجوهها. كنت أريد ان أستقر على تشخيص لكل ما جرى أطمئن اليه وأقف وراءه وأحدد موقفي على أساسه .

ولم يكن ذلك سهلاً .

وعلى أية حال فقد قدرت بيني وبين نفسي أنني أحتاج الى فترة من الزمن أتابع فيها من بعد ما يجري : نتائج التحقيق الذي تجريه هيئة الأمن القومي مع الأستاذ مصطفى أمين ، ثم كيف يتصرف الأستاذ علي أمين في لندن ؟

لأسابيع على الأقل سوف يكون في وسعي ان أنتظر وأتابع من بعيد .

لن أكون مطالباً بموقف ولا بتصرف .

فترة انتظار تفرضها طبائع الأمور .

« ومن حق المنافقين أن يغضبوا ، وأن يقيموا الدنيا ويقعدوها وأن يتحدثوا عن « أدب السلوك في حضرة الملوك » . هذا حقهم الذي لا نجردهم منه . ان احتمال النقد هو الشجاعة والقوة ، وتحطيم الاقلام هو الجبن والضعف » .

وهو كلام طيب لا بأس به . مشكلته الوحيدة ان هذا التعبير « أدب السلوك في حضرة الملوك » هو تعبير الاستاذ مصطفى أمين نفسه ، وكان عنوانا لواحدة من مقالاته الشهيرة في سلسلة « لماذا ساءت العلاقات بين القصر والنحاس باشا » . وكان المقال هجوما فادحا وقاذعا ضد مصطفى النحاس لانه لم يكن يحسن التصرف في حضرة الملك فاروق ، وكان يتجاوز في قواعد البروتوكول الملكي ، وكان ينسى أنه أمام سيد البلاد ومليكها .

ولا يمكن أن يكون السبب هو نسيان الماضي والذاكرة التي تتأثر بالسن ومر الاعوام ، وانما لا بد أن يكون هناك سبب أعمق وأبعد غورا في التركيبة النفسية لكاتب هذا الكلام في المرتين .

الجزء الثالث

ملفـــات شخصيـــــة

« ضمير له ألف لسان

وكل لسان عليه ألف حكاية »

(من قصيدة لويليام شيكسبير)

الفصل الأول

في مواجهـة التفاصيـــل !

يوم ١٠ أغسطس ١٩٦٥ - كانت السيارة تنهب بي الارض على الطريق الصحراوي من الاسكندرية الى القاهرة . وكنت مستغرقا كليا في قضية بدت لي في تلك اللحظات أهم وأبعد أثرا في مستقبل المهنة من أي شيء عداها . . . وكانت هذه القضية قد طرحت نفسها فجأة وبغير تخطيط مسبق .

ذهبت لاقابل الرئيس جمال عبد الناصر قبل عودتي الى القاهرة .

وسألني عن رأيي في الرسالة - الوثيقة - التي كتبها الاستاذ مصطفى أمين اليه . ويبدو أنني عبرت عن شواغلي ولم أجب على سؤاله . فقد قلت له : « انه بصرف النظر عن أي شيء فان الذي يثير قلقي هو أوضاع الصحافة ومستقبلها والعاملين فيها والظروف المحيطة بعملهم » .

ووجدتني دون ترتيب مسبق أعرض أمامه قصة تطور الصحافة المصرية ثم أركز على الانتقال الصعب في المهنة من العصر الملكي الى عصر الثورة . ثم وصلت الى قرار تنظيم الصحافة سنة ١٩٦٠ - ثم قلت « انه ربما يتذكر موقفي أثناء الملابسات التي أحاطت بصدور هذا القانون » .

لم أكن بشكل خاص مصرا على استمرار الملكية الفردية للصحف ، ولكني كنت مشفقا على المهنة من التأميم . وبدا لي أن ملكية الافراد للصحف قد تكون أهون شرا من ملكية الحكومة للصحف . فالصحيفة بتأثيرها قد

تكون قوة ضاربة ضخمة، لكنها في تكوينها الداخلي مخلوق هش وشديد الحساسية . فهي بالدرجة الاولى احساس بمناخ . . . الاحساس بالمناخ يملؤها بالثقة في قدرتها على ممارسة رسالتها أو يملؤها بالوساوس التي تأخذ منها قدرتها على ممارسة دورها .

قلت انني أتحدث عن الصحافة الحديثة التي أصبحت صناعة كبيرة الى جانب كونها خبرا ورأيا وثقافة . . . الى آخره .

أفضت في هذا وتفاصيله ، وهو يسمعني باهتمام . ثم عدت فقلت انني أخيرا أكاد أصل الى صيغة الملكية التي تلائم أكثر من غيرها روح العصر وروح الحرية فيه . ثم شرحت له اهتمامي بتجربة الملكية التعاونية لجريدة « الموند » الفرنسية وكيف أنني حاولت دراسة تفاصيلها ، وان هذا كان هو السبب الاساسي الذي من أجله دعوت « بيف ميري » رئيس مجلة ادارة « الموند » ورئيس تحريرها ليكون ضيفا علينا في القاهرة .

كانت التجربة عنوانا عاما في ذهني حين اقترحت عليه (الرئيس) ما اقترحت من تعديلات على قانون سنة ١٩٦٠، لكني لم أكن قد توفرت على التفاصيل . . .

الآن بحثت وناقشت كيف يمكن الاستفادة من تجربة « الموند » لمستقبل الصحافة في مصر .

قلت له : « ان فكرة الملكية التعاونية تتحدد في ذهني أكثر وأكثر كل يوم كبديل للملكية الفردية للصحف أو للملكية العامة لها أو حتى للوضع المعلق في الهواء الذي انتهى اليه قانون تنظيم الصحافة .

كل العاملين في الصحيفة : محررون ، عمال ، اداريون ـ هم الجمعية العامة لها .

الجمعية العامة تنتخب من بينها مجلس ادارة . كما أنها تختار هيئة أمناء مكونة من شخصيات عامة لها اسهامها في شتى مناحي الحياة .

مجلس الادارة يختار رئيس التحرير ، وهيئة الأمناء تتابع الأداء العام لرسالة الصحيفة وتقدم تقريرا سنويا الى الجمعية العامة . . . » .

أسهبت في شرح تفاصيل ما أتصوره ، ثم تحدثت عن بعض المشكلات الراهنة مع الاتحاد الاشتراكي الذي آلت اليه ـ بنص قانون التنظيم ـ ملكية الصحف .

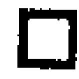
ومن وسط الظلام لمع شهاب . . . ولم يسقط الشهاب في الفضاء وانما تحول الى ضوء .

قال الرئيس جمال عبد الناصر : « انني معك في أن أوضاع الصحافة تحتاج الى بحث جديد » . ثم أضاف يذكرني بأنه أثناء بحث قانون سنة ١٩٦٠ أتاح لي الفرصة أن اقترح ما يمكن ادخاله عليه من تعديلات لضمان دور الصحافة في المجتمع وحريتها في خدمة أهدافه .

ثم قال لي الرئيس انه لا يمانع في صيغة تعاونية لملكية الصحف على أن تبدأ بتجربة محدودة في «الأهرام» مثلا ثم تعمم بالنسبة لباقي الدور الصحفية .

ثم طلب اليّ أن أقلب الامر على كل جوانبه ثم أتقدم اليه باقتراحات محددة . وتحول لقاء بدأته بمحاولة الدفاع عن صحفي الى ما كان يمكن أن يصبح نقطة تحول في تاريخ الصحافة .

وهكذا على طريق العودة الى القاهرة كانت القضية الجديدة قد ملكت عليّ كل حواسي .



التفاصيل الصغيرة أحيانا أثقال حديد تشد الى الارض مهما حاولت أجنحة الأفكار أن تحلق وتطير .

عندما دخلت الى مكتبي كان عليه ملف بالاوراق التي تراكمت تنتظر البت فور عودتي من الاسكندرية بعد أسبوع غياب .

أول ورقة فيه كانت مذكرة داخلية محولة اليّ من الدكتور « فؤاد

ابراهيم » المدير العام للاهرام . المذكرة أساسا مقدمة اليه من السكرتارية المالية للتحرير - نصها كما يلي :

« مذكرة داخلية[1]

الموضع : تحويل مرتب وبدل اغتراب الاستاذ علي أمين الى لندن عن ٣ شهور (أغسطس/اكتوبر ١٩٦٥) .

سيادة الدكتور المدير العام

تحية طيبة واحتراما وبعد ، اشارة الى ما نشر في أهرام اليوم بالصفحة الاولى حول القبض على الاستاذ مصطفى أمين وارجاء نشر باب « فكرة »[2] الذي يكتبه الاستاذ علي أمين من لندن أتشرف باحاطة سيادتكم علما بأننا تقدمنا الى البنك بطلب تحويل مرتب ومصاريف الاستاذ علي أمين عن ٣ شهور هي المدة من أول أغسطس إلى آخر اكتوبر ٦٥ تنفيذا لعقد الاتفاق المبرم بين المؤسسة وسيادته بتاريخ ٢٩/٤/٦٥ .

فالرجاء التكرم بالافادة عما اذا كنتم ترون سيادتكم الاستمرار في اجراءات التحويل أم وقفها مؤقتا ، حتى يمكننا اخطار البنك برغبتنا قبل تنفيذ التحويل المطلوب .

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الشكر وفائق الاحترام .

السكرتير المالي لادارة التحرير

(امضاء) »

وكانت الورقة التالية في الملف خطابا شخصيا من زوجة الاستاذ علي أمين .

---

(١) صورة المذكرة في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١١) .

(٢) كان الأهرام قد نشر يوم القبض على الاستاذ مصطفى أمين نص البيان الذي أذاعه النائب العام عن القضية . وفي صدد الاستاذ علي أمين كتب الأهرام كلمة جاء فيها: « بعد اذاعة هذا البيان الصادر من مكتب النائب العام فلقد رأى الأهرام أنه قد يكون من المناسب ارجاء نشر باب « فكرة » الذي يكتبه علي امين ، وذلك حتى ينتهي التحقيق في القضية الهامة التي أشار اليها بيان النائب العام .



ودعوت الدكتور « فؤاد ابراهيم » ومعه الدكتور « جمال العطيفي » المستشار القانوني للاهرام أطرح عليهما رأيي فيما وجدته معروضا عليّ :

كان رأيي أننا ربما نستطيع ـ ما دمنا قد أرجانا مؤقتا نشر الباب اليومي الذي يكتبه الاستاذ علي أمين بعنوان « فكرة » ـ أن نؤجل تحويل مرتب الشهور الثلاثة القادمة (من أغسطس الى أكتوبر) اليه في لندن ، هذا مع العلم أن تقدمنا بطلب تحويله في هذا الظرف الى لندن يمكن أن يفتح علينا باب مساءلات لا لزوم له ـ هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ـ فاننا لا نستطيع عدلا ولا واجبا أن نوقف صرف مرتبه ، والا فمعنى هذا اننا ـ تبرعا ـ حكمنا عليه وفصلناه .

وكان اقتراحي بعد ذلك أن نحول اليه مرتبه بالجنيه المصري الى حسابه الجاري ، وربما كان في ذلك أيضا ما يمكن أن ينفع أسرته المقيمة في القاهرة : زوجته وابنته الصغيرة منها ، وابنته من زواجه الأول .

وبعد مناقشات وافق الاثنان على اقتراحي مع لفت نظري الى أن هذا ترتيب مؤقت حتى ينتهي التحقيق مع الاستاذ مصطفى أمين ، ومن ثم يجري البت في الامور المعلقة كلها بتا كاملا .

لكن السكرتارية المالية للاهرام كانت على استعداد للصبر أسابيع ليس أكثر . وهكذا وجدت أمامي مذكرة ثانية محولة الى مكتبي من الدكتور « فؤاد ابراهيم » مقدمة اليه من السكرتارية المالية للاهرام ـ نصها كما يلي :

« مذكرة داخلية [1]

الموضوع : الغاء قيد مرتب وبدل انتقال الاستاذ علي أمين .

السيد مدير ادارة الشئون المالية والادارية

(١) صورة المذكرة في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٢) .

تحية طيبة وبعد : لاحظنا أن مرتب وبدل انتقال الاستاذ علي أمين مراسلنا المتجول في أوروبا سابقا ، ما زالا يدرجان في ميزانية الاجور ويحولان الى حسابه الجاري ولكن مع ايقاف تحويل صافي قيمتهما الى الخارج بناء على تعليمات الادارة .

وحيث أن ادارة التحرير أوقفت التعامل مع سيادته منذ أواخر شهر يوليو ٦٥ فاننا نرجو التنبيه الى عدم ادراج أية مستحقات له اعتبارا من شهر نوفمبر القادم والغاء القيود الحسابية التي تمت في الفترة ما بين أغسطس وأكتوبر ٦٥ ، اكتفاءا بما تم تحويله الى الخارج عن الشهور الثلاثة الاولى من بدء التعامل مع الاستاذ علي أمين وهي المدة من أول مايو الى آخر يوليو ٦٥ .

مع تحياتنا .

(امضاء) »

ولقد وجدت أن السكرتارية المالية للاهرام تعسفت في تفسير ما نشرناه قبل أسابيع عن وقف نشر عامود « فكرة » فأخذته على أنه ليس « ارجاء » للنشر ولكن « ايقافا » للتعامل .

ولم أشأ أن يدخل مكتبي ـ كرئيس لمجلس ادارة الاهرام ورئيس لتحريره ـ في مناقشة مع السكرتارية المالية حول تفسير النصوص ، خصوصا وأن تدخلي الان ـ بعد قرار اداري بالايقاف والغاء القيود الحسابية ـ يمكن أن يؤثر على حق ادارات الاهرام في اتخاذ قرارات في حدود اختصاصاتها ووفق احساسها هي بمنطق القواعد ومنطوق القوانين .

ومرة أخرى دعوت الدكتور«فؤاد ابراهيم » والدكتور « جمال العطيفي » لبحث المسألة .

شرحت أن هناك ـ غير القواعد والقوانين ـ علاقات بشر وعوامل انسانية .

ان الاستاذ علي أمين سافر الى لندن وترك أسرته في القاهرة لشقيقه الاستاذ مصطفى أمين ولي . ومصطفى الان رهن التحقيق ، ومعنى ذلك أن الاسرة لا تجد من تذهب اليه غيري ، وأنا لا أستطيع أن أتنصل من هذه المسئولية .

وسألت : « هل نستطيع من ميزانية مصاريف تحرير الاهرام - وتوجيه الصرف فيها يدخل في اختصاصي - ان نقدم مبلغا شهريا لاسرة الاستاذ علي أمين في القاهرة حتى تنجلي الامور ؟ » .

ودارت مناقشات واستقر الرأي في النهاية على أني أستطيع ما دمت أصر . لكن هناك شرطا واحدا وهو أن يكون التصرف والصرف تحت مسئوليتي وحدها ومن مكتبي .

وقبلت . ورتبت أن تزور زوجة الاستاذ علي أمين أول كل شهر مديرة مكتبي في ذلك الوقت السيدة « نوال المحلاوي » لتأخذ منها مبلغ مائتي جنيه - ثم يكون القيد الحسابي هو : « مصاريف تحرير صرفت بمعرفة رئيس التحرير وتحت مسئوليته » .

وظل هذا الترتيب معمولا به أكثر من عامين حتى استطعت فيها بعد أن احصل على تصريح بسفر الزوجة وابنتها لكي تلحقا بالأب في لندن - خصوصا وان ابنة الاستاذ علي أمين كانت تحتاج إلى عملية جراحية في العين من نوع العملية التي أجريت لابني في لندن ، وهي العملية التي حضرها الاستاذ علي أمين بدلا مني عندما اضطررت الى العودة للقاهرة في ٢٠ يوليو ١٩٦٥ .



كانت ظنوني - أو لعلها أوهامي - ان تلك آخر مرة تفرض عليّ فيها الظروف ان أختار أو أقرر شيئا يتعلق بالأستاذين مصطفى وعلي أمين .

وتفرغت في شهر سبتمبر ١٩٦٥ لدراسات مطولة ، ومناقشات واجتماعات ، حول ما عرضته من أفكار على جمال عبد الناصر بشأن الملكية

التعاونية للصحف بدءاً بالأهرام ثم تعمم على بقية الدور اذا نجحت التجربة .

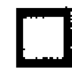
وانتهينا الى صيغة انشاء « هيئة الصحافة العربية المتحدة » (١) . وقد تولى الدكتور « جمال العطيفي » وضعها في القالب القانوني وقدمتها للرئيس جمال عبد الناصر يبدي فيها رأيه ، فإذا أقرها قام بتوقيعها بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكي العربي الذي آلت اليه ملكية الصحف بنص قانون التنظيم .

ومساء يوم ١٥ أكتوبر دق التليفون في بيتي وكان جمال عبد الناصر على الخط يقول لي : « انه قرأ مشروع انشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة وقد أعجبه . وهو يرى الان ـ لاسباب عديدة ـ أن تنضم دار أخبار اليوم تحت أحكامه كالاهرام وأن أكون أنا رئيسا لمجلس ادارة الهيئة الجديدة » .

وقال ضمن ما قال : « سوف أترك الجمهورية للتنظيم السياسي في الاتحاد الاشتراكي وأعهد بالاشراف عليها الى « علي صبري » ، ولتكن هي جريدة التنظيم . وأما الصحافة المحترفة ـ بالدرجة الاولى دار الاهرام ودار أخبار اليوم ـ فلتدخل جميعا في اطار ما اقترحته وما وافقت عليه » .

وحاولت أن أناقش قراره . ولم تكن هناك جدوى ، فقد قطع في الامر برأي نهائي حين قال : « سوف أخطر الان خالد محيي الدين وغدا ترتب أن تلتقي معه لكي تتسلم أخبار اليوم وتنظم أوضاعها استعدادا لانشاء الهيئة الجديدة » .

ولم أكن مستريحا .



(١) بعد سنوات من خروجي من الأهرام تنبه البعض الى أن قانون هيئة الصحافة العربية المتحدة ما زال قائما ، وأصدر الرئيس السادات قرارا بالغائه وأعيدت الصحافة الى الملكية الكاملة للدولة . وكانت العناوين التي نشرت لقرار الالغاء تصور الأمر وكأنه انهاء لسيطرة فرضتها (أنا !) على الصحافة وقبضة حديدية حاولت احكامها على رقبتها !!

كانت الاسباب التي نزعت مني الشعور بالراحة ـ في نفس وقت قبول اقتراحي بانشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة ـ متعددة أبرزها سببان :

السبب الاول : ان اشرافي على صحف دار أخبار اليوم الى جانب صحف دار الاهرام ـ تركيز للقوة الصحفية في يد واحدة بأكثر مما هو ضروري وصحي (وفيما بعد كتبت ذلك صراحة في الخطاب الرسمي الذي وجهته الى الرئيس جمال عبد الناصر اعتذر فيه عن قبول منصب وزير الارشاد القومي) .

والسبب الثاني : يتلخص فيما بدا لي من تضارب المصالح بين دارين صحفيتين تصدر عن كل منهما جريدة يومية تنافس الأخرى ، أو هكذا يجب أن يكون .

ولم يكن أمامي سبيل الى حل الاشكالية الاولى في ذلك الوقت .

وأما الأشكالية الثانية فقد رأيت حيالها أن يكون لاخبار اليوم وضع مستقل حتى عن شخص المفوض بسلطات مجلس ادارتها .

وهكذا رحت أبحث عن أنسب وضع يحقق لدار أخبار اليوم قوتها الذاتية المستقلة .

وعلى هذا الاساس دعوت الاستاذ « جلال الدين الحمامصي » ـ الذي سبق أن فصله السيد « كمال رفعت » من أخبار اليوم فالتحق بوظيفة في الجامعة الامريكية ـ وعينته بالحد الاقصى للمرتبات وقتها لكي يكون مشرفا عاماً على تحرير صحف دار أخبار اليوم ، واتفقت معه على أن تكون لصحف الدار كلها حريتها الكاملة خصوصا ازاء الاهرام .

ودعوت الاستاذ « احسان عبد القدوس » وعينته ـ بالحد الأقصى للمرتبات ـ رئيسا لتحرير مجلة أخبار اليوم الاسبوعية .

ودعوت الاستاذ « يوسف السباعي » وعينته ـ بالحد الاقصى للمرتبات ـ رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة .

وجعلت الاستاذ « موسى صبري » رئيس التحرير المسئول عن جريدة الاخبار ورفعت مرتبه هو الآخر اسوة بغيره .

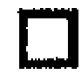
ثم طلبت من الاستاذ « أنيس منصور » أن يكتب بابا ثابتا كل يوم في الاخبار ورجوته في اختيار ثلاثة عناوين لهذا الباب اختار واحدا منها . وبالفعل فقد اخترت من بينها عنوان « مواقف » الذي ظل الاستاذ « أنيس منصور » يكتبه سنوات في الأخبار ثم نقله معه بعد ذلك للاهرام .

وفوق ذلك فلقد دعوت الاستاذ « السيد الصادق أبو النجا » ليكون مشرفا عاما على ادارة أخبار اليوم ، وكان يشغل هذا المنصب من قبل في عهد ملكية الاستاذين مصطفى وعلي أمين لدار أخبار اليوم .

واعتقدت أنني بذلك وفرت لاخبار اليوم أقصى كفاءات مهنية أستطيع أن أجدها في المجال الصحفي وفي اطار ما هو متاح .

وقصرت ذهابي الى أخبار اليوم في حدود مرتين أو ثلاث في الاسبوع.. ولمدة ساعة أو ساعتين على الأكثر كل مرة . . . أقل مدة كافية لتصريف الشئون التي تحتاج الى قرار من رئيس مجلس الادارة .

وفي كل الاحوال فلقد رجوت الرئيس جمال عبد الناصر ان يعتبر قيامي باختصاصات رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم ـ في اطار هيئة الصحافة العربية المتحدة ـ اجراءاً مؤقتاً الى حين يتسنى له اختيار بديل .



ونشر قرار تخويلي سلطة مجلس ادارة أخبار اليوم ـ الى حين اتمام اجراءات مناقشة وصدور قانون انشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة ـ يوم ١٧ اكتوبر ١٩٦٥ . ويوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٥ تلقيت من الاستاذ علي أمين في لندن البرقية التالي نصها :(١)

(١) صورة من برقية الاستاذ علي أمين من لندن في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٣) .

« انني مسرور بالاندماج وفي غاية السعادة وأنا أراك تحقق حلمي الكبير . ان هذه الخطوة البديعة تملؤني بتفاؤل لا حدود له بمستقبل الصحافة المصرية . فليباركك الله وكل هؤلاء الذين يتعاونون معك .

علي »

وأعترف أن برقية الاستاذ علي أمين خففت لدي بعض ما كنت أشعر به من حرج . لكن التطورات لم تتركني طويلا أحس بالراحة .

فما هي الا أيام بعدها حتى صدر من النيابة العليا لامن الدولة قرار الاتهام في قضية الاستاذ مصطفى أمين واحالته الى محكمة أمن الدولة (١) .

واتصل بي الرئيس جمال عبد الناصر تليفونيا يقول لي « أن قرار الاتهام في قضية مصطفى أمين قد صدر وأنه سيرسل اليّ ملفا بالتحقيق ، وهو يطلب مني أن اشرح تفاصيل القضية لمحرري أخبار اليوم حتى تكون الصورة واضحة أمامهم . » .

وتوسلت اليه أن يعفيني من هذه المهمة فانا لا أستطيع - انسانيا - أن أقوم بها ، ثم أن شرح تفاصيل قضية أمام محكمة أمن الدولة ليس من اختصاصي .

وأشهد أن الرئيس جمال عبد الناصر راعى وجهة نظري . وهكذا جاء الى دار أخبار اليوم أحد ضباط هيئة الامن القومي ومعه ملفات القضية والتحقيق وأشرطة التسجيل وعرضها في اجتماع حاشد لاسرة أخبار اليوم (٢) .

وتكرر المشهد بعد ذلك في نقابة الصحفيين حينما طلب النقيب في ذلك

---

(١) نص أمر الاحالة في قضية الاستاذ مصطفى أمين الى محكمة أمن الدولة العليا في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٤) .

(٢) حضر هذا الاجتماع كل رؤساء تحرير ومديري تحرير ومحرري أخبار اليوم واداريها ، ومعظمهم لا زال في مكانه حتى الآن ، وأتحرج الآن - أدبا - من ذكر تعليقاتهم التي قالوها لي بعد الاجتماع على ما سمعوه !

الوقت أن تتاح نفس الفرصة لبقية أعضاء النقابة لان الامر يهم كل جموع الصحفيين .



وصباح اليوم التالي كنت في أخبار اليوم . وجاءتني احدى السكرتيرات - وكانت من قبل مختصة بالعمل مع الاستاذ مصطفى أمين - تقول لي أن زوجة الاستاذ علي أمين في مكتبها وتطلب بصورة عاجلة أن تراني . ورجوتها أن تدعوها على الفور ، واستأذنتني اذا كانت تستطيع ان تحضر معها لانها تعرف الموضوع الذي حدا بها الى طلب المقابلة العاجلة .

كان الموضوع باختصار أنها - زوجة الاستاذ علي أمين - تعتبر نفسها مسئولة عن ترتيب الدفاع عن الاستاذ مصطفى أمين ، فهو مطلق من زوجته وابنتاه قاصرتان - وهي وحدها في القاهرة تمثل الاسرة . وكان هذا حقها لا يجادلها فيه أحد .

لكنها بعده كانت تريد مبلغا من المال لترتيب الدفاع . وكان هذا مشروعا . وقد رجوتها أن تترك لي فرصة لبحث الامر .

ودعوت الدكتور « قاسم فرحات » - المدير العام لدار أخبار اليوم وقتها - الى مكتبي أسأله عن الوضع المالي والقانوني للاستاذ مصطفى أمين منذ اعتقاله وحتى اعلان قرار الاتهام . وفوجئت أن علمت من الدكتور « قاسم فرحات » أن رئيس مجلس الادارة السابق قرر فور القبض على الاستاذ مصطفى أمين ايقاف صرف مرتبه ، وان المستشار الفني القانوني لاخبار اليوم أقر هذا الاجراء بمذكرة مكتوبة ، وبالتالي فانه ليس لمصطفى أمين أية مبالغ في ذمة أخبار اليوم .

كان المبلغ المطلوب لترتيب الدفاع هو ألف جنيه . وكانت زوجة الاستاذ علي أمين قد تمكنت من تدبير نصفه وبقي نصفه الآخر بدون تدبير ، خصوصاً وان الحراسة كانت قد فرضت على أمواله . وكان هناك رأي يرى أن الحراسة هي الجهة التي يجب أن تتولى دفع نفقات الدفاع .

ولم أشأ أن أتصرف في الموضوع بطريقة سرية ، فقد خطر لي أن السرية في مثل هذه الظروف قد تفتح مجالا لتأويلات لا مصلحة فيها لاحد .

وهكذا قررت ـ دون عودة الى أحد ـ أن أتصرف في الامر بطريقة مفتوحة وبدون التواءات تحتمل الالتباس وسوء الظن .

وهكذا كتبت بخط يدي ، وعلى الورق الرسمي لدار أخبار اليوم ، قرارا مفصلا موجها الى الدكتور « قاسم فرحات » المدير العام ـ نصه كما يلي بالحرف [١] :

« عزيزي الدكتور قاسم فرحات

تعقيبا على مذكرة المستشار الفني لمؤسسة أخبار اليوم بشأن مشكلة صرف مرتب الاستاذ مصطفى أمين ، ونظرا لان أسرة الاستاذ مصطفى أمين تقدمت الى أخبار اليوم تطلب صرف مبلغ خمسمائة جنيه لمصاريف الدفاع عنه ، فان وجهة نظري كما يلي :

١ ـ ان استحقاق الاستاذ مصطفى أمين للمرتب بعد الاعتقال وحتى صدور حكم من المحكمة وتحت ظروف الحراسة، هو أمر قابل للمناقشة كما يتضح من تقرير المستشار القانوني ومن مراسلات الحراسة .

٢ ـ من ناحية أخرى فان السيد خالد محيي الدين رئيس مجلس الادارة السابق الذي عرض أمامه هذا الامر رأى بوقف المرتب . وهذا قرار له ما يبرره من المنطق ، فضلا عن ان اتخاذه بالفعل من سلطة مختصة يعطيه قيمته حتى في حالة اعادة طرحه للمناقشة .

٣ ـ ومع ذلك ـ ومن ناحية أخرى لها اعتبارها الصحفي العام والصحفي الخاص بالنسبة لدار أخبار اليوم والعاملين فيها ـ فاني أضع الاعتبارات التالية :

---

(١) صورة من هذا القرار بخطي على أوراق أخبار اليوم في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٥) ، والأصل موجود بملفات دار أخبار اليوم .

ا) ان من كرامة المهنة وشرفها أن يجد الاستاذ مصطفى أمين ـ بصرف النظر عما وقع ، وما هو موضوع الاتهام الان والمحاكمة ـ فرصة كاملة للدفاع عن نفسه ، ومن أول ضمانات هذه الفرصة أن يقدر على اختيار محاميه الذي يعهد اليه بقضيته .

ب) وفضلا عن ذلك ، فان الفرصة الكاملة للاستاذ مصطفى أمين للدفاع عن نفسه هي في ذات الوقت أمر يحتمه الضمير المهني لدار أخبار اليوم التي كان مصطفى أمين أحد مؤسسيها .

٤ ـ ولقد كان يمكن الركون الى الحراسة حتى تتولى هي مهمة دفع تكاليف الدفاع الذي عهد به الى الاستاذ محمد عبد الله لكننا نعلم جميعا ، وهذه حقيقة واقعة ، ان اجراءات الحراسة تقتضي ـ حتى مع اقرار المبدأ ـ وقتا طويلا لوضعه موضع التنفيذ ، هذا بينما القضية تحدد موعدها بالفعل ولا بد أن يتأهب الدفاع لمسئوليته ، وقبل ذلك أن يكلف بها .

٥ ـ وبما أن موضوع صرف مرتب الاستاذ مصطفى أمين ـ حتى بعد الاعتقال والحراسة ـ هو أمر تختلف فيه وجهات النظر وليس هناك ما يحول دونه قانونا ، فهو اذن بداية يمكن أن تستند اليها أخبار اليوم في تقديم مقدم الاتعاب الذي يطلبه الاستاذ محمد عبد الله .

بل اني لأقول أكثر من ذلك ، بأنه حتى اذا كانت القواعد تقضي بسقوط أي حق للاستاذ مصطفى أمين ـ فان « أخبار اليوم » أمام مسئولية أدبية حيال هذه المشكلة ، حتى وان أدى الامر ان يفتح اكتتاب بين جميع العاملين فيها لجمع المبلغ .

ليس عن رعاية لشخص مصطفى أمين ولا تخفيفا مما هو منسوب اليه أو استهانة به ، وانما عن رعاية لكرامة شركة المهنة وكرامة شركة الزمالة .

وبناء على ذلك كله فاني أرى بأن تدفع أخبار اليوم ـ تحت حساب معلق أو مؤقت ـ مبلغ خمسمائة جنيه لأسرة الاستاذ مصطفى أمين وبالتحديد للمسئولين منهم عن متابعة عملية الدفاع عنه .

ويمكن أن يبت في هذا المبلغ على أساس التصرف النهائي في المشكلة خصوصا بعد انتهاء المحاكمة .

وحتى اذا ظهرت فيها بعد عوائق تحول دون تحمل أخبار اليوم به ، فان تقاضيه من الحراسة قد يكون موضع بحث. فاذا تعذر ذلك واستحكمت العوائق بغير حل فاني على استعداد لتحمل أية مسئولية مادية تنجم عن هذا القرار .

ولك أخيرا شكري .

محمد حسنين هيكل »

وتم صرف المبلغ .

وجاءني من داخل أخبار اليوم ـ وبينهم أكثر من واحد ما زالوا داخلها ـ يبدون الاشفاق عليّ وانني أعرض نفسي لمشاكل لا لزوم لها في ظرف عصيب .

واتصل بي السيد « أنور السادات » يسألني مستغربا : « هل صحيح ما سمعه ؟ »

وأجبت بكلمة تحتمل كل تأويل ، فقد قلت : « يعني » .

وكان تعليقه : « لا بد أن مصطفى يمسك لك بزلة يهددك بها حتى تفعل ما تفعله » !

ومساء نفس اليوم سألني الرئيس جمال عبد الناصر عن حقيقة ما ذاع في الاوساط الصحفية من أن أخبار اليوم بقرار مني دفعت تكاليف الدفاع عن مصطفى أمين ، وكان قولي له : « انني تصرفت على نحو أثق أنك كنت ستتصرف به لو أنك مكاني » .

ولم أقل أكثر ، وأشهد أمام الله أن تعليقه كان : « انني أستطيع أن أفهمك لكن ما أخشاه أن لا يفهمك غيري » ـ وقلت « انه يهمني أن يفهمني هو وأما الاخرون ممن لا يفهمون فأمرهم لا يعنيني » .



وكانت أمامي مهمة أخرى في تلك الليلة . كنت قد وعدت الزوجة السابقة للاستاذ مصطفى أمين أن أمر عليها في بيت أسرتها لانها أرادت أن أجلس مع ابنتيها منه ، فهما في أزمة نفسية بعد نشر قرار الاتهام، وقد امتنعتا عن الذهاب الى المدرسة حتى لا تضطرا الى مواجهة حرج .

ومررت عليها ، وكان معها شقيقها المستشار « ممدوح عطية » - وزير العدل فيما بعد - وتحدثنا في الموضوع طويلا ، ثم دعت ابنتيها للجلوس معنا .

كان الموقف مرهقا وحاولت بكل جهدي أن أخفف عن فتاتين في مطلع الصبا دون خداع أفقد به فيما بعد ثقتهما .

حينما سألتني كبراهن « رتيبة » : « اذا كنت أصدق أن أباهما جاسوس » - قلت لها :

ـ ريتا (كذلك كنا نదللها) ان أحدا لم يقل بذلك ولا بد لنا أن ننتظر نتيجة المحاكمة .

لا أريد أن تشعري أن وطنك يضطهد أباك ، ليس هناك من يريد ذلك أو يتعمده .

المشكلة أن هناك خطأ وقع فيه لظروف لا نستطيع نحن تقديرها ، ولنا أن نأمل في حصر هذا الخطأ .

لو لم تكن هناك قضية « الأموال » التي كان مصطفى يحاول اخراجها من مصر لاختلف شكل القضية . . ومع ذلك فانا أظن أن مصطفى لم يكن يعتقد أنه يرتكب جريمة تهريب ، وانما أظن أنه كان متضايقا من بعض الظروف وكان يريد أن يغادر مصر . نتيجة ذلك فانه وقع في خطأ كبير لكني لا أظن أنه ارتكب جريمة أخرى »[1] .

---

(١) سمحت لنفسي أن أروي هذه الواقعة ـ وهي عابرة وشخصية ـ لأنهم نشروا ضمن ما نشروه ! ـ أن « القسوة » بلغت بي الحد الذي قلت فيه لابنة الاستاذ مصطفى أمين في « وجهها » أن والدها « مذنب » !

لم أكن أريد لها ـ أو لشقيقتها ـ أن تتولد لديها عقدة اضطهاد .

ولم أكن أريد في نفس الوقت أن أسيء الى والدهما .

ولم أكن أريد أن أرسم صورة غير صحيحة للاحتمالات .

وعادت تسألني :

ـ « هل أستطيع أن أزوره ؟ »

ودون تفكير وجدتني أقول :

ـ « سوف أبحث امكانية ذلك الأمر . . . ومع ذلك فسأحاول أنا زيارته نيابة عنك وأطمئنك عليه حتى يتاح لك ـ ولشقيقتك ـ أن ترياه » .



الفصل الثاني
لقـــاء في السجـــن

حين قلت للابنة الكبرى للاستاذ مصطفى أمين أنني أنوي زيارة والدها، لم أكن مدفوعاً بمجرد الاحساس بلحظة عاطفية. كنا بالفعل قد اتفقنا على ان أحاول .

وصيغة الجمع «كنا» هنا ـ لم تكن تشملني وحدي وانما كانت تضم ـ غيري ـ اثنين من أصدقاء الاستاذ مصطفى أمين : أولهما هو الاستاذ « سعيد فريحة » صاحب « دار الصياد » اللبنانية ، وهو واحد من أبرز الصحفيين في لبنان ، وكنت أراه دائماً طبعة لبنانية من الاستاذ « محمد التابعي » . كان مثل « محمد التابعي » فناناً مرهف الحس والمشاعر ، وكان مثله يعيش حياته بالطول والعرض ، وكان مثله صاحب أسلوب حلو المذاق ، نشيط في أنغامه رقيق في ايقاعه . وكان « سعيد فريحة » بقلبه معجباً بالاستاذ مصطفى أمين .

أما الثاني فكان الاستاذ « محمد أحمد محجوب » ـ رئيس وزراء السودان أكثر من مرة ـ وكان «محجوب» ـ الذي بدأ حياته محامياً في دائرة السيد « عبد الرحمن المهدي » (باشا) ـ عقلا مرتباً . والى جانب العقل المرتب فقد كان « محجوب » شاعراً تهيم روحه حيث يكون الجمال . وكان الأدب يشده من المحاماة،وكانت الصحافة ومجالس الصحفيين تستهويه وتجذبه . وكان هو الآخر صديقاً للاستاذ مصطفى أمين .

والتقينا نحن الثلاثة معاً في مكتبي في « الاهرام » ـ بعد يومين من اعلان قرار الاتهام ـ نبحث : كيف نستطيع مساعدة الاستاذ مصطفى أمين ؟

كان رأيي ـ وقد طرحته عليهما ـ يتلخص فيما يلي :

١ ـ انني ما زلت في حالة « استغراب » من كل الوقائع والوثائق وما ظهر منها .

٢ ـ ان تقديري ان الاستاذ مصطفى أمين لاسباب ليست واضحة أمامي ـ ولا أريد ان أبحث فيها طويلا ـ تورط في خطأ مزعج .

٣ ـ انه بصرف النظر عن أي شيء فلا بد ان تتوافر للاستاذ مصطفى أمين كل فرص الدفاع عن نفسه ، ولا بد ان نساعده فيها الى أقصى حد نستطيع ـ فهذه مسألة تمس المهنة كلها كما تمس شخص الاستاذ مصطفى أمين .

٤ ـ انني في كل الاحوال لا أستطيع ان أنسى سنوات طويلة من الآمال المشتركة والعمل المشترك ربطتني بالاستاذين مصطفى أمين وعلي أمين. ومع أني أعرف ان هناك من يتربصون بي وينتظرون أول خطوة في غير موضعها الصحيح أخطوها، فان ذلك لن يؤثر على موقفي . (ولم تكن في هذا عنترية أو دون كيشوتية ، فقد كنت أعرف ان مئات من الصحفيين المصريين والعرب يتوقعون مني بحكم الظروف ان أتصرف على نحو يعبر عنهم جميعاً . ولم يكن همّ هؤلاء جميعاً ان يبرئوا متهماً أو يتهموا بريئاً ، وانما كان همهم ان يتأكدوا من ان واحداً منهم يستطيع ان يتابع عن كثب وباهتمام ضرورة ان تكون موازين العدل مستقيمة) .

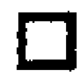
ثم كان اتفاقنا على ان المشكلة التي نواجهها لها شقان :

مساعدة الاستاذ مصطفى أمين في الدفاع عن نفسه، والشق الثاني ان نتأكد من ان أسرتي الاستاذين مصطفى وعلي أمين تجدان من حولهما ظروفاً ميسرة .

وكان رأينا بعد ذلك أنه لا بديل أمامنا غير انتظار المحاكمة ، وبعدها نعيد تقدير مواقفنا على أساس ما تسفر عنه .

وسألني الاستاذ محمد أحمد محجوب « ما اذا كنت أستطيع انا مقابلة الاستاذ مصطفى أمين ، لان أية محاولة بطلب اذن زيارة من جانبه أو من جانب الاستاذ سعيد فريحة في هذه المرحلة قد تبدو تطفلاً خارجياً ربما يساء تفسيره » .

ووافقت على الفور .



كان الاستاذ مصطفى أمين ـ بعد انتهاء التحقيقات الأولية معه ـ قد نقل الى سجن الاستئناف في ميدان باب الخلق . ومن هناك بعث لي برسالة مع ضابط شاب في مصلحة السجون هو « عباس لبيب » ، الذي أصبح فيما بعد ناقداً رياضياً مشهوراً في جريدة الاهرام . وكان مجيئه لي برسالة الاستاذ مصطفى أمين هو بداية صلته بي ومقدمة التحاقه بالقسم الرياضي بالاهرام .

كان الاستاذ مصطفى أمين يريد ان يراني . وكذلك كان يريد بعض الأدوية والفيتامينات . ولم يكن بعض هذه الادوية متوفراً في السوق المحلية ، وبعثت الى الاستاذ سعيد فريحة في بيروت أطلب منه شحنة دواء وفيتامين .

ثم انتهزت فرصة لقاء مع جمال عبد الناصر وعرضت عليه الامر .

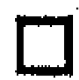
حدثته عن اجتماعنا : الاستاذ سعيد فريحة والاستاذ محمد أحمد محجوب وأنا، ورويت له ما اتفقنا عليه وأضفت : « انني في طلبي بزيارة الاستاذ مصطفى أمين لا أصدر عن مشاعر وذكريات انسانية فقط ، وانما أيضا أصدر عن اقتناع بأنه من الخير ان يكون واضحاً أمام مئات من الصحفيين في مصر وفي العالم العربي انه ليس هناك ستار حديدي نزل على واحد منهم وانتهى الأمر . ذلك زميل لهم عرفوه ثلاثين سنة في المهنة وما هو منسوب اليه خطير ،

ومن حقهم وواجبهم ان يكونوا على اتصال به ولو عن طريق واحد منهم » . . وأضفت أنه « اذا رأى الرئيس نفسه محرجاً في التصريح لي بزيارة الاستاذ مصطفى أمين » فليكن الاذن اما لنقيب الصحفيين واما لواحد من الصديقين : سعيد فريحة أو محمد أحمد محجوب » .

ثم قلت في النهاية : « انني أفضل أن أقوم شخصياً بهذه الزيارة لان الاستاذ مصطفى أمين سوف يتكلم حراً معي فيما يشاء أكثر مما يستطيع مع غيري ، ومع ذلك فالرأي الاخير للرئيس » .

وفكر جمال عبد الناصر قليلا ثم كان قراره : « أنه لا يمانع في ان أذهب شخصياً . أولاً لأن من حق « مصطفى أمين » ان يستقبل زواراً . ثم أنه ـ ثانياً ـ طلب بالفعل ان يراني . وهاانذا ـ ثالثاً ـ أطلب ان أراه ، فاذا رفض طلبي فان هذا الرفض قد يساء تفسيره » .

ثم أضاف : « اتصل بوزير الداخلية واطلب منه تصريحاً » . . واستطرد : « قل لابنته ان تتقدم بطلب اذن زيارة اذا أرادت » .



في الساعة العاشرة الا خمس دقائق من صباح الثاني من نوفمبر ١٩٦٥ كنت أمام باب سجن الاستئناف ومعي الاستاذ « محمود عبد العزيز حسين » ـ رئيس قسم الحوادث في الأهرام وقتها ـ الذي كان يحمل في يده اذنا لي بزيارة الاستاذ مصطفى أمين ويتولى بنفوذه في مصلحة السجون مهمة تسهيل اجتياز اجراءات بدت لي ثقيلة وكئيبة . والحقيقة أنني كنت أشعر بانقباض من هذا الموقف الذي كنت بسببي الى مواجهته ولم يكن منه بد .

ووصلنا أخيراً الى غرفة مأمور السجن الذي قال لنا ان الاستاذ مصطفى أمين في الطريق وأنه ـ المأمور ـ يفضِّل أن يتم لقاؤنا في مكتبه . ثم طلب الى الاستاذ محمود عبد العزيز حسين أن ينتظر في غرفة أخرى . ومضت دقيقة خلتها دهراً وجاء الاستاذ مصطفى أمين .

كنت أشعر ان الموقف بالغ الصعوبة عليه وعليّ ، لكنه أقبل فاتحاً ذراعيه يعانقني وفتحت ذراعيّ ، وقبلني على الخدين وقبلته ، وفي لحظة واحدة ذابت أشياء كثيرة .

وتبادلنا أسئلة بلهاء عن الصحة والأحوال وعن أخبار علي أمين . وقلت له ما عندي بسرعة كما طمأنته على ابنتيه وأنهما سوف تجيئان لزيارته . ولم يكن متحمساً وكنت أفهم مشاعره .وأحسست ان سبب البلاهة البادية في حديثنا يرجع الى احساسنا بوجود رقيب معنا ، والتفت الى مأمور سجن الاستئناف أسأله : « هل أستطيع ان أنفرد بالاستاذ مصطفى أمين ؟ » .

وقال الرجل بأدب ان اللوائح لا تسمح ، لكنه تقديراً للظروف سوف يقف على باب غرفة مكتبه ليوفر لنا أقصى قدر ممكن من الخصوصية » . وقام ـ كريما ـ بالفعل وتركنا .

وبدأنا ندخل في الموضوع .

قلت للاستاذ مصطفى أمين على الفور : « أريد ان أطمئن منك أولا عن معاملتك أثناء التحقيق ؟ هل وقع عليك ضغط . . . اكراه أو قسر؟ » .

وقال بصوت خفيض : « لقد عزلت عن الدنيا أربعين يوماً لم أقرأ فيها صحيفة ولم أعرف ماذا كان يجري » .

قلت : « انني لا أسأل عن ذلك . طبيعي ان تكون هذه العزلة أثناء التحقيق . . ما أسأل عنه هو : هل كان هناك شيء آخر ؟ »

وهز رأسه نفياً ثم أجاب بالنفي . ثم سألني : « لقد كتبت خطاباً شخصياً لسيادة الرئيس فهل وصله ؟ » ـ وقلت : « نعم . . . وقد قرأته . . . أعطاني الرئيس نسخة منه » .

وفجأة أفلت مني زمام السيطرة على مشاعري فقلت له : « مصطفى . . . لماذا ؟ »

وكان صوتي جريحاً بمشاعر الأسى . . . ولاحت لي في عينيه دمعة تتأرجح .

وأصررت على سؤالي أكرره : « لماذا ؟ لماذا ؟ »

وسألني : « هيكل . . . هل تعتقد أنني جاسوس ؟ » ـ وقلت : « انني لا أتصور ذلك . . . لكن هناك أسئلة كثيرة لا بد لها من رد » .

واندفع يتكلم :

ـ « انني خائف من الشيوعيين . . . خائف منهم على سيادة الرئيس . . . أرجوك ان تحذره . . . انهم في كل مكان في الصحافة وفي الجيش . . . يرتبون أنفسهم في الجيش . . . . أنت لا تعرف ماذا يفعلون . . . انني كنت أريد اخراج ما لديّ في مصر من « فلوس » الى الخارج لكي أخرج قبل ان يستولوا على السلطة » .

ووجدت نفسي مضطراً الى مقاطعته :

ـ « مصطفى . . أين هم هؤلاء الشيوعيون ؟ وعلى فرض أنهم على النحو الذي تصفه ، فهل هذا يبرر ان تتصرف على هذا النحو الذي تصرفت به ؟ »

وقال : « ربما أكون أخطأت » .

وسالت دمعته المتأرجحة . وأعطيته منديلي ووجدتني أمسك بيده . وتمالك نفسه وعاد يسألني عما نشر في مصر وفي بيروت عن قضيته . وأجبته .

وعاد يسألني : « ماذا سيفعل معي سيادة الرئيس ؟ » .

وقلت : « لم تعد المسألة الان مسألة ماذا سيفعل الرئيس ؟ ـ القضية الآن في الطريق الى محكمة . . . ولا أخفي عليك أنني أدعو الله ان تكون المحاكمة سرية لان كل ما في الاوراق والاشرطة والتقارير مسيء . . . مسيء للمهنة ولكل الاطراف . . . ومع ذلك فلا أظن ان الصورة ستتضح الا بعد انتهاء المحاكمة » .

وعاد الى حكاية خطر الشيوعية والشيوعيين ، ولم أشأ أن أجادله ، فلقد أحسست انه يقف عند خط دفاعه الاخير . كان لا بد له من غطاء أمام الناس وربما أمام نفسه . بدا لي أنه من الظلم في هذه الظروف ان أحاول ـ أنا على الاقل ـ تشديد الجدل في حكاية خطر الشيوعية والشيوعيين . واذا سقطت ورقة التوت أثناء اشتداد الجدل فأي نفع يمكن ان يعود عليه أو حتى على الحقيقة من سقوطها . ان سقوطها ـ هكذا بدا لي ـ سوف يؤدي الى انفكاك تماسكه ، ومن الظلم له ان يدفع الى هذه الحالة في تجربة يحتاج فيها أكبر قدر من تماسكه العقلي والنفسي ـ بصرف النظر عن الاساس ـ حتى يستطيع ان يعبر رحلة الاسابيع والشهور ـ وربما السنين ـ القادمة .

وقلت له :

ـ « على فكرة . . . كان سعيد فريحة ومحمد أحمد محجوب عندي قبل أيام وكلاهما يبعث لك سلامه . . . وهناك ربطة أدوية وفيتامينات أرسلها الينا سعيد من بيروت » .

وسألني : « هل قابلا سيادة الرئيس ؟ »

ورددت بالنفي وشرحت له ما تحدثنا فيه ، وكان تعليقه : « ان ذلك قد يأخذ وقتاً طويلاً » .

وقلت : « ان الامر ليس في يد أحد منا ونحن نحاول الى أقصى حد نراه » .

وسألني : « كم من الوقت أقدر ان تطول المسألة ؟ »

وقلت : « وكيف لي ـ أو لغيري ـ أن يعرف ؟ »

وقال : « ألم يكن كافيا أنني اعترفت بكل أخطائي ؟ »

ولم أقل شيئاً .

واستطرد : « لديّ اقتراح . بدل المحكمة والمحاكمة ، لماذا لاّ يعتقلني

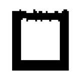
سيادة الرئيس بقرار منه فترة تأديبية ؟ . . . . أو لماذا لا يحكم هو عليّ بالنفي من مصر ؟ » .

وقلت : « مصطفى . . دعنا نواجه الواقع كما هو ، ولا فائدة الآن من التعلق بأوهام » .

وأطرق برأسه ساكتا. ورحت أحدثه عن بناته ، ثم انتقلت الى بعض الشئون العامة المنشورة في الصحف وقد تصورت أنه قد يخفف عنه ان يشعر بصلة مع ما يجري خارج السجن .

وسألني اذا كنت أستطيع ان أرتب ارسال صحف ومجلات القاهرة وبيروت له . وجهاز راديو صغير .

ووعدته .



ودخل مأمور السجن الى الغرفة ووراءه أحد جنود السجن يحمل صينية عليها فنجانان من القهوة وقال بأدب :

ـ « تشربان فنجان القهوة . . . ثم تنتهي الزيارة » .

قالها وهو ينظر في ساعته .

ولم أكن أشعر أنني أستطيع ان أضع شيئاً في فمي ، لكني تظاهرت برشف فنجان القهوة . كان الاستاذ مصطفى أمين قد راح يفتح طرد الادوية والفيتامينات الذي بعث به سعيد فريحة ويراجع ما يحتويه .

ثم رفع رأسه وسأل مأمور السجن : « متى يسمحون لي بأن أتلقى طعاماً من بيتي ؟ »

وقال مأمور السجن : « فور ان يصلنا تصريح بذلك » .

وقلت لمأمور السجن : « انني سوف أعمل على ان يصل التصريح هذا

اليوم ، ونحن على أي حال ـ كصحفيين ـ نترك الاستاذ مصطفى أمانة عنده واثقين أنه يعرف مكانته بالنسبة لنا جميعاً » .

وقال الاستاذ مصطفى أمين موجهاً كلامه لمأمور السجن : « هه . . . هل سمعت ؟ »

ورد مأمور السجن : « استاذ مصطفى . . . هل هناك ما تشكو منه ؟ اننا بالطبع نعرف ان السجن ليس تجربة « مفرحة » ، ونحن نتمنى لكل نزيل عندنا ان تثبت براءته ويذهب الى بيته، لكننا حتى يحدث ذلك أمام قوانين ولوائح . وعلى أي حال فاننا نحاول ان نعطيك كل التسهيلات التي تسمح بها هذه القوانين واللوائح ، واذا كانت لديك ملاحظات فانني أرجوك ان تقولها الآن أمام الاستاذ هيكل » .

وتدخلت بسرعة قائلاً : « بالعكس انني لم أر صحة الاستاذ مصطفى أمين ـ منذ وقت طويل ـ جيدة كما أراها الآن . . أخذ اجازة هنا من العمل ومن السهر ومن بعض الناس » .

وضحكنا ـ على الاقل من حناجرنا ـ وجاءت لحظة الوداع ، ولم يكن عبئها النفسي بأخف من لحظة اللقاء .

ومشيت متثاقلا . وعاودني الشعور بالانقباض وأنا أجد نفسي متجهاً الى باب السجن للخروج ، وأما هو فقد اتجه الى طريق آخر .



في السيارة من ميدان باب الخلق ـ حيث سجن الاستئناف ـ الى مبنى الاهرام [1] ـ في شارع مظلوم ـ كنت في دهشة لاختلاط مشاعري . كنت

---

(١) لم يكن العمل في مبنى الاهرام الجديد قد انتهى . بدأ بناؤه في شارع الجلاء سنة ١٩٦٢ وانتقلنا اليه سنة ١٩٦٨ .

أتأمل نفسي وكأنني خارجها أطل عليها من بعيد . كأنها مشهد مستقل عني أتابع بفضول ما يطرأ عليه من تغييرات متلاحقة في الاشكال والألوان والظلال . وكنت أتعجب من النفس البشرية وطبائعها .

كان الاستاذ محمود عبد العزيز حسين الى جانبي في السيارة يصحبني في رحلة العودة كما صحبني في رحلة الذهاب .

وأحسست أنني أريد أن أتكلم حتى ولو كان كلامي لنفسي ـ وما كاد يبدي ملاحظته « بأن التأثر باد عليّ ولا بد أنها كانت مقابلة مرهقة » ـ حتى وجدت خواطري تنفلت مني :

« صحيح كانت مقابلة مرهقة .

هناك ظروف يعجز فيها البشر عن اتخاذ موقف .

أعرف من ناحية أن مصطفى وقع في خطأ شديد . . .

أعرف أن البعض يطالبني بأن أبتعد عن القضية كلها وان أترك كل واحد لحسابه . . . كان هناك خطأ في حق البلد ، وهو موضوع أكبر مني ومن مصطفى ومن أي فرد . . . . كان هناك خطأ في حقي كصديق تدخلت وتوسطت من أجله فرصة بعد فرصة . . .

أعرف ان هناك من يتربصون بي يحاولون تحميلي جزءاً من المسئولية .

ربما كان الذين يطالبون بالابتعاد عن القضية كلها على حق من وجهة نظر عامة ومن وجهة نظر شخصية .

المشكلة ان هناك أشياء أخرى . هناك روابط تصنعها السنين بيننا وبين آخرين . لا نملك ولا نقدر في لحظة ان نقطع هذه الروابط . ثم ان هناك أطرافاً أخرى لا ذنب لأحد منها . . . هناك أسر وهناك أقارب .

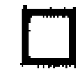
لا أتصور أن أقفل الابواب كلها والنوافذ . وأقطع أسلاك التليفون . وأحجز الاوراق المكتوبة .

ثم هناك أناس يحتاجون الى من يقف معهم في هذه المحنة .

سنوات طويلة من العمل والود ، والاتفاق والاختلاف ، والحلو والمر - كنا فيها معاً . كيف يملك أحد ان يسقط من عمره أكثر من عشر سنين من أحلى سنوات العمر - هكذا في لحظة .

هي دوامة وقعنا فيها . والمشكلة أنني لا أعرف متى تتوقف عن الدوران ؟ لو أنها توقفت لبعض الوقت لاستطعنا ان نلتقط أنفاسنا . ربما نستطيع ساعتها أن نحلل ونقيِّم ، وقد يكون في مقدورنا بعد ذلك ان نحدد ونفصل » .

كان رفيقي في السيارة يسمعني صامتا ، ولعله أحس ان حديثي كان لنفسي بأكثر مما كان اليه .



ولم تكن الدوامة مستعدة للتوقف عن الدوران .

لم تمض أيام حتى جاءني الاستاذ ، « السيد الصادق أبو النجا »[1] المشرف العام على ادارة « أخبار اليوم » يحدثني عن مشكلة خطيرة تهدد اقتصاديات « الدار » ، وتتلخص المشكلة في ان مصلحة الضرائب تطالب أخبار اليوم بمتأخرات قيمتها ٤٠٠ ألف جنيه عن الفترة من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٦٠ (تاريخ قانون تنظيم الصحافة) . وسألت عن تفاصيل الخلاف وملابساته وأحسست ان فيها أسمعه شيئاً لا أستطيع ان أفهمه . واستوضحت الاستاذ أبو النجا عن مزيد من التفاصيل ، وكان رده « أنه سوف يقدم لي في

(١) كان في الاصل مديراً عاماً لادارة جريدة « المصري » مع أسرة أبو الفتح ، ثم جاء الى أخبار اليوم - بعد اغلاق جريدة المصري - مديراً عاما لها . وفي فترة القلاقل التي أعقبت صدور قانون تنظيم الصحافة هوجم باعتباره ممثلا لأصحاب رأس المال وقرر ان يبحث لنفسه عن مكان آخر ، وجاء لمقابلتي ورحبت به مديراً عاما لدار المعارف التي كانت احدى شركات الاهرام في ذلك الوقت . وحينما تحملت مسئولية أخبار اليوم رجوته - وقبل مشكوراً أن يتولى الاشراف على ادارة أخبار اليوم ، وكانت خبرته بها كاملة .

الغد مذكرة مكتوبة على أن تظل لعلمي الخاص . وفي اليوم التالي قدم اليّ في ظرف مغلق المذكرة التالي نصها : [٢] .

مؤسسة دار أخبار اليوم
القاهرة في ١٨ نوفمبر ١٩٦٥
السيد رئيس مجلس الادارة
مؤسسة أخبار اليوم

بين مصلحة الضرائب ومؤسسة أخبار اليوم نزاع قديم عن السنوات من **١٩٥٠** الى **٢٣** مايو **١٩٦٠** وهو تاريخ التنظيم .

وتقدر المصلحة الضرائب المطلوبة بنحو ٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، بخلاف ضريبة الايراد العام وهي ضريبة شخصية لا تلتزم بها المؤسسة .

ويرجع هذا الخلاف في معظمه الى عنصرين رئيسيين :

أولهما خلافات محاسبية انتجت فروقاً في الارباح المقررة قدرها **١٥٩٤٣٩٦** جنيهاً .

وثانيهما مبالغ واردة باسم صاحبي الدار ومرحلة لرأس المال أو الى العهد والامانات جملتها **٨٣٣٣٠٢** جنيها .

وقد تحددت جلسة يوم **١١** ديسمبر **١٩٦٥** لكي تصدر لجنة الطعن قرارها في هذه الخلافات بما قد يرتب التزامات على المؤسسة لا قبل لها بمواجهتها . ولذلك أقترح السعي لدى المصلحة قبل هذا التاريخ لتشكيل لجنة مشتركة تضع حلاً لهذا الخلاف يحقق المصلحة العامة .

المشرف العام
(امضاء)

---

(٢) صورة المذكرة منشورة في الملحق الوثائق في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٦) .

وقرأت المذكرة وأعدت قراءتها .

ثم دعوت الاستاذ أبو النجا الى مكتبي .

قلت له « انني فهمت البند الاول عن فروق الارباح الى آخره ـ لكنني لم أستطع ان أفهم البند الثاني عن المبالغ الواردة باسم صاحبي الدار والتي تصل الى قرابة مليون جنيه .

من أين جاء هذا المبلغ ؟ وما هي مصادره ؟ »

ورد الاستاذ أبو النجا بأن « ذلك أمر لا يدخل في اختصاصه ، فهذه مبالغ جاء بها أصحاب الدار ـ معظمها في فترة بنائها ـ ودفعوها مضافة الى رأس المال أحيانا أو أمانات معلقة أحياناً أخرى » .

وكررت سؤالي : « من أين ؟ » .

وكان رده : « أن ذلك أمر لم يكن يدخل في اختصاصه ولم يكن له ان يسأل عنه » .

كان رد الاستاذ أبو النجا سليما وان لم يكن كافياً . ولم أشأ ان ألح عليه أكثر . وفي نفس الوقت فان الاسئلة الحائرة التي وجهتها اليه راحت هي تلح عليّ . ودعوت أحد المسئولين القدامى عن حسابات أخبار اليوم ، وكنت أعرفه من أيام عملي السابق فيها .

سألته هل يعرف ان الاستاذ أبو النجا قدم لي مذكرة سرية في موضوع الضرائب المستحقة على أخبار اليوم وظروفها ؟ وتردد قليلا ثم أجاب « نعم » . ثم أضاف « أنه في الواقع اشترك في مراجعة الحسابات التي أدت الى ما عرض عليّ من النتائج » .

قلت « اذن فانني أريد أن أسأله عن موضوع ورد في هذه المذكرة » . ثم أعدت عليه أنني أفهم البند الأول الخاص بالارباح وأعرف كيف نشأ ، ولكني لم أفهم البند الثاني الخاص بالمبالغ الواردة باسم صاحبي الدار والتي تصل قيمتها الى قرابة المليون جنيه .

وسكت الرجل .

وأبديت دهشتي لسكوته . وعاد الى التردد ثم قال :

ـ « الحقيقة أننا لا نعرف على وجه التحديد . هذه كانت مبالغ نقدية يجيء بها أصحاب الدار ويدفعونها لنا لكي نسدد بها التزامات علينا أو نشتري بها بعض ما كنا نريده » .

واستطرد :

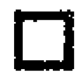
ـ « ذات مرة كنا نريد أن نشتري قطعة الارض التي أقمنا عليها جاراج أخبار اليوم . . . هذه الأرض (قالها وهو يشير من النافذة الى قطعة أرض على ناصية في مواجهة أخبار اليوم بني عليها جاراج ثم تحول فيما بعد الى مطبعة) .

واستطرد :

ـ « يومها كان علينا ان ندفع أربعين ألف جنيه نقداً . وجاء أصحاب الدار ومعهم حقيبة جلدية وأخرجوا منها المبلغ نقداً ودفعوه » .

وتساءلت : « أليس هذا غريباً ؟ » .

وكان رده : « ربما . . ولكن هذا ما حدث ولم يكن لنا ان نسأل عنه » .

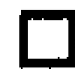


ورحت أفكر في دلالات ما أسمعه . . ماذا يعني تماما ؟ . . والى أين يشير ؟ وعاد الى مخيلتي مشهد طالما رأيته وكثيراً ما أثار تساؤ لي وان لم أتوقف طويلاً أمامه في الايام الخالية حين كنت أعمل في أخبار اليوم .

كنت ألاحظ ان الاستاذين مصطفى وعلي أمين يحتفظان في أحد أدراج مكتبهما بكميات كبيرة من أوراق النقد ، وكثيراً ما كانا يصرفان منها على الفور لأغراض متعددة . وتذكرت أننا في احدى المحاولات لاعادة تنظيم أخبار اليوم على قاعدة مؤسسية لاحظنا ان هناك أعداداً من المعينين والمعينات في الدور

الاعلى دون قرار واف بشروط التعيين . وسألنا أكثر من مرة عن قواعد هذه التعيينات وتكاليفها ، وكان رد الاستاذ مصطفى أمين ان تلك تعيينات خاصة به لا شأن لها بالدار، وأن حساب مصاريفها من جيبه، وان احدى سكرتيراته تتولى هذه العملية (١) . ومع ان الامر بدا وقتها غريباً فان أحداً منا لم يشغل نفسه طويلاً في البحث . من ناحية لأن حق المالك فيما يملك لا ينازع خصوصاً في مثل بلادنا حيث لا تزال الملكية تحتفظ لنفسها بالادارة . بينما بقية العالم تحرك الى وضع فصل فيه الملكية والادارة ـ التي أصبحت علماً وفناً وخبرة ـ قائمة كلها بذاتها بصرف النظر عن الملكية خصوصاً في المشروع الكبير الذي لم يعد يحتمل الخلط بين عالمين . ثم ان كل محاولات الدعوة الى قواعد مؤسسية لدار أخبار اليوم كانت تبدأ نشيطة ثم تتباطأ خطاها . . . ثم تصاب بالشلل . لكن الملاحظة التي لفتت نظري في ذلك الوقت كانت تلك الاموال السائلة في الأدراج . . كيف ؟ ولماذا ؟ ومن أين ؟ والى أي حساب ؟ وتحت أية قواعد ؟

وطرحت ما كنت أفكر فيه فقد كان لديّ ما يأخذني منه .



ومضت عدة أيام وتصادف ان كنت في مكتب الرئيس جمال عبد الناصر . وجرى الحديث بيننا في عديد من الشئون . وبدون مقدمات فوجئت بسؤال منه :

ـ « يظهر أنهم في أخبار اليوم قدموا لك تقريراً عن أموال مجهولة المصدر دخلت الى الدار بواسطة مصطفى وعلي أمين ؟ » .

وكان السؤال مباغتاً .

---

(١) اتضح فيما بعد ومن نصوص رسالته ـ الاعتراف ـ الى الرئيس جمال عبد الناصر أنه كان يصرف من جيبه ـ أو درج مكتبه ـ مكافآت لأفراد جهاز جمع المعلومات الخاص ، وهي المعلومات التي كان يضمنها تقاريره لمن كان يكتبها لهم ـ بالاضافة الى المعلومات التي يحصل عليها هو شخصياً ـ كذلك كان الاستاذان مصطفى وعلي أمين شديدي السخاء مع كثيرين ممن تقدموا لكتابة دراسات أو رسائل عن دورهما في الصحافة المصرية .

واستعدت السؤال أعطي نفسي وقتاً للتفكير ، ثم كان ردي : « لم يكن هناك تقرير عن أموال مجهولة المصدر . كان هناك تقرير عن ضرائب متأخرة وكانت فيه أرقام عن فروق حسابات أرباح وعن تحويلات وأمانات » .

وقال الرئيس : « يظهر ان هيئة الأمن القومي علمت بالتقرير وهم يريدون نسخة منه ، وقد رأوا أن لا يستثيروا حساسيتك بطلبها منك مباشرة أو بمحاولة الحصول عليها بوسائل أخرى من هناك » .

ورجوت الرئيس أن ينسى الموضوع ، وكان بين ما قلته له : « هل تتصور ماذا يكون موقفي لو أن تقريراً مقدماً اليّ في أخبار اليوم استعمل في التحقيق مع مصطفى أمين أو في محاكمته » . وأضفت : « لديهم في الاشرطة والملفات والتقارير ما يكفيهم لعرض قضيتهم على المحكمة دون تزيد يدفعهم الى طلب تقرير في مشكلة ضرائبية قدم لي » .

ثم أضفت أخيراً : « ومع ذلك فما هو هذا الذي يريدون محاسبة أصحاب أخبار اليوم عليه الآن ؟ وأليس صحيحاً أن قانون تنظيم الصحافة استرد ما كان لله وما كان لقيصر في نفس اللحظة ؟! وعلى فرض أن الرياح جاءت بشيء ، فان العواصف جاءت وحصدت كل شيء » .

ولم تكن هذه التصرفات لتمضي في أخبار اليوم بدون ردود أفعال متباينة. وكنت أعرف ذلك ولا أقلل من تأثيراته ومخاطره ، فقد كانت الدار ممزقة . ولقد طرحت هذه الحالة صراحة في اجتماع عام عقدته مع رؤساء تحرير صحفها ومجلاتها ومع المسئولين الاداريين فيها ـ وقلت لهم : « ان حالة أخبار اليوم تذكرني بحالة أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . تعاقبت عليها العصور والغزوات وقد ترك كل عصر رواسبه وأخذت كل غزوة مغانمها . تعاقبت على أوروبا ملكيات متهالكة ،ثم اقتحمتها النازية والفاشية ، ثم عبرت عليها من طرف الى طرف جيوش السوفييت والامريكان والانجليز ، وتحت الأرض فيها ظهرت الجماعات السرية المتعاونة مع أطراف بلغ التناقض بينها

مبلغه ـ من الألمان الى الفاتيكان ، ومن الصهيونية الى الشيوعية ـ وقد آن الأوان ان يسود أخبار اليوم نوع من النظام المهني » .



والواقع أنه كان في أخبار اليوم في ذلك الوقت تياران ظاهران :

● تيار تمثله خلايا التنظيم الطليعي للاتحاد الاشتراكي العربي . وكان الاستاذ « خالد محيي الدين » قد أقامه بعد توليه رئاسة مجلس ادارة أخبار اليوم . وكانت معظم عناصر هذا التيار ـ للامانة ـ عناصر وطنية متحمسة لا يشوب موقفها الا تحريض بعض الذين سايروا كل الانقلابات التي حدثت في أخبار اليوم .

● وتيار ثان يمثل المهنيين المحترفين في الدار والذين كانوا يخشون عليها من كل الانقلابات المتعاقبة . لكن هذا التيار أيضا كان يشوبه ظهور قلة من الافراد فيه تصوروا أن الدار لا مستقبل لها بغير أصحابها السابقين ـ وكان معظم هؤلاء ـ في الواقع ـ من أولئك الذين كانوا يتقاضون مكافآت اضافية وسخية من أدراج مكاتب الاستاذين مصطفى أمين وعلي أمين حتى بعد صدور قانون التنظيم (١) .

ورأيت أن الأمور تقتضي بعض الحسم لكي يتضح الاتجاه الذي أريد له أن يسود في الدار .

وهكذا في يوم واحد اتخذت خطوتين .

كانت سكرتيرة الاستاذ مصطفى أمين التي جاءتني مع زوجة الاستاذ علي أمين بطلب مساهمة من أخبار اليوم في نفقات الدفاع عنه قد خرجت من

---

(١) نعرف الآن ان هؤلاء كانوا جهاز جمع الاخبار الذي نظمه الاستاذ مصطفى أمين والذي كان يقدم له « أخباراً للعلم » يقدمها بدوره الى أولئك الذين كان يقدم لهم التقارير .

مكتبي بادعاء أنني استجبت لما طلب مني بغير مناقشة لأن مهمتي الحقيقية في أخبار اليوم هي أن أمهد لاعادتها لاصحابها السابقين . ودعوت الدكتور « قاسم فرحات » ـ المدير العام ـ وطلبت اليه أن يخيرها فوراً بين الاستقالة أو الفصل . وكتبت استقالتها (٢) .

وفي نفس اليوم طلبت المسئول عن مجموعات التنظيم الطليعي في أخبار اليوم ، وكنت أعرف من هو رغم سرية التنظيم ، ورجوته ان يجمد نشاط التنظيم في أخبار اليوم على الفور حتى لا يضطرني الى موقف آخر (٣) .

ومرة أخرى جاءني مظروف مغلق من الرئيس جمال عبد الناصر يحتوي على تقرير تنظيمي قدمه له السيد سامي شرف ، وكان نصه (٤) :

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

سكرتارية الرئيس للمعلومات

أفندم

أبلغني السيد شعراوي جمعة ما يلي :

أنه تقابل مع السيد خالد محي الدين الذي أراد معرفة موقف تنظيم أخبار اليوم وهل يستمر في الاتصال بهم أم لا ، علماً بأنه أرسل شخصاً للاستاذ هيكل الذي طلب من خالد عن طريق هذا الوسيط تجميد التنظيم . كما اقترح

(٢) أشرت الى هذه الواقعة لأن الذين كتبوا عن تلك الأيام باسم الاستاذ مصطفى أمين وجدوا أن قيامي بفصل سكرتيرته كان عملاً من أعمال الانتقام منه .

(٣) اعتذرت عن الانضمام الى التنظيم الطليعي باستمرار ، ليس عن عدم ايمان بأهمية التنظيم وانما عن اعتقادي بأن أي صحفي ـ أو كاتب ـ لا يستطيع ان يخضع فكره لضوابط تنظيم والا فقد استقلالية رأيه الى أقصى حد ممكن. ولقد سبب لي هذا الموقف مشاكل لا حدود لها مع كل مستويات التنظيم في الاتحاد الاشتراكي وقتها .

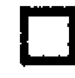
(٤) صورة المذكرة وبخط الاستاذ سامي شرف في الملحق الوثائق في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٧) .

السيد خالد محيي الدين اعادة علي الشلقاني للعمل في احدى مجموعاته القديمة كما كان .

ويرجو السيد شعراوي التفضل بالتوجيه
أو امر سيادتكم .

سامي
٦٥/١١/٧ »

وشرحت للرئيس جمال عبد الناصر فيها دوافعي « وأن التمزيق الجاري داخل أخبار اليوم لا يمكن له ان يساعد على تحقيق كفاءتها الصحفية ، وانني لم أحسم في اتجاه واحد وانما حسمت في اتجاهين . ومع ذلك فاني آمل الآن ان تستقر الأمور وان تنتهي هذه الفترة الحافلة بأسباب الالتباس وسوء الظنون » .



بالفعل كانت هذه الفترة قد قاربت نهايتها .
صدر الحكم في قضية الاستاذ مصطفى أمين بالادانة .

وفرضت تسوية حالته في أخبار اليوم نفسها عندما جاءني خطاب من محاميه الاستاذ محمد عبد الله ، نصه كما يلي [١] :

« السيد الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل
رئيس مجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم
بعد التحية :

أتشرف بأن أبدي أن موكلتي السيدة سميرة محمد أحمد جدة القاصرتين رتيبة أمين ، صفية أمين ـ بنتي الاستاذ مصطفى أمين ـ لم تتسلم منذ اعتقاله

(١) صورة خطاب الاستاذ محمد عبد الله في الملحق الوثائق في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٨) .

نفقات القاصرتين .وقد استحق له مرتب ستة شهور لدى الدار بواقع خمسمائة جنيه شهرياً . وقد وافق الاستاذ مصطفى أمين على صرف هذا المرتب سواء منه المتجمد أو المتجدد الى موكلتي للانفاق على قاصرتيه وشئونهما .

فأرجو التفضل بالأمر بصرف مرتب الاستاذ مصطفى أمين اعتباراً من مرتب شهر يوليو وما يستجد الى موكلتي .

مع قبول عظيم الاحترام والشكر .

(امضاء) »

وطلبت الى الدكتور « قاسم فرحات » ـ المدير العام لدار أخبار اليوم ـ أن يبحث في تسوية حساب الاستاذ مصطفى أمين ، وطلبت أن تكون التسوية سخية الى آخر مدى تسمح لنا به القوانين . وجاءني المدير العام بمذكرة من المستشار الفني يعرض فيها خيارين ، أولهما لا يقرر للاستاذ مصطفى أمين شيئاً والثاني يعطيه نصف الحق ـ يتوقف الأمر على أي قانون أو قواعد تطبق .

كان نص المذكرة [1] :

« السيد المدير العام

١) رغبتم في الوقوف على رأيي في مدى استحقاق السيد/ مصطفى أمين لمرتبه أو لجزء منه خلال المدة من ٢٣ يوليو ١٩٦٥ (تاريخ اعتقاله) حتى تاريخ صدور الحكم عليه في ٢٠ أغسطس ١٩٦٦ وذلك بناء على طلب السيد رئيس مجلس الادارة .

٢) وهذه المسألة لو التزمنا فيها التفسير القانوني البحت القائل بأن مؤسسة أخبار اليوم كغيرها من المؤسسات الصحفية هي منشأة خاصة تطبق القانون الخاص ، لكان القانون الواجب التطبيق هو قانون العمل . والمادة ٦٧

---

(١) صورة نص مذكرة المستشار الفني لأخبار اليوم وتأشيرتي بخط يدي عليها في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٩) ، والأصل موجود في ملفات أخبار اليوم .

منه لا تقضي بدفع المرتب أو جزء منه ما دام قد صدر قرار بالايقاف . وقد أبديت رأيي في مسألة الايقاف في المذكرة المؤرخة ١٨ ديسمبر ١٩٦٥ .

٣) ولكن المؤسسة قد جرت عادتها على أن تقيس في مثل هذه الحالات على القواعد التي تطبق في الحكومة وفي القطاع العام ، وهي أن تصرف المرتب أو جزءاً منه تمشياً مع الحكمة التي من أجلها شرعت القاعدة في الحكومة والقطاع العام وهي حماية أسر المقبوض عليهم وتخليصهم من آثار تصرفات لم تصدر عنهم ، وطبقت هذه القواعد على حالة المقبوض عليهم من الاخوان المسلمين بالمؤسسة . وصرفت مرتباتهم بالكامل . كما طبقت على حالة السيد سعد الزناري الموقوف عن العمل لمناسبة سرقة الورق وصرف له نصف المرتب ، كما طبقت على غيره من زملائه ، ولو أن صرف المرتب بالكامل كان لمدة قصيرة .

ونخلص من هذا الى أن ما جرت المؤسسة عليه في حالات مشابهة يمكن من أن يصرف لأسرة السيد مصطفى أمين مبلغ يعادل نصف المرتب خلال مدة الايقاف على الأقل .

(امضاء) »

ورأيت في ظل المناخ السائد وقتها ان أتحدث في الأمر مع الرئيس جمال عبد الناصر . وفعلت . واقتنع . وهكذا كتبت على المذكرة بخطي ما نصه :

« أوافق على أن نطبق على الاستاذ مصطفى أمين ما طبق في الحكومة والقطاع العام بالنسبة للمقبوض عليهم على ذمة التحقيق ، وقد استأذنت في هذا الموضوع رئاسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي فأقرت هذا الرأي . وعليه أقترح تسوية الحساب على هذا النحو وصرف المبلغ المستحق بعد خصم مبلغ الخمسمائة جنيه التي سبق صرفها الى المحامي الذي تولى الدفاع عن الاستاذ مصطفى أمين في انتظار تسوية في هذا الحساب .

(امضاء) »

وقيل لي ان صرف المبلغ يجب ان يكون للحراسة لأنها تنوب عنه في ذمته المالية ، ولم يكن ذلك رأيي فقد كنت أريد ان يصل المبلغ للأسرة بأسرع ما يمكن .

وذهب رئيس حسابات أخبار اليوم الى زوجة الاستاذ مصطفى أمين السابقة يسلمها الشيك بنفسه وباعتبارها المسئولة عن ابنتيها [1] .

وكان من حقي بعد ذلك ان أتوقع فترة هدوء . . . تسكن فيها الضغوط ويسكت الكلام .

---

(١) صورة وثيقة استلام زوجة الاستاذ مصطفى أمين السابقة لمستحقاته في دار أخبار اليوم في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٠) .

الفصل الثالث
المسـرحية تنتقـل الـى لنـدن

كان واضحاً ان الستار يوشك ان ينزل على فصل من المسرحية في القاهرة . ولم أكن أقدر ان فصلاً آخر منها على وشك ان يرتفع عنه الستار في لندن .

بعد انتهاء محاكمة الأستاذ مصطفى أمين أمام محكمة أمن الدولة العليا وقبل ان يصدر الحكم عقدنا نحن الثلاثة ـ الأستاذ سعيد فريحة والأستاذ محمد أحمد محجوب وأنا ـ اجتماعاً في مكتبي وجلسنا نناقش : كيف نستطيع مساعدة الأستاذ مصطفى أمين ؟

كان الأستاذ سعيد فريحة قد تعرض لنفس التجربة التي تعرضت لها قبله ، فقد دعي الى مكتب الأستاذ سامي شرف وأتيحت له فرصة ان يرى ويسمع بنفسه ـ من التقارير والأوراق والشرائط ـ ما يكفي ليضعه في الصورة كاملة . وكان ذلك بناء على رأي الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يحب الأستاذ سعيد فريحة ويستريح اليه . وخرج الأستاذ سعيد فريحة في مثل الحالة التي خرجت بها عندما عشت تلك التجربة القاسية في مناسبة سبقت .

وهكذا فاننا عندما اجتمعنا في مكتبي كنا جميعاً ندرك انه ليس في استطاعتنا عمل شيء للأستاذ مصطفى أمين في ورطته الا ان نحاول قدر ما نستطيع تخفيف عواقبها عليه .

وكان رأي الأستاذ محمد أحمد محجوب ان نطلب ثلاثتنا موعداً مع الرئيس جمال عبد الناصر ونتقدم اليه برجاء . ان المحكمة بعد ان تفرغ من مداولاتها سوف ترفع الحكم الى رئيس الجمهورية للتصديق عليه ، وفي يده سلطة التخفيف اذا اقتنع .

وطلبت موعداً من جمال عبد الناصر لثلاثتنا ، وأدرك على الفور ما يمكن ان يكون قصدنا ، وأدهشني انه أجاب على الفور : « تفضلوا في الساعة السابعة من مساء اليوم » .

وذهبنا .

وبدأ الأستاذ سعيد فريحة فتكلم بلغة العاطفة ، ثم تلاه الأستاذ محمد أحمد محجوب فتكلم بلغة السياسة . ثم جاء الدور إليّ وحاولت المزج بين اللغتين !

كل هذا وجمال عبد الناصر يستمع الينا ساكتاً لا يقاطع أحداً منا وكأنما هو يعطينا الفرصة ليقول كل منا ما عنده ثم يرد علينا مرة واحدة .

وعندما جاء دوره ليتكلم لم يرد وانما فجر تحت أقدامنا قنبلة جديدة .

قال جمال عبد الناصر :

ـ « لو كان الموضوع موضوع عواطف لكنت أول من يستجيب . ان القضية تتصل بصميم الأمن المصري ، وهي حتى الآن لم تنته ولا زالت مستمرة » .

ثم توجه نحو الأستاذ سعيد فريحة وقال له :

ـ « سعيد . . . لعلك تعرف أن علي أمين في لندن يعمل في المخابرات البريطانية[1] . ان لديّ من المعلومات والادلة ما يسمح لي أن

(١) قد يكون مفيداً ـ الآن وبأثر رجعي ـ مراجعة وثائق السفارة البريطانية رقم (ج ١٠ ١٠١٨/٧٩) ورقم (١٠١٨/٨٠ أ.د) ، وقد سبقت الاشارة اليها وهما منشورتان في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب =

أقول لك هذا بضمير مستريح » .

ثم التفت الى الأستاذ محمد أحمد محجوب وقال له :

ـ « ولعلمك يا محجوب علي أمين يعمل أيضاً مع بعض العناصر في السعودية وهو على اتصال منتظم بالشيخ حافظ وهبة (سفير السعودية وقتها في لندن) ، كما أنه على اتصال مستمر بكمال أدهم (رئيس المخابرات السعودية) » .

ثم جاء دوري فقال لي وفي صوته نبرة لوم لا تخطئها أذن :

ـ « وأنت هل عرفت الآن ما ترتب على قرارك بارسال علي الى لندن ؟ انني لا أحملك مسئولية وانما المسئولية عليّ لأنني وافقتك ، لكني كنت أتصور انك اقتنعت بما رأيت وسمعت » .

وكان الأستاذ محمد أحمد محجوب أسرعنا الى تمالك نفسه ، فقال :

ـ « سيادة الرئيس هل يعقل ان يعمل علي أمين مع المخابرات البريطانية ومع المخابرات السعودية وهو يعلم أن توأمه هنا في القاهرة متورط في قضية مع المخابرات الأمريكية ؟ دواعي الحرص على توأمه كانت كفيلة بأن تجعله يتورع على الأقل في هذه الظروف ! » .

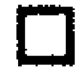
وقاطعه جمال عبد الناصر قائلاً :

ـ « يا أخ محجوب ،هناك مصالح أقوى من كل شيء ، وهناك دول لها أهداف ، وفي سبيل تحقيق أهدافها فانها ليست مستعدة لمراعاة حساسيات الحرص او غيره ! » .

=(وثائق رقم ٩ و ١٠) .

ويلاحظ أيضاً في هذا الصدد مخاوف « بروس أوديل » في أحاديثه مع الأستاذ مصطفى أمين (كما ورد في رسالته ـ الاعتراف) من احتمال ان تسبق المخابرات البريطانية الى الاتصال بالأستاذ علي أمين في لندن .

واستمرت جلستنا مع الرئيس لكنها تحولت من مصطفى أمين الى علي أمين !



وانتهت المقابلة بعد ساعة وعشر دقائق ، وخرجنا . . . ذهب الأستاذ محمد أحمد محجوب وحده الى لقاء مع أحد معاوني الرئيس ليتحدث في مسائل خاصة بالتطورات في السودان . وركب الأستاذ سعيد فريحة في سيارتي عائدين من منشية البكري الى الأهرام . وفي الطريق كان سعيد فريحة في حالة هستيرية ، مرات يضرب بكف ، ومرات يلطم خديه ويتساءل بلهجته اللبنانية الحلوة :

- « يا لطيف . . . شو نعمل . . . شو نحكي ! » .

والتقينا نحن الثلاثة مرة أخرى ظهر اليوم التالي في مكتبي ، وروى لنا محجوب انه سمع معلومات مفصلة أخرى عن اتصالات الاستاذ علي أمين في لندن بجهات سعودية وانه نقل اليها تفصيلات كثيرة كان يعلمها عن سياسة مصر في حرب اليمن . ثم قال لنا الأستاذ محجوب ان أعمالاً تقتضيه ان يسافر بعد أسبوع الى لندن ، وهو يفكر في « مصارحة الأستاذ علي أمين بما سمعه من الرئيس » . وسألني محجوب عن رأيي ، فقلت له : « انني لا أستطيع أن أعرف اذا كان الرئيس يرى ان يصارح علي بما سمعه منه . وربما لا يكون هناك ضرر في تحذير علي مبكراً من مخاطر ما يبدو من تصرفاته كما تراها القاهرة . ومع ذلك فان الموضوع كله يجب ان يعالج بحذر شديد ، وهو - أي محجوب - أكثر من يستطيع تقدير الملابسات كلها » .

ومضت فترة أسبوعين او ثلاثة، ثم فوجئت في بريدي صباح أحد الأيام بخطابين من الأستاذ علي أمين كتبهما بخط يده وبعث بهما اليّ من لندن . أحدهما موجه اليّ والآخر موجه الى الرئيس جمال عبد الناصر .

كان نص الخطاب الموجه اليّ كما يلي [1] :

« لندن في ٣٠ مارس ١٩٦٦

عزيزي هيكل

أحب أن أطمئنك انني لم أتغير . وأنني لا زلت علي أمين الذي تعرفه وتحبه وتحترمه . لم أتحول الى أحمد أبو الفتح [2] ! . ولن أتحول في يوم من الأيام . فانني أريد ان أفخر بأنني أعطيت بلادي كل شيء ، وأنصفتها بعد أن ظلمتني ، ورميت قلبي وسمعتي ومستقبلي تحت قدميها لتمشي عليها !

والذين نسبوا لي أنني اتصلت بالمخابرات البريطانية يضعون أنفسهم مكاني ، ويتصورون تصرفاتهم لو لبسوا حذائي ، ثم ينسبون لي هذه التصرفات ! ويعلم الله أنني لم أتصل بالمخابرات البريطانية ولا بالحكومة البريطانية ولا بأي جهة أجنبية . . . حتى أصدقائي الانجليز حرصت على أن لا أتصل بهم في هذه الظروف . وقد حاول المئات من كبار الصحفيين الاتصال بي ، ولكني رفضت أن أقابلهم جميعاً لأنني أعرف أن أي تحريف في كلامي سيسيء الى بلادي والى أخي . ثم أنه من غير المعقول ان أتنكر لتاريخي الذي أعتز به ، وأقف مع أعداء بلادي ضد عبد الناصر . . . ولو فعلت ذلك لن يحترمني الناس ، ولن أحترم نفسي .

انني أرفق مع هذا خطاباً للرئيس جمال عبد الناصر ، أرجو ان يتسع

---

(١) صورة للخطاب بخط الأستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢١) .

(٢) هذه هي الاشارة الثانية للأستاذ أحمد أبو الفتح في كتابات الاستاذين مصطفى وعلي أمين . وكانت الاشارة الأولى هي قول الاستاذ مصطفى أمين في رسالة الاعتراف التي بعث بها الى الرئيس عبد الناصر ـ أن هناك مؤامرة قام بها آل أبو الفتح مع الملك سعود . وكانت هناك اشارة ثالثة من قبل في أحد تقارير الاستاذ مصطفى أمين الى الرئيس جمال عبد الناصر وتتضمن اعتقاده بأن الاستاذ أحمد أبو الفتح هو صاحب البلاغ الذي أدى الى القبض على الاستاذين مصطفى وعلي أمين في الأيام الأولى للثورة . وكانت بين آل أبو الفتح أصحاب « المصري » وآل أمين أصحاب « أخبار اليوم » منافسة تحولت الى عداوة ، ورغم ذلك فقد بقيت بين الطرفين صلات مستمرة . والعداوات تخلق في بعض الأحيان نوعاً من الروابط لا يقل في تأثيره عما تخلقه الصداقات وان اختلف اتجاه الروابط بين الحالتين .

وقته لقراءته . فانني أخشى ان يذهب مئات غيري ضحية صاحب البلاغ الكاذب . ولهذا أرجو ان يأمر الرئيس بتحقيق هذا الاتهام فوراً .

والآن تستطيع ان تغمض عينيك وتدافع عني ! انني لا زلت علي أمين الذي سيستمر يدافع عن بلاده وعن جمال عبد الناصر حتى آخر قطرة من دمه .

وأحب أن أؤكد لك أنني لا أحقد على صاحب البلاغ الكاذب . لا بد انه جائع ، ولهذا يريد ان ينهش لحمي . وليسامحه الله ! .

وختاماً أبعث لك بقبلاتي وأشواقي ، وأدعو الله ان يرعاك ويحفظك ويحميك من آكلي لحوم البشر ! (١) .

المخلص

علي أمين »

ثم كان خطاب الأستاذ علي أمين الى الرئيس جمال عبد الناصر على النحو التالي : (٢)

« لندن في ٣٠ مارس ١٩٦٦

عزيزي الرئيس جمال عبد الناصر

لقد ظلمتني ! فقد علمت اليوم ان سيادتكم قلتم لأحد رؤساء الوزارات العرب « أن علي أمين يعمل الآن مع المخابرات البريطانية » . كما قال أحد المتصلين بسيادتكم « ان هناك معلومات سابقة كان يعرفها علي أمين ، وقد وصلت الى المخابرات البريطانية . كما انه يكتب في بعض الصحف الانجليزية بدون توقيع » .

---

(١) عدت الى قراءة هذه العبارة أكثر من مرة في ظروف الحملات المكثفة التي شنتها عليّ صحف دار أخبار اليوم منذ سنة ١٩٧٤ الى سنة ١٩٨٤ ، وفي كل مرة كنت أقرؤها وأتعجب لتصاريف القدر ! .

(٢) صورة للخطاب بخط الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٢) .

وأنا أعرفك أكثر من غيري . ولهذا أومن بأنك ظلمتني عن غير قصد . وانك عندما تعرف الحقيقة ستسارع الى انصافي . . . فانني جزء من البلاد التي تحبها ، ويهمك ان تطمئن على أن كل جزء فيها نظيف شريف .

ولذلك يهمني ان أؤكد لك ان كل هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة لا من قريب ولا من بعيد . فانني لم أتصل بالمخابرات البريطانية . ولا بالحكومة البريطانية ، ولا بأي جهة أجنبية لا من بعيد ولا من مباشرة ولا بالوساطة .

كما انني رغم الدعوات الكثيرة التي تلقيتها لم أتصل بأي وزير أو سياسي انجليزي مع استثناء المستر مولدنج الزعيم المحافظ ووزير المالية السابق ، فقد التقيت به في احدى حفلات العشاء ، وكان حديثنا يدور حول المعركة الانتخابية . كما التقيت في حفلة الكوكتيل التي أقامها الشيخ حافظ وهبة بمناسبة مغادرة منصبه بأحد موظفي الخارجية البريطانية ، وحدثني عن الاتصالات التي تجري في الخرطوم مع الملك فيصل بشأن اليمن ، وقد حرصت ان أبلغ القنصل المصري فوزي محبوب بهذا الحديث (١) .

المخلص

علي أمين »

وفي أول مقابلة مع جمال عبد الناصر حملت اليه خطاب الاستاذ علي أمين الموجه اليه ، ثم أطلعته أيضاً على خطابه الموجه لي .

وألقى جمال عبد الناصر نظرة على الخطابين ثم أعادهما ـ كليهما ـ اليّ وسكت لحظة بينما بصري معلق به انتظاراً وترقباً .

بعد قليل سألني :

---

(١) لم يذكر الاستاذ علي أمين في خطابه السبب الذي يدعوه للتواجد في حفلة يقيمها السفير السعودي ، والأغرب ان يذكر انه حرص على ابلاغ القنصل المصري بتفاصيل ما سمع !! .

ـ « هل تستطيع ان تقول لي كيف يعيش علي أمين في لندن ؟ . . . انكم في الأهرام توقفتم عن التحويل له وهو يعيش في فندق من فنادق الدرجة الأولى في لندن يحتل فيه جناحاً كاملاً من أربع غرف . ان هيئة الأمن القومي هنا جاءت بفاتورة للفندق عن شهر واحد من الاقامة وكانت قيمتها حوالي ثلاثة آلاف جنيه استرليني في الشهر . . . من أين ؟! » .

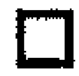
وقلت : « انني أعرف ان الاستاذ علي أمين ينزل في فندق « ماي فير » وهو بالفعل من أغلى فنادق لندن ، ولكن ربما ان أحداً من أصدقاء الاستاذين مصطفى وعلي أمين يستضيفه هناك » .

ورد جمال عبد الناصر :

ـ « ان الذي يدفع فاتورة فندق بثلاثة آلاف جنيه في الشهر لا بد ان يصرف مثلها على الأقل في غير ذلك من احتياجات حياته . فمن يستطيع ان يستضيف شخصاً آخر على هذا النحو ولقرابة سنة حتى الآن . . . ثم الى متى ؟! » .

ثم وضع جمال عبد الناصر حداً للحديث في هذا الموضوع وقال :

ـ « لننتقل الى موضوع آخر » .



ومرت شهور .

وكانت الأمور في مجراها العادي ، ولا أقول الطبيعي .

كنت أرى بانتظام أسرة الأستاذين مصطفى أمين وعلي أمين . فقد كان لا بد للعلاقات الانسانية ان ترتفع على كل ما عداها او هكذا تصورت .

وكانت شحنات الأدوية والفاكهة والدجاج المحفوظ تصل من بيروت ثم تجد طريقها مباشرة او عن طريق مكتبي الى الاستاذ مصطفى أمين في سجنه .

وفي شهر مارس سنة ١٩٦٧ ألحت عليّ زوجة الأستاذ علي أمين في أن

أساعدها لتلحق به في لندن هي وابنتها وابنته الأولى من زواجه الأول .

وحاولت ، ووافق الرئيس جمال عبد الناصر لنفس الاعتبارات الانسانية ، ولكن بعض جهات الأمن وجدت من حقها ان تراجع موافقته .

كنت قد أبلغت السيد سامي شرف ـ شفوياً ـ بموافقة الرئيس على السفر لكي يتولى اخطار الجهات المختصة بها للتنفيذ ، ولكن الاستاذ سامي شرف وجد من الضروري اعادة العرض ، وغيّر الرئيس رأيه وأبلغت بالتغيير .

جاءتني الورقة التقليدية بخط الأستاذ سامي شرف معروضة على الرئيس بالنص التالي (١) :

« أفندم

طلب الأستاذ هيكل السماح لخيرية خيري بالسفر الى لندن هي وابنتها .

. . . .

. . . .

أوامر سيادتكم

١/٤/٦٧ »

ثم ملاحظة في أسفل المذكرة برأي جهات الأمن ـ كما يبدو لي ـ كتب فيها السيد سامي شرف بخطه :

« ملحوظة :

خيرية خيري أصبح عدائها للنظام سافر وهي عنصر . . . (كلمات لا أرى مناسباً ان أنشرها) واذا سمحتم لي سيادتكم ان أبدي رأيي فاني أفضل بقاءها في القاهرة . . . » .

---

(١) صورة المذكرة بخط السيد سامي شرف في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٣) . والنقط التي وضعتها في نصها تمثل عبارات رأيت ان أغطي عليها في الوثيقة الأصلية حرصاً على معان كثيرة .

وكانت هنالك تأشيرة بخط غير خط الرئيس وبالحبر الأحمر . ويبدو أن كاتبها هو السيد سامي شرف بعد أن قبل الرئيس وجهة النظر الأخرى ، وكان نص التأشيرة : « لا داعي » .

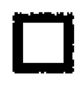
ولم أقنع وأسكت ، فلقد انتهزت فرصة تالية كنت فيها مع الرئيس وأعدت فتح الموضوع . . . قلت له :

- « ان ابنة علي أمين تحتاج الى عملية جراحية في عينها من نفس نوع العملية الجراحية التي أجريت لابني . ان علي امين كان في المستشفى بدلاً مني حين أجريت العملية لابني ، وأشعر من أعماق قلبي انني يجب ان أساعد ابنته لتحصل على نفس الفرصة وان يتاح لها مبكراً تدارك تعقيدات قد تؤثر في مستقبل حياتها » .

وكان جمال عبد الناصر ضعيفاً أمام مشاعر الأبوة والبنوة ، وغيّر رأيه للمرة الثانية فوافق على طلب السفر من جديد ، وأضفت الى الطلب رجاءاً بأن تسافر ابنتا الاستاذ مصطفى أمين الى لندن لعمهما لأن ظروفهما في مصر مرهقة . ثم ان الابنة الكبرى تفكر ان تلتحق بمدرسة هناك لأنها تعاني من جو المدرسة هنا بعد كل ما نشر عن والدها .

ووافق جمال عبد الناصر . . . تغلب الانسان والأب فيه على رئيس الدولة .

وسافرت الأسرتان الى لندن : زوجة الأستاذ علي أمين وابنتاه . ثم ابنتا الأستاذ مصطفى أمين .



وجرت مياه كثيرة تحت الجسور بقية سنة ١٩٦٧ ، وجرت وقائع وسقطت مراكز وتغيرت صور .

وذات يوم من شهر أبريل سنة ١٩٦٨ كنت مع جمال عبد الناصر في بيته .

وقتها كان جمال عبد الناصر يخوض معركتين في نفس الوقت : حرب الاستنزاف ضد اسرائيل . ومعركة في الداخل لتصفية بعض مراكز القوى التي ظهرت واستفحل خطرها . وكان بين الذين قدموا للمحاكمة وقتها السيد « صلاح نصر » رئيس المخابرات العامة .

وتطرق الحديث بين جمال عبد الناصر وبيني بالطبع الى التطورات المتلاحقة على كل الجبهات ، وعلى غير تحسب مني أو انتظار قال جمال عبد الناصر :

-« يظهر ان صديقك مصطفى أمين يعتقد أن محاكمة صلاح نصر فرصة مواتية له .

يقول في السجن ان صلاح نصر أوقع به لأنه كان يحس بالغيرة منه . عندما قلت لمصطفى مرة أن تقاريره التي يكتبها لي تؤهله لمنصب مدير مخابرات أخذها جداً . كان يكتب تقارير لصلاح نصر أيضاً لكنه الآن يقول ان صلاح نصر لم يغفر له ابدا منافسته له في الحصول على المعلومات وكتابتها في التقارير .

مصطفى أيضاً يدّعي الآن ان صلاح نصر عذبه . . . لقد سمع ان بعض حالات التعذيب وقعت وأننا نحقق فيها وقرر ادخال نفسه في العملية على أمل ان يجد مكاناً في الزحام !

هو أيضاً يتهم الاسرائيليين بأنهم وراء قضيته » .

ثم أضاف جمال عبد الناصر :

- « غريبة هذه القدرة لدى بعض الناس على أن يكذبوا حتى على أنفسهم » .

وبدت عليّ علامات عجب لما أسمعه ، وقال لي الرئيس :

- « عندما تخرج من هنا خذ من سامي شرف صورة خطاب بعث به مصطفى أمين من السجن الى قريبة له تزوره بانتظام هناك . ان مصطفى لم

يكتب الخطاب الى قريبته وانما كتب الخطاب لنا ، فهو طبقاً للوائح السجون سوف يسلم أي خطاب يكتبه مفتوحاً الى مأمور السجن ، ومأمور السجن سوف يبعثه بالطريق الرسمي وعبر جهات كثيرة ـ حتى يصل الى المرسل اليه .

خذ الخطاب واطلع عليه . . . سوف تجده شيئاً فريداً في بابه » .

ومررت على مكتب السيد سامي شرف وأخذت نسخة من الخطاب ، وكان نصه كما يلي [1] :

« السيد قائد العنبر

أرجو الموافقة على ارسال هذا الخطاب الى أسرتي .

٤ مارس سنة ١٩٦٨ .

يا حبيبتي

حدثت اليوم مفاجأة لم تخطر على بالي ، ويظهر اننا الآن في موسم المفاجآت ، فقد حدث ظهر اليوم ان قيل لي ان النيابة تنتظرني في غرفة المدير .

وتصورت ان النيابة جاءت تحقق في بلاغي للنائب العام عن التعذيب . ودهشت ان جميع المسجونين السياسيين استدعوا الى دار القضاء العالي لسماع أقوالهم . بينما يحقق معي في بلاغ التعذيب في داخل الليمان .

وعندما ذهبت الى غرفة المدير ، طلب اليّ ان انتظر في غرفة مجاورة ، ثم جاء الاستاذ أمين عليوة رئيس النيابة الملحق بمكتب النائب العام .

وظهر ان التحقيق بخصوص الأقوال الخطيرة التي قالها لوتز الجاسوس الاسرائيلي في السجن عن تسرب المخابرات الاسرائيلية داخل مخابرات صلاح نصر ، وكيف ان المخابرات الاسرائيلية أمرت لوتز ان يقلب عليّ صلاح نصر ! وكيف نجح في مهمته وقبض عليّ ، وجاءته رسالة من المخابرات الاسرائيلية بعد الحكم عليّ تقول له « برافو » .

---

(١) صورة لهذا الخطاب بخط الأستاذ مصطفى أمين في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ٢٤) .

وذكرت أسماء جميع المسجونين الذين سمعوا أقوال لوتز .

وقال لي رئيس النيابة ان النائب العام كلفه بالانتقال ليحقق في أقوال لوتز ، ولكنه مستعد ان يسمع أقوالي في التعذيب ، وان بلاغ التعذيب لم يصل بعد الى النائب العام وقد مر أسبوع على ارساله . فقلت له انني أريد أن أقتصر الآن على ابداء أقوالي في تصريحات لوتز ، وان أنتظر نتيجة بلاغي لأتحدث في التعذيب بالتفصيل .

واستدعى رئيس النيابة الشهود جميعاً . وفصلوني عن الشهود ، وأجلسوني في غرفة أركان حرب . وأدلى الشهود بشهادتهم وأكدوا ما قلته .

وقال رئيس النيابة لبعض الشهود ان هذا التحقيق في رأيه أهم من قضية انحراف المخابرات وأهم من قضايا التعذيب . وفي رأيي أن هذا التحقيق يكمل صورة مخابرات صلاح نصر ، ويظهر مقدار الجريمة التي ارتكبتها في حق هذا الوطن .

وسألني رئيس النيابة اذا كانت المعاملة في السجن قد تحسنت كثيراً عما كانت ، ودهش كثيراً عندما قلت له انه لم يحدث أي تغيير .

ولقد علمت أنهم سيسمحون بدخول طعام لي في أول يوم من أيام العيد (السبت) او ثاني يوم من أيام العيد (الأحد) .

وطلبت من هاني ان يسمح لي بأن أراك دقيقة في هذا اليوم . فقال انه سيستأذن المدير في ذلك .

انني أكتب لك بسرعة هذا الخطاب حتى أجعلك في الصورة دائماً لتعرفي أخباري أولاً بأول .

ولك ألف ألف قبلة والى اللقاء . انني أعتقد ان محضر التحقيق الذي تم اليوم هو محضر تاريخي ، وكم أتمنى أن أحصل في يوم من الأيام على نص هذا المحضر ، ولست أعرف اذا كان المسئولون سيرون من المصلحة أن تعرف الآن هذه الحقائق الخطيرة .

ولم ينتابني شعور بالتمني ان أكون مطلق السراح ، خلال هذه المدة الطويلة سوى مرتين ، المرة الأولى عندما وقع العدوان في ٥ يونيو ، فقد شعرت عندما حدثت الهزيمة بالتمني لو انني كنت مطلق السراح ، لاستطعت أن أخدم بلادي ، كما خدمتها في عدوان سنة ١٩٥٦ .

والمرة الثانية هي هذه المرة بعد التحقيق ، فلقد تمنيت أن أكون مطلق السراح لأستطيع ان أكشف الستار ، وأحصل على الوثائق الخاصة بالجريمة التي ارتكبها لوتز ضد بلادنا ، وكيف استغل غفلة صلاح نصر وغروره وجهله لكي يدس على بلادي ما تريد المخابرات الاسرائيلية أن تدسه على المسئولين .

انني كنت أقول لنفسي ، لو كنت مطلق السراح ، لاستطعت أن أتعقب لوتز في جميع أنحاء العالم ، ولاستطعت ان أحصل منه على اعتراف بخط يده ، ولاستطعت أن أعرف كيف استطاع لوتز أن يفعل كل هذا الذي فعله ببلادي وبي [١] . انني أعرف انها مهمة شاقة ، ولكني أضعها أمانة في عنق كل تلاميذي ، وفي عنق كل أصدقائي ، وفي عنق صحافة العالم . فقد كنت أحد كبار الصحفيين العالميين ، وواجب صحافة العالم ان تكشف الجريمة التي ارتكبها هذا الجاسوس الاسرائيلي من أجل أن يضع واحداً من كبار الصحفيين في الشرق الأوسط ، بشهادة صحف العالم كلها ، في الليمان [٢] !

ان هذا يدل ولا شك على عبقرية لوتز الذي قرأت في الديلي تلغراف [٣] انه يعتبر Master Spy .

---

(١) منذ أفرج عن الأستاذ مصطفى أمين في شهر يناير ١٩٧٤ لم يكتب مقالاً واحداً عن الجاسوس الاسرائيلي « لوتز » ولم يطارده الى بقعة في الأرض ليكشف سره .

(٢) الملاحظ ان صحافة العالم كلها تقريباً لم تكتب شيئاً عن القضية ولم تتناولها واحدة منها كقضية صحافة او كقضية حريات .

(٣) يقول الاستاذ مصطفى أمين هنا انه يقرأ « الديلي تلغراف » في السجن ، وهذا يتنافى مع الصورة التي رسمها ـ فيما بعد ـ لأحواله في تلك الفترة ، والحقيقة اننا كنا رتّبنا لجميع ما طلبه من جرائد ومجلات مصر ولبنان وانجلترا ان تصله بانتظام ـ ولم يكن هذا الخطاب خطاباً سرياً هربه من السجن وانما كان خطاباً سلمه بالطريق الرسمي الى قائد العنبر !

ولكن هذا يدل أيضاً على مبلغ سذاجة وجهل صلاح نصر !

انه من أجل ان يغطي فضائحه الشخصية ، خشية ان تصل الى المسئولين ، لفق عليّ هذه التهمة ، وعذبني ، وامتهن انسانيتي ، ولوث وطنيتي . .

ان الله شاء ان يجعلني أعيش حتى أرى هذا اليوم ، انه جعلني أعيش حتى أشهد الحقائق تظهر واحدة بعد أخرى .

ان الله معنا .
والحمد لله أولاً وأخيراً .

والى اللقاء .

(امضاء) »

وكان تعليقي على قراءة الخطاب هو انه انعكاس لحالة اضطراب نفسي . . . رجل يحاول ان يهرب من الماضي ومن الواقع ، وذلك يجب ان يفهم انسانياً قبل أي اعتبار آخر ! .

الفصل الرابع
زائــر مــن الريفيــرا

وفي الاسبوع الثاني من شهر سبتمبر ١٩٦٨ وصل الاستاذ سعيد فريحة الى القاهرة من « كان » . كان في الريفييرا لقضاء عطلة صيف . وفي مغانيها الحلوة قابل الاستاذ علي أمين الذي تصادف وجوده هناك ضمن مرافقي الأمير السعودي « طلال بن عبد العزيز » .

وحين لقيني « سعيد » غداة وصوله الى القاهرة وجدته يبدأ برواية حكاية قدومه الى القاهرة .

كانوا في سهرة ممتعة في « كان » . عدد من الأمراء السعوديين وأصدقائهم والجو نغم والنسيم عطر وكل شيء يوحي بالفخامة والغنى . وفوجىء بالاستاذ علي أمين يسحبه من يده الى شرفة تطل على البحر من بعيد ثم يقول له دون مقدمات « انه يتعذب » . . « كلما رأى نعيم الحياة من حوله تذكر توأمه مصطفى في سجن طرة » . ثم راح يبكي على كتف « سعيد » . ويظهر أن بعض حضور الحفل ليلتها أحسوا بما يجري على الشرفة ، ويبدو على نحو أو آخر أن حديث السهرة بعد ذلك دار حوله . ولم تمض ثلاثة أيام حتى كان « سعيد فريحة » قد ركب الطائرة الى بيروت لعدة ساعات ثم لحق بطائرة أخرى الى القاهرة .

وكانت وجهة نظر سعيد فريحة أنه لا يساوره شك في أن الاستاذ

مصطفى أمين مذنب ، لكنه مهما كان الذنب فانه قضى حتى الآن قرابة الثلاث سنوات في السجن ما بين التحقيق والمحاكمة وبعد الحكم - وهذا يكفي .

ولا بد أن اعترف أنني كنت أرى رأيه .

وطلبنا موعدا مشتركا من الرئيس جمال عبد الناصر ، واتفقنا على أن نحاول كل جهدنا لكي نخرج من هذا الاجتماع بنتيجة . . . على الأقل بوعد .



وكانت جلستنا مع الرئيس جمال عبد الناصر ممتدة ومثيرة .

لم يكن سعيد فريحة قد قابل جمال عبد الناصر منذ ١٩٦٧ وأحداثها الحزينة . كذلك لم يكن بالطبع قد قابله وحرب الاستنزاف يشتعل أوارها .

وتحدث جمال عبد الناصر حول ظروف سنة ١٩٦٧ ، ثم راح يتحدث عن حرب الاستنزاف وعن تصوره لمراحل المعركة الشاملة ضد اسرائيل وتقديره لها وعلى أي نحو ومتى .

وانتقل سعيد فريحة فراح يروي للرئيس كيف وصل خبر اغراق المدمرة الاسرائيلية « ايلات » بصاروخ مصري الى بيروت ، وماذا كانت مشاعر الناس وهم يرون مصر تقوم من ضربة وجهت اليها في يونيو ١٩٦٧ فاذا هي تواصل القتال في البر وفي البحر .

وتنبه سعيد فريحة بعد ساعة زمان تقريبا الى أنه لم يتطرق بعد الى الهدف من زيارته ، فانتهز لحظة توقف فيها الكلام ثم قال :

ـ « سيادة الرئيس . . الحقيقة أنني أشعر بخجل اذ أثير أمامك الآن وسط مسئولياتك الكبيرة موضوعا أتمنى لو سمحت لنا أن نعيد عرضه عليك » .

ثم دخل الى القصة كلها ابتداء من « كان » و« الريفييرا » . . . والشرفة المطلة على البحر ودموع علي أمين . . .

وابتسم جمال عبد الناصر نصف ابتسامة وقال لسعيد فريحة :

ــ « أحدثك عن الحرب ومعاركها والناس الذين يموتون على الجبهة وأنت تحدثني عن « الريفييرا » . لم أرها في حياتي ولا أريد أن أراها » .

وقال سعيد فريحة بروح الفنان الصافية في وجدانه :

ــ « سيادة الرئيس . . ما لنا ومالك . نحن لسنا مثلك مكلفين بحمل خطايا هذه الأمة » .

ثم استغرق في الضحك وهو يقول :

ــ « نحن قسمنا الوجود قسمين : لك التاريخ ولنا الحياة ! » .

وضحك جمال عبد الناصر من قلبه على القسمة غير العادلة !

وأحسست أن كلام سعيد فريحة أشاع في جو الجلسة لمسة من المرح فتدخلت قائلا بالحرف :

« لا أحد بيننا يجادل خطورة ما نسب الى مصطفى أمين ، لكن هناك نقطة واحدة يهمني توضيحها .

مصطفى كان رجلا مشتغلا بالسياسة .

وبالنسبة لسياسي فان العقوبة الحقيقية هي الادانة. وأما قضاء مدة العقوبة بكاملها فقد يصبح نوعا من الانتقام . وهنا تفترق جريمة سياسية عن جريمة عادية » .

وقال جمال عبد الناصر :

ــ « دعني أصحح لك أولا . أن جريمة مصطفى أمين لم تكن جريمة سياسية . وانما كانت جريمة وطنية . وهي على هذا النحو أسوأ من جريمة عادية » .

والتقط الاستاذ سعيد فريحة الخيط فقال :

ـ « سيادة الرئيس . . الادانة وحدها كافية ، وقضاء مدة العقوبة كاملة لا يقدم ولا يؤخر ، ثم ان جزءاً من العقوبة جرى تطبيقه بالفعل وعاش مصطفى حياة السجن ثلاث سنوات ، وهذا يكفي » .

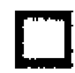
ثم انتقل الاستاذ سعيد فريحة الى المستوى العاطفي للمشكلة مرة أخرى وراح يستعطف جمال عبد الناصر ويرجوه ويلح عليه في وعد بتوقيت اذا لم يكن على استعداد للبت فورا في المسألة .

ورد جمال عبد الناصر ، وكانت في صوته نبرة حزم أحسست بها :

ـ « ان الوعد الوحيد الذي أستطيع أن أعطيه لكما هو أن أفرج عن مصطفى بعد ازالة آثار العدوان . اما قبل ذلك فمستحيل . واذا أردت أن تعرف سبباً تضيفه الى ما قرأته وسمعته من التقارير والأشرطة والاعترافات ـ فانني على استعداد أن أقول لك دون أن أكون ظالما لاحد أن مصطفى كان من أهم مصادر المعلومات للأمريكان في الظروف التي سبقت التدبير للعدوان . ثم هل لي أن أسألك سؤالا وجهته من قبل لهيكل ولم أتلق اجابة مقنعة عنه : قل لي كيف يعيش علي أمين في أوروبا يذرعها بالطول والعرض ؟ ! »

وللحظة بدا وكأنه لم يعد لأحدنا كلمة يقولها . وبعد هذه اللحظة الحائرة الضائعة قال سعيد فريحة : « هل نأخذ هذا وعدا . . أنك ستفرج عنه بعد ازالة آثار العدوان ؟ » وقال جمال عبد الناصر : « نعم وعد » . ثم أضاف : « وساعتها تعال الى هنا بنفسك لكي تأخذه من باب السجن الى باب الطائرة وتذهب الى الريفييرا » !

وخرجنا . وعند الباب استأذناه في زيارة للاستاذ مصطفى أمين في سجن طرة . وأذن .



كان هذا آخر لقاء لي مع مصطفى أمين في السجن ، وكان اليوم هو يوم السبت ٢١ سبتمبر ١٩٦٨ .

في الساعة العاشرة صباحا كنا على الباب وهناك من ينتظرنا ليأخذنا الى غرفة مأمور السجن ووراءنا اثنان من الجنود يحملان صناديق التفاح وغيره من المأكولات الفرنسية التي جاء بها سعيد فريحة من بيروت والريفييرا .

وجاء الاستاذ مصطفى أمين الينا في غرفة المأمور . ثم كان عناق وقبلات وسؤال عن الأحوال والناس وأولهم علي أمين . ويبدو أن الاستاذ سعيد فريحة أراد تطمين الاستاذ مصطفى أمين فقال له : « اننا كنا أول أمس مع سيادة الرئيس وحدثناه في أمرك ووعدنا خيرا باذن الله » .

ولم أدرك الا متأخرا أن هذه العبارة سوف تحدث آثارا تمتد الى أبعد بكثير مما قصده الاستاذ سعيد فريحة بها .

في أوانها كان لهذه العبارة تأثير السحر في غرفة مأمور السجن .

بعدها بدأ المناخ المحيط بنا يتغير بسرعة ، ولم تمض غير دقائق حتى كنا نقوم بجولة في السجن ودليلنا فيها هو الاستاذ مصطفى أمين يمشي وسطنا ومن حولنا مأمور السجن وبعض الضباط. وذهبنا الى ورش السجن والى المخبز والمطبخ ثم الى المكتبة . وكانت هي المكان الذي تقرر أن ينفذ فيه الاستاذ مصطفى أمين عقوبة السجن مع الشغل . شغله كان المكتبة . وداعبته قائلا له : « على الأقل تقرأ بعض الكتب » ، وضحكنا . فقد كنت ألومه مرات في الأزمنة الخوالي لأن قراءاته كانت قاصرة على الصحف والمجلات لا تتعداها .

وراح الاستاذ مصطفى أمين أثناء تجوالنا في السجن يقدمنا الى بعض زملائه . وفي لحظة من اللحظات راودني الاحساس بأننا في فناء مدرسة ولسنا وسط جدران سجن .

وأخذنا الوقت أكثر من ساعتين ، ثم جاء من ينبه الى أن الزيارة تجاوزت كل القواعد المقررة . وخرجنا .

ومر عليّ سعيد في اليوم التالي مودعا . كان عائدا الى بيروت وبعدها ربما الى أوروبا . وسألني :

ــ « ماذا أقول لعلي ؟ »

وقلت له :

ــ « انني لا أعرف أكثر مما تعرفه . . فلقد كنا معا حين تحدثنا للرئيس ، وكنا معا حين التقينا » .

وسألني :

ــ « هل ترى مناسبا أن أنقل لعلي ملاحظة الرئيس على مصادر حياته في أوروبا ؟» .

وكان ردي :

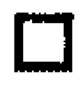
ــ « انه من الضروري أن يعرف علي أن ذلك أمر يثير تساؤلات في مصر وكلها تساؤلات لا تخدم قضية مصطفى ولا قضيته . والمهم أن تختار الأسلوب الذي يجعله يحس بالمسألة دون أن تصدمه بها كاتهام من جمال عبد الناصر » .

وسألني سعيد فريحة :

ــ « لماذا لا تكتب له خطابا أحمله له معي ؟ » .

وقلت له :

ــ « وهبني أردت أن أكتب له خطابا فماذا أقول فيه . . ؟» .



صباح يوم ٢٣ سبتمبر اتصل بي جمال عبد الناصر في مكتبي مبكرا .

تذكر ـ كريما ووفيا ـ أنه يوم ميلادي ـ لكنه مع ذلك كان غاضبا . قال على الفور :

ــ لولا أنه عيد ميلادك لما كنت اتصلت بك اليوم . الحقيقة أنني غاضب

منك وأنت تعرف أنني لا أحب أن أتصل بأحد وفي قلبي ذرة غضب »[1] .

وتساءلت عن السبب ، وراح يسألني عما جرى في السجن أول أمس حين ذهبت مع الاستاذ سعيد فريحة لزيارة الاستاذ مصطفى أمين . ولم ينتظر اجابتي وانما استطرد يقول :

ـ « انني عرفت ما حدث . وأنا في دهشة من أنك تركت مصطفى يستغلك الى هذا الحد ، يطوف بك السجن كله « ويهوش » الناس باعتبارك صديقي . . . هل تريد أن تعرف أكثر من ذلك ؟ انه قال لبعضهم في السجن أنني بعثت بك رسولا اليه تفاوضه في الخروج على أساس استعمال اتصالاته في الظروف الراهنة . . . هل يرضيك هذا ؟ » .

وأعربت صادقا عن أسفي لأن ذلك حدث ، وانني سأكون أكثر حرصا في مرات قادمة . وكان رده قاطعا :

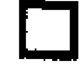
ـ « أخشى أن أقول لك أنه لن تكون هناك مرات قادمة . انني أبلغت شعراوي جمعة (وزير الداخلية وقتها) بأن يرفض أي طلب تتقدم به لزيارة مصطفى أمين . ونصيحتي لك أن لا تحرج نفسك لا معي ولا مع شعراوي » !

ثم أردف قائلا : « انتهى الكلام في هذا الموضوع ولننتقل الى غيره . . كيف حالك اليوم ؟ . . وماذا تنوي أن تفعل ؟ » . . وأسئلة ود ومحبة ـ لكن رأسي كان يدور وقلت له معاتبا : « وهل تركت لي مجالا للاحتفال بعيد ميلادي اليوم ؟ »

---

(١) كان ذلك صحيحا الى أبعد حد ، فقد كان جمال عبد الناصر حين يغضب غضبا حقيقيا من صديق أو زميل ـ ينتظر حتى تهدأ مشاعره يوما أو يومين . وكان يقول « كيف يستطيع أحد أن يرد اذا أنا ثرت عليه وكيف يتمالك نفسه ليقول وجهة نظره في مواجهة ثورتي . ان أي واحد في مثل ظروفي لا بد له أن يروض نفسه على الصبر . ليس من حقه أن ينفعل مع أن ذلك من طبائع البشر ، لكن انفعاله في مواجهة الآخرين وفي لحظة غضب يمكن أن يحدث جراحا لا يشفيها الزمن » . وكثيرا ما كان يردد: « كلكم لكم حق الانفجار غضبا أمام من تشاءون الا أنا » .

وقال ضاحكا : « تستاهل » !



وفي نهاية الاسبوع الثاني من أكتوبر ١٩٦٨ وجدت في بريدي مرة أخرى خطابا من علي أمين . كان الخطاب مؤرخا يوم ٥ أكتوبر . وكان واضحا من سطوره الاولى أنه رد فعل لزيارة سعيد فريحة الأخيرة للقاهرة . كان يحاول أن يشرح لي تفهمه للاسباب التي تمنعني من الكتابة اليه . وكان يحاول أن يرد على السؤال المطروح حول موارده في لندن . . . الخ .

كان الخطاب بالنص كما يلي :[١]

« لندن في ٥ اكتوبر ١٩٦٨

عزيزي هيكل

لقد حرصت خلال السنوات الماضية أن أختلق لك المبررات والظروف التي تمنعك من الرد على كل الخطابات التي أرسلتها لك [٢] . وأحب أن أؤكد لك أنني قبل أن أكتب لك هذا الخطاب اختلقت لك عذرا وجيها لعدم وصول ردك ! فلا تتعب نفسك وتعتذر عن عدم ردك ، فان العذر الذي اختلقته لك أمام نفسي أقوى من العذر الذي ستكتبه لي لو اتسع وقتك للكتابة !

طبعا أنت تعرف أنني منذ سنوات أعمل مع محمد علي حسين[٣] في مكتبه الهندسي بلندن ، في تصدير الماكينات والمحطات الكهربائية الى مختلف

---

(١) صورة لهذا الخطاب بخط يد الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ٢٥) .

(٢) لم أكن أرد على خطاباته لأكثر من سبب بينها حيرتي فيما يمكن أن أقوله له ، ثم ان الاستاذين سعيد فريحة ومحمد أحمد محجوب كانا حلقة اتصال غير مباشرة باستمرار .

(٣) المهندس محمد علي حسين زوج السيدة « مونا عبود » ابنة المليونير المصري المعروف « أحمد عبود (باشا) » . وكانت هذه أول مرة أعرف فيها أن الاستاذ علي أمين يعمل في مكتب زوج ابنة عبود (باشا) - واذا كان ذلك صحيحا فلا بد أن عمله كان بالدرجة الاولى تسهيل أعمال المهندس محمد علي حسين مع أصدقاء الاستاذ علي أمين في السعودية .

بلاد الشرق الأوسط وشمال افريقيا والخليج العربي ، وهي عملية تدر أرباحا ضخمة ، ولكنها لم تستطيع أن تنسيني حبي الأول . ومع ذلك فقد استطعت أن أقاوم نداء حبي الأول ، كل هذه السنين . وحرصت أن أبتعد كل هذه السنين عن المهنة التي أحبها وأعشقها ، حتى أتفادى القيل والقال ، وأقدم الطعم الدسم للذين يهوون الصيد في الماء العكر .

ولكني فكرت أخيرا أن أضيف إلى مهنة الاتجار في المحركات والماكينات والمحطات ، مهنة طبيب الصحف والمجلات ، وهي مهنة الطبيب الذي يحاول علاج الصحف والمجلات المريضة ، ويكتب روشتة الدواء وطريقة العلاج !

وبدأت في بيروت ، فحاولت تجديد ملحق الانوار الاسبوعي والملحق الاقتصادي ، ثم بدأت أجدد مجلة الصياد ، وأعيد لها روحها القديم الذي تميزت به في الاربعينات وأوائل الخمسينات . ورغم ضعف مستوى الصحفيين في لبنان وفقرها المدقع في الذين يعرفون طريقة الكتابة للمجلات ، فقد استطعت أن أضع ماكيت جديد لمجلة الصياد . واقترحت عددا من الابواب الجديدة ، كما أقنعت أصحاب الأبواب القديمة بتغيير طريقتهم في الكتابة وفي اختيار الموضوعات التي تعجب القراء . ولم يكن من السهل تركيب موتور رولز رويس في سيارة موريس . ولكني استطعت بعد جهد كبير أن أخلق الموتور الذي يساعد على انطلاق السيارة الموريس ! وكانت مشكلتي أن موتور السيارات يقاس بعدد الخيول ، لا عدد الحمير . . . ومع الأسف وجدت في الصياد خليطا من الاثنين ! ولا بد أن يكون سعيد قد روى لك نوادري مع محرري الصياد ودار الأنوار ، وكيف أنني أثرت الفزع في قلوبهم ، حتى أن سكرتير تحرير ملحق الانوار وهو في حجم المرحوم كامل الشناوي ، كان يخرج من مكتبي كل مرة وهو في حجم هنري بحري ! ولست في حاجة أن أقول لك أن صرخاتي المشهورة في أخبار اليوم ، عادت وانطلقت بين جدران دار الصياد ، واستطاعت في حدود الامكانيات المتواضعة أن تحدث أثرها ! ولو أنني أمضيت الساعات التي قضيتها في دار الصياد ، في دار مجلة مصرية لانتهيت من التجديد في ثلاثة أسابيع ، ولكني أمضيت أربعة أسابيع في الصياد ، ولم أنته

من تجديد كل صفحات المجلة ، ولذلك جئت الى لندن لاستكمال الماكيت ووضع الرتوش النهائية . وأعتقد أنه اذا نفذ سعيد كل اقتراحاتي سيمكن صدور الصياد في ثوب مجلة ناجحة مثيرة في أول يناير القادم . . . وهذا هو الفرق بين القاهرة وبيروت ! وهذا من بخت صحفنا ومجلاتنا المصرية ، فان امكانيات المجلات في الماكينات والمعدات لا يتصورها العقل ، ولكن العنصر الانساني يكاد يكون معدوما . ولا أعرف ما سيكون مصير هذه الصحف بعد عشر سنوات عندما تختفي الأسماء اللامعة . ولا تترك شابا واحدا يحل محلها . فقد لاحظت أن الشبان والشابات في لبنان يهربون من مهنة الصحافة ، لانها لا تثير احترامهم ، ولا تحقق أحلامهم . . . ولهذا لا توجد في صحافة لبنان طبقة ثانية ولا ثالثة من الصحفيين المتعلمين . . . ان لبنان مزدحمة بالطبقة السابعة من الصحفيين ، ولا يمكن أن تقوم صحافة ناجحة على اكتاف هذه الطبقة . ولهذا فان المجال في بيروت وفي كل العواصم العربية يتسع لكل صحفي مصري شاب لا يجد عملا في بلادنا . ولا أستبعد أن نرى اليوم الذي يغزو فيه الصحفيون المصريون صحافة لبنان والبلاد العربية ، كما غزا الصحفيون اللبنانيون الصحافة المصرية في المائة سنة التي سبقت قيام ثورة سنة **١٩٥٢** . وكل ما أتمناه أن تحاول بلادي انتهاز هذه الفرصة ، وتدرب أكبر عدد من الشبان المصريين ليحتلوا المقاعد التي ستخلو في العشر سنوات القادمة . وأصارحك بأنني ألاحظ تقصيرا معيبا في هذه الناحية ، كما ألاحظ أن جريدة الاهرام وحدها هي التي قدمت عددا من الصحفيين الشبان في العشر سنوات الماضية [١] . وانني لم أقف لحظة واحدة أمام الاسماء التي تنشر في باقي الصحف والمجلات المصرية . وانني أرجوك أن تهتم بهذا الموضوع الخطير رغم أعمالك الكثيرة المتشعبة ، وأنبهك بأن الفرصة ستضيع منا اذا لم نستعد منذ الآن لاعداد أكبر عدد من الشبان المصريين للجلوس في المقاعد الامامية التي ستخلو في الصحافة العربية .

---

(١) كان بين الاتهامات التي وجهتها لي الحملات الضارية من صحف أخبار اليوم ـ فيما بعد ـ أنني لم أفتح طريقا للشباب ، وسوف أعود الى حقيقة هذه المسألة فيما بعد .

وقد أثارت فكرة « طبيب الصحف والمجلات » اهتماما ضخما في لبنان ومعظم البلاد العربية . وتلقيت عروضا من معظم صحف ومجلات لبنان وليبيا والكويت . . . بل وجاءت حكومة قطر تطلب مني أن أعد لها مشروعا عن اصدار جريدة أسبوعية توزع في البلاد العربية ! ولست في حاجة أن أقول لك إنني استبعدت كل عرض من الصحف التي تهاجم بلادي أو تعارض سياستها . وفي نفس الوقت قررت أن لا أنافس نفسي ، فاذا عالجت مجلة سياسية ، لن أعالج مجلة سياسية تنافسها . فان المريض يكشف نفسه للطبيب ، وليس من الخلق الكريم أن تستفيد من معلومات حصلت عليها وأنت تعالج مريضا . لتعالج مريضا آخر يريد أن يذبح مريضك الأول !

وأحب أن أقول لك أن أحلامي لا حدود لها . وأن أمنيتي أن أستفيد من تجاربي في علاج الصحف والمجلات المريضة في بعض بلاد الشرق الاوسط ، في محاولة علاج بعض الصحف والمجلات الصغيرة في انجلترا نفسها ! وليس هذا غرورا مني ، فان من أخطر عيوب الصحف والمجلات أن أصحابها يتصورون أنه ليس في الامكان أبدع مما كان ، ولهذا يفاجأون بالكارثة على غير انتظار . وأومن الان أن كل جريدة ومجلة في العالم في حاجة الى شخص غريب عنها يكشف عليها ، ويحاول أن يجد أمراضها البسيطة قبل أن تستفحل وتتحول الى أمراض لا يمكن علاجها . وهكذا ترى أنني لم أترك تفاؤلي القديم في القاهرة ، بل اصطحبته معي الى لندن ، وصحبته معي وأنا أستعرض المرضى الكثيرين الذين جاءوا لاستشارتي .

ولا بد أن سعيد قد حدثك عن مشروع الجريدة اليومية الذي تعده هيئة « الفتح » ببيروت . وكيف أن المليونير الفلسطيني عبد المحسن القطان كان يتصل بكبار الصحفيين في لبنان ليعرض عليهم العمل في جريدة « الفتح » الجديدة التي سيصدرها برأسمال قدره ثلاثة أرباع المليون جنيه ، وأن علي أمين سيشرف على اصدار هذه الجريدة . وقد تصورت عندما سمعت هذه الاشاعة لاول مرة ، أن بعض الصحفيين الاذكياء أطلقوا هذه الاشاعة ليثيروا الرعب في قلوب أصحاب صحف لبنان ، ويحصلوا منهم على زيادة في المرتبات ! ثم

فوجئت بكبار المحررين في لبنان يتصلون بي ويؤكدون لي أن المليونير القطان نفسه هو الذي قال لهم هذا الكلام ، وأنهم أبدوا استعدادهم للاستقالة من الصحف التي يعملون بها بعد أن عرفوا أنني سأشرف على التحرير ! ووصلت الاشاعة الى سعيد فريحة وغسان تويني وزهير عسيران وكل أصحاب الصحف في لبنان ، وجاءوا يسألونني عن صحة هذا الخبر ! وهنا عرفت أن المسألة جد ، وأن اسمي يذكر فعلا في المفاوضات التي يجريها عبد المحسن القطان مع الصحفيين . وأكدت لكل كبار رؤساء التحرير أنه ليس في نيتي الاشراف على تحرير أي جريدة ، ولا في قبول سهم واحد في أي جريدة ، وكان عبد المحسن قد قال للصحفيين أنه قرر اهدائي عددا ضخما من الاسهم في الجريدة الجديدة ! وقلت لهم أنه يبدو لي أن هذه الجريدة ستكون مستقلة عن سياسة مصر ، وأنا شخصيا اعتبر نفسي ملتزما بسياسة مصر ، ولهذا فانه من غير المعقول أن أساهم أو أشترك في تحرير جريدة لا تتقيد بسياسة بلادي . وقلت لهم ان العمل الوحيد الذي أنوي أن أعمله هو أن أكون طبيبا للصحف والمجلات ، ولكني لن أعالج أي جريدة أو مجلة تعارض سياسة بلادي ، بل ولا الجريدة التي تقف على الحياد من هذه السياسة !

وأسرعت مع سعيد واتصلنا بالمستشار الصحفي في سفارة الجمهورية العربية المتحدة ببيروت وأبلغناه هذه الاشاعة ، وطلبنا منه أن يسارع بابلاغ القاهرة بحقيقة موقفي . وحاول سعيد أن يتصل بعبد المحسن القطان ليبلغه بموقفي من الجريدة الجديدة ، ولكن القطان ترك بيروت وسافر الى سويسرا ، ولم يعد اليها حتى غادرت بيروت . وقد تصورت مع سعيد أن أحد النصابين أوهم المليونير الفلسطيني أنني في جيبه ، أو أنه اتفق معي . لأنه من غير المعقول أن رجل أعمال له مكانة مثل عبد المحسن القطان ، يلفق قصة مساهمتي في الجريدة من الألف الى الياء .

ويظهر أنني لم أتصل بكل أصحاب صحف لبنان . فقد نشرت جريدة « بيروت المساء » أن المخابرات الامريكية هي التي ستصدر هذه الجريدة الجديدة ، وأن صحفيا مصريا معروفا سيشترك في تحرير هذه الجريدة . وقالت

ان هذا الصحفي المصري عاش فترة في عاصمة أوروبية كمراسل لجريدة مصرية ، وأنه لا يستطيع العودة الى بلاده بعد أن اتضح أخيرا اتصاله بالمخابرات الامريكية ! والمقصود بهذا الصحفي بطبيعة الحال هو علي أمين !

وقدقال لي بعض أولاد الحلال أن بعض الدوائر المتصلة بالسفارة المصرية في بيروت هي التي أوحت لجريدة « بيروت المساء » الى نشر هذا الخبر بهذه الصيغة . ولست في حاجة أن أقول لك أن لا مانع عندي من نهش سمعتي اذا كان ذلك يحقق هدفا من أهداف بلادي . وسأتضايق كثيرا اذا اكتشفت أن بلادي لن تستفيد مطلقا من نهش سمعتي ، وأن هذا النشر سيسيء الى علاقة بلادي بجماعة الفتح ، التي بدأت تبذل جهدا ملموسا في اقلاق اسرائيل . وربما كان أولاد الحلال يحاولون اثارتي ضد بلادي ، ولكن هيهات أن أقع في هذا الفخ . وهناك احتمال ثالث ، وهو أن بعض سفاراتنا تتصور أنه ليس من مهمتها أن تنقل الاخبار التي تنصف المصريين في الخارج ، ولذلك تعمد المستشار الصحفي اهمال نقل رسالتي الى القاهرة .

ولهذا سارعت بالكتابة لك حتى تكون على بينة من الامر ، عندما ترى الخناجر تصوب الى سمعتي مرة أخرى [1] .

ولست في حاجة أن أسجل لك شكري على كل الجهود التي بذلتها ، والتي تبذلها ، والتي أومن بأنها ستنتهي الى نجاح باذن الله [2] .

ولك تحياتي وقبلاتي وأشواقي .

المخلص

علي أمين

---

(١) و(٢) أعدت قراءة هذه الاجزاء كثيرا في الظروف التي طرأت فيها بعد .

الفصل الخامس

من لندن الى طرة

في ربيع سنة ١٩٧٠ رأى جمال عبد الناصر أن أكون وزيرا للارشاد القومي ـ وزارة الاعلام الان ـ الى جانب عملي في الاهرام . وحاولت أن اعتذر ، وأرسلت له بالفعل خطاب اعتذار[١] ، ثم لم يكن في النهاية مناص من القبول بعد أن قال لي :

ـ« اننا مقبلون على فترة بالغة الدقة ، فهناك معركة عسكرية أكبر من حدود الاستنزاف ، ثم أن هناك عملا سياسيا يسبقها ويمشي معها ثم يواصل بعدها الى تحقيق أهدافها » .

وكنت أعرف أن خطة « جرانيت رقم واحد » قد وضعت وعرضت للتصديق (عبور قناة السويس بخمس فرق على ثلاثة محاور) ، وأنه طلب تطويرها الى « جرانيت رقم اثنين » (العبور والوصول والتمسك بخط المضايق) . وكان من كلامه يومها « انه اذا سارت الأمور وفق تخطيطه

(١) قلت في خطاب الاعتذار بالحرف : « ان الجمع بين رئاسة تحرير الأهرام ووزارة الارشاد سوف يجعل في يد فرد واحد من أسباب القوة السياسية ما يمكن أن يحوله بحق الى مركز قوة وتلك اساءة للنظام اذا وقعت » . ثم قلت بالحرف : « ان الجمع بين الأهرام والوزارة سوف يثير حساسيات لا داعي لها بين زملاء المهنة » .

النص الكامل للخطاب في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٦) .

وتقديره » فهو يتوقع المعركة في ربيع ١٩٧١ . واذا وصلت القوات المصرية الى المضايق فان الحرب في واقع الامر تكون قدانتهت لصالح العرب ، ووقتها أستطيع أن أترك المنصب الوزاري - لكنه طوال هذه السنة يريدني معه في مجلس الوزراء ووزارة الارشاد القومي ، ولم يكن هناك سبيل آخر الا القبول بما أراد .

وهكذا وجدت نفسي سنة ١٩٧٠ في منصب اعتذرت عنه من قبل أربع مرات - سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦١ وسنة ١٩٦٧ . كانت الظروف الآن مختلفة وضرورات المعركة تسبق كل الأولويات .

وبدأت أتعرف على الوزارة وعلى طبيعة عملها وعلى كبار مسئوليها (وتلك تجربة تستحق في يوم من الايام أن تروى وأن لم يكن الآن موعدها) .

باختصار كان بين من لقيتهم وقتها السيد « عبد الخالق شوقي » وكان مسئولا في المخابرات العامة ومنتدبا للعمل في وزارة الارشاد القومي - يشغل منصب الرقيب العام ، وكانت الرقابة وقتها - ولا تزال - تابعة لوزارة الارشاد أو وزارة الاعلام .

وكان السيد « عبد الخالق شوقي » رجلا يوحي بالثقة والكفاءة . وجلست أسمع منه تفصيلا - كما فعلت مع غيره من أركان الوزارة - وسلمني خلال الحديث مجموعة من الملفات للاطلاع ، وألقيت نظرة سريعة عليها واذا أحدها يحمل عنوان « رسائل من علي أمين الى مصطفى أمين » .

وأبديت استغرابي . وكان تفسير الاستاذ عبد الخالق شوقي « أن الرسائل الواردة من الخارج تخضع - بسبب ظروف الحرب - للرقابة ، وهو اختصاص وزارة الارشاد . ثم أنهم لاحظوا في الرقابة أن خطابات الاستاذ علي أمين من الخارج الى توأمه في سجن طره - تحوي ما هو أكثر مما تحتويه عادة خطابات شخصية . فالاستاذ علي أمين بالطبع يعرف أن هناك رقابة ومن هنا فانه يضمن خطاباته « تقارير معلومات أو آراء يريدها أن تصل الى السلطة في مصر » . وبصرف النظر عن الدوافع الى ذلك أو عن مدى الصدق أو القصد في هذه

انتقارير فان الرقابة تحتفظ بصور من هذه الخطابات ـ قبل تسليمها للمرسل اليه ـ لكن تدرس باهتمام لمحاولة تقصي ما يمكن أن يكون وراءها من أهداف » .



ومع مرور الايام ـ ولعدة شهور في منصب وزير الارشاد القومي ـ تجمع لديّ عدد لا بأس به من خطابات الاستاذ علي أمين الى توأمه . ولم تتح لي الظروف أن أطلع على صور هذه الرسائل ـ بالتفاصيل ـ تباعا ، وتراكم بعضها فوق بعض داخل ملف راح يتضخم أسبوعا بعد أسبوع .

ووجدته في متناول يدي ذات ليلة في أوائل سنة ١٩٧١ ـ وعادت الى ذاكرتي قصته .

كانت الاحداث قد استغرقتنا بالكامل طوال سنتي ٦٩ و٧٠ .

قامت ثورة في السودان ثم ثورة في ليبيا ، واشتدت حرب الاستنزاف ، ثم كانت مؤتمرات للقمة في المغرب وليبيا ، ثم جاءت زيارة موسكو السرية في أوائل سنة ١٩٧٠ وأعقبها الاتفاق على تكثيف الوجود العسكري السوفييتي في مصر رادعا ضد غارات العمق وتخطيطا لرفع أزمة الشرق الاوسط من المستوى الاقليمي بين مصر واسرائيل الى المستوى الدولي أيضا بين القوتين الأعظم ، ثم مبادرة روجرز ، والمشكلة الحادة بين الثورة الفلسطينية وحكومة الاردن ، ثم لقاءات جمال عبد الناصر في الاسكندرية مع الملك حسين ثم مع ياسر عرفات ، ثم انفجار الموقف في عمان ، ثم القمة العربية الموسعة في فندق هيلتون النيل ، ثم رحيل جمال عبد الناصر ، ورئاسة أنور السادات ، ثم تصميمي ـ بلا أدنى مجال لمعاودة النظر ـ على الخروج من الوزارة والتفرغ الكامل للأهرام .

خلال هذه الاحداث الهائلة لم يكن لدى أحد منا جميعا وقت يشغل فيه نفسه ـ ولو لدقائق ـ بشيء آخر غير الهم العام ، وأما الهم الشخصي فقد كان عليه أن ينتظر .

ثم جاءت تلك الليلة التي وجدت فيها ملف صور هذه الخطابات في متناول يدي . كنت أرتب أوراقا في مكتبتي ثم شدني عنوان ملف في ركن ، وتذكرته ، ووجدتني أمد يدي اليه مدفوعا ـ أعترف ـ بنوع من الحنين للماضي وذكريات أيام خوال .

لقرابة سنة لم أكن قد سمعت من الاستاذين مصطفى وعلي أمين ولا سمعت عنهما الا اشارات عابرة الى الاستاذ علي أمين بدا بعضها غامضا . فقد أشار جمال عبد الناصر أكثر من مرة الى اجتماعات يحضرها في لندن مع السيد كمال أدهم وآخرين غيره !

ولعدة ساعات رحت أقلب الصفحات وأتأمل . بدت لي هذه الخطابات اضافة جديدة الى القصة . ورحت وأنا أقرؤها أتبين ما يشبه ايقاعات محددة متكررة في كل خطاب كأنها « لزمات » تتردد مع كل مقطع .

١ ـ كل خطاب كان فيه مديح لجمال عبد الناصر وحكمته وشجاعته وزعامته التي لا تضاهيها في العالم العربي زعامة .

٢ ـ كل خطاب كان يحمل على الأقل جملة ثناء موجهة إلي .

٣ ـ كل خطاب كان يحوي كلمة عن طرف سعودي في محاولة حذرة لنفي تهمة التعاون معهم .

٤ ـ كل خطاب كان يسترسل في أخبار وآراء معظمها مما تنشره الصحف البريطانية لكنه قد يبدو معلومات جديدة في عيون هؤلاء الذين لا يتابعون هذه الصحف .

٥ ـ كل خطاب يحوي مقترحات واجتهادات ليست موجهة بالتأكيد الى الاستاذ مصطفى أمين وانما الى غيره ، كأنما كتابة التقارير للسلطة قد أصبحت نوعا من الادمان .

٦ ـ كل خطاب كان يتطرق الى ذكر الامير طلال بن عبد العزيز على نحو يشير الى أن الاستاذ علي أمين أصبح ـ على نحو أو آخر ـ ضمن حاشية الأمير .

٧ - ثم يستطرد كل خطاب بعد ذلك الى مجموعة أخبار شخصية وحكايات مسلية وأماني طيبة ودعوات .



● عن جمال عبد الناصر مثلا توقفت أمام نماذج منها :

« ان كفة العرب هي الراجحة والعالم كله يرى أن جمال عبد الناصر هو وحده الزعيم القادر على جمع كلمة العرب وحشدهم جميعا للمعركة. وأنا متفائل بسنة ١٩٧٠ فان حالة اسرائيل الاقتصادية أصبحت سيئة للغاية فالحرب تكلفها كثيرا ولن تستطيع الصمود » .

(خطاب بتاريخ ٨ يناير ١٩٧٠)

« ان اسرائيل مذعورة من قوة جمال عبد الناصر والاخبار التي تتلقاها لندن أخيرا من اسرائيل هي أن الذعر ليس حركة تمثيلية كما تصورت لندن في أول الأمر، بل ان هناك ذعرا حقيقيا وأن ساسة اسرائيل بدأوا يقتنعون بأن الموقف العسكري قد يتحول ضدهم في أي لحظة » .

(خطاب بتاريخ ١٠ مايو ١٩٧٠)

« ان اسرائيل عصبية وغير راضية عن مبادرة روجرز لكنها ستخضع في نهاية الأمر خصوصا بعد تساقط « الفانتوم » على الجبهة المصرية وازدياد قوة الجيش المصري والدعم السوفييتي له .

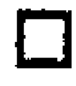
ان موافقة مصر على المبادرة وخطاب الرئيس جمال عبد الناصر قد أحدث دويا هائلا في جميع عواصم أوروبا وفي واشنطن ولندن . وأنا لم أدهش من موقف حكومة العراق من خطاب جمال عبد الناصر فان المعلومات لديّ من العراقيين تؤكد لي أن البكر يغار من الرئيس عبد الناصر غيرة جنونية ولا يطيق سماع اسمه » .

(خطاب بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٧٠)

« ان جمال عبد الناصر هو أقوى قوة في المنطقة ، ولهذا ستحاول الدول الكبرى أن ترضيه . ولن تتردد واشنطن في الضغط مرة أخرى على اسرائيل بعد أن تأكدت من قوة عبد الناصر في المنطقة .

ان كل موظفي وزارة الخارجية البريطانية يؤكدون اليوم أن الرئيس عبد الناصر هو سيد الموقف في البلاد العربية » .

(خطاب بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٧٠)



● عني توقفت أمام نماذج منها :

« انني سعيد لتعيين هيكل وزيرا للارشاد القومي . ان الصحافة المصرية تحتاج اليوم الى عملية تجديد شباب وأنا واثق أن هيكل سوف ينجح وكثيرا ما دعوت له بالتوفيق . ان اختياره سوف يريح صحافة العالم التي كانت تشكو مر الشكوى من عدم تعاون الحكومة المصرية مع مراسليها ومندوبيها، وبتعيين هيكل وزيرا للارشاد فانا واثق أن القاهرة سوف تصبح مرة أخرى مركزا لمراسلي صحف العالم في الشرق الأوسط .

(خطاب بتاريخ ٢٧ ابريل ١٩٧٠)

« انني أوافق هيكل على ما كتبه عن ضرورة نقل أكبر قسط ممكن من الحقيقة للشعب لتفويت الفرصة على اذاعة اسرائيل . انني مع هيكل في أنه ليس ضروريا أن نقول كل شيء حتى لا يستفيد العدو من الصراحة الكاملة وان كان من الضروري أن نقول أكبر قدر من المعلومات .

(خطاب بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٧٠)

يتردد في هوايت هول أن هيكل يفكر في زيارة لندن والاجتماع بسير أليك هيوم وزير الخارجية والمستر هيث رئيس الوزراء . وأعتقد أن زيارة

هيكل مفيدة جداً وأن لا اصطدام الآن بين مصالحنا ومصالح الانجليز في المنطقة » .

(خطاب بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٧٠)



● عن الاشارة للسعوديين توقفت أمام نماذج منها :

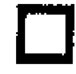
« ان الامير فهد وصل الى لندن للعلاج ويظهر أن هناك خلافات كثيرة بين الأمراء وهي تنذر حسب معلوماتي بانتهاء الملكية هناك » .

(خطاب بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٧٠)

« هل تتصور أن سعود ترك ثروة تقدر بـ ١٤٠ مليون دولار ؟ »

(خطاب بتاريخ ٢٧ ابريل ١٩٧٠)

« ان صحة الملك فيصل تتدهور والأمراء السعوديون هناك بدأوا يتهامسون في الموقف بعد وفاة الملك » .



● عن ذكر الأمير طلال توقفت أمام نماذج منها :

« كنت مشغولا طوال الشهر الاخير كله ، فقد كنت أبحث عن سكن لعائلة الامير طلال يقيمون فيه أثناء وجودهم في لندن . الطلبات كثيرة ومتعارضة والأميرة لها طلبات والامير له طلبات ولبقية الأسرة طلبات والتوقيق بين هذه الطلبات كلها مستحيل » .

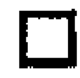
(خطاب بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٧٠)

« فوجئت أمس ببرقية مستعجلة جدا من الأميرة مونا الصلح [١] تطلب

(١) احدى بنات السياسي اللبناني رياض الصلح وكانت متزوجة من الأمير طلال ثم طلقت منه .

مني أن أسأل طلال اذا كان ابنها وليد قد أخذ المصل ضد مرض الكوليرا وتاريخ أخذ المصل ! وحرت ماذا أفعل ؟ ان طلال استأجر يختا يطوف به على مواني الريفييرا ومعه أولاده . وهو لم يتصل بي تليفونيا . ولا أتوقع أن يتصل بي . وأنا لا أعرف اسم اليخت حتى أكلف البوليس بالبحث عنه ! وزوجة الأمير مريضة في لندن ، ولا تذكر اذا كان وليد قد أخذ المصل ! ومربية الاولاد الانجليزية في برمنجهام ، وليس عندها تليفون ! وحصلت على عنوانها في برمنجهام وأرسلت لها برقية عاجلة أطلب منها الاتصال بي على الفور . ولا أستبعد أن تصلها البرقية الا في ساعة متأخرة من الليل ، فان الانجليز عادة يتركون منازلهم في أيام الأحد ويتجهون الى الريف أو الى الساحل ! وطلبت الأميرة على وجه السرعة في بيروت لاستفهم منها عن سبب هذه البرقية الغريبة ؟ هل تشك في أن ابنها مريض بالكوليرا ؟ أو أنها تريد أن تعطيه المصل وتريد أن تتأكد من أنه لم يحقن به ! انني أنتظر الآن مكالمتها التليفونية وقد لا أجدها في بيتها . . . فان معظم سكان بيروت يذهبون الى الجبل في عطلة الاسبوع ! ثم انني حائر ! ان مونا تسرف في الكذب ! فاذا قالت لي أن وليد مريض بالكوليرا ، هل أصدقها وأخطر طلال ؟»

(خطاب بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٧٠)



ولم أتوقف بعد ذلك عند نماذج . عندما وصلت الى آخر خطاب في الملف ـ وكان توقيته بعد رحيل جمال عبد الناصر ـ وجدته يعطي صورة كاملة لكل شيء [1].

---

(١) رأيت مناسبا نشر خطاب كامل من هذه الخطابات بعد أن قيل لي أن الاستاذ مصطفى أمين نشر كتابا عن مجموعة المراسلات المتبادلة بينه وبين توأمه في تلك الظروف ، وللقراء أن يقارنوا الأصول الحقيقية ـ بما يمكن أن يكون الاستاذ مصطفى أمين قد نشره بأثر رجعي ـ ! ـ من هذه المراسلات ـ وأعتذر مقدما عن بعض ما في هذا الخطاب لكن الحقيقة أولى بأن تراعى قبل أي شيء عداها . ومن الغريب أن هذا الخطاب الذي بدأ بالفزع من كابوس رحيل عبد الناصر ما لبث أن تطرق الى أحاديث عن الجنس !
وصورة الخطاب بخط الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب .

كان تاريخه ١١ أكتوبر ١٩٧٠ ، وكان نصه كما يلي :

« أخي العزيز

اني في بعض الايام أستيقظ من نومي ، وأتصور أن وفاة جمال عبد الناصر كان مجرد كابوس رأيته أثناء نومي ! ثم أكتشف أن ما تمنيت أن يكون كابوسا هو حقيقة مرة . وأفزع من الفراغ الضخم الذي تواجهه بلادي ، وأحاول أن أبحث عن طريقة نسد بها بعض هذا الفراغ .

والمهم الآن هو كيف نحتفظ بزعامة الدول العربية . لا شك أن بعض زعماء الدول العربية سيتصورون أن من الممكن أن تنتقل هذه الزعامة الى بغداد أو دمشق أو الجزائر . ولكن هذا التصور قصير العمر ، فان زعامة العرب تحتاج الى قاعدة ضخمة ، وأضخم قاعدة هي مصر . ومع ذلك فانه يهمني أن لا نضيع الوقت في الدخول في معارك مع السذج الذين يتصورون أن في استطاعتهم أن ينتزعوا الزعامة من القاهرة . وأفضل أن نحاول أن نكسب كل الدول العربية وندعم علاقتنا بها . فالملك فيصل رجل مريض، وقد كان يحقد على الرئيس عبد الناصر حقدا شخصيا . ومع ذلك فانني أعتقد أن من الممكن كسبه بتحسين العلاقات بينه وبين أنور السادات ، وتنفيذ الاتفاقات التي تمت بين عبد الناصرو بينه ولم تعلن بسبب أزمة الأردن . وفي مقدمة هذه الاتفاقات السماح للسعوديين بالسفر الى القاهرة وتسديد تعويض الأملاك المصادرة بالسماح بشراء بضائع مصرية بايراداتها وتصديرها الى السعودية . ويهمني أن نحاول اضافة اتفاق جديد وهو عودة العمال والموظفين المصريين للعمل في السعودية . لقد كان الموظفون والعمال المصريون يحولون الى القاهرة ٤٠ مليون جنيه استرليني كل عام . كما أن السعوديين كانوا يصرفون عشرات الملايين . ومن رأيي أن نحاول اعادة الحال تدريجيا الى ما كان عليه ، وبذلك نوفر للخزانة المصرية رصيدا ضخما من العملة الصعبة .

والدولة العربية الوحيدة القادرة على حماية استقلال الكويت من مطامع العراق هي مصر . ومن مصلحة الكويت أن تدعم علاقتها بمصر ، ومع ذلك

فان من رأيي أن تحاول القاهرة أن تبدأ هذه الخطوة ، وأن تشعر الكويت بتأييد القاهرة المطلق لها . ولقد بدأت الكويت تتخوف من تسلل الفلسطينيين الى الكويت ، وبدأت تحاول « ركن » الفلسطينيين الذين كانوا يشغلون مراكز حساسة . والكويت في أشد الحاجة الى عمال وموظفين وخبراء ، ومن واجبنا أن نسارع بكسب ثقة حاكم الكويت حتى يعود الى فتح أبوابه لنا .

ويهمني أن نحافظ على علاقاتنا القوية بجماعة الفتح . وقد خرجت من معارك الأردن جريحة وهي في حاجة الى مساعدتنا ومساندتنا . وأعتقد أن ذلك في استطاعتنا الآن . كما أنه يجب أن نطمئن الملك حسين . وهذا الاطمئنان سيزيل شكوك الملوك العرب نحو نوايانا .

ولقد أحاط عبد الناصر كلا من القذافي والنميري برعايته واهتمامه . ولا يجوز أن يتصور أحدهما أن هذه الرعاية قد تأثرت بوفاة عبد الناصر . يجب أن نتصل بهما باستمرار وأن نستشيرهما وأن نشعرهما بأننا نعتبرهما شركاء لا مجرد أصدقاء . كما يجب أن نقوي علاقتنا بايران . وأن ندعم صداقتنا بحكام الخليج العربي ، ونعيد الاطمئنان الى قلوبهم . فان عددا منهم يتصور أننا نتآمر على خلعه ونشجع أعداءه على الخلاص منه .

كما يجب أن نشجع صائب سلام . فهو في حاجة الى تأييد القاهرة . كما أن رئيس الجمهورية فرنجية في حاجة الى مساندتنا .

وأعتقد أنه من الممكن وضع سياسة لكسب بوميديان والملك حسين وحتى بورقيبة المريض .

يبقى بعد ذلك العراق وسوريا . وأنا شخصيا لا أستطيع أن أتصور أن في استطاعتنا كسب الحكم الحالي في البلدين . فلقد تحول حزب البعث في السنوات الأخيرة الى عصابة . . . وليس من السهل التفاهم مع عصابة . ومع ذلك فلا يجوز اهمالها . ان المصلحة تقتضي أن نحاول كسبهما ، أو على الاقل تهدئة كراهيتهما لمصر والمصريين . وانني أحس بأن النظام في سوريا والعراق لن يعيش طويلا . . . ومع ذلك أرى مهادنة النظامين وعدم الدخول في معارك

سياسية معهما . بل أن من رأيي أن نصبر عليهما اذا تطاولا علينا ، ونحاول أن نضمد كل جرح قبل أن يستفحل . وليس هذا سهلا ، فان بعض تصرفات البعث تحرق الأعصاب ، ولكننا في حاجة اليوم الى وضع كل أعصابنا في فريجدير .

ويهمني أن نحافظ على ثقة الاتحاد السوفييتي بنا ، ولكني أرى في نفس الوقت أن مشكلتنا مع اسرائيل تقتضي تحسين علاقتنا بالولايات المتحدة . وهذا أيضا يحتاج الى قوة أعصاب ، فان السياسة الامريكية ترتكب حماقات غريبة ، تدل على ازدياد جهلهم بالشرق الأوسط . وآخر حماقة هي ما نشرته جريدة النيويورك تيمس من أن الولايات المتحدة اتفقت في وقت من الأوقات مع اسرائيل على ضرب الدبابات السورية التي دخلت الأردن ! ولو أن هذا حدث لطار الملك حسين في دقائق وطارت معه كل مصالح أمريكا في المنطقة . ومع هذه الحماقات فانني أرى أن من الممكن تحسين علاقاتنا مع الولايات المتحدة حتى تضغط على اسرائيل وتضطرها الى قبول حل يرضاه العرب .

كما يجب أن ندعم علاقاتنا بفرنسا وبريطانيا . . . وأن نبحث جدياً في اعادة العلاقات مع ألمانيا الغربية .

فاننا اليوم في حاجة الى بناء عدد كبير من الكبارى بيننا وبين جميع الدول حتى نحاصر اسرائيل ، ونحول بعض أعدائنا الى اصدقاء ، والباقي الى محايدين . وهذا يتطلب نشاطا دبلوماسياً ضخماً . وهذا النشاط يتطلب تعزيز سفاراتنا في الخارج بعدد من الكفايات ، وتحريك عدد من المصريين بين عواصم العالم .

وفي حاجة أيضا الى كسب عدد من كبار الصحفيين ، حتى نحافظ على مركزنا في الرأي العام العالمي . وهذا يحتاج الى اعداد ضخم ، والى تنظيم واسع النطاق . يجب أن يعرف العالم أن الكارثة أدمت قلوبنا ، ولكنها لم تكسر عمودنا الفقري . وأننا لا نزال نقف على أقدامنا . وهذه الاقتراحات هي مجرد

الحجر الأساسي للبناء الذي علينا جميعا ان نشترك في اقامته . . . وعملية البناء ليست سهلة ولكنها ممكنة .

ومع أنني أدعو بلادي الى ضبط أعصابها مع حكومتي البعث في سوريا والعراق ، الا أنني لم أستطع أن اتحكم في أعصابي منذ أيام لما هاجم راديو بغداد « أبو عمار » زعيم الفتح واتهمه صراحة بأنه « خائن » لأنه وضع يده في يد الملك حسين ! والسر في هذه الحملة هو اصرار الأردن ولبنان على اعتبار « الفتح » هي الهيئة الرسمية الوحيدة للفدائيين وعدم الاعتراف بغيرها ، وشعور بعث العراق أن باقي الدول العربية ستركز تأييدها على « الفتح » في المستقبل . وهذا الاتهام الرخيص الذي توجهه بغداد الى الفتح الغرض منه بذر بذور الفتنة من جديد بين الفدائيين ، ولن يكسب أحد من هذه الحملة سوى اسرائيل . ومع ذلك فانني أعود وأرجو بلادي ان تضبط أعصابها ، وتحاول أن تحرج بغداد بحلمها وتسامحها . فانه ليس من مصلحتنا في الوقت الحاضر الدخول في معارك مع أي دولة عربية .

وقد لاحظت أن محاولات انشاء دولة فلسطينية على الضفة الغربية لنهر الأردن عادت من جديد ، وأن بعض أهالي المناطق المحتلة لا يطيقون البقاء تحت حكم الملك حسين . ولا أعرف مصير هذه الحركة ، وان كان الصحفيون الذين عادوا من هذه المناطق يؤكدون لي أن أغلبية الفلسطينيين يؤ يدون الآن هذه الحركة ، وان كان العقلاء فيهم يرون أنها ليست من مصلحة الفلسطينيين . وانني لا أتوقع صداماً جديداً في الوقت الحاضر بين الفدائيين الفلسطينيين وحكومة الأردن ، وان كنت لا أستبعد حدوث محاولات اغتيال فردية ، فان مرارة الفدائيين لا حدود لها ، خصوصاً بعد أن فرقع الملك حسين الوهم الذي كان يساورهم بأن في استطاعتهم السيطرة على الأردن ومعظم الدول العربية .

ومع ذلك فانه يهمني أن تحتضن بلادي جماعة الفتح ، وتعيد لهم ثقتهم بأنفسهم دون غرورهم ، فلقد أظهرت هذه الجماعة في مناسبات كثيرة شجاعة وجرأة ونغصت حياة اسرائيل . ونحن في حاجة الى هذه الجماعة على أن

تتعاون معنا ولا تتصور أن في استطاعتها أن تنفرد باتخاذ القرارات . ولقد جرب الفدائيون تأييد سوريا والعراق ، وعرفوا قيمته . وعرفوا ان القاهرة وحدها هي السند الذي يستطيعون الاعتماد عليه .

انتهى اضراب حمالي الصحف الذين كانوا يقومون بنقل صحف لندن الى الباعة ومحلات بيع الصحف ، بعد أن تم الاتفاق على زيادة أجورهم بنسبة ٣٠٪ ، وعادت الصحف الى الظهور في الشوارع والأوتوبيسات والبيوت . ولكن فليت ستريت يعاني أزمة شديدة ، فقد ثبت أن هناك ١٢ جريدة تظهر في لندن ، وأن واحدة منها فقط هي التي تربح ! وقد قررت جريدة التيمس رفع سعرها من ٩ بنسات الى شلن ! وكان ثمن الجريدة قبل الحرب بنسين فقط . . وهكذا ارتفع سعرها ٦ مرات في الثلاثين سنة الأخيرة ! وسترفع الجارديان سعرها أيضا ، والمتوقع أن تتبعها باقي الصحف . وسيؤدي هذا الرفع الى انخفاض في التوزيع ، والى اختفاء بعض الصحف اليومية . ويقول الخبراء ان آخر صحيفة اختفت وهي النيوز كرونيكل منذ عشر سنوات ، وأنه قد جاء الوقت لاختفاء صحف أخرى ! والجريدتان المنتظر اختفاءهما هما الديلي ميل والديلي سكتش . وقد كان من المتوقع اختفاء الجريدتين منذ أكثر من عامين ، ولكن أرباح الشركة التي تصدر الديلي ميل من الجريدة المسائية الايفننج نيوز قد مكنتها من ارجاء غلق الميل ، واستطاعت النيوز أوف ذي ورلد أن تغطي خسائر الديلي سكتش ولكن يظهر أن الشركتين ضاقتا بالخسائر فقررتا اغلاق الجريدتين .

والسر في هذه الأزمة هو ارتفاع الأجور عاماً بعد عام ، وعجز الحكومات عن وقف الزيادات بسبب الاضرابات المستمرة . وقد ارتفعت تكاليف المعيشة في انجلترا ارتفاعاً ضخماً في السنوات الاخيرة ، وارتفعت مع أسعار الغذاء أسعار المواصلات وايجار الشقق والمساكن ! وأضرب أخيرا عمال نقل القمامة والمجاري ، وتهددت انجلترا بأزمة صحية خطيرة لتوقف محطات المجاري ، والقاء المجاري في الأنهر . . . فماتت الأسماك وأصبحت مياه الأنهر ملوثة . وقد أعدت حكومة المحافظين قانونا يقلم أظافر نقابات العمال ، ويمنع

بدء الاضراب الا بعد اعطاء مهلة لا تقل عن شهرين . وقامت قيامة العمال ، ولكن الشعب البريطاني بدأ يضيق بهذه الاضرابات ، وأعتقد أنه سيقف بجانب الحكومة ضد تهديدات العمال . وارتفاع الأجور يهدد الاقتصاد البريطاني ويرفع أسعار الصادرات الانجليزية في الأسواق العالمية . واذا لم تتدارك حكومة المحافظين هذا الخطر ، فستصاب انجلترا بنكسة اقتصادية ضخمة .

ولا تزال جريدة « السان » تحاول اصطياد عدد من القراء والقارئات الجدد بنشر المقالات المثيرة ومقتطفات من الكتب المصادرة ! والكتاب الذي تنشره « السان » الآن هو كتاب أمريكي جديد اسمه The Sensuous Woman ألفته زوجة أمريكية شابة اسمها « جوان جاريتي » وفيه نصائح للمرأة كيف تثير زوجها أو عشيقها حتى ينام معها ! وتقول المؤلفة ان الرجل بغريزته لا يستطيع أن يكتفي بامرأة واحدة ، وأن من السذاجة أن تحاول المرأة تغيير الرجل . ولذلك عليها أن تشعره دائماً أنها عدة نساء لا امرأة واحدة ! والمؤلفة تنصح المرأة كيف ترقد في فراشها وكيف تثير الرجل ، وكيف تجدد في طريقة النوم مع زوجها ! وكيف تستعد للنوم مع الرجل الذي تحبه . انها تنصحها أن تغير فرش فراشها ، وأن ترش عليه رائحتها المفضلة ، وأن تطفىء الأنوار ، وأن تضيء شمعة واحدة ، وأن تدير الاسطوانة التي تثير زوجها . وتنصحها قبل أن تدخل فراشها أن تأخذ حماماً ساخناً حتى تريح أعصابها ، وتنصحها أن تتلوى في فراشها ، وأن تضع نقطاً من رائحتها المفضلة بين ثدييها ، وعلى بطنها ! وهي تحذرها من ان تدخل فراشها بنظارتها اذا كانت ضعيفة النظر ! وهي ترى أن المرأة يجب ان تفتح عينيها وهي تنام مع الرجل لترى ملامح وجهه ، ولذلك فهي تنصح المرأة التي لا تستطيع أن ترى بالعين المجردة أن تضع عدسات في عينيها وهي تنام مع زوجها أو حبيبها ! وتروى المؤلفة تجارب مئات من النساء ، وكيف تغلبن على مشاكل الجنس ، وكيف استعدن الرجل الذي كاد يفلت منهن ! وتقول المؤلفة ان بعض الرجال يحلمون أثناء العملية الجنسية بامرأة أخرى فيوهم الزوج نفسه أنه ينام مع ريتا

هيوارث لا مع زوجته ، أو مع بريجيت بردو أو ايفا جاردنر . . . والمرأة السعيدة هي التي تكتشف عشيقة الخيال ، وتحاول أن تقلدها وهي في أحضان الرجل الذي تحبه !

وهي تنصح الزوجة أن تستيقظ من نومها دائما ربع ساعة قبل استيقاظ زوجها ، وتغسل وجهها جيدا ، ثم تجمله بقليل من الكريم والروج ، وتمشط شعرها ، وترسم على وجهها ابتسامة عريضة ، حتى يستقبل الزوج في الصباح وجهاً جميلاً باسماً . . . فان الوجه « العكر » يقلب مزاج الرجل طوال اليوم !

سيصدر جورج براون مذكراته في كتاب يظهر في السوق في الربيع القادم . وسأرسل لك نسخة من الكتاب بمجرد ظهوره . وقد بدأت جريدة الصنداي تيمس هذا الاسبوع في نشر فصول طويلة من هذه المذكرات . وقد بدأت بالفصل الذي يروي فيه جورج براون تفاصيل خلافه مع هارولد ويلسون . وقال أن ويلسون حاول أن يستأثر بسلطات الحكم ، وأن تكون له نفس سلطات رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، ولا يستشير وزراءه في القرارات الهامة . وقال أنه اتخذ قرار غلق البورصة عام ١٩٦٨ دون الرجوع الى الوزراء . . . وأنه ذهب الى الملكة وحصل على موافقتها ولم يهتم بدعوة الوزراء . وان الوزراء علموا بهذا أثناء وجودهم في مجلس العموم ، واجتمعوا في غرفة جورج براون واحتجوا على هذا التصرف . واتصل جورج براون بهارولد ويلسون وطلب منه الحضور الى غرفته لسماع رأي وزرائه فوافق على الحضور ، ثم عاد ورفض الحضور واتهم جورج براون أنه يتآمر عليه . فأمسك الوزير مايكل ستيوارت بسماعة التليفون ، ولام ويلسون على تصرفاته . فدعا ويلسون الوزراء للاجتماع به في داوننج ستريت . وفي الاجتماع اتهم ويلسون جورج براون بأنه يدبر اخراجه من الحكم . وهنا قال براون « يبدو واضحاً أنك تريد استقالتي . واذا كانت هذه هي طريقتك في ادارة الحكم ، فهذه هي استقالتي » .

وانسحب جورج براون من الاجتماع . وقال انه انتظر حتى الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي على أمل ان يتصل به رئيس الوزراء ويسوي

الأزمة ، ولكن ويلسون لم يتصل به ، فكتب استقالته وأرسلها له ، وبعد ساعة تلقى خطاباً بقبول الاستقالة !

وقال براون ان عدداً من الوزراء كانوا يريدون الاستقالة معه احتجاجاً على تصرف رئيس الوزراء ، ولكنه أقنعهم بالعدول عن هذا الرأي ، لأن هذه الاستقالات كانت ستهز حزب العمال هزاً عنيفاً . ويقول جورج براون انه فكر في الاستقالة قبل ذلك عدة مرات ، ولكنه كان يعدل دائماً عن الاستقالة حتى لا يهز سفينة الحكم .

وصل الى هنا طلال ليدخل ابنه وليد في احدى مستشفيات لندن . فقد كسر وليد ساقه وذراعه ، وتركته امه وسافرت الى باريس ! وقد طار صباح اليوم لزيارة شقيقه فيصل الذي أجرى عملية « فتق » ، وسيعود بعد ظهر اليوم ، لأنه لا يطيق جنيف ! وينتظر أن يصل من أسبانيا مساء اليوم بسام لقضاء يومين في لندن . وقد سمعت أن سعيد في طريقه الى القاهرة .

وقد دعاني سعيد أن أسافر الى بيروت منذ عشرة أيام ، ولكني رأيت ارجاء السفر في الوقت الحاضر ، وسأنتظر حتى يعود سعيد من القاهرة .

وقد قال لي أحد أصدقاء بسام الذي عاد أخيراً من بيروت ان الأعداد التي صدرت من جريدة الأنوار بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر قد ارتفع توزيعها الى أكثر من مائة ألف نسخة . وقد بدأت تهبط بعد الأيام الأولى . ولذلك فان من رأيي ان الأنوار في حاجة الى مجهود اخباري والى مزيد من الجهد الصحفي خصوصاً وانها لن تضطر الى تأييد حكومة فرنجية على طول الخط ، بينما أن « النهار » ستضطر الى تأييدها . ولا شك ان جريدة « النهار » قد كسبت كثيراً من معارضتها لحكومة رشيد كرامي ولشارل حلو ، وخاصة الصور الكاريكاتورية الممتازة التي كان يسخر فيها رسام النهار من شارل حلو . ولهذا فانني أعتقد ان أمام « الأنوار » فرصة ممتازة لزيادة توزيعها ، وتثبيت مركزها في سوق لبنان ، خصوصاً بعد أن أغلقت الأردن في وجهها بسبب تأييدها للفدائيين ضد الملك حسين .

وأنني أتوقع تطورات في الصحافة العربية ، فانني أتوقع مثلاً ان تنجح القاهرة قريباً في اقناع الملك فيصل بفتح أسواق السعودية أمام الصحف المصرية . وأتوقع ان تتحسن العلاقات بين الأنوار والملك حسين . فان الوقت قد حان لاعادة فتح الأبواب المغلقة ، وخصوصاً اذا نجحت القاهرة في تحسين علاقاتها بالملك فيصل ، وغسل الشكوك التي تملأ صدره .

وانني أحس كما قلت لك في خطاب سابق ان عمر البعث قصير في سوريا والعراق ، ولذلك لا أستبعد ان تدخل صحفنا المصرية من جديد الى سوريا والعراق خلال العام القادم .

فانني متفائل ان بلادي ستنجح في تضميد جروح المنطقة ، وفي فتح الأبواب التي أغلقت في وجوهنا بسبب غيرة بعض الحكام وقصر نظرهم ، وخوفهم من تأثير صحف القاهرة على شعوب بلادهم . وأعتقد ان في استطاعتنا ان نزيل هذه المخاوف تدريجياً ، اذا تحكمنا في أعصابنا ، واذا أحسنّا لعب الورق الذي في يدنا .

مضت مدة طويلة لم أسمع فيها أخبارك ، انني أريد ان أطمئن على صحتك وعلى روحك المعنوية ، وأرجو ان أسمع قريباً ان متاعبكم قد انتهت وان الابتسامة قد عادت الى شفتيك . كنت أتمنى ان تكون بجانبي في هذه اللحظات الدقيقة التي تمر بها بلادنا . كنت أتمنى أن نمشي جنباً الى جنب في الصالون نفكر في بلادنا ومتاعبها وأزماتها ، وكيف نساعدها على ان تضمد جراح قلبها ، وتقف على قدميها من جديد . كنت أتمنى أن نساهم في تجميع الرأي العام العالمي حولها وفي كسب عدد من كبار الصحفيين الى جانب قضيتها العادلة . كنت أتمنى أن نفكر لها ونحلم لها . وانني أحس ان هذا اليوم قريب . وأحس ان بلادي ستستعين قريباً بكل القادرين على الدفاع عنها وشرح عدالة قضاياها .

ان رتيبة في صحة جيدة ، وروحها المعنوية مرتفعة ، ويبدو انك استطعت ان تقنع نللي بفكرة اكمال دراستها في انجلترا . وخيرية وفاطمة

ومونا يبعثن لك بقبلاتهن وأشواقهن ، وأرجو ان تراك خيرية في أحسن حال عندما تلتقي بك في اجازة عيد الميلاد .

اني أفتقدك كثيراً . . . وأفكر فيك في كل ساعات الليل والنهار ، وأتطلع الى السماء وأقول « يا رب » ، وأومن ان صلواتي تصل الى السماء ، وأن فراقنا لن يطول . لقد أيقظتني خيرية أمس عند الفجر لتقول لي أنها حلمت أنه أطلق سراحك . ان قلبي يحدثني ان هذا الحلم سيتحقق عن قريب ، وان أشعة الفجر ستبدد الظلام الطويل الذي عشناه كل هذه السنين .

فالى لقاء قريب باذن الله .

والآن تعال أضمك الى صدري وأمطرك بقبلاتي وأتطلع معك الى السماء .

علي »

الفصل السادس
أسئلة كثيرة وسؤال كبير !

وأغلقت الملف الكبير الذي يضم خطابات علي أمين الى مصطفى أمين وتواردت على خواطري صور ، ولا أقول ذكريات . لأن الذكريات شريط سريع منسجم لا تظهر فيه مشاهد بعينها محددة بشخوصها مستقلة عما عداها ، وانما هي حالة تنساب فيها الحركة والمشاهد والملامح وتتحول الى رؤى تطوف بالقلب وبالاعصاب أكثر مما تمر أمام العين وقرب الأذن . . . حالة تتلاشى فيها المادة وتتحول الى رائحة تعيد في عالم الحواس عبق دنيا بأسرها كانت ثم مضت . . .

الصور شيء آخر غير الذكريات .

مشاهد بعينها تبقى وكأنما لحظة من الزمان تجمدت فيها . وليس من الضروري ان تكون هناك علاقة بين مشهد وآخر ولا رابطة معينة بالضرورة بين شخص وشخص . انفتحت عدسة فالتقطت كل ما كان أمامها لمجرد أنه كان هناك . وربما تناقضت الصورة مع الصورة وتصادم المشهد مع المشهد . وليس هذا هو الحال مع الذكريات .

ليلتها ، تلك الليلة التي سهرت فيها أقرأ خطابات لندن الى طره ، كان ما حولي ينتمي الى عالم الصور أكثر من عالم الذكريات .

ما كل هذا الذي قرأته ؟ والذي قرأته ورأيته ولمسته قبله ؟ وقبله ؟ .

ماذا يعني هذا كله ؟ وما القصد منه ؟ وماذا وراءه ؟ وماذا بعده ؟

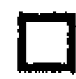
وأين الصدق وأين الزيف ؟. . . وأين فيه المتعمد المقصود ، وأين العفوي التلقائي ؟

ثم اختزلت الأسئلة كلها في سؤال واحد :

ـ هل قرأ « جمال عبد الناصر » هذه الرسائل ؟ وماذا كان تعليقه ؟ وما الذي استنتجه منها ؟

كنت أرجح أنه قرأها كما قرأتها ، وربما سبقني في أنه قرأها قبلي في أوانها ، فقد كان يقرأ كل شيء في أوانه ، وكان له جلد غريب على المتابعة [1] ، وتذكرت انه كان في وضع يسمح له أن يرى جانبي الطريق بين لندن وطره وبالعكس . . . كان اختصاصي كوزير للارشاد ان أتلقى ما هو قادم من لندن . وكان الاختصاص في تلقي ما هو صادر عن طره عائداً الى مصلحة السجون ووزارة الداخلية ، وان كنت عرفت من بعيد أن مصطفى كان يضيق صدره أحياناً برسائل علي . يكتب له من لندن والريفييرا وأسبانيا ، ثم يقول له في نهاية كل خطاب انه « يحس بقدوم الفجر » ، ويصرخ مصطفى في ردوده بأنه لا يرى فجراً ولا « هباب » ! ولم أعرف ولا سعيت لأعرف أكثر . وكان مكتبي مصب وزارة واحدة . . . وأما مكتب جمال عبد الناصر فكان مصب كل الوزارات .

واذن فقد كان أمامه ان يرى كل شيء اذا كان يريد ان يراه . . . ولكن هل رأى ؟ ثم ماذا ؟ وكيف ؟ وهل ؟ الى آخره . . . أسئلة كثيرة دون اجابة مؤكدة !



(١) قلت مرة فيما بعد ان من مشاكل مصر ـ بين عهدي عبد الناصر والسادات ـ رئيس كان يقرأ حتى بعض ما لا يستحق القراءة ، ثم رئيس بعده لا يقرأ حتى ما لا بد له ان يقرأه .

ثم جاءتني الظروف ذات يوم ـ فيما بعد ـ بما تصورته للوهلة الأولى اجابة ، ثم راح بمزيد من التفكير يتحول الى سؤال اكبر من كل الأسئلة !

بمحض المصادفات ـ فيما بعد بسنوات ـ جاءت الى مكتبي ورقة لفتت نظري على الفور لأنها تحمل في أعلاها تأشيرة بخط جمال عبد الناصر . كنت في ذلك الوقت أجمع المواد لكتاب « عبد الناصر والعالم » وأحاول تعقب كل تأشيرة كتبها بيده .

كانت الورقة مذكرة بخط السيد سامي شرف تاريخها ٧٠/٦/٣ ، وعليها كتب السيد سامي شرف بخطه ما يلي بالحرف [١] :

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

أفندم
هناك بعض الخواطر وردت على ذهني نتيجة استقراء بعض التحركات والتصريحات في الفترة الأخيرة يمكن ان أخرج منها باستنتاج ان هناك شيء يدبر ضد ج . ع . م (الجمهورية العربية المتحدة) ويمكن اجمالاً ايجاز هذه التحركات في الآتي :

(واستطرد السيد سامي شرف فساق ثمانية مظاهر أوصلته الى استنتاجه . وأوثر ان لا أنقل منها شيئاً ـ حتى الآن ورغم مرور السنين ـ لأن الصالح الوطني يقتضي الحفاظ على سريتها . . . ثم استطرد) .

وطبعاً هناك بند أساسي كان من المفروض ان يتصدر القائمة وهو الولايات المتحدة واسرائيل وتخطيطهما الموحد والموجه أساساً ضد مصر .

وعلى ضوء هذه الخواطر السريعة أقترح أن تتخذ كافة الاجراءات الوقائية المشددة بالنسبة للأوضاع في الداخل ، ويمكن اذا أذنتم سيادتكم ان

(١) صورة المذكرة بخط السيد سامي شرف في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٨) .

يعقد اجتماع من بعض المسئولين في قطاعات الأمن لوضع تقدير موقف كامل وخطة لمواجهة أي احتمالات .

برجاء التفضل بالنظر .

(امضاء)

ســامـي »

في أعلى المذكرة كانت تأشيرة جمال عبد الناصر وبخط يده ، نصها بالحرف [1] :

« سامي

لقد تقابل علي أمين في روما مع أحد المصريين المقيمين في ليبيا وقال له ان الوضع في مصر سينتهي آخر سنة ٧٠ .

جمال »

لأول وهلة تصورت ان التأشيرة تجيب على أسئلتي كلها بجملة واحدة : لا بد انه قرأ كل شيء ولكنه لم يصدق ما يقول به ظاهر الكلمات .

وأعدت القراءة والتدقيق .

وكشفت النظرة الثانية عن أشياء لم تظهر للوهلة الأولى .

غريبة !

ان مذكرة السيد سامي شرف لم يرد فيها ـ من قريب او من بعيد ـ ذكر لعلي أمين ، فما الذي استدعى الاسم الى تفكير جمال عبد الناصر في صددها ؟! .

ملاحظة أخرى :

---

(١) تأشيرة الرئيس جمال عبد الناصر في الركن الأعلى الأيسر من المذكرة وبخط يده ظاهرة في الوثيقة رقم ٢٨ في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب .

تاريخ المذكرة هو ٣ يونيو ٧٠ وتأشيرة جمال عبد الناصر بخطه عليها بتاريخ ٢٨ يونيو ٧٠ ـ ولم تكن عادته ان يتأخر في ابداء رأيه في موضوع يعرض عليه خمسة وعشرين يوماً! .

وتذكرت . . . كان أيامها في « ليبيا » يحضر احتفالات الجلاء عن قاعدة « هويلس » الأمريكية .

لا بد ان المذكرة دخلت الى مكتبه قبل سفره بيوم او يومين ولم يطلع عليها ، وحين عاد من ليبيا ـ وكان يستعد للسفر بعدها الى الاتحاد السوفيتي ـ حرص على أن يبت في كل ورقة وجدها على مكتبه .

ورحت أقرأ تأشيرته أحاول استيعاب كل حرف فيها :

« لقد تقابل علي أمين في روما [1] مع أحد المصريين المقيمين في ليبيا وقال له أن الوضع في مصر سينتهي آخر سنة ٧٠ .

جمال»

كنت معه في ليبيا وصحبته بعدها الى موسكو !

ولكن من هو المصري المقيم في ليبيا الذي نقل اليه ما سمع من علي أمين ؟

تذكرت انه قابل كثيرين . . . كثيرين .

من منهم ؟ لم أستطع ان أحدد ، لكنه من الواضح ان جمال عبد الناصر أخذ الكلام جداً فبقي عالقاً في ذهنه حتى استقر على صورة تأشيرة بخط يده استدعتها مذكرة معروضة عليه .

ماذا سمع من هذا المصري غير ذلك ؟ وما الذي جعل علي أمين يفضي

---

(١) يتضح من التأشيرة ان جمال عبد الناصر كتبها في البداية « لقد تقابل علي أمين مع احد المصريين . . . الخ » ، ويظهر انه أراد ان تكون تأشيرته اكثر تحديداً فقد عاد فيها يبدو ورسم خطاً كتب فوقه « من روما » ، وللسرعة فيها أظن نسي حرف « الواو » في وسط كلمة « روما » .

اليه بما أفضى ؟ وفي أي سياق وأي مناخ ؟ وقصداً او زلة لسان ؟ وما هي بقية التفاصيل ؟

الخطير في الموضوع أن « الوضع في مصر انتهى » فعلاً « آخر سنة ٧٠ » ! .

كان رحيل جمال عبد الناصر يوماً فاصلاً في هذه الحقبة من التاريخ العربي الحديث ، ولعلي أقول انه كان هو اليوم الفاصل !

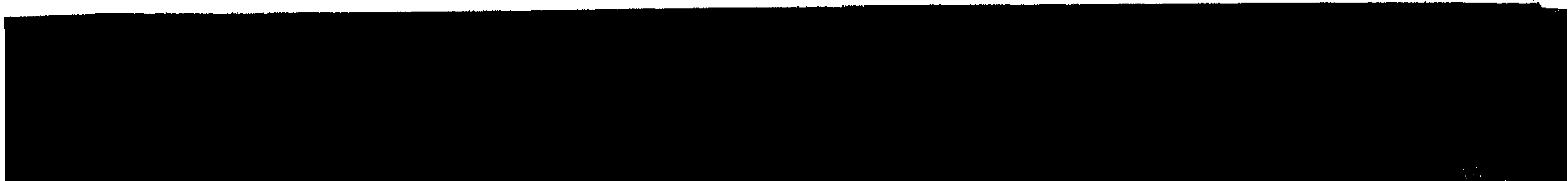
ما الذي كان يعرفه الاستاذ علي أمين ؟ وكيف وصل اليه ؟ وممن ؟

وثارت الأسئلة عواصف . وأحسست بقشعريرة ! .

الجزء الرابع
سنـــوات الســـادات

« وكانت مصر أول من أصبتم
فلم تحص الجراح ولا الكلاما
اذا كان الرماة رماة سوء
أحلوا غير مرماها السهاما »

(من قصيدة لأحمد شوقي)



الفصل الأول
الخلافـات مـع السـادات

ليس هذا هو مجال الحديث عن خلافاتي مع الرئيس السادات ، لكني أرى أن التعرض لبعض رؤوس الموضوعات ضروري لسياق القصة الرئيسية في هذا الكتاب .

في الشهور الأولى من رئاسته بدأ لي أن آراءنا قد تتوافق وأن تعاوني الى أقصى الحدود معه قد يكون مفيداً ، خصوصاً وأنني كنت أتمنى أن يستمر الجهد المصري ويتواصل حتى يتحقق هدفه الأكبر في ذلك الوقت وهو ازالة آثار العدوان .

وكان من جانبه يرى أنني واقف بوضوح لا لبس فيه الى جانبه .

بعد نصف ساعة على رحيل جمال عبد الناصر غادرنا غرفة نومه حيث كان جسده مسجى على سريره ونزلنا الى الصالون في الدور الأول من بيته نحاول أن نتدبر كيف نتصرف بعده .

وبرغم الأحزان المروعة التي كانت تعتصر قلوبنا جميعاً فقد كانت هناك مسئولية شعب وأمة لا بد من التفكير فيها قبل الغرق في طوفان الدموع .

وكنا في غرفة الصالون الصغير مجموعة متباينة المواقف والأهداف ، لكن

مفاجأة ومأساة الرحيل رفعت الكل ـ انصافاً للتاريخ ـ الى مستوى يستحق التسجيل .

كان هناك السادة أنور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري وشعراوي جمعة وسامي شرف ومحمد أحمد واللواء الليثي ناصف وأنا .

وكان أنور السادات هو نائب رئيس الجمهورية ، وبشكل ما كان عليه أن يطرح موضوع البحث فقال : « ماذا نعمل الآن ؟ » .



وكانت هناك فترة صمت ثقيل ، وأحسست أنني أستطيع أن أتكلم فقد كنت أمام الكل من أقرب الناس الى جمال عبد الناصر،ثم أنني كنت من أبعد الناس عن صراعات السلطة ، فالكل يعرف أنني أحصر طموحي كله في اطار مهنتي .

شعرت أنني أستطيع أن أتكلم دون حساسيات .

وقلت :

ـ « ان أهم شيء الآن هو الاستمرار وأن نحاول قدر ما نستطيع ملء الفراغ بعده » .

ثم قلت :

ـ « لا بد أن نختار رئيساً يتولى السلطة ـ ولو مؤقتاً ـ على الفور ، ولا بد في اختيار هذا الرئيس أن نتبع قاعدة موضوعة سلفا ، فليس الوقت ملائماً لوضع قواعد جديدة ولا هو وقت فتح الباب لصراعات بين الافراد .

واذا اتفقنا على ذلك فان القاعدة الوحيدة التي أعتقد أنها تحكم موقفنا هي الاحتكام للدستور .

(ومعنى ذلك واضح وهو أن يتولى السيد أنور السادات رئاسة الجمهورية للمدة التي قررها الدستور ـ وهي ستون يوماً ـ حتى ترشح الهيئات

السياسية والدستورية من تشاء للرئاسة ثم تطرح اسمه للاستفتاء العام) .

والشيء الآخر الذي أراه ضرورياً بعد ذلك أن نتصرف خطوة خطوة حتى لا نفتح الباب لمساومات وصفقات قد تكون خطيرة في أثرها . ان جمال عبد الناصر كان يشغل ثلاث مناصب رئيسية : رئاسة الجمهورية ورئاسة الاتحاد الاشتراكي ورئاسة الوزارة . واذا فتحنا ثلاثة أبواب الآن فقد نجد أنفسنا امام مآزق متشابكة ، ولذلك فاني أقترح أن تكون هناك « خطوة واحدة في الوقت الواحد » . وقلت بالانجليزية «one step at a time' .

واذن ننتهي من انتخابات رئيس الجمهورية ، ثم يجيء دور اختيار رئيس الوزراء ، ثم يختار التنظيم السياسي رئيسه » .

وأحسست أن أنور السادات استراح لما قلت . وللانصاف فان أحداً لم يعارض . كان الكل على مستوى المسئولية في تلك اللحظة الحرجة .

وواصلت كلامي باقتراح أن ننتقل الآن الى مكان آخر وأن نعقد اجتماعاً مشتركاً للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ولمجلس الوزراء ، ومن هناك يعلن نبأ رحيل عبد الناصر على الأمة ثم تتخذ القرارات المطلوبة .

وكان الجثمان قد انتقل من الدور الثاني واستقر في سيارة الاسعاف الخاصة برئاسة الجمهورية . وسارت عرباتنا وراءه في موكب جنائزي صامت يخنقه الألم الى قصر القبة ، ودعي أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء .

وكنت قد أعددت بيان اعلان الرحيل ، واتصلت - كوزير للارشاد - بأحد كبار المسئولين معي في وزارة الارشاد - وهو الدكتور عبد الملك عودة - أطلب اليه أن يوقف اذاعة البرامج العادية في الراديو والتليفزيون وأن تتحول جميع المحطات الى اذاعة القرآن الكريم .

وأدركت مصر أن شيئاً قد جرى ، وأمسكت قلبها تنتظر مع خوف وقلق .

وقرأت البيان على المجلس المشترك وأقره من فيه . واقترح أنور السادات أن أتوجه الى مبنى التليفزيون لاذاعته ، وقلت ـ والقول مسجل بصوتي في أرشيف مجلس الوزراء لان نظام التسجيل كان قد اعتمد رسمياً من سنوات بدلاً من محاضر مكتوبة ـ قلت :

ـ « انني أقترح أن يتولى السيد أنور السادات بنفسه اذاعة البيان لكي يعرف الناس أن انتقال السلطة قد تم بسلام . وانني أتذكر من السوابق أن ظهور الرئيس جونسون بعد اغتيال الرئيس كنيدي ليعلن بنفسة وفاة سلفه وتوليه السلطة بعده كان مسألة بالغة الأهمية في طمأنة الشعب الأمريكي الى أن المسئولية الأولى في الدولة انتقلت بثبات الى مكانها السليم » .

ووافق الكل ، وقام الرئيس السادات معي وتركنا الاجتماع مستمراً يناقش قضية هامة طرحت من أجل كفالة الاستمرار وهي : « هل يتولى الرئيس المؤقت سلطته لستين يوماً أم نختاره مرشحاً على الفور ونعرض اسمه للاستفتاء العام » ؟ وكان واضحاً أن الاتجاه الراجح يميل الى الرأي الثاني من منطق تأكيد الاستمرار . وربما كانت هناك تصورات أخرى .

ووصلنا ـ الرئيس السادات وأنا ـ الى مبنى التليفزيون وتوجهنا الى مكتبي حتى يتم اعداد الاستديو الذي يذاع منه النبأ الصاعق . واكتشف الرئيس السادات أنه نسي نظارته على مائدة الاجتماعات في قصر القبة ، وسألته اذا كانت نظارتي تنفعه وجربها ، وبالفعل ظهر بها وهو يقرأ البيان . واعتذرت عن مرافقته الى الاستديو ، وكان رأيي أنه لا بد له أن يظهر وحده على الشاشة ، وانتظرت حتى فرغ منه وعاد الى مكتبي . وغادرنا معا مبنى التليفزيون ـ هو عائداً الى قصر القبة وأنا الى الأهرام .



كانت الجنازة يوم أول أكتوبر ١٩٧٠ . ويوم الثالث من أكتوبر كتبت للرئيس السادات استقالتي من الوزارة وبعثت بها اليه . وحاول ملحا اقناعي

بالعدول عنها ، وسهرنا ليلة حتى قرب الفجر في مقره المؤقت في ذلك الوقت ـ قصر العروبة .

كانت وجهة نظره أنه في حاجة اليّ ، ثم من ناحية أخرى « ماذا يقول الرأي العام اذا عرف أن أقرب الناس الى جمال عبد الناصر استقال بعد ثلاثة أيام من رئاسة « أنور السادات » . وكانت وجهة نظري « انني موجود تحت تصرفه . وأنا لا أستقيل الا من الوزارة ولكني باق في الأهرام ، وهناك في حقيقة الأمر مكاني الطبيعي » .

وأضفت : « انني ألمح من بعيد صراعات سلطة ، فان الكل بدأ يفيق من الصدمة . وفي الاهرام أستطيع أن أكون بعيداً عن الصراعات . ثم انني من هناك أستطيع ـ أكثر مما أستطيع في الوزارة ـ أن أشارك في حوار الحوادث والتطورات طليق اليد ومتحرراً » .

ونزل عند رأيي بعد أن لمس اصراري عليه ، واشترط أن أبقى حتى أدير حملته الانتخابية للاستفتاء . وقبلت شريطة أن يكتب ردا على استقالتي من الوزارة وأن ينشر خطاب استقالتي ورده عليها يوم ظهور نتيجة الاستفتاء . واتفقنا .

وغداة ظهور نتيجة الاستفتاء واعلانها دعاني ـ وكان في قصر الطاهرة ـ يسألني فيمن يتولى رئاسة الوزارة ، وقال لي :

ـ « كنت تقول خطوة واحدة في الوقت الواحد ، وكنت معك . والآن جاء وقت الخطوة الثانية ، وهناك زحام على رئاسة الوزارة » .

وراح يعد أمامي أسماء المرشحين . . . الذين رشحوا أنفسهم أو الذين رشحهم آخرون .

وقلت له :

ـ « ان رأيي ان الأصلح لرئاسة الوزارة الآن هو الدكتور محمود فوزي » .

وأبدى استغرابه وقال :

ـ « ان فوزي بعث اليّ باستقالته من اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي في نفس اليوم الذي قدمت أنت لي فيه استقالتك ، الى درجة أنني تصورت أنكما ـ بما أعرفه من الصداقة التي تجمعكما ـ قررتما تنسيق مواقفكما » .

وأكدت له أن ذلك لم يحدث وأن الدكتور فوزي وأنا لم ننسق شيئاً ، بل انني لم أعرف قبل الآن ـ ومنه ـ أن الدكتور فوزي قدم استقالته .

وسألني : « لماذا فوزي لرئاسة الوزارة في هذه الظروف » ؟

وقلت :

ـ « لعدة أسباب أولها أن « البلد » خائف الآن من احتمالات صراع السلطة ، ووجود « مدني محترم » مثل الدكتور محمود فوزي على رأس الوزارة علامة تدعو الى الطمأنينة .

ثم أن الدكتور محمود فوزي وجه معروف لأصدقائنا في الأمم المتحدة ودول عدم الانحياز والعالم الآسيوي الافريقي ـ وهذا مهم .

وأخيرا فان الدكتور فوزي سوف يكون « رئيس مجلس » . فهو بطبعه لا يحب الانفراد برأي ولا يفرض على غيره بسلطة المنصب قراراً ـ أي أنه سوف « يدير » ولا « يتسلط » . فاذا كانت معه مجموعة قوية من نواب رئيس الوزراء للصناعة والزراعة والاقتصاد ـ فانه يستطيع بادارة مستنيرة أن يأخذ منهم أحسن ما لديهم » .

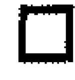
وقال أنور السادات بحماسة : « صح . . . برافو يا محمد » !

ثم استدرك : « لكن من الذي يقنع فوزي وأنت تعلم عزوفه وحرصه على الابتعاد » ؟

ثم أجاب على سؤاله : « ليس عندي غيرك . . . اذهب اليه واعرض عليه باسمي رئاسة الوزارة ولا تجيء الى هنا إلا ومعك موافقته » .

واتصلت بالدكتور فوزي في بيته قرب البدرشين أقول له أني في الطريق اليه . وركبت سيارتي ومعي أحد البارزين من زملائي بوزارة الارشاد في ذلك الوقت وهو الدكتور أسامة الباز [1] ، وتوجهنا الى بيت الدكتور فوزي .

لا أريد أن أشرد بالطول والعرض في وقائع ليس هذا مجالها ، ولكني أردت أن أدلل على درجة القرب بيننا في تلك الأيام .



وكان من بين اقتراحاتي عليه وقتها أن ينتهي من تصفية موضوع الحراسات مرة واحدة والى الأبد .

كان عبد الناصر قد بدأ خطوات في هذا الطريق ، وبقيت خطوات أخرى تصورتها لكي يتم طي صفحة من صفحات الماضي واغلاقها ، ووافق . وجئته في المرة التالية ومعي الدكتور جمال العطيفي ـ المستشار القانوني للأهرام أيامها ـ حتى يتولى وضع مشروع قانون لتصفية الحراسات .

وبعد أيام من اعلان مشروع القانون الذي أعده جمال العطيفي لالغاء الحراسات وصل الاستاذ سعيد فريحة الى القاهرة يقول لي : « ان كثيرين من أصدقائه يرون أن الفرصة الآن سانحة لاعادة طرح موضوع الاستاذ مصطفى أمين على الرئيس الجديد خصوصاً وأنه بدأ يتجه الى التخفيف بدليل الغاء الحراسات » .

ومع أني لم أجد صلة مباشرة بين موضوع انهاء الحراسات وبين موضوع الاستاذ مصطفى أمين فلم يكن هناك بأس من المحاولة . . . لن نخسر شيئاً باثارة الموضوع ، وعلى الأقل نكون سجلنا لدى الرئيس الجديد تذكرة وطلباً .

ورفعت سماعة التلفون أتصل بالرئيس السادات ، وكان في بيته بالجيزة ، أقول له « أن سعيد فريحة معي ويريد مقابلته » ـ وكانت اجابته على

---

(١) المستشار السياسي للرئيس حسني مبارك الآن .

الفور : « ليست لديّ الآن ارتباطات . . هات سعيد معك وتعالوا الى هنا فوراً » .

وذهبنا . . وكان الرئيس متشوقاً الى أن يسمع أخباراً عن العالم العربي ، وبيروت يومئذ خير مركز للتسمع على ما يجري في المنطقة كلها . وراح سعيد يحكي ويحكي . ثم تذكر الموضوع الذي جاء من أجله فأدار دفة الحديث الى شئون مصر في عصر أنور السادات ، ثم قال له : « يا سيادة الرئيس . . انك الآن تبدأ صفحة جديدة بعفو عام ، فهل نطمح أن يشمل هذا العفو قضية مصطفى أمين ؟ «

ولم أتوقع أن يكون رد الفعل لدى الرئيس السادات على النحو الذي وقع ، فقد انتفض في كرسيه وقال :

ـ « جرى ايه يا سعيد . . عفو عام يشمل مصطفى أمين ؟ . . أنا لا أعفو عن الجواسيس » !

وفوجىء سعيد وسأل :

ـ « ولكن يا سيادة الرئيس ما وقع فيه مصطفى نوع من الخطأ ، ونحن لا نجادل فيه . . . . »

وقاطعه الرئيس السادات :

ـ « لم يكن نوعا من الخطأ . . . كان تجسساً . . بالعربي الفصيح تجسس . . ولو لم أكن واثقاً من الموضوع مائة في المائة لأفرجت عنه من أول يوم . أنا أعرف تاريخ مصطفى حتى من قبل القبض عليه . وأنا بنفسي حذرت « جمال » وحذرت هذا الأستاذ الجالس هنا » .

قالها وأشار اليّ وسألني : « ألم يحدث ؟ »

وقلت بحيرة : « الحقيقة أنني لا أذكر » .

وراح الرئيس السادات يذكرني بيوم حذرني فيه ، ولم تسعفني الذاكرة . وحسم الموضوع ـ بنبرة حزم بدت غريبة عليّ ـ قائلاً :

ـ « سعيد . . اقفل هذا الموضوع ولا تفتحه معي أبدا » !

وتحول مجرى الحديث . وخرجنا من بيت الرئيس السادات في الجيزة الى بيتي بالقرب منه ماشين على الأقدام . فقد كان سعيد ضيفنا على الغداء في ذلك اليوم . ومشينا في الشارع ساكتين ثم قطع سعيد سكوته وقال لي :

ـ « يا ويلي . . . شو ها العنف » !

ثم استطرد :

ـ « مع جمال عبد الناصر كنا نستطيع أن نتناقش . . وهذا الرجل قفل الباب على الفور » !



ومرت شهور . . ومرت بعد الشهور سنون . . وطرأت على علاقتي بالرئيس السادات مشاكل ، وظهرت بيننا خلافات تعقد بعضها ووجدنا له حلا ، واستحكم بعضها الآخر بغير حل . .

اختلفنا فيما قاله عن سنة ١٩٧١ باعتبارها « سنة الحسم » . كما قال . ولم أرها كذلك لأكثر من سبب . وحتى اذا كانت كذلك فلم يكن ينبغي الاعلان !

واختلفنا في الطريقة التي عالج بها مظاهرات الطلبة في أواخر سنة ١٩٧١ ولم أكن أرى أن العنف هو وسيلة الحوار مع الشباب .

واختلفنا في علاج موضوع الفتنة الطائفية ، فقد كان يرى تفجير المشكلة . وكنت أراها مشكلة لا تصلح فيها سياسة الصدمات الكهربائية ، وانما لا بد من علاج حذر لأسبابها وعوارضها ، ولجذورها قبل الفروع .

واختلفنا في موضع الوحدة مع ليبيا . وكنت من أنصارها . أراها مختلفة عن تجربة الوحدة مع سوريا بسبب عنصر الاتصال الجغرافي والسكاني . وكنت أراها عمقا للمعركة بثلاثة آلاف ميل على شاطىء البحر الأبيض . كما أني كنت أرى أن الثروة السائلة الليبية تتكامل مع الامكانيات البشرية والطاقة

الانتاجية المصرية . وكان يتهمني بالانحياز لمعمر القذافي وهو يعلم أنني لم أضع قدما في ليبيا منذ سنة ١٩٧٠ حين زرتها لآخر مرة في صحبة جمال عبد الناصر .

(وفيما بعد ودفعا لأي تأويل اعتذرت عن أي اتصال بالرئيس القذافي منذ سنة ١٩٧٣ حين رأيته لآخر مرة في مكتبي بالأهرام. وحتى هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه السطور ، رغم دعوات مستمرة والحاح لم ينقطع) .

ثم اختلفنا في الطريقة التي راح يجري بها اتصالات خفية مع الولايات المتحدة الامريكية عن طريق قناة اتصال خلفية .

واختلفنا حول الصورة الجديدة لعلاقاته مع بعض العناصر في المملكة العربية السعودية .

واختلفنا حول الطريقة التي جرى بها اخراج الخبراء السوفييت من مصر .

واختلفنا حين اعتذرت عن اجراء مفاوضات سرية مع كيسنجر ، لأن موقفنا التفاوضي وقتها لم يكن قوياً في تقديري ، وكذلك لأن هدفه من التفاوض لم يكن واضحاً أمامي .

واختلفنا في قراره بنقل ثمانين صحفيا الى وظائف في مصلحة الاستعلامات وبينهم بعض أبرز أصحاب القلم (وبينهم من أسرة الأهرام الاستاذ أحمد بهاء الدين والدكتور يوسف ادريس والدكتور لويس عوض والاستاذ مكرم محمد أحمد والاستاذ زكريا نيل والسيدة أمينة شفيق ، الى جانب رئيس قسم المعلومات في الأهرام الاستاذ محمد حمدي) ـ واعتذرت عن تنفيذ القرار فيما يتعلق بالأهرام ووضعت أمامه استقالتي .

في هذا كله كنت أحرص على ان يظل الخلاف في حدوده . . . فهو رئيس الدولة وصاحب القرار ـ ولي الحق ان أبدي رأيي ـ ولكنه المسئول وحده أولاً وأخيراً .

ثم جاء الخلاف الأكبر حول الادارة السياسية لحرب اكتوبر . وكنت ارى نتائج الحرب تضيع واحدة بعد واحدة . ورحت اكتب رأيي بصراحة لا لبس فيها في مجموعة مقالات امتدت من اكتوبر ١٩٧٣ الى أول فبراير ١٩٧٤[١] .

وفي أواخر شهر ديسمبر ١٩٧٣ طلب ان نلتقي ، والتقينا في نادي الرماة عند سفح الاهرامات ، وهناك قال لي « ان مقالاتي تحدث بلبلة في الرأي العام العربي كله[٢] ، وأنا لم أعد صحفيا وانما أصبحت سياسيا ، ولا بد أن أترك الصحافة الى السياسة[٣] . ثم خيرني بين العمل في الوزارة (نائباً لرئيس الوزراء) أو في الرياسة (مستشاراً للرئيس لشئون الأمن القومي) .

وكان ردي « أنه يستطيع أن يقرر أنه لم يعد يريد بقائي في الأهرام ، ولكني وحدي أقرر ماذا أفعل بعد ذلك » .

واعتبر أنني أريد أن أملي عليه آرائي وأفرض تصوراتي . ثم انتهينا من مشادة حامية وقد ترك لي « الفرصة للتفكير » !

---

(١) صدرت هذه المقالات في مجموعة واحدة على شكل كتاب فيما بعد تحت عنوان « عند مفترق الطريق » .

(٢) كان الرئيس السادات قد غضب أشد الغضب من مقال كتبته بعنوان « أسلوب التفاوض الاسرائيلي » ، وكان المقال في الواقع نقداً مرأ لأسلوب التفاوض المصري ، وقد قرأ الرئيس السادات هذا المقال في طائرة كانت تقله الى السعودية ، وعاد من رحلته وقد بلغت ثورته مداها .

(٣) كان من رأيه أنه ليس من حق الصحفي أن يناقش القرار السياسي فتلك مسئولية الرئاسة . وكان رأيي أن حرية الصحافة في صميمها هي مناقشة طريقة صنع القرار الى جانب نتائج القرار .

وحين أشرت له ـ أثناء حديثنا ـ الى نماذج مما يكتبه الصحفيون من أوروبا وأمريكا من أمثال « وليم ريس موج » في التيمس « وجيمس رستون » في النيويورك تيمس و« بن برادلي » في الواشنطن بوست » ـ كان رده « أننا لسنا مثل أوروبا وأمريكا » . وفيما بعد وأثناء اعتقالي رأس اجتماعا للمجلس الأعلى للصحافة ـ الذي أنشأه وتحدث عن « الصحفيين الذين يريدون تقليد الصحافة الأمريكية ويتصورون أن بامكانهم أن يفعلوا في مصر ما فعلته « الواشنطن بوست » حين قادت حملة ضد الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون ـ حول فضيحة ووترجيت ـ أدت الى خروجه من البيت الأبيض » !!



وفي هذا المناخ تلقيت مكالمة تليفونية من بيروت . وكان التليفون من الاستاذ علي أمين الذي قال لي انه يفكر في القدوم الى القاهرة .

وبعد عدة أيام كان بالفعل في القاهرة وكان قادماً لزيارتي في الأهرام .

الفصل الثاني
عـــودة الغـائـــــب

كنت سعيدا بعودة الغائب الى وطنه . وكنت أشعر دائما - ولا زلت - أن كل انسان لا يجد سلامه خارج وطنه . وكثيرا ما كتبت أقول انني « لا أتصور لنفسي عملا ولا بيتا ولا قبرا خارج مصر » . والتزمت بذلك القول مسلكا وعقيدة حتى في ظروف أحسست فيها أن المخاطر تحيط بي من كل جانب وأن خطر السجن على الأقل ينتظرني . وكنت أتصور أن ذلك الشعور ليس حكرا عليّ وانما هو مشاع بين كل المصريين . وينسحب القول بالتأكيد على غير المصريين من أمم الأرض بالنسبة لأوطانهم .

وعندما عاد الاستاذ حسين أبو الفتح [١] في سنة ١٩٧٣ الى مصر بعد غياب طويل - أحسست أن كل حكايات الماضي بما فيها « حركة مصر الحرة » و« اذاعة مصر الحرة » التي كانت موجهة الى الشعب المصري وقت عدوان السويس - قد شحبت في ذاكرتي ولم يبق أمامي الا انسان وصحفي عائد أخيرا الى حيث ينتمي . وهكذا رحبت به في الأهرام وطفت به كل مكتب فيها وقدمت اليه جيلا من الشباب الجديد الى جانب من كان يعرفهم من قبل من الشيوخ !

(١) شقيق الاستاذين محمود أبو الفتح وأحمد أبو الفتح .

وكان شعوري أكثر بالنسبة لعودة الاستاذ علي أمين . ففي حين كانت علاقتي من بعيد بآل أبو الفتح ـ فان علاقتي بآل أمين كانت قريبة خصوصا مع الاستاذ علي أمين .

وكانت أحاسيسي مختلفة وأنا في انتظاره حتى تجيء سيارتي التي أرسلتها اليه تقله الى الاهرام .

كانت الأيام والحوادث قد غطت على ما جرى سنة ١٩٦٥ .

ومن ناحية أخرى فقد كنت أحس أن أسرة تائهة في أقاصي الأرض آن لها أن تستقر بصرف النظر عما حدث في الماضي .

(وبالتفكير الريفي التقليدي فقد كنت أرى أن بناتها كبرن . وكانت أولى بنات الاستاذ مصطفى أمين قد عملت معي في الأهرام (ادارة الحاسبات الالكترونية) وتزوجت زميلا لها . لكن غيرها قد جاء دوره فهناك ثلاث باقيات ، ابنتان لعلي أمين والابنة الثانية لمصطفى) .

وكنت أعلم أنه متشوق ليرى مبنى الاهرام الجديد .

كتب اليّ في ٢١ فبراير ١٩٦٩ خطابا قال فيه :[١]

« لقد تتبعت باعجاب كل ما كتبته عن دار الأهرام الجديدة ، وما كتبه المحررون . ولقد شاركتك بقلبي في فرحك وفخرك ، ورغم تواضعك فقد أحسست وأنا أقرأ وصف الدار أنك بذلت مجهودا فوق طاقة البشر . فلك خالص تهنئتي .

وختاما أبعث لك بقبلاتي .

علي »

---

(١) صور من النصوص بخط الأستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٩) .

ثم عاد الى نفس الموضوع في خطاب آخر بتاريخ ١٠ مارس ١٩٧٠ - قال فيه :

« انني اسمع العجب عن مبنى الاهرام الجديد . واني احتفظ بنسخ الأهرام التي وصفت المبنى الجديد . وأرجو أن أراه في يوم من الايام .

ولك قبلاتي وأشواقي .

المخلص

علي »

ووصل علي أمين الى مكتبي ، وكان لقاءا بعد فراق تسع سنوات حافلة !



كان فرحي بلقاء الاستاذ علي أمين حقيقيا ، وأشهد أنني شعرت بنفس الشيء من جانبه .

وجلسنا ساعة نتحدث في شئون الماضي وشجونه . وحين قادتنا الشئون والشجون الى توأمه الاستاذ مصطفى أمين فاننا اتفقنا على أن نتكلم فيه تفصيلا فيما بعد .

وكنت قد رتبت له أن يتناول الغداء معنا في الأهرام ، ودعوت عددا كبيرا من الصحفيين الشبان والقدامى الى الغداء معه ، وأراد أولا أن يطوف « بالعجب العجاب » الذي سمع عنه كثيرا وانتظر طويلا حتى يراه .

وبدأنا جولة في الأهرام من القاع الى السطح .

عنابر المطابع والجمع والتجهيز والتوزيع . . أدوار التحرير والتصوير وصالاتها وأقسامها المتعددة . . مراكز الدراسات والابحاث المختلفة التي كنا نعتبرها مصانع أجيال جديدة من الصحفيين أكثر عمقا وأوسع دراية بتطوير المهنة . . أدوار العقول الاليكترونية والمكتبات والمراجع .

وحين وصلنا الى الدور الاخير حيث صالات الاستقبال والمطاعم كان الاستاذ علي أمين لا يخفي انبهاره بما رأى ، ويشهد أنه فاق خياله وتفوق على كثير مما أتيح له أن يشاهده في أوروبا وأمريكا . وحين جلس معنا إلى الغداء كان حديثه كله عني وعن أيامنا الحلوة زمان !

وبعد الغداء عدنا الى مكتبي لفنجان قهوة ، وهناك أعدنا فتح حديث مصطفى ، وقال لي الاستاذ علي أمين :

« انه يريد أن نجرب مسعى مركزا للافراج عن مصطفى ثم يأخذه معه ويسافران سويا الى لندن سنة أو سنتين حتى تهدأ الأمور وبعدها . . . من يعرف ؟ ! »

وكان تقديره - كما قال لي - أنه على استعداد للبقاء في القاهرة شهرا أو شهرين ، والمهم أن نصل الى نتيجة .

ثم سألني الاستاذ علي أمين : « أين يستطيع أن يذهب طول نهاره ؟ ان جو الصحافة المصرية أوحشه ، وهو لا يتصور أن يقضي طول يومه أثناء فترة اقامته في القاهرة في فندق أو ناد » .

وقلت على الفور : « ان الاهرام تحت تصرفه . وسوف أخصص له مكتبا بجوار مكتبي يجلس فيه كما يشاء ويستقبل فيه من يشاء » .

وقام مرة أخرى يقبلني متهدجا بالتأثر . لم يتغير شيء من الطفل الكبير الذي عرفته منذ سنوات طويلة !



ومضت عدة أيام والاستاذ علي أمين معي في الأهرام . سيارتي تأتي به كل صباح ، ومكتبي مفتوح له في أي وقت يشاء ، وهو في دهشة من نظام العمل الذي أدخلته ويريد أن يحضر معي أكبر عدد ممكن من اجتماعات التحرير .

ويوم ١٨ يناير بالتحديد دخل مكتبي وفي يده أوراق ، وقال وهو يتقدم

نحوي « مفاجأة لك . . هذه « فكرة » عدت أكتبها من جديد وهذا هو المقال الاول منها ، قل لي رأيك فيه » .

وكانت بالفعل مفاجأة . . فلم يكن رأيي قد استقر بعد على قرار . وعلى أي حال فقد أخذت منه الأوراق ورحت أقرأ ، وكان النص الذي كتبه فيها بخط يده كما يلي :[1]

« انني سعيد بانتقالي الى مبنى الأهرام .

لأنه في رأيي الطبعة الفاخرة من مبنى أخبار اليوم !

فقد تدارك هيكل كل الأخطاء المطبعية التي وقعت في الطبعة الاولى كما استبدل الورق الشعبي بورق ستانيه فاخر ، والغلاف المتواضع بغلاف سميك كان بالامس وقفا على أمريكا وأوروبا .

الغلاف الذي رأيته ممتاز . . . الطباعة في مستوى عالمي .

ولكني لم أنته بعد من تقليب صفحات الكتاب ، لأعرف ما هي الابواب التي حذفها من الكتاب القديم ، وما هي الأبواب التي أضافها في الطبعة الجديدة .

لاحظت أن هيكل احتفظ بفكرة تجنيد الأسماء اللامعة ، فجمع حوله ألمع رجال الفكر والأدب والفن والسياسة والاقتصاد .

لم أصدق ما ادعاه خصومه من أنه قلد خوفو وهو يبني الأهرام الجديد . لم أصدق أنه حطم جبال المقطم التي كانت حصون مصر وقلاعها وكسر أحجارها الجرانيت ونقلها الى مينا هاوس ليبنى بها هرما يتفرج عليه السواح الاجانب .

فان هرم هيكل الذي رأيته يتألف من عقول تنبض ولا يتألف من أحجار صامتة .

---

(١) صورة من نص المقال بخط الاستاذ علي أمين في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ٣٠) .

وهي ليست قاعدة فاخرة لتمثال هيكل . . . . وانما هي مصانع للفكر والمعرفة .

وانني سعيد بأن هيكل اتبع أسلوب مدرسة أخبار اليوم مع محرريها وأغدق عليهم المرتبات ، ووفر لهم مكاتب فاخرة لم يحلم بمثلها أنطون الجميل باشا .

ولكن أخبار اليوم كانت لا توفر لكتابها المرتبات الضخمة فحسب !

كانت توفر لكل منهم الحرية الكاملة لمعارضة أصحاب الجريدة . كان كبار المحررين يعارضون على صفحات أخبار اليوم آراء أصحاب الدار . كانوا يناصرون في بعض الأحيان الذين يلقون القنابل على أخبار اليوم ويحاولون اشعال النار فيها .

كنت أحارب فكرة الحزب الواحد ، وكان هيكل يؤيدها . وكان مصطفى أمين يؤيد معاهدة صدقي بيفن ويلعنها . . . وكان كامل الشناوي يرفض هذه المعاهدة ويلعن من يطالبون بتوقيعها . وكان للحزب الوطني عمودا خاصاً(١) في آخر لحظة يعارض فيه أخبار اليوم واتجاهاتها .

كانت الخلافات بين المحررين ورؤساء التحرير تنشر في صحف الدار ولا تحبس في الحجرات المغلقة .

ولكني لا أجد مثل هذا الخلاف على صفحات الاهرام !

فهل نجح هيكل فيما فشلنا فيه ، أو على الأصح ما لم نسع اليه ؟ هل استطاع الساحر أن يسحر عقول مفكري الأهرام ، أو أن سحرة الأهرام استطاعوا أن يسحروا عقل هيكل فلم يختلف مرة واحدة مع واحد منهم ؟

أو ان الساحر الحقيقي هو الرقيب الذي يشطب كل رأي يختلف مع رأي الحاكم !

ولقد بدأ هيكل أخيرا يختلف مع بعض آراء الحكام (٢) ، وينشر آراء لا

(١) الصحيح : عمود خاص .

(٢) الخلاف المفتوح وقتها حول الاتفاقات مع اسرائيل ، والعلاقات الجديدة مع الولايات المتحدة ، والانصياع لسياسة عناصر عربية تقليدية هي بطبيعتها وظروفها أبعد ما تكون عن فهم حقائق صراعات العصر وقوانينها وضروراتها .

أوافق عليها شخصيا ، ولكني أعجب بها لشجاعتها .

لماذا تقتصر هذه الشجاعة على هيكل ؟

لماذا خاف باقي الكتاب . . . وتشجع هيكل ؟

هل أصبحت الحرية تمنح بتأشيرة على جواز المرور فلا ينتقل الكاتب الى مرحلة الحرية الا اذا وافقت سلطات الأمن ؟

أو أن المفكرين رأوا رأس الطير الطائر . . فخافوا على رؤوسهم ؟

لقد كنت أسمع في السنوات الماضية آراء جريئة جدا لبعض المفكرين .

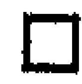
قرأت مقالات لهم لم تر النور .

ثم عشت مأساة حرمان بعضهم من الكتابة . . . وقد اشتركت في حملة الدفاع عنهم واستنكار كسر أقلامهم ، رغم أن عددا منهم ضربني بالخناجر في ظهري . . . أو أغمض عينيه والدماء تسيل من قلبي !

كنت أتتبع الجهود الضخمة التي يبذلها هيكل لرفع هذا الظلم . . . ولكن الأقلام الكبيرة أصيبت بالسكتة القلبية !

بل هذه الأقلام أدارت ظهرها لكل ظلم وقع على صحفي .

نحن الذين نحول الحكام الى طغاة ! »



كان علي أمين واقفا الى جواري وأنا جالس الى مكتبي أقرأ ما كتب .

وتوقفت عن القراءة وسألني بطريقته :

ـ « هيه . . هيه . . ما رأيك ؟» .

وقلت له : « اجلس أمامي ودعنا نتكلم بهدوء». وبدت على ملامحه مسحة من خيبة الأمل . وجلس .

واستطردت :

ــ « دعنا نفكر بمنطق .

أولا ـ انني أريدك أن تعود للكتابة ، والأهرام بيتك على أي حال .

وثانيا ـ ان هذا الموضوع لا يقتصر عليك وعليّ فقط . . . أنا أملك أن أستقبلك في الأهرام وأن أدعوك الى مكتبي فيه وأن أتمتع بصحبتك طول النهار. لكن الكتابة للناس بعد كل ما حدث تقتضي تمهيدا لا بد أن نتبين فيه رأي جهات أخرى، ولا أستطيع أن أبت فيه وحدي . . . على الأقل لا بد من استئذان الرئيس .

وثالثا ـ فانت عائد الى مصر بعد غياب طويل ، واذا كتبت للناس فلا بد أن تقضي بينهم في مصر فترة تستطيع فيها أن تتحسس اهتماماتهم وقضاياتهم .

هذا كله من الناحية العامة .

وتبقى ناحية شخصية :

انني سعيد وفخور بما كتبته عني ، ولكني أخشى اذا أنا نشرته الآن أن يسيء أحد فهم معناه وقصده خصوصا وأنا رئيس تحرير الأهرام ، ثم أنت تعرف بعض أصدقائك القدامى وكيف يفكرون وماذا يقولون ويفعلون !» .

ثم استطردت :

ــ « دعنا ننتظر بضعة أيام ثم نرى . انني سأكون مشغولا مع ميتران [1] في الأيام القادمة ، وسوف أقابل الرئيس دون شك أكثر من مرة في الاسبوع

---

(١) كان الرئيس الفرنسي الحالي فرنسوا ميتران أيامها رئيسا للحزب الاشتراكي ، وقد دعوته الى مصر وقبل الدعوة وجاء لزيارة استغرقت عشرة أيام .

القادم . منها مرة على الأقل أقدم له فيها ميتران . وسأنتهز فرصة أحدثه فيها عن أمر عودتك للكتابة » .

ثم قلت له :

« انني اريد أن أشرح لك نقطة التبست عليك فيما لاحظته على الاهرام من عدم ظهور الخلافات بين محرريه على ظاهر صفحاته » .

قلت له :

ـ « ليس هناك سحر ولا ساحر . . . لم أسحر عقل أحد ولا أظن أن أحدا سحر عقلي كما تصورت .

انني ببساطة أطبق هنا في الأهرام ما استقرت عليه الصحافة الحديثة في العالم .

اختلفت الصحافة الآن عما كانت عليه في العصر الحرفي السابق . هي الآن مؤسسة لها سياسة يقررها مجلس تحرير .

ما نتفق على تأييده نؤيده ، وما نتفق على معارضته نعارضه ، وتصدر آراؤنا كلها معبرة عن رأي جريدة .

عندما قررنا مثلا أن ندعو الى سيادة القانون ناقشنا واستقر رأينا وكلفنا جمال العطيفي أن يكتب في هذا الموضوع . عندما قررنا أن ننقد سياسة الثقافة في مصر ناقشنا واستقر رأينا على أن يكتب الدكتور لويس عوض .

في النهاية هي مؤسسة لها موقف من القضايا والتطورات .

وهي تبدي رأيها فيه كمؤسسة لها سياسة . تؤيد ما تراه مستحقا للتأيد وتعارض ما تراه مستحقا للمعارضة ، ويحدث ذلك نتيجة حوار تشهده ـ كما خبرت بنفسك ـ قاعة اجتماعات مجلس التحرير ـ وكثير منه يظهر على الصفحات ولكن بأسلوب الحوار وليس بأسلوب المشادة أو الخناقة ـ كما كان يحدث في الماضي وحين كان كل محرر « دكانا » صغيرا يفكر ويتحرك من موقع معزول عن غيره ومعزول عن المجرى الرئيسي للاحداث .

وسألني الاستاذ علي أمين : « هل أريده أن يشطب هذه الجملة ؟ » . وقلت : بالعكس . . ان المقال « كله على بعضه » يرضي كبريائي ، وأنا لا أتصور أن يكتب عني أحد بأحسن مما كتبه هو . وحتى النقطة التي حاولت شرحها له عن « الخلاف والساحر والسحر » تعطينا الفرصة عندما ننشر أن نعلق موضحين أسباب التباين بين القديم والجديد » .

وأخذته معي لنصعد الى الدور الأخير في الأهرام نتغدى معا ، ومعنا عدد من مفكري وكتاب الأهرام !

الفصل الثالث

حكايـــات الافـــراج !

كان التوتر يزداد في العلاقة ما بين الرئيس أنور السادات وبيني مع كل يوم ، بل كل ساعة تقريبا .

وكان الخلاف قد استحكم منذ زيارة كيسنجر للقاهرة يوم ٧ نوفمبر ومحادثاته السرية مع الرئيس السادات .

ومع انني لم أعلم في حينه بما توصل اليه الاثنان من نتائج في هذه المحادثات،الا أن بعض آثارها الظاهرة راحت تثير قلقي ومخاوفي .

ولقد وجدت أوراق التفاوض تخرج من أيدينا واحدة بعد أخرى بلا ثمن ولا مقابل . وتكررت لقاءتنا عنيفة وعاصفة . ثم قررت أن ابتعد تماما عن الاشتراك فيما يجري وأن أحدد موقفي بما أكتبه في مقالاتي ، ولتكن النتائج ما تكون .

وأخطرت الرئيس برأيي في الخيار الذي عرضه عليّ ما بين العمل في الرئاسة ـ مستشارا للأمن القومي ـ أو العمل في الوزارة ـ نائبا لرئيس الوزراء ـ وقلت أنني شاكر له كرمه ، ولكني أوثر ـ ما دام قد رأى أن أترك الأهرام ـ أن أتفرغ لكتبي ولديّ منها ما يشغلني سنوات طويلة .

وكنت أريد أن تتم زيارة فرنسوا ميتران بسلام ، وبعدها يكون لكل حادث حديث .

وهكذا في تلك الأيام فانني كنت ألقاه ولا أتعدى حدودا رسمتها لنفسي وهي أن لا أسأل عما يجري وانما أستمع فقط الى ما يقول وأبدي رأيي في حدود ما هو مطلوب مني . . . لا أتجاوزه .

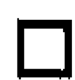
وقابلته يوم ٢١ يناير قبل أن يصل ميتران بيوم واحد .

وقال لي فيما قال يومها : « انه قرر الافراج عن بعض قادة الطيران الذين حوكموا بعد سنة ١٩٦٧ وبينهم الفريق صدقي محمود » .

وقال : « ان حسني (يقصد الرئيس حسني مبارك الذي كان قائد سلاح الطيران أثناء حرب اكتوبر) جاءني وقال لي أن « الاولاد » في الطيران يطلبون من سيادتك مكرمة لن ينسوها وهي الافراج عن صدقي محمود فهم يعتبرونه استاذهم. وعلى أي حال فانهم في حرب اكتوبر سددوا كل ديون الطيران من حرب سنة ١٩٦٧. ووافقت ولا تتصور سعادة حسني وسعادة الأولاد في الطيران » .

وقلت : « الحقيقة أن قائد الطيران ـ وشبابه ـ يستحقون أن يجابوا الى ما طلبوه » .

وقال : « سأجيبهم . . . أبلغتهم فعلا » .



وانتقل بالحديث الى موضوع آخر ، فقد راح يبدي اعجابه بـ « هنري كيسنجر » ويلومني على شكوكي فيه ، وبين ما قاله يومها : « ان هذا الرجل ـ يقصد كيسنجر ـ هو الشخص الوحيد في العالم الذي يستطيع أن يقول لهذه المرأة ـ يقصد جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل ـ « اخرجي » فلا تستطيع أن ترد له أمرا » .

وكان لي رأي مختلف عبرت عنه وبوضوح ولكن باقتضاب .

وأبدى ضيقه . وسألته سؤالا مباشرا وهو « أنني قرأت في بعض التقارير

الصحفية أن كيسنجر أقنعه بارسال خطاب مكتوب منه الى جولدا مائير وهذا ـ لو صح ـ خطير ؟ » .

ورد على الفور : « أنا لم أكتب لها خطابا ، هي التي بعثت اليّ برسائل شخصية عديدة مع « هنري » .

واستطرد : « طلباتها لا تنتهي هذه المرأة ولكني لن أعطيها الفرصة لتراوغ . . . انني أطاوعها فيما تطلبه حتى أجعل من الصعب عليها أن ترفض ما أطلبه . » .

وواصل كلامه :

ـ الآن تريد مني أن أفرج عن كل المسجونين « عندي » من جواسيس اسرائيل . . . غريبة أنها تلح بشدة على « الولد » مزراحي ـ لا بد أنه كان مهما جدا بالنسبة لهم . . . تصور هي أيضا تريد أن تأخذ جثث « الاولاد » الصهاينة الذين قتلوا لورد موين سنة ١٩٤٥ في القاهرة . . . ركبت رأسها مع هنري وصممت عليهم » .

ولم أكن أقاطعه فاستمر :

ـ « طبعا « هنري » استغل الفرصة بالمرة وطلب مني هو الآخر أن أفرج عن عدد من الأشخاص حكم عليهم في قضايا تجسس لصالح المخابرات الأمريكية . . على أي حال لن « أوجع رأسي » بهؤلاء جميعا ، سوف « أعطيهم لهم » وأخلص نفسي » .

ثم ـ على غير انتظار أو توقع ـ فاجأني بسؤال :

ـ « ما رأيك في الافراج عن مصطفى أمين ؟ (١) ألم تطلب مني أكثر من مرة أن أفرج عنه ؟ » .

---

(١) سجلت مجمل وقائع هذا الحوار مع الرئيس السادات رسميا في محاضر التحقيق الذي أجراه معي المدعي الاشتراكي بعد قرار الرئيس السادات باعتقالي ضمن اعتقالات ٥ سبتمبر ١٩٨١ المشهورة ، وقد حرصت على ذكرها في التحقيق وفي مواجهة السلطة لكي لا يكون هناك مجال لالتباس . وعلى أية حال فان =

ويبدو أن علامات دهشة بدت على ملامحي فقد استطرد بالحرف :

ـ « لماذا تشعلق حواجبك من الدهشة هكذا . . . انهم يطلبونه وأنا أريد أن أجاملهم فيه » .

وتساءلت :

« من هم ؟ » .

وقال :

ـ « كثيرون . . . الأمير سلطان طلبه مني وكمال أدهم أيضاً » .

وسكت لحظة ثم استطرد :

ـ « . . . ولماذا لا أجامل الأمريكان فيه ؟ » .

قلت :

« الأمر لك بالطبع . وان كنت أخشى من أن الافراج عنه في هذا الاطار الذي كنت تتكلم فيه ـ اساءة اليه . . . لماذا لا تجعل فاصل أسبوع أو أسبوعين بين الافراج عنه وبين الافراج عن كل هؤلاء الذين طلبتهم جولدا مائير وطلبهم هنري كيسنجر . . . » .

ثم قلت :

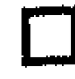
« اني جئت الآن وكان في نيتي أن أنقل اليك رسالة من علي أمين يرجوك فيها الافراج عن توأمه ، وهو على استعداد لان يأخذه من باب السجن الى باب طائرة تذهب بهما الى أي مكان خارج مصر » .

وقال بسرعة :

ـ « عال » . . . يأخذه « ويغوروا » !

= برقيات كيسنجر ـ ذلك الوقت ـ في الالحاح على الافراج عن جواسيس المخابرات المركزية وعن جواسيس اسرائيل ـ موجودة ـ ولديّ على الأقل واحدة منها ، ولأنها تتضمن أشياء أخرى خاصة بترتيبات اتفاق فك الاشتباك الأول فاني تحرزت من نشرها حتى لا أجد قانون الوثائق يطبق عليّ !

ولاحظ أنني لم أكن مستريحا لمجرى المناقشة فنظر اليّ بنصف ابتسامة ونصف عين وقال :

« أنت تدعي أنك تفهم في السياسة ، وأنا أقول لك العكس . لو أنك كنت تفهم في السياسة لوافقتني على ما قلت بالعكس . . من الأفضل الافراج عن مصطفى ضمن هذه الصفقة حتى لا يتجاسر يوما ويفتح فمه ، واذا فتحه فانا نقدر أن نضربه بـ «  » ![1] .

ولم يكن لديّ ما أقوله !

□

ورأيت علي أمين في الأهرام في اليوم التالي ولمحت الى أن مصطفى قد يفرج عنه قريبا ، وفوجئت به يقول :

ــ « انني سوف أقابله غدا في طره » .

ثم أخبرني بشكل غامض أنه التقى أمس مع بعض أفراد أسرة الرئيس السادات وأنه كان في بيت الاستاذ محمود أبو وافية [2] ـ صهر الرئيس ـ الى الساعة الثانية صباحا .

وقلت له بالانجليزية : «Good for you» (خير لك) !

---

(١) طبق الرئيس السادات فيها بعد نظرياته . فحين أحس بعد عودة الاستاذ مصطفى أمين الى الكتابة وبعد وراثته لباب « فكرة » من توأمه ـ أنه خرج همسة عن الخط فيها يكتبه ! ـ أصدر أمرا بالتليفون بوقفه عن الكتابة وبرفع اسمه من قوائم تلقي التبرعات في دار أخبار اليوم ، وظل قرار الوقف نافذا حتى ليلة زفاف ابنة الرئيس السادات الصغرى الى نجل المهندس عثمان أحمد عثمان ، وفي مهرجان الفرح جاء بعض أفراد الأسرة وحواشيهم بالأستاذ مصطفى أمين فدخل وسط الموائد وانحنى يهنىء الرئيس السادات الذي ظل جالسا ثم أشار بيده بما يعني أن عفوه صدر . وعاد الاستاذ مصطفى أمين يكتب باب « فكرة » من جديد . . ولكن اسمه لم يعد الى قوائم التبرعات وتلقيها الا بعد حادث المنصة !ومن بعد هذا الحادث ـ بشهور ـ وليس قبله بيوم واحد ـ ارتفع الستار عن دور جديد في القصة : دور الدفاع عن الديمقراطية !

وكان المسرح كله قد تغير بما في ذلك المخرج والمشهد وحتى المتفرجون !

(٢) في تلك الأيام كان بيت الاستاذ محمود أبو وافية قد تحول الى سهرة سياسية كل ليلة تتقرر فيها أشياء وتترتب أمور .

ولم أقل أكثر ، فقد أدركت أن مسالك خلفية قد انفتحت وراحت الحركة تدب فيها ، ولم أر أن ذلك من شأني .

واستغرقتني زيارة « فرانسوا ميتران » وان لم تمنعني من متابعة ما يجري ، وكان أهمه عملية الافراج عن الذين أصرت جولدا وكيسنجر على الافراج عنهم من الأشخاص والجثث .

وفي يوم ٢٧ يناير أصدر الرئيس السادات قرارا بالافراج الصحي عن الاستاذ مصطفى أمين .

وفكرت طويلا كيف ننشر الخبر وبماذا نعلق عليه ؟ وكتبت بنفس تعليق الأهرام في العدد الذي صدر صباح يوم ٢٨ يناير ، وكان نصه :

« ان الصحافة المصرية تتلقى القرار بالافراج عن الاستاذ مصطفى أمين بعرفان بالجميل عميق . ذلك لأنه لا جدال في أن الدور الذي قام به الاستاذان مصطفى أمين وعلي أمين هو حلقة في حياة وتطور مهنة الصحافة في مصر . وهذه المهنة قدمت وما زالت تقدم لهذا الوطن وهذه الأمة جهداً عظيماً أسهم ويساهم بطريقة مؤثرة في تشكيل فكرها وحركتها » .

ثم رأيت أن أمر على بيت الاستاذ مصطفى أمين أهنئه بالافراج عنه ، ومررت عليه واستقبلني بالاحضان ، لكن شعورا داخليا جعلني أحس أنها أحضان « ميكانيكية » !

ولم أجد الاستاذ علي أمين معه وسألته عنه ، واذا هو يقول لي :

— « ان علي « تضايق » عندما قرأ تعليق الأهرام اليوم فقد تحدث عن دورنا في الصحافة بالفعل الماضي » .

ولم أدخل في جدل .

دقائق لمجاملات عادية ، ثم خرجت أتركه لغيري ممن بدأوا يتوافدون على بيته !



ومساء يوم ٣١ يناير صحبت فرنسوا ميتران الى مطار القاهرة مودعا ، ثم عدت الى الأهرام في الليل ، ثم قصدت بيتي . وهناك أبلغت أن الرئيس السادات أصدر قرارا بتعييني مستشار له « وتعيين الدكتور عبد القادر حاتم رئيسا لمجلس الأهرام » .

وصباح أول فبراير دعوت الدكتور عبد القادر حاتم الى الأهرام لكي يتسلم كل شيء فيه . وكان رأيي أن من اللائق بالأهرام وبي أن يتم انتقال متحضر .

وهكذا جمعت مجلس الادارة ومجلس النقابة ومجلس التحرير وقدمت لهم الدكتور حاتم باعتباره المسئول الجديد ، ثم سلمته تقريرا من العقل الاليكتروني عن اقتصاديات الأهرام وتوزيعه وأرباحه .

ثم غادرت المبنى لآخر مرة في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر عارفا أنني لن أعود اليه مرة أخرى مهما حدث أو يحدث ، فانا لا أومن بأن التجارب قابلة للتكرار وأن التاريخ يعيد نفسه !

وسألتني وكالات الانباء العالمية فأصدرت تصريحا مقتضبا يقول « انني استعملت حقي في ابداء رأيي على صفحات الأهرام ، ثم استعمل الرئيس السادات سلطته في ابعادي عنه ، وهكذا فان كلا منا مارس ما لديه » .

واتصل بي السيد عبد الفتاح عبد الله وزير شئون رياسة الجمهورية وقتها ـ رقيقا ومتفضلا ـ يبلغني أنه أعد لي جناحا من خمس غرف في قصر عابدين ويسألني متى أنوي الحضور ، واذا كانت لي طلبات فيها يتعلق بمكتبي وما اذا كنت أريد انتداب سكرتارية لي من الأهرام للعمل معي في رئاسة الجمهورية ؟

وقلت له : « انني لن أذهب الى عابدين » .

وقال : « ولكن سيادة الرئيس أصدر قرارا » .

وقلت : « هذا حقه ، ويبقى بعده حقي أن أقبل أو لا أقبل » .

وتقاطر على بيتي بعد الظهر عدد من كبار المسئولين بينهم أصدقاء لي وأصدقاء للرئيس السادات ـ يحاولون ابقاء الجسور مفتوحة وأول فتحها أن أذهب غدا الى عابدين .

وبقيت على رأيي .

وبعث اليّ الرئيس السادات بواسطة صديق مشترك للطرفين ما يكاد أن يكون تحذيرا نهائيا .

كان ذلك صباح ٢ فبراير .

« اذا لم أستجب وأنفذ قراره وأتسلم عملي في عابدين فهو اذن خصام الى الأبد » .

« انه صبر عليّ وقد خالفته كثيرا وعارضته حوارا وكتابة وأردت أن أفرض عليه آرائي . وقد قبل مني أكثر مما قبل من غيري ، لكن عليّ في النهاية أن أدرك أنه الرئيس وأنه وحده صاحب الحق في القرار » .

« ان كثيرين قبلي خرجوا من الصحف ثم عادوا اليها ، وهذا يمكن أن يحدث لي ،والكل يعرف أنني لا أتحمل فراق الأهرام بعد أن فعلت له كل ما فعلت » .

« ان الرئيس غاضب ويقول انك حولت في كتاباتك « هزيمة سنة ١٩٥٦ » الى نصر بينما أنت تصف قيمة حرب أكتوبر بأنها نصف انتصار » .

وسمعته كله دون تعليق حتى جاءت الملاحظة الأخيرة ، فقلت :

ـ « انني أرجو أن يفهم الرئيس أن الحرب ليست معارك دبابات ومدافع وانما هي صدام ارادات ، ونتيجة الحرب معلقة بالهدف السياسي الذي من أجله دارت المعارك ، اذا كان الهدف ـ بعد توقف المعارك . مع طرف فانه المنتصر ، واذا لم يكن معه فهو المهزوم .

ان حرب السويس انتهت وقناة السويس ـ جائزة الحرب ـ في يد مصر وسيطرتها عليها كاملة ، بل ان مصر استعادت سيناء وقطاع غزة وبغير شروط على السيادة .

ومن هنا فان السويس انتصار لا شك فيه .

اننا بذلنا في حرب أكتوبر جهدا عظيما لا تسمح لنا الظروف بمثله مرة أخرى، وحرام أن يذهب هذا الجهد دون أن يحقق جوائزه السياسية التي هي الفارق بين النصر والهزيمة .

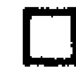
ان الجيش انتصر لا شك ، ولكن الشك يراودني في قدرة السياسة ـ وفق ما أراه يحدث أمامي ـ على تحقيق أهدف الحرب . . . على انتزاع الجوائز السياسية من قلب المعارك .

لن تستطيع مصر لسنوات طويلة أن تحشد مثل هذا الجهد .

ولن يتاح للطرف العربي مرة أخرى بسهولة أن يبني هذا التحالف العظيم الذي أدهش العالم .

خوفي هو على تضحيات الرجال والنساء والأطفال أن تذهب كلها هباء . في مناورات ضاعت فيها الاستراتيجية وسط ألعاب ومناورات التاكتيك !!

قولوا للرئيس أن يعيد قراءة كتاب « كلاوزفيتز » المشهور « عن الحرب » .



ومساء نفس اليوم أصدر الرئيس أنور السادات قرارا بتعيين الاستاذ علي أمين مديرا لتحرير الأهرام .

وطبقا لسجلات الأهرام فان الاستاذ علي أمين حين دخل الى مكتبه الجديد طلب ثلاث مكالمات تليفونية مع الخارج :

منها اثنتان للمملكة العربية السعودية : واحدة للرياض وثانية لجدة !

(كانت الثالثة للندن) .

الفصل الرابع
اذن مــا هــو القصــد ؟

كان الأسبوع الأول من فبراير ١٩٧٤ بحراً هائجاً في حياتي .

من ناحية كانت صحف العالم تعتبر خروجي من الأهرام موضوعاً رئيسياً . وفي يوم واحد كانت افتتاحيات أربعة من الصحف الكبرى تركز عليه : « الموند » و« التيمس » و« الواشنطن بوست » و« الدي فيلت » ـ وكان ذلك يثير غضب الرئيس السادات وحفيظته ، وهو ما كنت أريد أن أتجنبه .

وكانت هناك روايات تتناقلها برقيات وكالات الأنباء بينها أن هنري كيسنجر كان سبباً رئيسياً في أسباب خروجي من الأهرام لأنه احتج على معارضتي العلنية لاتفاق فك الارتباط . وبالفعل فقد رأيت رسالتي احتجاج في برقيات شفرية بعث بها كيسنجر الى الرئيس السادات : واحدة من بكين وكان يزورها ، والثانية من واشنطن بعد أن عاد اليها . وفيما بعد لمح اثنان من الكتّاب السياسيين ـ أحدهما أمريكي اسرائيلي هو « آموس برلموتر » [1] وثانيهما هو « ادوارد شيهان » [2] ـ الى أن كيسنجر كان له دور [3] . ولم يضايقني

---

(١) و(٢) مقال « برلموتر » في مجلة الشئون الخارجية ، وكتاب « ادوارد شيهان » عن الاتصالات السرية لمفاوضات فك الاشتباك ـ وكلاهما نشر في صيف ١٩٧٦ .

(٣) لم يؤثر ذلك في علاقتي بعد ذلك بهنري كيسنجر ، فقد اعتبرت أننا كنا طرفين في صراع على مصالح متناقضة ـ كان هو يفكر ويتكلم لما يراه صالحاً للولايات المتحدة ، وكنت أنا على الطرف النقيض بالطبع .

ذلك ، وانما تذكرت مؤتمراً صحفياً للرئيس السادات (٤) قال فيه بنفسه أن « بادجورني » الرئيس السوفييتي طلب منه سنة ١٩٧١ اخراجي من الأهرام لأنني معاد للسوفييت .

ولم أشعر أن في شيء من ذلك ـ مهما كانت درجة الصدق فيه ـ ما يؤثر في أو في نظرتي للأمور : لا اعتراض بادجورني عليّ يؤثر في ايماني بأهمية العلاقات العربية السوفييتية ـ ولا اعتراض كيسنجر عليّ يؤثر في اعتقادي بأن مقاطعة الولايات المتحدة خطأ وخطر !

وفي نفس الوقت راحت الأنباء تربط اسمي بعروض لانشاء دور صحفية خارج مصر . وكان بعض هذا صحيح ، ولكني كنت قد استبعدت ذلك الخيار تماما من قائمة ما هو متاح أمامي الآن وغدا وبعد غد !

وكان هناك طوفان من الزوار يتدفقون على بيتي بفيض من المشاعر ، وما زلت حتى اليوم أشعر بالعرفان حيالهم .

ثم كانت هناك أسرة « الأهرام » وقد أحاطت بي كأنها درع فولاذ يريد أن يصد عني أي سهم طائش بل أي ريشة طائرة ، وكنت أبذل جهدا فوق العادة حتى لا يحدث تصرف عاطفي أو كلمة عفوية تزيد تعقيد الأمور .

وكانت الأمور تتعقد في الأهرام بصرف النظر عن أية محاولات للتهدئة ـ فان الاستاذ علي أمين ـ الذي تولى ادارة التحرير ـ راح يتصرف باندفاع .

كان في حاجة ـ كما حاولت أن أشرح له يوم أن كان ضيفي قبل أيام ـ الى أن يعطي نفسه فرصة ليتعرف على تطورات ضخمة حدثت في غيابه ، وكان في حاجة الى أن يستوعب ، وكان في حاجة الى أن يعرف أن الجريدة في الصحافة الحديثة مؤسسة ، وفي كل الأحوال فان الأهرام في السبعينات كان تركيبة تختلف تماما عن تركيبة أخبار اليوم في الخمسينات .

---

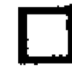
(٤) مؤتمر صحفي للرئيس السادات في مبنى الاتحاد الاشتراكي العربي في يوم ١٨ يوليو ١٩٧٢ ـ وقد حضره كل رؤساء تحرير الصحف المصرية في ذلك الوقت .

ولم يكن ذلك شأني ولا شغلت نفسي به ، لكن بوادر صدام لم تلبث أن ظهرت بينه وبين كل من في الأهرام ـ هؤلاء الذين شاركوا في بنائه من جديد معي وعلى قاعدة مؤسسية .

وأراد الرئيس السادات أن يقطع ويحسم وأن يظهر تأييده للوضع الجديد في الأهرام ـ بصرف النظر عن آراء ومواقف كل العاملين فيه ـ فأصدر في ٨ فبراير ١٩٧٤ قرارا بتعيين الاستاذ علي أمين رئيساً لتحرير الأهرام .

ولم يهدأ الصدام ، بل انفجر حتى اضطر الرئيس السادات اضطرارا في شهر مايو من نفس السنة ـ أي بعد أسابيع قليلة ـ أن ينقل الاستاذ علي أمين من الأهرام ويعيده الى دار أخبار اليوم رئيساً لمجلس ادارتها ومعه الاستاذ مصطفى أمين رئيساً للتحرير .

وبدأت رياح الخماسين تهب حملة شعواء على جمال عبد الناصر وعصره ـ ابتداءاً من اتهامه بقتل الدكتور أنور المفتي لأنه اكتشف « جنونه » ! الى « كارثة » « السد العالي » و« مصائب » « التصنيع » و« نكبات » « القطاع العام » و« استعمار » الاتحاد السوفييتي لمصر و« السفه » في مساندة حركات التحرر في العالم العربي وافريقيا وأمريكا اللاتينية الى آخره ! ثم الصورة المخيفة التي رسمت لقضايا الحريات وبدت مصر فيها وكأنها جزء لا يتجزأ من عصر النازي [١] !



(١) كانت هناك بالتأكيد تجاوزات في استعمال السلطة ، ولكن الذي تصدى لهذه التجاوزات كان هو الأهرام وليس أي صحيفة مصرية أخرى . كنت أنا الذي كتبت عن « زوار الفجر » وعن المجتمع المفتوح وعن سيادة القانون وعن مراكز القوى وفي نقد قرارات الاعتقالات والحراسات والفصل ـ رغم أن بعضها كانت له دواعيه الاجتماعية . وكان الدكتور جمال العطيفي هو الذي كتب عن سيادة القانون ، وكان الاستاذ توفيق الحكيم هو الذي كتب قصة « بنك القلق » (عن المخابرات) ، وكان الاستاذ نجيب محفوظ هو الذي كتب « ثرثرة على النيل » (عن الاتحاد الاشتراكي) ـ ولم نكتب جميعاً ذلك كله « بعد » ولكننا كتبناه « أثناء » ـ وسوف أكون سعيداً اذا أبرز أي من هؤلاء الذين يتكلمون اليوم مقالاً كتبه ونشر أو مقالا كتبه وحذفته الرقابة ـ عن أي من هذه الموضوعات !

كنت بعد الأسبوع الأول من شهر فبراير ـ أسبوع البحر الهائج من حولي ـ قد قررت بسرعة أن أبتعد الى جزيرة نائية .

لم أكن أريد أن أكون طرفاً في شيء مما رأيته يهدر أمامي متدفقاً كحمم البركان . كان رأيي أن تترك البراكين كلها تنفجر على هواها وتفرغ المحبوس في صدرها من اللهب حتى تهدأ وتخمد وتتحول كل النيران الى رماد وكتل صخر جامد وبقايا دمار .

مثل ذلك يحدث في التاريخ وازاء كل تحول كبير ابتداءاً من أديان السماء (الردة بعد الاسلام) الى ثورات الأرض (عودة البوربون بعد الثورة الفرنسية) .

ولم يكن بي خوف على الحقيقة . . . في يوم من الأيام سوف تشرق الشمس . ثم أن حركات التغيير الانساني كلها لم تتأكد الا بمحاولة نفيها .

كانت الجزيرة النائية التي عزلت نفسي فيها وابتعدت هي مكتبي في بيتي . وركزت جهدي كله على كتابة « الطريق الى رمضان » ، وكان كتابا عن مصر من أعقاب سنة ١٩٦٧ الى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وكانت الأصوات والأصداء تصلني عما يجري خارج مكتبي ، وبالذات في كواليس السياسة والصحافة ، ولم أسمح لنفسي أن أنشغل به كثيراً . وكان بعض أصدقائي يبدون دهشتهم مما ظهر لهم وكأنه نوع من اللامبالاة . ولم يقنعهم قولي أنني أمام لحظة انحسار تاريخي لا بد لها أن تأخذ مداها . ثم أن اعتراضها نوع من الحمق أولى منه التذرع بالصبر حتى تفرغ السحب شحناتها من البرق والمطر ثم تشرق الشمس ويتجلى وجه الحق والحقيقة .

وراحت الحملة لا تلوي على شيء .

وجاءني الشباب من أبناء جمال عبد الناصر ـ أبناؤه بالطبيعة فعلا أو أبناؤه بالتاريخ فكراً ـ يسألون في ذهول : « هل يعقل هذا الذي يكتب الآن عن جمال عبد الناصر » ؟

وكان ردي :

- « انكم لم تروا بعد شيئاً . ما هو قادم أكثر مما رأيناه . وعليكم أن تتذكروا ما حدث لغير جمال عبد الناصر في تواريخ غير مصر من الأمم . تذكروا ما حدث « لأوليفر كرومويل » مثلا . كان قد قاد أول ثورة في أوروبا ضد الملكية وهوى رأس الملك ، وحين دارت العجلة ومات كرومويل وعادت الملكية الى انجلترا أصر ابن الملك العائد الى العرش بعد انتكاسة الثورة - على تنفيذ حكم الاعدام في كروميل ، ولكن كروميل كان قد مات . وهكذا بأمر الملك الجديد حفر قبر كروميل وأخرج هيكله العظمي وعلق من حبل مشنقة » .

وقلت :

- « ان أحداً لم يفعل هذا حتى اليوم . . . ومع ذلك فأنا لا أستبعد حدوثه في يوم من الأيام » .

وقلت :

- « احتفظوا بثقتكم في الشعب المصري ، فهو في ما يجري الآن ضحية ، لا دخل له بما يحدث . وربما ينزعج منه ، وربما يتأثر به البعض ، لكن التاريخ لا يتوقف عند لحظة بعينها وانما هو حياة مستمرة حية والى الأبد !

ان المستهدف ليس جمال عبد الناصر ولكن المستهدف هو مصر . يريدون تغيير دورها ومسار هذا الدور على الأقل - أو يريدون تغيير شخصية مصر وطبيعة هذه الشخصية اذا أمكن [١] . وتلك كلها مستحيلات . دور أي شعب حقيقة جغرافيا وشخصية هذا العشب حقيقة تاريخ - وتلك قضايا أكبر وأبقى من لحظات بعينها » [٢] .

(١) ظهر بالتجربة أن الهدف هو فتح مصر للنهب من الداخل باسم « الانفتاح » . وفرض الاستسلام عليها في الخارج باسم « السلام » !

(٢) من سوء الحظ أن بعض أدباء مصر كانوا يطمحون في الحصول على جائزة « نوبل » للآداب ، وهذا طموح مشروع وربما كان بينهم من يستحق فعلاً - لكن سوء الحظ يجيء من اعتقاد ترسخ لديهم بأن =



ومضت أيام وأسابيع . . .

ثم فوجئت بمجلة « الحوادث » اللبنانية - التي تصدر في لندن - تبدأ في نشر سلسلة من التحقيقات عنوانها « ماذا فعل الطريد هيكل بالشريد علي أمين » .

وجمعت سلسلة التحقيقات في ملف واحد وضعته في أحد الأدراج واعتبرت الأمر من جانبي منتهياً .

كنت أعرف أن مجلة « الحوادث » في ذلك الوقت تنطق بلسان جماعات معينة في العالم العربي . . جماعات لها اتجاهات ومصالح وارتباطات لا أريد الآن أن أخوض فيها لسبب واحد وهو أن صاحبها الاستاذ « سليم اللوزي » لقى مصرعه في ظروف مأساوية تثير غضبا حقيقيا في نفس أي انسان ، بصرف النظر عن أي اعتبار .

لكن بعض ما حوته السلسلة لفت نظري ، وكان واضحاً أن مصدره الاستاذ مصطفى أمين .

بينه - على سبيل المثال - أنني كنت وراء قانون تنظيم الصحافة لكي أسيطر على المهنة .

وبينه أنني قمت « بنفي » علي أمين الى لندن .

وبينه أنني تخليت عن مصطفى أمين وعلي أمين بعد القضية ولم أقف معهما .

وبينه أنني كنت أزوره في السجن لمجرد أن أتشفى منه .

وبينه أنني وجدت عملا في الاهرام لابنته لكي أتظاهر أمام الناس لا أكثر ولا أقل .

= « اليهود » وحدهم هم الذين يقدرون على اعطاء الضوء الأخضر ، وكان أن انزلق بعض هؤلاء الأدباء دون روية الى ما تصوروه كفيلا بلفت أنظار القادرين على تزكيتهم أمام لجنة جوائز « نوبل » !

ثم زاد العيار مع قرب نهاية السلسلة .
فاذا بي أنا تواطأت على الاستاذين مصطفى وعلي أمين !
واذا بي أنا الذي لفقت التهمة للاستاذ مصطفى أمين !

ثم اذا بي أنا الذي عارضت الافراج عنه طول الوقت وآخره مع الرئيس السادات رغم أنه كان مقتنعاً طول الوقت ببراءة الاستاذ مصطفى أمين .

ولم أغضب ولم أثر (فقد كنت أعرف الحقيقة ـ ومعرفة الحقيقة دائماً مبعث ثقة وسند سلام للنفس والضمير) . . ولكن الذي غضب وثار هو الاستاذ سعيد فريحة . كان شاهداً على كل ما حدث ، بل وكان شريكاً فيه ، ووجد ذلك اللبناني الذي تتمثل فيه صلابة الجبل وتسيل منه عذوبة ينابيعه الصافية ـ أنه لا يستطيع أن يسكت على الحق أو يكتم شهادته .

وكتب في الصفحة الأولى من « الأنوار » تفاصيل ما رآه بعينيه :

دفاعي عن مصطفى أمين أمام جمال عبد الناصر وأمام أنور السادات وتفاصيل ما قلت أمامهما والحجج التي سقتها والحاحي في الافراج عنه . وذهابي الى السجن ومعي الأدوية والفيتامينات وصناديق التفاح وعلب الدجاج . والمشاكل الكبرى التي تعرضت لها في ذلك الوقت حتى كادت بعض الشبهات أن تلحق بي أنا الآخر . . . . وغير ذلك كثير !

واتهم سعيد فريحة بأنه ينافقني ، ورد على التهمة بحزم :

ـ « انني أعرف مصطفى قبل أن أعرف هيكل بخمسة عشر عاماً، واذا كان الأمر نفاقاً فلماذا أنافق رجلاً يلزم بيته ولا أنافق هؤلاء الذين يسيطرون على مواقع القوة والنفوذ ؟ » !

ثم استبد به الغضب حتى نشر في الأنوار رسماً كاريكاتورياً « للخيانة » و« الغدر » ـ توأمين لهما ملامح لا يخطىء أحد في التعرف على أصحابها [1] !

---

(١) كنت أريد أن أستشهد هنا بنصوص ما كتبه الاستاذ سعيد فريحة . ومن سوء الحظ أن ظروف الحرب في بيروت وتخزين أرشيف صحف دار الصياد كله لم يسمح لي بالحصول على النصوص الكاملة ، وهي أقوى ألف مرة من تلخيصي السريع لها هنا .



وجاءني كثيرون يطلبون مني أن أرد . بل ان الاستاذ سعيد فريحة أبلغني أنه يضع كل امكانيات داره تحت تصرفي لكي أكتب الحقيقة التي كان شاهداً عليها .

واعتذرت .

وحينما جاء الاستاذ فريحة بعد ذلك في زيارة للقاهرة مر على مكتبي وكان في حالة تأزم نفسي جعلتني أشفق عليه .

وسألني سعيد :

ـ « هل تتصور أنهم يؤكدون أن الرئيس السادات قال لهم انك عارضت في الافراج عن مصطفى حين أخبرك به ؟ » .

ورويت له تفاصيل ما حدث . لقد رأى هو بنفسه الحاحي على الرئيس السادات في الافراج عن مصطفى .

وقد حدث فعلاً في يناير ١٩٧٤ أنني ناقشت الرئيس السادات في توقيت الافراج عن مصطفى لكي لا يبدو خروجه ضمن صفقة الافراج عن جواسيس لأن هذا يسيء اليه مدى العمر اذ يثبت عليه التهمة نهائياً .

وأردفت ذلك بتعليق أنور السادات على رأيي .

وسألني سعيد :

ـ « هل كذب عليهم وروى القصة محرفة أم هم الآن يكذبون عليه ؟ »

وقلت له : « لا شأن لي بمن كذب فيهم على الآخر ومن لم يكذب . ومع ذلك فأنا أخولك حق أن تسأل الرئيس السادات حين تقابله !

حين تقابله اسأله الأسئلة المحددة التالية :

● هل أصبح الآن يعتقد فجأة أن جمال عبد الناصر وافق على تقديم الاستاذ مصطفى أمين للمحاكمة ظلماً وتجنياً ؟ ولماذا يلفق له تهمة اذا كان قد

ضاق به ؟ ومع ذلك فلماذا يضيق به وقد كانت كل مقالات الاستاذين مصطفى وعلي أمين منذ أول يوم في الثورة وحتى يوم اعتقال الاستاذ مصطفى أمين ـ تمجيداً كلها والى درجة التأليه ـ مع الأسف ! ـ هل حدث أو لم يحدث ؟

● هل يذكر ما قاله أمامك وأمامي من أنه مقتنع بالتهمة الموجهة الى مصطفى أمين بنسبة مائة في المائة ، وأنه كان يعرف « حقيقته » من قبل أن تظهر القضية . هل حدث ـ وكان أمامك ـ أو لم يحدث ؟!

● اذا كان مقتنعاً ببراءة مصطفى طوال الوقت كما ينقلون عنه ، فلماذا تأخر في الافراج عنه من يوم توليه السلطة في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حتى يناير ١٩٧٤ ، وكيف طاوعه قلبه وهو الحاكم أن يترك في السجن بريئاً لأربع سنوات ؟ ربما يقول انه حتى حوادث مايو ١٩٧١ لم يكن حاكماً ! لكنه بعدها أصبح حاكماً بالثلث ـ حدث أو لم يحدث ؟

● لماذا كان افراجه عن مصطفى في هذه الظروف ـ مع « مزراحي » ومع غيره من المسجونين بتهم التعاون مع المخابرات المركزية ، وحتى مع رفات عظام قتلة لورد موين ـ بناء على طلب « جولدا » والحاح « كيسنجر » ، كما قال ؟ حدث أو لم يحدث ؟

● ثم لماذا كان افراجه عن مصطفى افراجاً صحياً ولم يكن عفوا ؟ حدث أو لم يحدث ؟ »

ثم أضفت :

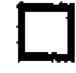
ـ « قل لمصطفى اذا كان حريصا على تنظيف سمعته فان عليه في أقل القليل أن يطلب اعادة المحاكمة ، ومع ذلك فهذا كله لا يخصني ولا يعنيني » .

ورد سعيد فريحة :

ـ « انني لن أقول له شيئاً . . . ولا أريد أن أقابله » !

وفيما بعد توسط الأمير طلال بن عبد العزيز بين الطرفين فالتقيا ، لكن

العلاقات ظلت متوترة وما في القلب في القلب حتى رحل سعيد فريحة من عالمنا الى ملكوت السماء .



وفي أواخر سنة ١٩٧٤ والنصف الأول من ١٩٧٥ توقفت الحملة ، فقد عادت الصلات بين الرئيس السادات وبيني . وأمسك الآخرون أعصابهم .

في خريف ١٩٧٤ اتصل بي الرئيس السادات فجأة وبغير مقدمات يقول لي أنه يريد أن يراني ، وحدد لي موعداً في استراحة الهرم ، وذهبت اليه .

كان مؤتمر القمة العربية في الرباط على وشك أن يعقد ، وكان هنري كيسنجر يطوف أرجاء المنطقة يحاول تحقيق مرحلة ثانية من فك الاشتباك بين القوات . سألني الرئيس السادات رأيي ، وعرضت أمامه الموقف كما أراه . وسألني « ما هي خططي في العمل ؟ » وقلت له انني أوشك على الفراغ من كتاب عن حرب أكتوبر ، وبعده فاني أفكر في كتابة مقالات لمجموعة من الصحف العربية تريد نشرها » ؟

وقال لي الرئيس السادات :

- « انني لم أسألك عما تريد أن تفعله لنفسك . وانما عما تستطيع أن تفعله معي ؟ »

وقلت انني تحت تصرفه فيما يريد بعد أن أفرغ من كتابي وأعده نهائياً للنشر .

وقال لي :

- « انني أردتك مستشاراً وأصدرت قرارا بذلك وأنت الذي لم يستجب » .

ورددت أذكره « بأنني تحت أمره الا فيما يختص بالمناصب والمراكز الرسمية والصحفية الى آخره » .

وراح يحاول اقناعي بتغيير رأيي .

وقلت : « سيادة الرئيس . . دعنا نؤجل كل هذا الآن . لقد ابتعدت أنا عن الصورة من فبراير ١٩٧٤ حتى الآن ـ اكتوبر . دعني أطلب منك منصباً واحداً وعدني أن تعطيه لي » .

وقال بلهجته المألوفة : « انني لا أعطى وعدا على بياض » .

وقلت : « أنني أعده أن لا أبالغ في طلباتي » .

وقال : « اطلب » .

وقلت : « مكان ومكانة الصديق » .

وتظاهر بالغضب وقال : « هذه محاولة للهرب » .

وقلت : « دعنا نجرب من جديد ، لقد ابتعدنا ستة شهور لم نلتق فيها ، وكان لي موقف من بعض ما حدث ، وكان لك موقف ، فاذا سمحت لي بمكان ومكانة الصديق فانني أستطيع أن أعود للتعرف على مجرى الأحداث ، وقد نستطيع أن نصل الى تفاهم أعمق » .

وأشهد أنه كان ودودا في قبوله لرأيي .

وهكذا عدت الى الاقتراب منه . ورحت أراه بانتظام . ورحنا نتكلم في كل شيء .

□

في تلك الفترة تابعت عن قرب محادثاته مع هنري كيسنجر في أسوان ، وكانت المحاولة الأولى في المرحلة الثانية من فك الاشتباك ، ولم تنجح . وأتصور أن مناقشاتي مع الرئيس في مخاطر ما كانت تعرضه اسرائيل في ذلك الوقت كان لها أثر في موقفه . وكان رأيي أنه أقوى بغير اتفاق منه باتفاق سيء ، وتفهم وقبل .

وتوليت كتابة خطابه في مجلس الشعب الذي شرح فيه أسباب فشل الاتفاق .

وقدمت له في اطار مشروع هذا الخطاب اقتراح فتح قناة السويس . بقرار مصري . وبارادة مصرية . وكنت أتصور أن ذلك يقلل من تلهفه على الوصول لاتفاق . فقد كان يريد دخل قناة السويس ودخل بترول سيناء . وقلت له : « بهذا الاقتراح تستطيع بغير اتفاق أن تحصل على نصف ما تريد دون حاجة الى شروط مجحفة » [1] .

وقبل رأيي كاملاً . وحين رأى أثر فتح قناة السويس على العالم كله كان بالغ السعادة . وكنا نلتقي كل يوم .

ثم كتبت خطابه أمام مجلس الشعب عن اعادة تنظيم العمل الداخلي . وكان يريد اسناد رئاسة الوزارة للسيد ممدوح سالم . وفي يوم ١٠ ابريل سنة ١٩٧٥ دعاني الى العشاء معه في استراحة القناطر يعرض عليّ منصب نائب رئيس الوزراء للاعلام مع السيد ممدوح سالم . وحين حاولت ابداء اعتذاري كان بين الأسباب التي ساقها لاقناعي قوله :

- « تصور نفسك بعد كل ما كتبوه عنك عائدا نائبا لرئيس الوزراء للاعلام . سوف تدخل عليهم راكباً حصاناً أبيض ، وتستطيع أن تضع أصبعك في عين من تشاء » !

ورجوته أن يترك لي فرصة للتفكير .

ودعاني السيد ممدوح سالم الى مكتبه في وزارة الداخلية في اليوم التالي ١١ ابريل ١٩٧٥ يعرض عليّ المنصب رسميا . واعتذرت له وكان بين ما قلت من أسباب اعتذاري :

« ان لي آراء مختلفة بشأن اتفاقيات فض الاشتباك والعلاقات مع الولايات المتحدة » . (وأفضت في التفاصيل) .

---

(١) كان الرئيس السادات في تلك الأيام يشبه صحراء سيناء بقطعة من العظم يحيط بها بعض اللحم - واللحم هو قناة السويس والبترول - وكان تعبيره بالنص : « انني أريد أن أمصمص اللحم وأترك لهم **العظام** الى حين نصل الى تسوية شاملة » .

« ثم أنني أرى حملة واسعة على جمال عبد الناصر وأعتقد أنها ظلم تاريخي ولا أستطيع أن أشارك أو أسكت على هذه الحملة . فاذا أردت أن أتدخل فيها بالتراضي مع بعض رؤساء التحرير الحاليين ممن يقودون الحملة اصطدمت بما أعرفه من اتجاهاتهم ومصادر وحيهم . واذا استعملت سلطة الرقابة فقد سقطت كصحفي وما أسهل وقتها أن يقال أنني تنكرت للمهنة ووقفت ضد حريتها .

والحقيقة أنني لا أعتبر ما يجري حرية ، وانما أعتبر معظمه قصداً مقصودا وتنفيذا لأغراض في نفس يعقوب » .

وقال لي السيد ممدوح سالم :

ـ « تصرف مع من تشاء كما تشاء . لك مطلق الصلاحية في اعادة ترتيب أمور الصحافة » (١) .

وقلت : « انني لا أريد أن أتصرف مع أحد » .

ثم قلت :

ـ « انني كبشر تستهويني فكرة أن أعود وأضع أصبعي في بعض العيون . لكن هذا الذي يستهويني للحظة ربما يدعوني الى الندم عمرا . . وفي كل الأحوال فأنا أفضل أن أبقى مع الرئيس في مكان ومكانة الصديق لا أكثر ولا أقل » .



ومع الأسف لم أستطع أن أبقى طويلا لا في المكان ولا في المكانة .

كانت المحادثات تجري حثيثة للعودة الى محادثات فك الارتباط (وكان

(١) لكي تكون دقة النقل كاملة فان السيد ممدوح سالم سألني بعد لحظة « ألا يمكن تسوية الخلافات بينك وبين « فلان » ؟ ـ وذكر اسم صحفي مقرب من الرئيس السادات . وقلت له أنه ليس هناك « موضوع » لخلاف أعرفه ، والقضية بالنسبة لي أكبر من أي شخص بالذات وأكثر تعقيداً .

(بقية تفاصيل أسباب اعتذاري نشرتها مجلة « المصور » بتاريخ ١٩ مارس ١٩٨٢) .

أسوأ اتفاق جرى ، بل لعله كان التمهيد الحقيقي لزيارة القدس) .

ومن ناحية أخرى ظهر كتابي « الطريق الى رمضان » . واعتبر الرئيس السادات أنني لم أعطه حقه . وكان هذا حكماً بناه على بعض ما نشرته الصحف من أجزاء الكتاب . ورجوته أن ينتظر حتى يرى الكتاب كله ، وطلب مني أن أجيئه أنا بالكتاب ، وقلت أنني لا أستطيع لأنه في المطبعة ، وهو على أي حال يملك من الوسائل ما يسمح له أن يجيء بنسخة .

وأطلت عوامل التحريض برأسها مرة أخرى ، واذا الرئيس السادات في كل خطبه يتهمني بتزييف التاريخ .

ثم رأى أن يتصل بي مرة ليطلب اليّ أن أكتب في الدفاع عن اتفاق فك الارتباط الثاني . وسألته أن يسمح لي بالاطلاع على ملاحقه السرية ، ورفض قائلاً : « انه لا توجد ملاحق سرية » . وقلت « انني قرأت لاسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل تصريحاً أشار فيه الى وجود ملاحق سرية » . وسألني بحدة « وهل تصدقني أو تصدق رابين ؟ » وقلت « بالطبع أصدقك » .

وقال : « انني لا أريدك أن تدافع عني . . لا أريد من أحد أن يدافع عني . ولكن الدفاع المطلوب هو عن مصر التي يهاجمها ويتهجم عليها السوريون والفلسطينيون والعراقيون وغيرهم » .

وقلت :

ـ « ان هؤلاء جميعاً فيما أظن يركزون هجومهم على الاتفاق وليس على مصر » ونفد صبره فقال :

ـ « انني لا أريد فلسفة . . . هل ستكتب أم لا ؟ »

ولم يكن هناك مفر من مواجهته . فقد وضع الأمر بحيث لم يعد هناك الا جواب واحد .

وهكذا قلت :

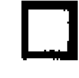
- « انني أرجو أن يعفيني الرئيس من الكتابة » .

وتصاعد غضبه.وأفلتت أعصابه فقال :

- « ان شاالله ما كتبت » .

وأغلق « سماعة التليفون » من جانبه .

وكان واضحاً أن كل الخطوط قد تعطلت في علاقاتنا .



وعادت رياح الخماسين تهب أكثر ضراوة وسخونة .

بدأت احدى الصحف السعودية في لندن تنشر سلسلة مقالات لأحد الصحفيين المقربين من الاستاذين مصطفى وعلي أمين . وكان مصطفى قد تناول أمره في رسالة الاعتراف الى جمال عبد الناصر قائلاً انه كان يعمل في مخابرات صلاح نصر .

كانت سلسلة المقالات الجديدة[1] تتهمني - أنا - بالعمل مع المخابرات الأمريكية ، وتستشهد في ذلك بأن مجلة « الحوادث » [2] - وصاحبها الاستاذ سليم اللوزي - نشرت أن الزعيم السوفييتي « نيكيتا خروشوف » واجهني في احدى مقابلاتنا بأنني أخذت من جريدة « الواشنطن بوست » مبالغ في مقابل مقالات ، وأن هذه المبالغ - وكانت بمئات ألوف الدولارات - لا تتناسب مع قيمة ما كتبت ، ولم يكن لهذا معنى الا أن هذه المبالغ كانت مكافأة لي على خدمات غير صحفية - وبعدها فان خروشوف طلب مني أن أغادر الاتحاد السوفييتي فوراً .

ثم ان رجل المخابرات المركزية الامريكية المعروف « مايلز كوبلاند » كتب عن دوري هذا في كتبه التي نشرها .

---

(١) أعيد نشرها في مصر صفحات كاملة من أخبار اليوم أثناء الحملة التي شنت عليّ بعد نشر كتابي « خريف الغضب » في ربيع سنة ١٩٨٣ .

(٢) مجلة « الحوادث » مرة ثانية - وثالثة !

وفي ذلك الوقت كان الاستاذ مصطفى أمين ـ وفي غمرة الحملة على جمال عبد الناصر ـ قد رفع قضية على السيد صلاح نصر يتهمه فيها بتعذيبه أثناء سجنه . وقال الاستاذ مصطفى أمين في عريضة دعواه « أنه ذكر لي في حينه كما أنه ذكر لمحاميه الاستاذ محمد عبد الله أنه عذب في السجن » .

واستدعتني المحكمة للشهادة . وحاولت أن أعتذر . ثم عاقبتني المحكمة بغرامة ثلاثين جنيها اذا لم أحضر في جلسة تالية ، وكان هذا انذارا أول يليه أن تخلفي عن الشهادة قد يعرضني للسجن ثلاثة شهور بتهمة اهانة المحكمة وذهبت .

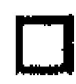
وحلفت اليمين ، ثم قلت تحت القسم أن الاستاذ مصطفى أمين لم يخبرني على الاطلاق عندما رأيته أول مرة في سجن الاستئناف بأنه عذب .

والأغرب من ذلك في وقائع هذه المحاكمة ان الاستاذ محمد عبد الله الذي كان محاميا للاستاذ مصطفى أمين في قضية التخابر ـ كان بمحض الصدفة محاميا عن أحد المتهمين في قضية تعذيب الاستاذ مصطفى أمين .

وتحرك ضمير المحامي الشيخ ـ وهو من أعلام القانون في مصر ـ فطلب التنازل عن صفته كمحام عن أحد المتهمين لكي يتمكن من الادلاء بشهادته ، ثم وقف أمام المحكمة يشهد بأنه ـ بوصفه كان محاميا للاستاذ مصطفى أمين ـ قابله في السجن وهو يعد مذكرات الدفاع والمرافعة وسمع منه كل شيء ولم يسمع منه على الاطلاق أنه تعرض لأي تعذيب !

ويومها لقيت الاستاذ محمد عبد الله في ردهة المحكمة بعد انتهاء الجلسة وكان يخبط كفا بكف ويردد عبارة : « ليه ؟ ليه ؟ » !

ثم يرد نفسه عن اضافة كلمة واحدة .



وفي اليوم التالي لجلسات المحاكمة فوجئت بمحامي الاستاذ مصطفى أمين يطعن في شهادتي أمام المحكمة ثم يقدم ما نشرته مجلة الحوادث عني .

وفي اليوم التالي ذهبت الى المحكمة ودخلت غرفة المداولة وجلست أكثر من ساعتين مع أعضاء هيئتها الثلاثة أشرح لهم الحقيقة (١) .

قلت :

ـ « انني أولا لا أدفع عن نفسي ما نشرته مجلة الحوادث بالاشارة الى ثقة جمال عبد الناصر في . وفي الحقيقة أنه في ذروة صراعه مع الولايات المتحدة الأمريكية لم يكتف بأن يتركني في الأهرام رئيسا لتحريره ومجلس ادارته ، وانما أضاف اليّ وزارة الارشاد وعضوية مجلس الأمن القومي ، والقيام بأعمال وزير الخارجية في نفس الوقت .

لن أدفع بذلك .

سوف أناقش أولا مسألة خروشوف . ومقالات الواشنطن بوست .

أولا لم أكتب في حياتي كلها مقالا للواشنطن بوست ولم أتقاض منها بالتالي سنتا واحدا .

وثانيا فيما يتعلق بخروشوف فربما يتذكر الناس أنه دعاني في مايو سنة ١٩٦٤ الى بيته في يالتا لكي أرافقه طوال رحلته من يالتا الى الاسكندرية ـ خمسة أيام بالبحر ـ حتى يستطيع أن يسألني فيما يريد ويتعرف مني على عالم عربي واسلامي وافريقي يوشك أن يزوره لأول مرة بزيارته لمصر لحضور الاحتفال باتمام بناء المرحلة الاولى من السد العالي .

بعدها لم أر خروشوف لأنه في أكتوبر من نفس السنة ـ سقط من السلطة . فمتى اذا كانت تلك الواقعة التي نشرتها الحوادث » .

ثم انتقلت الى مناقشة كتابات مايلز كوبلاند . قلت :

« أولا ـ مرة أخرى ـ فان مايلز كوبلاند ليس بالرجل الذي ينقل عنه أو

(١) كان تشكيل هيئة المحكمة على النحو التالي : المستشار أنور مرزوق رئيسا والمستشار محمد مصطفى حسن عضو يمين والمستشار عبد المعطي ناصر عضو يسار .

تعتمد شهادته . فقد كان موظفا في المخابرت المركزية الامريكية ثم طرد منها وحاول استغلال صلاته بالعالم العربي ليفتح مكتب استشارات في بيروت . وفي هذه الفترة كتب الى جمال عبد الناصر أكثر من ثلاثين خطابا وتقريرا يحاول فيها أقناعه باستعمال خدماته وخبراته ويطلب في مقابل ذلك مكافأة . ولم يرد جمال عبد الناصر على واحد منها .

وهذا هو ملف كامل بهذه الخطابات .

وثانيا ـ مرة أخرى ـ فهذه هي الكتب التي أخرجها مايلز كوبلاند حتى الآن . كتابان أولهما عنوانه « لعبة الأمم » والثاني عنوانه « بلا خنجر ولا عباءة » .

في الكتاب الأول ذكر اسمي في معرض صداقتي لعبد الناصر مرة واحدة في كل الكتاب .

وفي الكتاب الثاني لم يأت ذكر لي على الاطلاق » .

وتركت لهيئة المحكمة كتابي مايلز كوبلاند ، وما زالا هناك حتى الآن !



وكانت علاقتي مع الرئيس السادات تزداد توترا كل يوم .

رحت منذ سنة ١٩٧٥ أكتب من مصر مقالات منتظمة تنشرها مجموعة من الصحف العربية خارج مصر .

كانت أولها سلسلة ظهرت في كتاب عنوانها « لمصر لا لعبد الناصر » .

ثم تبعتها سلاسل أخرى كانت بينها مجموعة مقالات عن المبادرة صدرت في شكل كتاب تحت عنوان « حديث المبادرة » .

وبدأ الرئيس السادات يعد « قانون العيب » ، وبدأ بعض مستشاري مجلس الدولة المكلفين بمراجعة صياغة القانون ـ يسمونه « قانون هيكل » .

وحاول في هذه الفترة أن يدفعني الى الهجرة من مصر . وخاف كثيرون من أصدقائي .

ولم أهاجر ، بل ولسنة كاملة لم أسافر من مصر على الاطلاق حتى أكون تحت تصرف أي قانون حتى ولو كان مفصلا من أجلي !

وقرر الرئيس السادات سنة ١٩٧٨ أن الفرصة قد واتته ليضرب ، وأحالني الى المدعي الاشتراكي ومنعني من السفر . وجرى التحقيق معي صيفا بأكمله والصحف تكتب قبل كل جلسة أنه يحقق معي « لأنني أسأت الى مصر فيما كتبت خارجها » . ولم أسيء الى مصر علم الله بحرف ـ وانما كنت أنتقد سياسة رئيسها وأعتبرها هي التي تسيء الى مصر (١) .

وانتهى التحقيق ، وانتظرت التصرف فيه ، لكنهم تركوه معلقا .

---

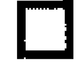
(١) أثناء هذا التحقيق ـ لأول مرة ـ معي أمام المدعي الاشتراكي ـ وكان وقتها المستشار أنور حبيب ـ سألني عن موقفي من التجاوزات التي حدثت في عصر جمال عبد الناصر ، وقدمت له مجموعة تضم أكثر من عشرين مقالا في نقد ما حدث كتبت كلها ونشرت وجمال عبد الناصر موجود . وأمام الله ـ والرجل في رحاب الله ـ لا أذكر أن صدره ضاق مرة بشيء كتبته . مرة واحدة في تاريخ علاقاتنا كلها عاتبني على مقال نشرته بعنوانه « هل تحقق التغيير ؟ » وكان ملخص المقال « أنه اذا لم يكن النظام قادرا على أن يغير فانه لا بد أن يتغير . وتلك طبائع التطور » .

وأثناء هذا التحقيق ، وكان يجريه المستشار أنور حبيب بنفسه ـ ومعه اثنان من مساعديه في ذلك الوقت هما المستشار عبد الرحيم نافع والمستشار أحمد سمير سامي ـ قلت له في احدى الجلسات :

ـ « لا تسجل أرجوك سؤالا سوف أطرحه عليك اذا أذنت لي : أين كان الرئيس السادات حين حدثت هذه التجاوزات ؟ لقد كان رئيسا لمجلس الأمة ، فهل أثارها أو سمح لأحد من أعضاء المجلس الذي يملك حق مراقبة تصرفات السلطة التنفيذية ـ باثارتها مرة ؟ » .

وفي نفس هذا التحقيق سئلت فيما كتبت في احدى مقالات سلسلة نشرتها خارج مصر بعنوان « لمصر لا لعبد الناصر » . وقد طالبت فيها بتحقيق كامل عن كل ما حدث من تجاوزات في عصر جمال عبد الناصر وتحديد المسئوليات فيه وعقاب المسئولين عنه ، وقلت في المقال أنني أقبل تحقيقا يجريه اتحاد المحامين العرب أو أية جهة مستقلة . والغريب أن السؤال الذي وجه لي كان : « أليس معنى هذا أنك تدعو الى تدخل أجنبي في شئون مصر الداخلية ؟ » ـ وقلت ان عبد الناصر قضية عربية تهم الأمة كلها ثم انني لا أطمئن ـ مع الاسف ـ الى تحقيق يجري « محليا » في اطار الظروف القائمة الآن . (لمزيد من تفاصيل هذا التحقيق يراجع كتابي « وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي في مصر ») .

وقررت نشر محاضره كاملة في كتاب بعنوان « وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي في مصر » .



وخلال هذا كله كانت حملات التحريض عليّ مستمرة .

ثم كان أن شملتني اعتقالات ٥ سبتمبر الشهيرة سنة ١٩٨١ - ولم تظهر كلمة دفاع واحدة عن الحرية - بل حدث العكس مع الأسف - وقتها رغم أن ضربة القمع شملت كل القوى السياسية في مصر !

وأثناء التحقيق معي أمام المدعي الاشتراكي - للمرة الثانية - بينما أنا رهن الاعتقال ، وقعت حادثة غريبة .

أثناء التحقيق معي كان المستشار « ناجي اسحاق » - الذي اختص بالتحقيق مع اثنين من المعتقلين فقط وبالتحديد - الاستاذ فؤاد سراج الدين وأنا - يمسك بورقة تتضمن تقرير ادارة المباحث العامة عن نشاطي الذي استوجب اعتقالي والتحقيق معي .

وسألته : « هل أستطيع أن أطلع على هذا التقرير ؟ » .

وكان غيري ممن سبقوني الى التحقيق أمامه أو أمام غيره من المستشارين قد سمح لهم بالاطلاع على تقارير المباحث أو المخابرات التي تصف نشاطهم المعادي .

وقال المستشار « ناجي اسحاق » أنه لا يمانع في اطلاعي على التقرير .

قال لي :

« لا يوجد أمامي شيء يخصك في تقارير المخابرات . وانما هناك هذا التقرير من المباحث » .

وناوله لي .

وألقيت نظرة على الصفحة الاولى منه .

كلها تهم لا أدفعها بل على العكس اعترف بها . كتبت كذا في جريدة كذا يوم كذا أعارض كامب دافيد . وكتبت كذا في جريدة كذا يوم كذا أعارض التطبيع . وكتبت كذا في جريدة كذا يوم كذا انتقد سياسات الرئيس السادات الداخلية (أولها منهج تنفيذ سياسة الانفتاح) والعربية (العزلة عن بقية الأمة الواحدة) والخارجية (الانحياز المطلق للولايات المتحدة الامريكية) .

وكانت تلك آرائي أقولها وأرددها وأكتبها وألح في كتابتها وأتحمل مسئوليتها بالطبع دون تردد أو خشية . . ثم هو كلامي عليه اسمي وفيه أسلوبي وبمجمله قناعتي .

ثم انتقلت الى الصفحة الثانية .

كان فيها بند واحد !

ووراء هذا البند قصة .

فقد كان الرئيس السادات يكره أشد ما يكره صحفيا بريطانيا هو « دافيد هيرست » مراسل جريدة « الجارديان » البريطانية في مصر . وكان « دافيد هيرست » قد كتب مجموعة من المقالات عن أوضاع مصر الداخلية ضايقت الرئيس السادات وأوغرت صدره .

ولسبب لا أعرفه حتى هذه اللحظة كان الرئيس يظن أنني أعطيت لدافيد هيرست ما كتبه في مقالاته من معلومات ، وهاجمني في احدى المرات علنا بسبب هذا الظن .

وكتبت مقالا ضمن ما كنت أكتب أيامها . تطرقت فيه الى هذه القصة ثم قلت « انني لم أقابل دافيد هيرست في حياتي الا مرة واحدة . وكانت بعد - وليس قبل - مقالاته عن الرئيس السادات » . وهذا أمر يمكن التحقق منه بتقارير أجهزة الأمن التي أعلم أنها كانت تتابع كل حركة لي وكل سكنة .

والآن - في هذه اللحظة - وفي التحقيق أمام المستشار ناجي اسحاق - وأنا

ألقي نظرة على الورقة الثانية والبند الوحيد فيها ـ تقرير المباحث ضدي ـ كان ما قرأته مذهلا .

كان المكتوب بالنص :

« ان الاستاذ هيكل على صلة بدافيد هيرست المعروف بعدائه لمصر عن طريق صديق مقرب منه وهو الاستاذ محمد سيد أحمد » .

ثم بعدها بالنص أيضا :

« ان المعلومات الواردة في هذا البند مصدرها الاستاذ مصطفى أمين » .

وفتحت فمي من الدهشة وأردت أن أسجل بشهادة شهود ما قرأت .

كان يحضر معي في التحقيق رسميا محاميّ الاستاذ الكبير والصديق الكبير المستشار « ممتاز نصار » . وكان يحضره أيضاً زميلي الاستاذ « صلاح جلال » نقيب الصحفيين .

وناولت التقرير للمستشار « ممتاز نصار » ورجوته أن يقرأ هذه الفقرة . ثم ناولته للاستاذ « صلاح جلال » وقلت له« وأنت كنقيب للصحفيين أرجوك أن تطلع على هذه الفقرة وتتذكرها » .

وقال المستشار ناجي اسحاق :

ـ « وهل نحن سألناك في هذا أو اعتبرناها تهمة ؟ واذن فما هي قيمتها ؟ » .

ولم يكن للانصاف قد سألني فيها . ولم يكن ما يعنيني فيها كونها تهمة توجه أو لا توجه لي ، وانما كان يعنيني فيها شيء آخر !

ثم جرى ما جرى على منصة الاستعراضات العسكرية في مدينة نصر ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ .



وخرجنا جميعا من السجن بعد ثلاثة شهور .

خرجنا من قصر رئاسة الجمهورية وبعد لقاء مع الرئيس الجديد الذي قال للكل يومها :

« اريد أن ننسى ما حدث . وأريد صفحة جديدة . وأريد تعاون كل القوى في مصر » .

وساد الجو لبعض الوقت هدوء مشوب بالحذر . كما يقولون !

وكتبت « خريف الغضب » . ولم يكن غضبا على أنور السادات لأنه وضعني في السجن . ولكني كنت أريد أن أشرح للعالم ما حدث في مصر خلال خريف عاصف سنة ١٩٨١ . وكيف تطورت قضايا اجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية ودينية لكي تصنع صاعقة البرق التي رأتها الدنيا على شاشات التليفزيون ظهر يوم ٦ اكتوبر .

ولم تكن في الكتاب كلمة اساءة واحدة الى انسان ، وانما كان عرضا وتحليلا لشخصيات وتيارات وسياسات واتجاهات وقوى في الداخل والخارج .

لكن البعض تصوروا أن ظهور الكتاب فرصة سنحت أخيرا لتصفية كل الحسابات مرة واحدة . واستغلت عبارات في الكتاب مبتورة . ومحاولات للغوص في أعماق النفس أخرجت من سياقها ومن مضمونها وبعيدا عن هدفها (١) . ثم راحت الطاحونة تدور .

لثلاثة أشهر أو أربعة عاصفة لا تهدأ . بالكلمات والرسوم . حلقات بعد حلقات يوما بعد يوم كأن صواعق السماء كلها انقضت مرة واحدة .

---

(١) منطق استقصاء الجذور لتحليل شخصية تاريخية معترف به ، وقد استعمله كثيرون من المؤرخين المصريين والعرب قبل أن يضع « فرويد » أسس علم النفس الحديث ـ ويكفي مراجعة تراجم « المقريزي » و« ابن اياس » و« السخاوي» و« الجبرتي » وغيرهم ـ بل ان الدكتور « طه حسين » في كتابه عن شاعر العربية الأعظم « أبو الطيب المتنبي » خصص الفصل الأول منه لاثبات أنه كان مولودا « غير شرعي » وأن عقدته نتيجة لضياع نسبه هي المكون الرئيسي لشخصيته والمؤثر الأكبر على توجهاته !

ولم يقتصر الأمر على الكتابة والنشر ، وانما كان الجهد منظما لحملة تشويش وتشويه .

قيل لأحد كبار القانونيين مثلا ـ وقد كتب ونشر ما قيل له ـ انني كنت وراء ضرر أصابه . ولم أعرف الرجل في حياتي ولا تشرفت بلقائه . وكان موقفي منه على عكس ما نقل اليه ، وفضلا عن اهتمامي العام به لقيمته العلمية ـ والانسانية باعتباره مواطنا ـ فقد كان قريبا لصديق كبير لي هو « علي الشمسي » (باشا) .

وقيل لأحد الزملاء الصحفيين أنه دعي مرة لمنصب صحفي هام عن طريقي وأنني لم أبلغه بالدعوة الموجهة اليه وهكذا ضاعت الفرصة منه ، وقد كتب ونشر ما قيل له ، ومن ذلك عرفت لأول مرة حكاية أنه كانت هناك دعوة له !

وقيل لكثيرين انني كنت وراء اضطهاد تعرضت له « العائلات » (هكذا) في مصر ، بينما كان مكتبي في يوم من الأيام ملجأ لكل « عائلة » لها ما تريد أن ترفع صوتها به . (ولا أريد أن أستشهد بأحد ، لان الاستشهاد بأحد في هذا الصدد قد يصبح نوعا من المن عليه لا يجوز لي ولا يليق به !) (١) .

ولم يجيء صحفي عربي الى مصر . أو كاتب أو مفكر ـ الا وقصوا عليه حكايات أنني حجبت الكل ـ عنوة ـ ولا أعرف كيف ؟ ـ حتى أصبح « الكاتب الأوحد » ! وكان العجب يبلغ من السامعين مبلغه لأن السجلات أمامه تشهد

---

(١) أعفاني أحد كرام الناس ـ وهو رجل لم أقابله منذ سنوات ـ من كل حرج . وهذا الرجل هو السيد « محمد أحمد فرغلي » (باشا)، وكان من أبرز نجوم الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر قبل الثورة وكان يلقب بـ « ملك القطن » . فقد أصدر أخيرا كتابا يحوي مذاكرته بعنوان « عشت حياتي بين هؤلاء » ـ تضمن فصلا عن تجربته معي . وقد امتد هذا الفصل على مساحة عشر صفحات كاملة من ١٨٧ الى ١٩٦ ، وقد روى فيها تفصيلا كيف « وقفت معه ومع مئات غيره في ظروف صعبة دون انتظار حتى كلمة شكر » . وأثار صدور الكتاب اهتماما كبيرا في مصر لأن صاحبه وان كان بين الذين أضيروا بالقرارات الاشتراكية الا أنه حاول أن يرتفع فوق مصالحه الشخصية .

بالعكس على طول الخط ![1] .

---

(١) لقد كنت أنا ـ أقولها بتواضع وبفخر ـ الذي تعاقد للأهرام مع صفوة من أقلام مصر وأحسن صحفييها : (الاسماء كلها بترتيب الحروف الأبجدية) .

من الأدباء والفنانين : الاستاذ توفيق الحكيم ، الدكتور حسين فوزي ، الدكتور زكي نجيب محمود ، الاستاذ صلاح جاهين . الاستاذ صلاح طاهر ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (كتبت فيه من قبل ولكنها انقطعت عنه سنوات حتى دعوتها للعودة) . الدكتور كلوفيس مقصود ، الاستاذ كمال الملاخ ، الدكتور لويس عوض ، الاستاذ محمد يوسف (ومعه مساعداه اميل كرم وانطون ألبير) . الاستاذ محمود درويش ، الاستاذ محيي الدين حسين ، الاستاذ معين بسيسو ، الاستاذ نجيب محفوظ ، الدكتور يوسف ادريس ، الاستاذ يوسف فرنسيس .

ومن الصحفيين والكتاب : الاستاذ أحمد بهاء الدين ، الاستاذ أحمد بهجت ، الدكتور جمال العطيفي ، الدكتور حسين مؤنس ، الاستاذ خالد محمد خالد ، الدكتور سامي منصور ، الاستاذ صلاح الدين حافظ ، الاستاذ علي حمدي الجمال ، الدكتور عبد الوهاب المسيري ، الاستاذ لطفي الخولي ، الدكتور لطفي عبد العظيم ، الاستاذ محمد سيد أحمد ، الاستاذ مكرم محمد أحمد .

وفي اطار المراكز المتخصصة في الأهرام لمعت ـ بصرف النظر عن البريق السياسي ـ أسماء الدكتور عبد المنعم القيسوني (عضوا في مجلس الادارة ومحررا اقتصاديا للأهرام) . والدكتور مصطفى خليل (مشرفا على وحدة دراسات البترول في مركز الدراسات الاستراتيجية) . والدكتور ابراهيم سعد الدين ، والاستاذ أبو سيف يوسف ، والدكتور اسماعيل صبري عبد الله ، والدكتور عبد الرزاق حسن ، والدكتور فؤاد مرسي (في مجال الكتابة الاقتصادية) ، والدكتور بطرس غالي ، والدكتور عبد الملك عوذة (في مجال الدراسات السياسية الاقتصادية) .

وفي مجالات الكتابة عن التاريخ السياسي برزت على صفحات الأهرام (وبصرف النظر عن المناصب السياسية او العلمية) أسماء حسن يوسف (باشا) . والدكتور محمد أنيس ، والدكتور يونان لبيب رزق .

ثم اللواء حسن البدري (محررا عسكريا للأهرام) . والدكتور محمود أمين (محررا لشئون البترول) .

وفي هذا الاطار برز جيل واعد من الكتاب السياسيين : الاستاذ جميل مطر ،الاستاذ حاتم صادق ، الدكتور سعد الدين ابراهيم ، الاستاذ سميح صادق ، الاستاذ سيد ياسين ، الدكتور علي الدين هلال ، الدكتور مجدي حماد .

ومن جيل الصحفيين الذين حملوا ويحملون الآن اكبر المسئوليات في الصحافة المصرية الأساتذة : ابراهيم عمر ، ابراهيم نافع ، أحمد عادل ، أحمد نافع ، احسان بكر ، آدم النواوي ، اسماعيل البقري ، آمال بكير ، أمينة شفيق ، انجي رشدي . بهيرة مختار ، تهاني حافظ ، جلال الجويلي ، حامد عبد العزيز ، حسن أبو العينين ، حسن الشرقاوي ، حسن سلومة ، حسن فؤاد ، حسني جندي ، حسين غانم ، حمدي فؤاد ، حميدة موافي ، خيري عزيز ، رائد العطار ، رجب البنا ، رجب محمود ، زغلول عبد المطلب ، زكريا نيل ، سامي رياض ، سامي فريد ، سامي متولي ، سعيد عبد الغني ، سعيد فريد ، سلامة أحمد سلامة ، سليم مباشر ، سمير صبحي ، سميرة غبريال ، سناء البيسي ، السيد جاد ، شويكار علي ، صلاح جلال ، صلاح منتصر ، صلاح هلال ، صبري سويلم ، عباس مبروك ، عبد الحميد سرايا ، عبد الملك خليل ، عبد المنعم عثمان ، عبد الوهاب مطاوع ، عبده مباشر ، عدلي جلال ، عزت السعدني ، غادة شهبندر ، فائقة عبده ، فاروق جويدة ، فاروق كمال ، فتحي العشري ، فريد مجدي ، فهمي هويدي ، فوزي وفائي ، فؤاد =

. . . .

= سعد ، كمال مصطفى ، كمال نجيب ، لبيب السباعي ، لميس الطحاوي ، ليليان مرقص ، ليلى القباني ، ماجدة مهنا ، ماهر الدهبي ، محمد الليثي ، محمد حقي ، محمد حمدي ، محمد زايد ، محمد سلماوي ، محمد صالح ، محمد عبد المنعم ، محمد عيسى ، محمود أحمد ، محمود سامي ، محمود عطا الله ، محمود عبد العزيز حسين ، محمود عبد العزيز محمود ، محمود كامل ، محمود مراد ، مرسي عطا الله ، مصطفى البرادعي ، مصطفى الضمراني ، مصطفى سامي ، مكرم حنين ، ممدوح طه ، نادية عبد الحميد ، نبية الأصفهاني ، نوال المحلاوي ، نوال حسن ، هدايت عبد النبي ، وجدي رياض ، يوسف صباغ .

وغير هؤلاء جميعا عشرات وعشرات .

ولم أفرض على أحد منهم رأيي ولا حاولت أن أصوغ الشباب بينهم على مثالي ، وانما تركت الكل يعبر عن نفسه والكل ينمو وفق استعداده ، بل ان بعضهم تحت ضغط الظروف ـ وربما غواياتها ـ اضطر في بعض الاحيان الى أن يهاجمني وعلى صفحات الأهرام نفسها ، ولأني كنت أحاول أن أفهم فقد استطعت أن أعذر . ومعاتبا ـ وليس مغاضبا ـ رحت أردد فيما بيني وبين نفسي في تلك الأيام بيتين من الشعر القديم يقول فيهما البدوي العاشق :

« هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت
يكلفها الغيران شتمي وما بـ ـها هواني ولكن للمليك استذلت

(ولقد كان رأيي أن الصحافة الحديثة ليست كتبا وصحفيين ومحررين فقط ولكنها مجالات كثيرة ـ لولا أنني أقصر الحديث هنا على دعوى « الواحدية » .

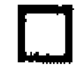
وكنت أتمنى لو استطعت أن اتحدث عن مراكز الأهرام المتخصصة ، فلأول مرة شهدت مصر مركزا للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ومراكز مستقلة لمتابعة قضية فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي ، ومركزا لتوثيق تاريخ مصر المعاصر ، ومركزا للدراسات الصحفية كان مصنعا لاعداد شباب المهنة الجديد .

وكنت أتمنى لو استطعت أن اتحدث عن مدرسة جديدة في ادارة الصحف ظهرت وازدهرت تلك الأيام في الأهرام . وكنت أتمنى لو استطعت أن اتحدث عن آلاف من عمال الأهرام يمثلون شيئا مختلفا في طاقة العمل المصرية (كانوا أقل من ثلاثمائة حين دخلت الأهرام وتركتهم هناك قرابة ستة آلاف ، كثيرون منهم أتيحت لهم فرصة التدريب خارج مصر ، بل ان بعضهم أضاف في انجلترا نفسها تحسينات تكاد تصل الى درجة الاختراع على بعض الآلات التي ذهبوا يتدربون عليها) . وكنت أتمنى لو استطعت أن اتحدث كيف استطاع الأهرام في ذلك الوقت أن يسبق الى عصر الكومبيوتر ، وكيف أن الذين عملوا فيه أو تخرجوا منه هم الذين يتولون اليوم زمام القيادة في هذا القطاع على مستوى مصر كلها .

ولم أكن وحدي الذي وضع الأهرام ـ في تلك الحقبة ـ ضمن أعظم عشرة صحف في العالم ـ طبقا لمعهد الصحافة الدولية ـ وانما كان هؤلاء جميعا ـ وتلك على أية حال قصة أخرى) .

وكنت أنا ـ أيام مسئوليتي عن أخبار اليوم ـ الذي أعدت جلال الحمامصي مشرفا على تحرير أخبار اليوم ، وعينت احسان عبد القدوس رئيسا لتحرير مجلة أخبار اليوم ، وعينت يوسف السباعي رئيسا لتحرير آخر ساعة . وكانت هذه أحسن الاختيارات التي وجدتها في السوق لأعطي أخبار اليوم الفرصة لمنافسة الأهرام . ولقد ظل هذا الوضع قائما قرابة سنتين ثم كنت أنا الذي طلبت الاعفاء من مسئولية أخبار اليوم عندما اكتمل مبنى الاهرام الجديد. ووجدت نفسي أمام مسئوليات الانتقال اليه وما تفرضه من ضرورات اعادة تنظيم العمل على أسس تلائم نقطة تحول أساسية في الصحافة المصرية (بالاضافة الى سبب آخر لا أرى داعيا =

ولقد تمنيت مرات لو طاوعني الحياء ـ أو لعلها الكبرياء ـ فأنشر بعضا من رسائل أصحاب هذه الحكايات الي بخط أيديهم يشهدون فيها ويشيدون ، فلم يكن هناك بينهم ـ وبدون استثناء ـ واحد لم أقف معه ولم أفتح طريقا أمامه بحكم صلات الزمالة ـ لكني كنت أراجع نفسي وأردها حتى عن مجرد الوقوف أمام طواحين هواء فضلا عن معارك معها !) .



وبعض الأحيان كنت اسائل نفسي وألح في سؤالها :

ــ « لماذا ؟ لماذا والى هذه الدرجة ؟

وهل يمكن أن يبلغ ضعف الذاكرة ـ ! ـ ببعض الناس الى هذا الحد ؟

هل نسي كل ما فعلته وما تحملت مسئوليته وما أقدمت عليه دون أن ألتفت ورائي أو أمامي ؟

هل نسي كل ما شهدوا لي به؟ وآخره ما كتبه الاستاذ علي أمين في « فكرة » قبل أيام من انفجار خلافي مع الرئيس السادات وخروجي من الأهرام ؟

هو الذي كتب بخط يده يقول « كنت أتتبع الجهود الضخمة التي يبذلها هيكل لرفع الظلم ولكن الأقلام الكبيرة أصيبت بالخرس » . كان هو الذي كتب وكنت أنا الذي قررت أن لا أنشر .

لذكره الآن) ـ وقد قبل طلبي . والى جانب ذلك فلقد كانت جريدة الجمهورية هي جريدة التنظيم الطليعي في الاتحاد الاشتراكي ، وفيها كانت قيادات الصف الأول كله تكتب ، ومعظم ما كتب كان في معارضة آرائي واعتبار ما أقوله مروقا على خط الاتحاد الاشتراكي . وكانت هناك دور صحفية أخرى لها رؤساء تحريرها ولها محرروها ـ دار الهلال على سبيل المثال ـ وروز اليوسف ـ وهكذا فانني طوال هذه السنين كلها لم أتجاوز حدود الصحيفة التي كنت أرأس تحريرها وهي « الأهرام » ، وحتى عندما عينت رئيسا لمجلس ادارتها فانني اعتبرت ذلك « قرار سياسة » وليس « قرار مهنة » ولهذا لم أضع اسمي مرة واحدة على « الأهرام » كرئيس لمجلس الادارة ـ واذن فان الصحافة لم تكن في ذلك الوقت « صحفيا واحدا » ـ ومع ذلك فان هذا « الصحفي الواحد » ترك لهم مكانه في الصحافة المصرية منذ أكثر من عشر سنوات ـ واذن ماذا ؟ واذن من ؟ واذن أين ؟ وأسئلة أخرى كثيرة !!

وقيل لي مرات أن خطيئتي الكبرى أن الأهرام نجح عالميا ـ وكذلك كتاباتي في الدنيا الواسعة بعد خروجي من الأهرام ـ وأن هذا النجاح في حد ذاته جريمة لا تغتفر ! ولم أقبل هذا التفسير فلم أكن صانع الاهرام الحديث وحدي ، ثم أليس من سنن الطبيعة أن يقدم كل جيل اضافة الى ما صنعته أجيال سبقت ؟

ومع ذلك فلقد كان لا بد أن يكون هناك تفسير .

ولم أكن أطلب من أحد أن يرد لي جميلا ، ولكني ـ أيضا ـ لم أكن أتوقع جزاء « سنمار » .

ومرات حاولت أن أعزي نفسي : لقد كان ذنبي أنني ابتعدت عن كل سلطة ، أو لم يحدث ذلك لغيري ؟

ألم يتحول الملك فاروق ـ على نفس هذا النمط ـ من الوطني الأول والعامل الأول والفدائي الأول لكي يصبح بعد نزوله عن عرش مصر وخروجه منها أفاقا ولصا وهاتك أعراض ؟ ـ على نفس المكان من صحف أخبار اليوم .

ألم يتحول مصطفى النحاس ـ على نفس هذا النمط ـ وهو الذي كان على الأقل طوال حقبة الثلاثينات رمزا للمقاومة المصرية ضد الاحتلال وضد القصر الى خائن وفاسد والعوبة في يدي زوجته ؟ على نفس صفحات أخبار اليوم .

ألم يتحول جمال عبد الناصر وهو رمز حركة الحرية والتحرر والعدل الاجتماعي الى طاغية وجلاد بعد أن تأكد رحيله الى رحاب الله ؟ بنفس الأقلام وان اختلفت ألوان الحبر !!

وأنا بالقطع لا أريد أن أقارن نفسي بالملك فاروق ، ولا أتجاوز فأضع نفسي على نفس الدرجة مع مصطفى النحاس ، ولا أتجاسر على مقام جمال عبد الناصر .

واذا كان قد حدث لهؤلاء ما حدث ـ فلماذا لا يحدث لي نفس الشيء؟

وكنت أراجع نفسي ، بل وألومها لأنها تتجاوز ـ بالخيلاء ـ حدودها !

ثم تفتحت عيناي على حل بسيط لكل هذه المفارقات .

« ذنبي أنني كنت شاهدا أتيح له أن يرى ويسمع كل شيء ، وكان في موقع يمكنه من هذا ، والذين يخشون الحقيقة لا بد لهم أن يتخلصوا من شهودها » .

هناك كثيرون لم يروا ولم يقرأوا . . . أجيال جديدة لم تكن معنا منذ البداية .

هناك كثيرون رأوا وقرأوا . . . لكن الذاكرة تضعف مع الايام ثم لا يظل في الأذهان الا ما تراه العيون وتسمعه الآذان لحظتها .

ثم ان هناك من رأوا وقرأوا . . لكنهم يعتقدون بالحكمة القائلة بأنه اذا كان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب ـ خصوصوا اذا كان فيه ما يزعج أصحاب السلطان !

واذن فقد كانت ذنوبي أنني ابتعدت عن أي سلطة ، ثم أنني كنت شاهدا رأى معظم جوانب الصورة ، ثم أنني قادر على الكلام في يوم من الايام .

واعترف ـ ويشهد على ذلك كل من قابلني في هذه الفترة الحافلة بالصخب والضجيج ـ أنني كنت أتابع ما يكتب وينشر وكأنني أتابع ظاهرة لا تتصل بي ولا تمت اليّ بسبب .

كانت الحملة [1] على وجه اليقين أكبر بكثير من حجم الكتاب .

وكان رأيي أن الكتاب تعلة للحملة .

---

(١) بدأت الحملة بدعوى كتابي « خريف الغضب » في جريدة الشرق الأوسط ، وهي الصحيفة التي تشتري من الاستاذ مصطفى أمين بابه اليومي « فكرة » وتنشره في نفس الوقت مع الاخبار . وجريدة الشرق =

وأما العلة الحقيقية فيها فقد كانت لها أهداف أخرى :

ارغامي على اتخاذ موقف الدفاع عن نفسي .

او اغراقي في الصمت الى الابد حتى لا أتكلم .

أو اضعاف مصداقية ما أقول اذا ما قررت يوما أن أحكي ما رأته عيناي وسمعته أذناي .

ولم يكن الخوف فقط من فتح ملفات ما جرى في الصحافة المصرية .

وربما أعيد التذكير بما قلت في بداية هذا الكتاب ، من ان الصحافة في أي بلد هي جزء من الحياة السياسية فيه ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك .

وفي العالم الثالث عموما فان السياسة ليست مجرد صراع مصالح اجتماعية وتيارات فكرية ورؤى مستقبلية ، وانما هي مع الاسف أيضا - وهذه طبائع التطور ومراحله - حروب دامية من أجل البقاء . ومعارك ظاهرة وخفية . ومطامع ومؤامرات .

ثم هي أيضا مخططات قوى عظمى تلعب بمصائر ومقادير شعوب وتحاول فرض سيطرتها على الآخرين وترويض هممهم وافقادهم الثقة بكل شيء حتى يصبحوا على استعداد للقبول بأي شيء ، ثم اعادة تشكيل أفكارهم وأحلامهم بوسائل عديدة تبدأ بالكلمة والصورة وتنتهي بالمدفع والدبابة !

= الأوسط جريدة سعودية تصدر في لندن وكان السيد « كمال أدهم » هو ممولها وصاحب حصة الأغلبية فيها حتى باع حصته أخيرا الى أحد الامراء السعوديين .

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقرار)

في حالة وفاة علي امين ومصطفى امين صاحبي
دار أخبار اليوم وصحيفة وشركة التوزيع الكاملة
يتألف مجلس ادارة لادارة الدار
منه محمد التابعي وأحمد عثمان وأم كلثوم وابراهيم
وكامل الشناوي ومحمد حسنين هيكل وجلال الدين
الحمامصي وزكي عبد القادر وعبد العزيز عبد الحليم وحسين
فريد وحافظ جلال و[illegible] وحدهم حق ادارة
الدار ورسم سياستها وتعيين محرريها وعمالها
وتحديد اجورهم ووضع سياسة المستقبل
وان تخصص جميع ارباح الدار للانفاق على
الدار [illegible] او مشروعات صحفية في [illegible]
[illegible] المحررين في الدار ولتنمية العمل
ويعتبر هذا اقرارا منا لمجلس الادارة المذكور
باستلام الملكية اليه في حالة الوفاة، ولا يحق لاحد
من الورثة او غيرهم من التدخل او الاعتراض
في الملكية او التصرف، وهذا الاقرار خاصة
منا في حالة وفاتنا، ونشهد الله على هذا الاقرار

مصطفى امين

والله على ما نقول شهيد

[illegible] ١٩٥٢

وثيقة رقم (١) : اقرار بخط الاستاذ مصطفى أمين وتوقيعه الى جانب توقيع الاستاذ علي أمين.

في حالة عدم قبول الأستاذ [illegible] الذي [illegible]

وصية

في حالة وفاة مصطفى أمين وعلى أمين معاً نوصي
بنقل ما نملك من مال [illegible] ودور ومطابع
وتصبح [illegible] الدار الخالية مملوكة
إلى عمال ومحرري الدار [illegible] وأصدقائها
ويتولى إدارة مكتب من محرري الدار [illegible] هيكل
[illegible] كامل الشناوي [illegible]
و[illegible] إبراهيم [illegible] عبد القادر وعبد العزيز
وجلال الدين الحمامصي
عبد الحليم وحافظ جلال وحسين فريد
على أنه يقتصر صرف الأرباح [illegible]
[illegible] مشروعات صحية [illegible]
للعمال والمحررين بالدار
[illegible] والله على ما نقول شهيد
وكل ما نرجوه أن تلتزم صحف الدار
الخطة السياسية والنقابية التي سارت [illegible]
[illegible]

مصطفى أمين

٢١ [illegible] ١٩٥٢

وثيقة رقم (٢) : وصية بخط الاستاذ مصطفى أمين وتوقيعه الى جانب توقيع الاستاذ على أمين.

لندن في ٢٧ مايو ١٩٦٥

عزيزي هيكل :

رأيت أن أبدأ بالسفارة .. وجدت السفير يمسك بين الألقاب الرسمية الدولة أصبح [illegible] وشيئاً من الملل بين ثنايا الكلام .. وقد أصبحت في اجتماعات كثيرة وأنه ربما طلب أرجو أن تستر . ولكن لا أعتقد أنه في حاجة إلى "تدريس" "تكلم" صداقات مع الوزراء ورجال وزارة الخارجية .. فهو رجل ممتاز يشهد الجميع ، ولكنه ليس من السهل عليه أن يكسب صداقات سريعة .. وكان الوزير سيمي أنور يكلف السفير .. ولكن سيمي أبدى رغبة في العودة إلى القاهرة أو إحالته إلى طلبه ، وينتظر أن يغادر لندن قريباً .

وهذا وضع غريب ! فإنه من الصعب على الوزراء الجدد أن يهتموا بالزائر بسرعة .. فإنه يحتاج إلى ستة أشهر على الأقل .. وتعارف السفير ستة أشهر بدون "تحرك" غير طبيعي في الشهور القادمة التي يحاول فيها ترتيب العلاقات .

وقد تصورت في أول الأمر أن هناك خلافاً بين الاثنين وأن سيمي أنور غير قادر على التعاون مع السفير ، ولكن اتضح أن التعاون بين الاثنين على أتمه .. كل ما هنالك هو أن سيمي يحس هو وزوجته بالعودة إلى القاهرة !

وهذا السبب [illegible] يكون [illegible] الأردني [illegible] ولكن [illegible] معزول في الأردن الجديدة لأن نفسه [illegible] بسيط أي بعد جديد .

ولهذا اقترح [illegible] إجراءات لنقل سيمي أنور [illegible] إلى القاهرة .. لا نحتاج (...) [illegible] الإقامة ، وبدأ [illegible] للسفر [illegible] أن سيمي [illegible] به العودة ، فإني أعتقد أن خطأ رتبا [illegible] وزير الخارجية [illegible] قد يورط [illegible] بالبلاد لمدة ٣ أشهر .

وفي نفس الوقت [illegible] إصدار الأمر للسفير في الوزير بالتوسع بالدعوة الأدب للوزراء والرؤساء والنواب الإنجليز [illegible] أن أعمال [illegible] تعرض [illegible] مأدبة للزوار المصريين !

وقد علمت أن ما يتبقى [illegible] سفيرنا في لندن هو ٤٩٤ جنيهاً [illegible] مرتبه الوزير المفوض هو ٢٨٠ جنيهاً .. وهو مبلغ [illegible] ارتفاع أسعار [illegible] في لندن [illegible] ارتفاعاً [illegible] في السنة الأخيرة [illegible] للسفير والوزير [illegible]

وثيقة رقم (٣) : صفحة من أول خطاب للاستاذ علي أمين من لندن بخط يده - بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٦٥ .

لندن في ٤ يونيو ١٩٦٥

عزيزي هيكل

١- قابلت صديقي دنيس هاملتون رئيس تحرير الصنداي تايمس .. وتحدثنا طويلا [illegible]

الامام في بيت تومسون .. ووعدني .. وعدا قاطعا بان ينشر مقالا [illegible]

[illegible] .. ووعدني بان [illegible] لا يجاد [illegible] المنظر [illegible]

[illegible] بعد اسبوع .. فانه [illegible] الى [illegible] ليحتفل مع زملائه الضباط بمناسبة مرور

٢٥ سنة على [illegible] الصنداي تايمس .. هذا التقدير الابري .. ودعت كل اصحاب

[illegible] الذين ساعدوا في نقل الجزء من [illegible] البريطانية .. واقنعه

[illegible] الامام ان تحتفل بمرور عشرين سنة على [illegible] كل الضباط

[illegible] الذين اشتركوا في الحركة [illegible] كل يوم [illegible]

[illegible] بان [illegible] في [illegible] اربعة [illegible]

ولم يعد هاملتون [illegible] الى لندن .. في شهر يوليو ! [illegible] (!)

بالحضور الى لندن بعد [illegible] ولم تحضر !

[illegible] ان هذه [illegible] "كلام شرف" ! ثم رجوت ان لا [illegible]

[illegible] قال لي انه من [illegible] جمال عبد الناصر [illegible] الرئيس

. . . .

. . . .

٢- بدأت اشك في ان الانجليز يحاولون كسب الوقت .. حتى تنتهي صفقة بيع

الاسلحة للسعودية .. بثمانية مليون جنيه .. وبعد ذلك [illegible]

[illegible] مع القاهرة [illegible]

[illegible]

٤- [illegible] الى [illegible] الشرق [illegible]

[illegible] اولاد [illegible] وكان يشترك في البلاغات [illegible] الانجليزية

[illegible] صدق [illegible] ان [illegible] لان [illegible]

[illegible] كانت احداثا "عاديا" !

٥- [illegible] هذا الاسبوع .. انه "اشتم" [illegible] الانجليزية [illegible]

ان [illegible] الصيد في النهر .. بل [illegible] ان [illegible]

[illegible]

٦- شكرا على [illegible] بالرد على رسالتي الاولى .. وارجو [illegible]

[illegible] فان [illegible] حتى [illegible]

[illegible]

وثيقة رقم (٤) : صور من خطاب الاستاذ على أمين بخط يده ـ بتاريخ ٤ يونيو ١٩٦٥.

وزارة الخارجية

مكتب الوزير

القاهرة فى ٧/٢٢ سنة ١٩٦٥

مقابلـــة

السفير الأمريكـــى مستر باتـــــــل :

- استدعيته الســـــاعة ١٥٣٠ اليوم وأبلغته بموضوع القاء القبض على مصطفى أمـــين يوم ٢٠ يوليو فى الاسكندرية أثناء تقديمه تقريرا لمستر بروس أوديل Bruce T.Odell الملحق بالسفارة الامريكية .

وأنه تبين لنا من التحقيق الأولى ومن الأوراق التى ضبطت أن مستر أوديـــل قد وجه أسئلة بخط يده الى مصطفى أمين وأن المعلومات التى قدمها له الأخـــير كانت تتضمن معلومات سياسية وعسكرية تمس أمن الدولة وسلامتها .

- كما أبلغته أنه قد تم الافراج عن مستر أوديل بعد التحقق من صفته الدبلوماسية .

- ذكر السفير أنه علم بالحادث ليلة أمس وكان أوديل فى أجازة ، وأنه قابله صبـــاح اليوم وفهم منه أن تواجده بمنزل مصطفى أمين بالاسكندرية كان بغرض الزيارة .

- أوضحت له أن زيارة الملحق الامريكى لمصطفى أمين لم تكن زيارة عادية حيـــث أن مصطفى أمين كان يقدم له تقارير أسبوعية .

- ذكر السفير بأنه قد صدم بالحادث ، ورجا الا يترك أى أثر على العلاقات بـــين البلدين التى يعمل على تدعيمها .

- وذكر أنه سيقوم باجراء تحقيق فى الموضـــــوع .

- وأضاف أن بعض وكالات الانباء الامريكية علمت بالموضوع ، وفى اعتقاده أنه قد تصلها معلومات عن استدعائه لوزارة الخارجية كما يحتمل أن توجه اليه اسئلة بخصـــوص استدعائه هذا . وأن اجابته ستكون فى هذه الحالة أن وزير الخارجية أبلغـــه بالحادث .

- وافقت على هذه الاجابة ، ثم ذكرت له أن أمثال مصطفى أمين لا يمكن أن يكونـــوا مصدر معلومات دقيقة ، وانما يختلق هؤلاء بعض القصص والروايات من أجـــل المتاجرة بها .

- وأضفت أن السيد الرئيس عندما يتحدث الى الشعب فانه يتحدث بصراحة تامــــة عن مشاكلنا الداخلية وعن سياستنا الخارجية ولذا فان أى جهد يبذل للحصول على

وثيقة رقم (٥) : صورة من تقرير السيد محمود رياض عن مقابلته للسفير الأمريكى المستر "لوشيوس باتل" بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٥.

وزارة الخارجية

مكتب الوزير

القاهرة فى .... سنة ١٩٥

(٢)

مايسمى بالمعلومات السرية هو جهد ضائع .

- كان السفير فى حالة ضيق واضطراب ، وكرر أكثر من مرة رجاءه الا يتسبب هذا الحادث فى خلق توتر فى العلاقات بين البلدين .

وزير الخارجية

(محمود رياض)

التوزيع :

٨٧ \ ٤١ السيد / سامى شرف سكرتير السيد الرئيس للمعلومات

مكتب السيد رئيس الوزراء

مكتب السيد نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية

السيد السفير الوكيل أحمد حسن الفقى

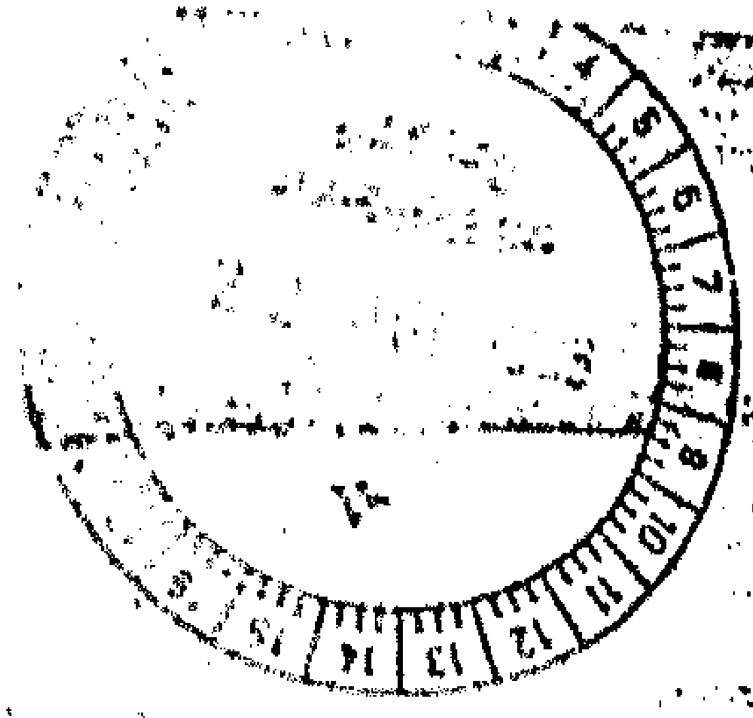
السيد السفير الوكيل أحمد فريد أبو شادى

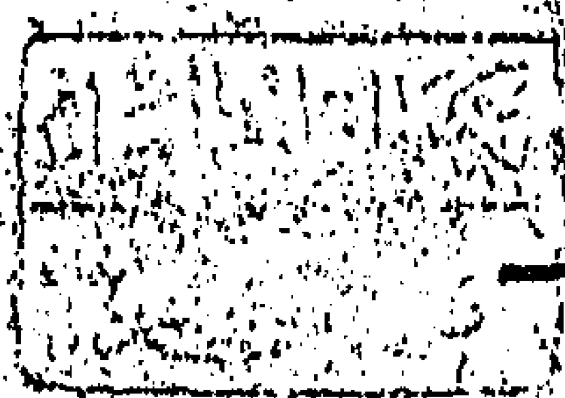
السيد السفير الوكيل محمد حسن الزيات

السيد مدير ادارة أمريكا الشمالية

السيد مدير الادارة العامة للأبحاث

السيد سفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنجتون





مستعجل للغاية ٧٣٨

السيد / سامي شـــرف ٠ ٧٣٨ ٢٢ ١٢١٠

السفير عبد الحميد غالب (بيروت) ٠

ســـري جـــدا !!

أرجو ابلاغ الاخ محسن فورا بالمعلومات التالية ولا مانع من استغلالها على أوسع نطاق وبسرعة (٠) بخصوص القبض على مصطفى أمين (٠) مراقب من المخابرات العامة من مدة طويلة وكان يعقد اجتماعات أسبوعية مع ممثل المخابرات الامريكية في القاهرة وكان يعطيه تقارير اسبوعية سياسية ويأخذ منه تعليمات (٠) جميع هذه الاجتماعات مسجلة لدينا (٠) كان يأخذ مبالغ نقدية كانت تحول باسمه للخارج بواسطة المخابرات الامريكية (٠) اتضح أن جميع التقارير التي قدمها مصطفى أمين للمخابرات الامريكية ضد مصلحة الدولة وكذلك التعليمات التي كانت تصدر اليه من المخابرات الامريكية كلها ضد مصلحة الدولة (٠) كان يبلغ الامريكان كلام على أنه سمعه من الرئيس في حين أن الرئيس لا يقابله ولا يكلمه ابدا وهذا الكلام كله مـــــزور (٠) وكان اتجاه هذا الكلام المنسوب الى الرئيس يتضمن استـــعداء الامريكان على ج ع م (٠) هذه القضية بالكامل منذ ان بدأت من مدة مسجلة (٠) نرحب بحضور الاخ محســـن للقاهرة للاطلاع على التفاصيـــــل بعد نشر المعلومات الواردة في هذه البرقيـــة اليـــوم ٠ ===

مقدم / محمد محمد جاب الله الجهيدي
رئيس مكتب شفرة نائب القائد الاعلـــى

وثيقة رقم (٦) : صورة برقية شفرية مرسلة من السيد سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات الى السفير عبد الحميد غالب سفير مصر في لبنان – بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٥٠

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

١٠٠٠ -

تنظيم

افندم

بدأ يتردد في بعض القواعد في التنظيم - حيث أن البعض

يفهم كلمات ــــ التي تمس من بعض الكلمات

الأخرى - أنه هناك تيار كلام جديد من أن

الأمر يتعلق بقضية مصطفى أمين وهو أن

الأستاذ هيكل هو الذي تسبب في الضغط من

مصطفى أمين وعلي أمين أكثر من مرة لأنه كان

يشير أنه عرف من أخبارها و[illegible] الكلام يحمل

الأستاذ هيكل فيها - بعض المسئولية.

برجاء التفضل بالنظر

سامي

٢٤/٧/٦٥

وثيقة رقم (٧) : صورة من مذكرة السيد سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات بخط يده – مقدمة للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٦٥.

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر

[illegible]

. . . .

. . . .

[illegible]

. . . .

. . . .

[illegible]

وثيقة رقم (٨) : صور من خطاب الاعتراف الذى كتبه الاستاذ مصطفى أمين بخط يده، وهو يقع فى ستين صفحة، وكعينات منه أخذت مطلعه ثم جزءا من وسطه فى نهاية صفحة لكى يظهر توقيع الاستاذ مصطفى أمين على كل صفحة منه ــ ثم آخر عبارة فى الخطاب.

SECRET

Foreign Office and Whitehall Distribution

EGYPT AND SUDAN
21st February, 1952
Section 1

JE 1018/79

NEGOTIATIONS AND INTRIGUES PRECEDING THE RECENT CHANGE OF GOVERNMENT IN EGYPT

Sir R. Stevenson to Mr. Eden. (*Received* 21*st February*)

(No. 45. Secret)
Cairo,
19*th February,* 1952

Sir,

5. Shortly after 8 p.m. a member of this embassy received a telephone call from Ali Amin, who with his brother, Mustapha Amin, is co-proprietor of the newspaper, *Akhbar el Yom,* and a staunch opponent of the Wafd. Ali Amin asked whether there was any truth in reports of large-scale troop movements in the Canal Zone. He was informed that the member of the embassy concerned had no specific information, but had no doubt that the military authorities were preparing to intervene if there were further outrages against British lives and property. No one could expect the British Army to stand aside whilst British women were murdered. Ali Amin asked what would be the position "if there was a change"—a change of Government being understood. He was told that, if a new Government showed itself capable of restoring law and order and protecting British lives and property, no question of military intervention would arise. If an account given by Mustapha Amin is to be believed, this telephone call had considerable influence on events. Mustapha Amin was at the time in the office at the Palace of the Assistant Chief of the Royal Cabinet. On hearing from his brother, Ali, of the comment of this embassy, Mustapha Amin informed the King of the rumours of troop movements, attributing these movements to a B.B.C. announcement and informed His Majesty of his brother's conversation with this embassy, no doubt transmitting it in the form of a direct statement that troops would move if there were no change of Government. According to Mustapha Amin, the King was disconcerted by these reports and ordered Amr Pasha to enquire

وثيقة رقم (٩) : صورة من تقرير السفير البريطانى فى القاهرة الى وزير الخارجية البريطانية – بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٥٢.

from me whether it was true that British troops were on the move. Amr Pasha replied with, if this part of the story is true, considerable wisdom that he should not take such action since if I confirmed these reports the King would find himself faced with something tantamount to an official ultimatum.

6. The debate around the King raged fiercely but Haidar Pasha was insistent and the King gave way. He telephoned to Aly Maher Pasha to say that he had changed his mind and must first invite Nahas Pasha to form a Government. He would renew his invitation to Aly Maher if, as seemed likely, Nahas Pasha refused. Aly Maher Pasha accepted this situation.

7. Shortly afterwards Aly Maher Pasha informed the King that he had reconsidered the position and would agree to form a Government only if no previous invitation had been issued to Nahas Pasha. According to Mustapha Amin, Aly Maher changed his mind in response to the urgent representations of the Amin brothers, one of whom, Mustapha, remained in the Palace, while the other, Ali, had proceeded to Aly Maher's house in an ambulance, the only vehicle which could proceed without difficulty during the period of curfew. It is in fact possible that the Amins played a considerable part in stiffening Aly Maher. If so, there is substance in the popular comment that this is the first Egyptian Government ever to be born in an ambulance.

8. After Aly Maher's reconsideration the debate resumed in the Palace on the possibility of British intervention. Haidar Pasha said that the Amins' information must be false since his intelligence officers had reported no signs of a British move on Cairo. Mustapha Amin, encouraged by Amr Pasha, continued, according to his own account, his war of nerves and put through another call to this embassy at about 9·15 p.m. in the presence of the assembled disputants. He received an entirely non-committal reply from a second member of the embassy, but the call in any case was only for effect. Shortly after 10 p.m. Afifi Pasha was at last able to see the King alone and persuaded him that an immediate change of Government was essential. The official carrying the Royal rescripts was accordingly despatched shortly before 11 p.m.

RALPH SKRINE STEVENSON.

/RM



J

(1011/22/52G)

SECRET

BRITISH EMBASSY,

CAIRO.

E 1018/80

19th February, 1952

Dear Department,

JE1018/79

Please refer to our despatch No. 45 of 19th February about the inside story of the recent change of government.

2. Mustapha Amin, who is the main source of information contained in that despatch, has also given us the following account of a meeting held on 28th January to decide the Wafd's policy.

3. According to Mustapha Amin, this meeting was attended by Nahas, Serag El Dine, Kerim Tabet and Abboud Pashas. (Kerim Tabet, as the Wafd's expert in handling the King, advised that what would most please the King would be a display of loyalty) If, despite dismissal, Nahas made a public show of his loyalty to the King by co-operating willingly with Aly Maher then his attitude would contrast favourably with that of the "opposition politicians" who had refused to join Aly Maher's cabinet "because the King had not invited them to lunch". The King was still favourably disposed towards the Wafd and if they played their cards well Tabet saw no reason why they should not be back in office within two months. Nahas accepted this advice and at his meeting with Aly Maher pledged the support of the Wafd provided :-

(a) there were no dismissals of Wafdist officials;

(b) no legal proceedings were taken against the Wafd;

(c) Parliament was not dissolved;

(d) Martial Law was terminated at an early date.

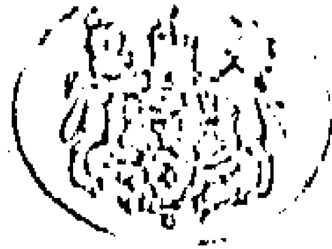
This account squares with the subsequent public pronouncements of both Aly Maher and Nahas and we think it is probably accurate. This does not, of course, mean that either Aly Maher or the Wafd are not capable each of double-crossing the other at the first opportunity, and the indications are already that the honeymoon has come to an end and that the Wafd will now oppose the Government.

4. Aly Maher's present stock answer to journalists when questioned on the dissolution of Parliament is that, if collaboration between Government and Palace were to

/fail....

African Department,
Foreign Office,
London,
S.W.1.

وثيقة رقم (١٠): صورة من مذكرة السفارة البريطانية
فى القاهرة الى وزارة الخارجية
البريطانية ـ بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٥٢



fail, he would take the "necessary constitutional steps" which, in fact, can only mean dissolution. There have already been dismissals of Wafdist officials although in some cases, e.g. the Rector of Al Azhar, even the Wafd might be diffident in admitting that the Rector dismissed by Aly Maher Pasha was a Wafdist official. Whether legal proceedings will be taken against prominent Wafdists either under the Illegal Gains Law or for responsibility for 26th January, is still a burning but entirely open question. It is at present equally uncertain whether martial law will be lifted at the end of the two months' period for which, officially, it was introduced. The Wafd have already given public notice that they will launch a campaign for its lifting.

Yours ever,

John Louis-Mehmed [signature]

HEAD OF CHANCERY.

مؤسسة الأهرام

القاهرة فى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥

مذكرة داخلية

الموضوع : [illegible]

[illegible]

سيادة [illegible]

[illegible]

٢٦/٤/٦٥ [illegible]

[illegible]

٢٢/٧/٦٥

(صورة مرسلة للأستاذة نوال المحلاوي)

([illegible])

وثيقة رقم (١١): صورة من مذكرة داخلية من السكرتارية المالية لادارة تحرير الأهرام – بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٥.

مؤسسة
الأهرام

القاهرة في ٢٥/ ١٠/ ١٩٦٥

مذكرة داخلية

الموضوع: [illegible] بدل انتقال [illegible]

السيد مدير ادارة الشئون المالية والادارية

تحية طيبة وبعد — [illegible] بدل انتقال

الاستاذ / علي امين [illegible]

[illegible]

الاستاذ / علي امين [illegible]

وتفضلوا [illegible]

السكرتارية المالية لادارة التحرير

[illegible signature]

٢٥/ ١٠

وثيقة رقم (١٢): صورة من مذكرة داخلية من السكرتارية المالية لادارة تحرير الأهرام - بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٥.

TELECOMMUNICATIONS ORGANISATION

RADIOCOMMUNICATIONS ADMINISTRATION

OFFICE STAMP

PLEASE QUOTE THIS NUMBER IN CASE OF ANY ENQUIRY

LETTER

RECEIVED AT 6270

Date and time of handing — Remarks

١٩ - ١٠ - ٩٦٥

١-٦١

NNNN

ZCZC TLNCR113 LGW240 STC82

LONDON LG 18 1640

48

LT

HEIKAL ALAHRAM CAIRO

DELIGHTED WITH AMALGAMATION (STOP) EXTREMELY
HAPPY TO SEE YOU FULLFILLING MY GREAT DREAM (STOP)
THIS WONDERFUL STEP FILLS ME WITH UNLIMITED OPTIMISM FOR
THE FUTURE OF THE EGYPTIAN PRESS (STOP) GOD BLESS YOU
AND ALL WHO WILL COOPERATE WITH YOU

ALI

وثيقة رقم (١٣): صورة من برقية بعث بها الاستاذ على أمين من لندن – بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٦٥.

نيابة أمن الدولة العليا

أمر احالة
الى محكمة أمن الدولة العليا
فى الجناية رقم (١٠) سنة ٦٥
عليا

نحن / صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة العليا
بعد الاطلاع على القضية وما تم فيها من تحقيقات ...

نتهم :

مصطفى أمين يوسف سن ٥٢ صحفى مولود بالقاهرة ومقيم بها
(محبوس) برقم ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك

لأنه فى المدة من شهر أكتوبر سنة ١٩٦٤ حتى ١٩٦٥/٧/٢١ بالجمهورية العربية المتحدة

أولا : تخابر مع أشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية بقصد الاضرار بالمركز الحربى والسياسى والدبلوماسى والاقتصادى للدولة، وذلك بأن اتفق مع أشخاص يعملون لصالح دولة أجنبية على أن يمدهم بأخبار ومعلومات عن القوات المسلحة العربية والأوضاع السياسية والدبلوماسية والاقتصادية للدولة فى الداخل والخارج والاتجاهات السياسية للبلاد وعلاقاتها بمختلف الدول وما تزمعه بشأنها، وقد أمدهم بمعلومات وأخبار أمكنه الحصول عليها ونسب بعضها كذبا للسيد/ رئيس الجمهورية.

ثانيا : سلم لشخص يعمل لمصلحة دولة أجنبية أسرارا خاصة بالدفاع عن البلاد وذلك بأن سلم "مندوب الدولة الأجنبية سالفة الذكر" معلومات حربية وسياسية ودبلوماسية واقتصادية معتبرة من أسرار الدفاع عن البلاد ويجب ألا يعلمها الا الأشخاص الذين لهم صفة فى ذلك، ومعلومات متعلقة بالشئون العسكرية للقوات المسلحة العربية لم يصدر اذن كتابى من القيادة العامة للقوات المسلحة بنشرها أو اذاعتها، وقد وقعت الجريمة فى زمن حرب.

ثالثا : قام بعملية من عمليات النقد الأجنبى بأن أجرى مقاصة منطوية على تحويل نقد أجنبى للخارج اذ دفع مبلغ عشرين ألف جنيه بالنقد المصرى لأجنبى لقبض مقابلها بالنقد الأجنبى بالخارج وذلك على خلاف الشروط والأوضاع المقررة عن غير طريق المصارف المرخص لها.

رابعا : اشترك بطريق الاتفاق والمساعدة مع أجنبى غير مقيم بالجمهورية العربية المتحدة فى التعامل بالنقد المصرى الموضح فى التهمة سالفة الذكر، وذلك على خلاف الشروط والأوضاع المقررة قانونا.

وثيقة رقم (١٤): نص أمر الاحالة فى قضية الاستاذ مصطفى أمين الى محكمة أمن الدولة العليا.

بنـــاء عليـــه

يكـون المتهـم قد ارتكـب الجنايتـين المنصـوص عليهمـا فى المـــواد ٧٧ د فقـرة ١ و ٣ و ٤ و ٨٠ و ٨٥ فقـرة ١ و ٣ و٨٥أ فقـرة ب و ح من قانون العقوبات والجنحـة المنصـوص عليها فى المادتـين ١ و ٩ من القانـون رقـم ٨ لسنـة ١٩٤٧ المعـدل والقـرار الـوزارى رقـم ٥١ لسنـة ١٩٤٧ الصـادر من وزيـر الماليـة •

لذلـــك

وبعد الاطلاع على المـادة الثانيـة من قـرار رئيـس الجمهوريـة العربيـة المتحـدة بالقانـون رقـم ١١٩ لسنـة ١٩٦٤

نأمـــر :

أولا : باحالـة القضيـة الى محكمـة أمـن الدولـة العليـا لمحاكمـة المتهـم طبقـا للمـواد سالفـة الذكـر•

ثانيا : بنـدب المحامـى صاحـب الـدور للدفـاع عن المتهـم •

ثالثا : استمـرار حبـس المتهـم •

ومرفـق بهذا الأمـر قائمـة بملحوظـات النيابـة فى القضيـة •

رئيـس النيابـة
أمـن الدولـة العليـا

تحريرا فى /١٠/١٩٦٥

تليفون
٧٧٧٧٧
مشترك خطوط

[illegible]

وثيقة رقم (١٥): صورة من مذكرة بخط يدى موجهة الى الدكتور قاسم فرحات المدير العام لدار أخبار اليوم.

مؤسسة الأهرام
٦ شارع الصحافة ـ القاهرة

٣ ـ ومع ذلك ومنذ حين [illegible] لا اعتبارها [illegible]
والصحف الخاصة بالنسبة لدار اخبار اليوم والسابقة
فرض وضع الاعتبارات التالية :

[illegible] كرامة المهنة [illegible] الاستاذ مصطفى
أمين [illegible] ٧ [illegible]
[illegible] فرصة كاملة للدفاع عن [illegible]
[illegible] أن [illegible]
[illegible]

[illegible] الاستاذ مصطفى
أمين [illegible] ذات الاهمية [illegible]
الصحف لدار اخبار اليوم التي كان مصطفى أمين أحد مؤسسيها

٤ ـ ولقد كانت [illegible] في الدراسة [illegible]
[illegible] الاستاذ محمد عبد الله ـ [illegible]
[illegible] وهذه حقيقة واقعة ، ان [illegible] الدراسة [illegible]

تلفون
٧٧٧٧٧
عشرة خطوط



هذا مع أن الأستاذ البنا - [illegible] هو [illegible] - موضع ثقتي
[illegible] [illegible] [illegible] بالفعل [illegible] أن [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

٥ - وبيان موضوعي عن [illegible] الأستاذ مصطفى أمين هذا
[illegible] والرئاسة [illegible] أن تختلف فيه وجهات النظر
وبين [illegible] [illegible] كان [illegible] [illegible] أن
[illegible] أخبار اليوم [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] بأنه [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] مصطفى أمين
أخبار اليوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible] [illegible] مصطفى أمين [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

مؤسسة
أخبار اليوم
٦ الصحافة ـ القاهرة

٥

شكرًا [illegible] وكرامة [illegible]

[illegible]

[illegible] أخبار اليوم [illegible]

[illegible] مؤسسة [illegible]

[illegible]

[illegible] هذا المبلغ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أخبار اليوم [illegible]

[illegible] استعداد

[illegible] هذا القرار

ومع خالص شكري

مصطفى

مؤسسة أخبار اليوم
٦ شارع الصحافة ـ القاهرة

٧٧٧٧٧
تليفون
عشرة خطوط

القاهره فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٥

السيد رئيس مجلس الادارة

مؤسسة اخبار اليوم

بين مصلحة الضرائب ومؤسسة اخبار اليوم نزاع قديم عن السنوات من ١٩٥٠ الى ٢٣ مايو سنة ١٩٦٠ وهو تاريخ التنظيم .

وتقدر المصلحة الضرائب المطلوبة بنحو ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه بخلاف ضريبة الايراد العام وهى ضريبة شخصية لا تلتزم بها المؤسسة .

ويرجع هذا الخلاف فى معظمه الى عنصرين رئيسيين :

	جنيه
اولهما خلافات محاسبية انتجت فروقا فى الارباح المقدرة قدرها	١٥٩٤٣٩٦
وثانيهما مبالغ واردة باسم صاحبى الدار ومرحلة لرأس المال أو الى العهد والامانات جملتها	٨٣٣٣٠٢

وقد تحددت جلسة يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٥ لكى تصدر لجنة الطعن قرارها فى هذه الخلافات بما قد يرتب التزامات على المؤسسة لا قبل لها بمواجهتها . ولذلك أقترح السعى لدى المصلحة قبل هذا التاريخ لتشكيل لجنة مشتركة تضع حلا لهذا الخلاف يحقق المصلحة العامة .

المشرف العام
(توقيع)
السيد ابو النجا

وثيقة رقم (١٦): صورة من مذكرة المشرف العام على ادارة أخبار اليوم وبتوقيعه بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٦٥.



رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

افندم

أبلغني السيد شعراوي جمعة ما يلي :-

انه تقابل مع السيد خالد محي الدين الذي اراد معرفة موقف
تنظيم انصار السلام وهل سيستمر في الاشتغال به ام
لا - علما بانه ارسل شخص للاستاذ هيكل الذي
طلب منه خالد عن طريق هذا الشخص تجميد التنظيم
كما اقترح السيد خالد محي الدين اعادة ع ا الشافعي
للعمل في احدى مجموعات التوعية - كما كان -
ويرجو السيد شعراوي التفضل بالتوجيه .

اوامر سيادتكم

سامي

٧/١١/٦٥

وثيقة رقم (١٧): صورة مذكرة بخط يد السيد سامى شرف مرفوعة الى الرئيس جمال عبد الناصر - بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩٦٥.

محمد عبد الله محمد
محام
القاهرة: ٣٤ شارع طلعت حرب باشا
(سليمان باشا سابقا)
تليفون : ٤٦١٦٤

السيد الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل

رئيس مجلس ادارة مؤسسة اخبار اليوم

بعد التحية :

أتشرف بأن أبدى أن موكلتي السيدة سميرة محمد احمد جدة الناصرتين رتيبة أمين ، صفية أمين - بنتي الاستاذ مصطفى أمين لم تتسلم منذ اعتقاله نفقات الناصرتين وقد استحق له مرتب ستة شهور لدى الدار بواقع خمسمائة جنيه شهريا ، وقد وافق الاستاذ مصطفى أمين على صرف هذا المرتب سواء منه المتجمد أو المتجدد الى موكلتي للانفاق على ناصرتيه وشئونهما . فارجو التفضل بالأمر بصرف مرتب الاستاذ مصطفى أمين اعتبارا من مرتب شهر يوليو حتى تاريخه ومايستجد الى موكلتي .

مع قبول عظيم الاحترام والشكر . ...

محمد عبد الله

المحامى

وثيقة رقم (١٨): صورة من خطاب الاستاذ محمد عبد الله المحامى على أوراق مكتبه وبتوقيعه .

أخبار اليوم

القاهرة في ٢٢ ابريل سنة ١٩٦٧

السيد /



وثيقة رقم (١٩): صورة من مذكرة كتبها المستشار الفنى لدار أخبار اليوم وعليها تأشيرة بخط يدى ـ والمذكرة بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٦٧، وتأشيرتى بتاريخ ٣ مايو ١٩٦٧.

وثيقة رقم (٣٠): صورة من اذن صرف شيك الى الزوجة السابقة للاستاذ مصطفى أمين.

THE MAY FAIR HOTEL
P.O. BOX 72
BERKELEY SQUARE . LONDON W.1
CABLE ADDRESS MAYFAIRTEL LONDON W.1
TELEPHONE MAYFAIR
TELEX 26...

لندن ٣٠ مارس ١٩٦٦

عزيزي هيكل

[illegible]

وثيقة رقم (٢١): صورة خطاب بخط الاستاذ على أمين من لندن بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٦٦، وهذا هو الخطاب الذى كتب فى نهايته الاستاذ على أمين ما نصه: "وختاما أبعث لك بقبلاتى وأشواقى وأدعو الله أن يرعاك ويحفظك ويحميك من آكلى لحوم البشر -!- المخلص - على أمين".

[illegible]

ان [illegible]

[illegible] صاحب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ان [illegible] من صاحب التوقيع

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الاحترام

المخلص

[illegible]

لندن في ٣٠ مارس ١٩٦٦

عزيزي الرئيس جمال عبد الناصر

لقد آلمني إذ قرأت في الصحف أن سيادتكم قلتم لأحد رؤساء الوزارات العرب "إن علي أمين يعمل الآن مع المخابرات البريطانية". كما قال أحد المقربين من سيادتكم "إن هناك معلومات سابقة كانت تدل على أمين، وقد وصلت إلى المخابرات البريطانية. كما أنه [illegible] في بعض الصحف الإنجليزية بدون توقيع"

وأنا أعرف أنك لست [illegible]. ولهذا أرجو بأنك آلمتني من غير قصد، وأنك [illegible] الحقيقة ... فأنا جزء من البلاد التي [illegible] على أن كل جزء فيها نظيف شريف.

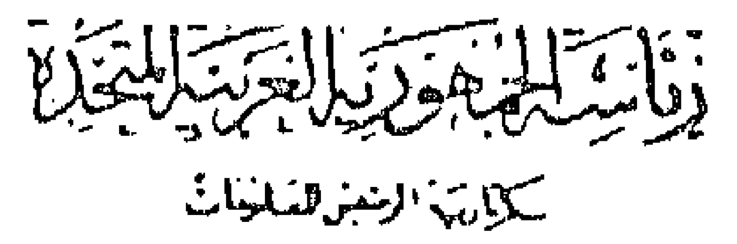
ولذلك يهمني أن أؤكد لك أن كل هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة، لا من قريب ولا من بعيد. فأنا لم أتصل بالمخابرات البريطانية، ولا بالحكومة البريطانية، ولا بأي دولة أجنبية لا من قريب ولا من بعيد، لا مباشرة ولا بالوساطة.

كما أنني رغم الدعوات الكثيرة التي تلقيتها لم أتصل بأي وزير أو سياسي إنجليزي من [illegible] الزعيم المحافظ ووزير [illegible] السابق، فقد التقيت به في إحدى حفلات العشاء، وكان حديثنا يدور حول المعركة الانتخابية. كما التقيت في حفلة الكوكتيل التي أقامها الشيخ [illegible] بمناسبة مغادرته [illegible] بأحد موظفي الخارجية البريطانية، وحدثني عن الاتصالات التي تجري في الأهرام [illegible]، وقد حرصت أن أبلغ القنصل المصري [illegible] بهذا الحديث.

المخلص

علي أمين

وثيقة رقم (٢٢): صورة خطاب بخط يد الاستاذ علي أمين موجه عن طريقي الى الرئيس جمال عبد الناصر - بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٦٦.



السيد

طلب الاستاذ على امين السماح لزوجته خديجة [illegible]
السفر الى لندن مع ابنتها .

[redacted]

اوافق سيادتكم ؟

سامى

١/٤/٦٧

لا مانع

سكرتير

[illegible] أصبح [illegible] [redacted]
واذا سمحتم لى سيادتكم ان ابدى رأيى فانى افضل [redacted]
بقاؤها فى القاهرة تحت [redacted] .

وثيقة رقم (٢٣): صورة من مذكرة من سكرتير الرئيس للمعلومات تناقض رجاءا تقدمت به للرئيس عبد الناصر شفويا ووافق عليه بشأن سفر زوجة الاستاذ على أمين مع ابنتها لكى تلحقا به.
وفى المذكرة بند آخر لا يتصل بهذا الموضوع، ولكى لا أسىء الى أحد فقد سمحت لنفسى أن أغطى عليه بخط أسود — الى جانب فقرة أخرى تخص زوجة الاستاذ على أمين — لأنى لا أريد أيضا أن أسىء الى أحد.

[illegible]

[illegible]

٤ مارس سنة ١٩٦٨

يا حبيبة

[illegible]

. . . .

. . . .

[illegible]

وثيقة رقم (٢٤): صور من خطاب بعث به الاستاذ مصطفى أمين بخط يده وبتاريخ ٤ مارس ١٩٦٨ الى سيدة من أقاربه.

30, Clarges Street,
Flat "8",
London, W.1.

لندن في ٥ اكتوبر ١٩٦٨

عزيزي خليل

لقد حرمت خلال السنوات الماضية ان اشكرك على البرقيات والخطابات التي تفضلت بها من الرد على كل الخطابات التي ارسلتها لك. واحب ان اؤكد لك انني قبل ان اكتب لك هذا الخطاب اعتذرت لك مرارا وخطيا لعدم وصول ردك! فلا تتعجب نفسك وتعتذر عن عدم ردك، فان العذر الذي اعتذرته لك دائما نفس اعذار من العذر الذي اعتذرته لي لم اتسع وقتك للكتابة!

فمثلا انت تعرف انني منذ سنوات اعمل مع مؤسسة عربية في مكتب الخدمة بلندن، في تصدير الماكينات والمنتجات الصناعية الى معظم بلاد الشرق الاوسط وشمال افريقيا والخليج العربي. وهي تأخذ مني اربعة عشرة ساعة، ولذلك لم تستطع ان تنسيني مهنتي الاولى. ومع ذلك فقد استطعت ان اتابع كثيرا من الاولى. كل هذه السنين وحرصت ان ابتعد كل هذه السنين عن المهنة التي احببتها واشتغلت بها، منذ انتهاء الفصل الثالث، وانضم الى الصف الدسم للذين يحبون الصيد في الماء العكر.

ولكنني تذكرت اخيرا ان اضيف الى مهنة الاتجار في الماكينات والالات والمطاط، مهنة طب الصحف والمجلات. وهي مهنة الطبيب الذي يحاول علاج الصحف التي تكون المريضة، ويطلب روشتة الدواء والحرية للعلاج!

وبدأت في بيروت، فشاركت تجربة ناجحة الاصدار الاسبوعي والمجلة الاقتصادية، ثم بدأت اجدد مجلة الصياد، واعيد لها روحها القديم الذي تميزت به في الاربعينات واوائل الخمسينات. ورغم ضعف مستوى الصحافة في لبنان، ونقص المحررين في الذين يعرفون حرية الكتابة للصحافة، فقد استطعت ان اضع طاقة جديدة لمجلة الصياد، واقترحت عددا من الابواب الجديدة، كما اقنعت اصحاب الابواب القديمة بتغيير طريقتهم في الكتابة وفي اختيار الموضوعات التي تجذب القراء. ولم يلبث من

. . . .

. . . .

وهذا ما يمنعني بالكتابة لك حتى تتعرف على بعض الاخبار فيما يخص النجاح تصدق اني مستمتع مرة اخرى!

وكنت في حاجة ان اسجل لك شكري على كل الجهود التي بذلتها، والتي تبذلها، والتي ارجو ان تنتهي الى النجاح باذن الله.

ولك تحياتي وقبلاتي واشواقي - المخلص

[signature]

وثيقة رقم (٢٥): صورة من خطاب من الاستاذ علي أمين من لندن وبخط يده - بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٦٨.

سيادة الرئيس

ان المفاجأة التى تلقيتها ظهر اليوم بترشيحى وزيرا للارشاد القومى كانت مفاجأة كبيرة ، كما أنها كانت شرفا أكبر، ذلك أنها كانت شاهد ثقة أعتز بها وأفخر لأن مصدرها هو ذلك الزعيم والقائد الذى تتجسد فيه الوطنية المصرية فى مرحلة من أهم مراحل التاريخ وأحفلها فضلاً عن أنه الزعيم والقائد الذى تتمثل فيه كل أمانى التقدم الاجتماعى وآمال الوحدة العربية.

واذا أذنتم لى - يا سيادة الرئيس - فاننى أرجو أن أضع تحت نظركم بعضا من الظروف الخاصة التى تدعونى الى أن ألتمس منكم معاودة بحث الأمر فيما يتعلق بى، وهذه الظروف كما يلى :

١- ان الصحافة هى مهنتى منذ ثمانية وعشرين عاما، ولم أعرف لنفسى فى حياتى عملا غيرها لدرجة أستطيع أن أقول معها باخلاص أن هذه المهنة هى حياتى ذاتها.

٢- اننى عن طريق هذه المهنة خدمت وطنى بقدر ما وسعنى الجهد، ومن خلال خدمتى لوطنى فقد جاءت خدمتى للثورة التى كان لكم فضل قيادتها والتى سوف يذكر التاريخ لها - مهما كان أو يكن - أنها نقلت مصر الى القرن العشرين بآماله وأفكاره وآفاقه الواسعة.

٣- لقد استقرت أفكارى وأهدافى منذ وقت طويل على أن مستقبلى هو العمل الصحفى وحده، وقد بلغ ذلك فى يقينى مبلغ المبدأ، وذلك احساس أنتم أكثر من يقدره بحسكم الصافى وايمانكم العميق.

٤- انكم تعرفون ما يعنيه الأهرام بالنسبة لى، كما أنكم تعرفون ما يؤديه الأهرام فى مجال الخدمة العامة، ولقد فعل الأهرام ما فعل وحقق ما حقق بفضل رعايتكم له، وأصبح فى النهاية مركزا من مراكز التقدم فى وطننا وفى العالم العربى، وأنا أشعر - وقد يكون فى ذلك غرور ألتمس منكم اغتفاره لى - أن وجودى فى الأهرام فى هذه المرحلة ضرورى لاستمرار دوره، وحتى لو لم يكن ذلك صحيحا فانى أحب أن أتصوره، كما أنى بصدق لا أستطيع أن أجد لنفسى عملا أحبه خارج الأهرام، ولقد أحسست فى الساعات الأخيرة أن كل من فى الأهرام يشاركنى هذا الشعور، وصدقنى - يا سيدى الرئيس - أنه كان هناك من جاءوا لتهنئتى والدموع فى عيونهم.

٥- ان قراركم الكريم الذى يسمح لى استثناء بأن أجمع بين الوزارة وبين العمل فى الأهرام يلقى علىّ ما لا أستطيع تحمله وأعرف مقدما أن جهدى كله سوف يميل الى جانب الأهرام وليس ذلك انصافا لمسئولية أخرى، وفضلا عن ذلك فان الجمع له محاذير لعدة أسباب :

لأن هناك تعارضا بالطبيعة بين العملين ... الصحافة والوزارة.

ثم لأن الجمع بين رئاسة تحرير الأهرام ووزارة الارشاد سوف يجعل فى يد فرد واحد من أسباب القوة السياسية ما يمكن أن يحوله بحق الى مركز قوة وتلك اساءة الى النظام اذا وقعت.

وثيقة رقم (٢٦): نص الخطاب الذى وجهته الى الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٦ ابريل ١٩٧٠ معتذرا عن قبول منصب وزير الارشاد الذى أسند الىّ بجانب عملى فى الأهرام.

وأخيرا فان الجمع سوف يثير حساسيات لا داعى لها بين زملاء المهنة، خصوصا اذا ظهر انحيازى للأهرام وسوف يحدث ذلك يقينا بحكم طلتى به وانتمائى اليه وشعورى بالألفة مع كل شئ فيه حتى أحجاره الصماء.

٦- ان هناك مشكلة سوف تعرض لى على الفور وهى مشكلة مقالى الأسبوعى بصراحة وقد أصبح هذا المقال جزءا لا يتجزأ من كيانى كما أنه ارتباط وثيق بصلة القلم مع مئات الألوف من قراء الأهرام فى مصر، وسوف يزداد اللبس بين آرائى وآراء الحكومة، وهو لبس يقع بالفعل بغير وزارة فكيف اذا أضيفت له الوزارة؟

انني - يا سيادة الرئيس - لا أستطيع أن أكف عن الكتابة لأنها حركة التنفس بالنسبة للكاتب.

ولنفرض أنى واصلت الكتابة فانى أترك لسيادتكم تصور مدى التعقيدات التى يمكن أن يصنعها ذلك.

٧- ان الوزارة تتطلب استعدادا آخر لا أظنه يتوفر لى كما أن مهامها محاطة بظروف لا أظننى أهلا لها، وليكن ذلك تهيبا، لكن لكل انسان حدوده وطاقاته ومن الخير أن يسلم كل انسان بأن له حدودا وطاقات لا يستطيع تجاوزها.

سيادة الرئيس

انني أجد نفسى أمام خيار صعب وألتمس منكم أن تجنبونى مشاقه.

انه ليس خيارا بين عملين وانما هو أبعد من ذلك بكثير.

سيادة الرئيس

اننى أعرف مشاعركم نحوى، وسوف أبقى طول العمر مطوقا بفضلكم وبرعايتكم لى ولعملى. ويكفينى للتاريخ أن يقال عنى أننى أديت دورى فى الخدمة العامة للوطن تحت راياتك المنتصرة باذن الله.

وتقبلوا يا سيدى الرئيس تحية من أعماق القلب، وسلمت وعشت لوطن منحته من حبك واخلاصك وجهادك ما هو كثير كثير.

وسلمت وعشت - يا سيدى الرئيس - لكل الذين يؤمنون بقيادتك وبدورك التاريخى وبقدرك الذى هو قدر مصر.

محمد حسنين هيكل

١٩٧٠/٤/٢٦

30 CLARGES STREET
FLAT 'F'.
LONDON, W.1

٤٠ـ لندن في ١١ اكتوبر ١٩٧٠

اخي العزيز

انني في بعض الايام استيقظ من نومي، واتصور ان وفاة جمال عبدالناصر كانت مجرد كابوس رأيته اثناء نومي! ثم اكتشف انه يؤسفني ان يكون كابوسا هو حقيقة مرة.. وانزعج من الفراغ الضخم الذي تواجهه بلادي، واحاول ان ابحث عن طريقة نملأ بها بعض هذا الفراغ.

والمهم الآن هو من سيتمسك بزعامة الدول العربية. لا شك ان بعض زعماء الدول العربية سيتصورون ان من الممكن ان تنتقل هذه الزعامة الى بغداد او دمشق او الجزائر. ولكن هذا التصور ينقصه [illegible] فمكان زعامة العرب تحتاج الى قاعدة قوية، واضخم قاعدة هي مصر ومع ذلك فانه يجب ان لا نضيع الوقت في الدخول في معارك مع الذين يتصورون ان في استطاعتهم ان ينتزعوا الزعامة من القاهرة. وافضل ان تحاول ان تكسب كل الدول العربية وتدعم علاقاتنا بها. فالعرب يفضلون الرجل الصريح. وقد كان يعتب على الرئيس عبدالناصر هذا التشدد. ومع ذلك فاني اعتقد ان من الممكن كسب تحسين العلاقات بين [illegible] وبين انور السادات. وتنفيذ الاتفاقات التي تمت بين عبدالناصر وحسين ولم تنفذ في ازمة الاردن. وفي مقدمة هذه الاتفاقات [illegible] السفر الى القاهرة. وقد [illegible] الاموال الصادرة بالسماح بشراء بضائع مصرية بالاردن ونقلها الى السعودية. ورجح ان تحاول اقامة علاقة جديدة وعدم عودة الحالة والوضع [illegible] في السعودية. لقد كان المواطنون والعمال العرب يحولون الى القاهرة ٤ مليون جنيه استرليني كل [illegible] السعوديين. كانوا يصدرون شيكات [illegible] ان تحاول اعادة الاموال تدريجيا الى ما كان عليه، وبذلك نوفر للخزانة المصرية رصيدا هاما من العملة الصعبة.

والدولة العربية الوحيدة القادرة على حماية استقلال الكويت من مطامع العراق هي مصر. ومن مصلحة الكويت ان تدعم علاقتها بمصر. ومع ذلك فان [illegible] ان تحاول القاهرة [illegible] هذه الكلمة، وان تشعر الكويت بتأييد القاهرة

وثيقة رقم (٢٧): صورة صفحة من خطاب من الاستاذ علي أمين في لندن الى الاستاذ مصطفى أمين — وهو أول خطاب منه الى توأمه بعد رحيل جمال عبد الناصر.

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

سامى
لقد تقابل على أمين فى روما مع أحد المصريين المقيمين فى ليبيا وقال له أن الوضع فى مصر سينتهى آخر سنة ٧٠
جمال

٧٠/٦/٣

أفندم

هناك بعض الخواطر مرت فى ذهنى نتيجة استمرار بعض التحركات والتصريحات فى الفترة الأخيرة يمكن أن أخرج منها باستنتاج أن هناك شيء يدبر ضد ج.ع.م ويمكن إجمالاً إيجاز هذه التحركات فى الآتى:

١. [redacted]
٢. [redacted]
٣. [redacted]
٤. [redacted]
٥. [redacted]
٦. [redacted]
٧. [redacted]
٨. [redacted]

وطبعاً هناك نبع أساسى كان من المفروض أن يتصدر القائمة وهو الولايات المتحدة وإسرائيل وتخطيطهما الموحد والموجه أساساً ضد مصر.

ومن هذه الخواطر السريعة اقترح أن نتابع كافة المعلومات والوقائع المحددة بالنسبة للأوضاع فى الداخل ويمكن إذا أذنتم سيادتكم أن نعقد اجتماع من بعض المسئولين فى قطاعات الأمن لوضع تقدير موقف كامل ووضع الخطة أو الاقتراحات.

برجاء التفضل بالنظر

سامى
٧٠/٦/٣

وثيقة رقم (٢٨): صورة من مذكرة بخط السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات وهى مقدمة للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٣ يونيو ١٩٧٠.
وأهم ما فى الوثيقة هو تأشيرة الرئيس جمال عبد الناصر وبخط يده على الطرف الأعلى الأيسر منها — وقد كتب الرئيس عليها ما نصه : "سامى لقد تقابل على أمين فى روما مع أحد المصريين المقيمين فى ليبيا وقال له أن الوضع فى مصر سينتهى آخر سنة ٧٠ — جمال".

لقد تتبعت باعجاب كل ما كتبته عن دار الاهرام الجديدة، وما كتبه الآخرون ... ولقد شاركتك
بقلبي في فرحك وحزنك. ورغم تواضعك عند استقبالك واني اذكر وصف الدار بانها
تمثل مجهوداً جباراً لطاقة البشر ... فلك خالص تهنئتي
وختاما ابعث لك بتحياتي

علي

. . .

اني اسمع الكثير عن مبنى الاهرام الجديد. واني احتفظ بنسخ الاهرام
التي وصفت المبنى الجديد. وارجو ان اراه في يوم من الايام
ولك تحياتي واشواقي

المخلص

علي

وثيقة رقم (٢٩): فقرات من خطابات بخط يد الاستاذ على أمين من لندن عن مبنى الأهرام الجديد.

[illegible] الاهرام

[illegible] رأي الطبعة الفاخرة من اخبار اليوم!

لقد تدارك هيكل كل الاخطاء الطبيعية التي وقعت في الطبعة الاولى

كما استبدل الورق الشعبي بورق [illegible] فاخر، والالوان الزاهية

[illegible] كان [illegible] على امريكا واوروبا.

الغلاف الذي رأيته ممتاز ... والطباعة في مستوى عالي.

ولكني لم [illegible] صفحات الكتاب، لا [illegible] الابواب

التي حذفها من الكتاب القديم، وما هي الابواب التي اضافها في الطبعة الجديدة

لاحظت ان هيكل احتفظ [illegible] الاسماء [illegible]

حول [illegible] رجال الفكر والادب والفن والسياسة والاقتصاد.

لم [illegible] الاهرام.

الجديد. لم [illegible]

[illegible]

عليه [illegible] الاجانب!

[illegible] هيكل [illegible] الذي رأيته [illegible]

[illegible] اخبار [illegible]

[illegible] هيكل ... [illegible]

[illegible]

[illegible] بان هيكل اتبع اسلوب مدرسة اخبار اليوم [illegible]

[illegible]

[illegible]

ولكن اخبار اليوم كانت لا تبرز [illegible]!

كانت تبرز [illegible]. كان [illegible]

[illegible] على صفحات اخبار اليوم [illegible]

في [illegible] اخبار اليوم [illegible]

[illegible] هيكل [illegible]

[illegible] ... وكان [illegible]

[illegible]

[illegible]

وثيقة رقم (٣٠): صورة من مقال "فكرة" بخط يد الاستاذ على أمين وموضوعه الأهرام وأنـا ــ ولـم أنشره ــ وكان قد كتبه بعد عودته من الخارج فى أواخر شهر يناير ١٩٧٤ وقبل أيام قليلة من خروجى من الأهرام واعتذارى عن قبول منصب مستشار الرئيس!

قرأت مقالات ٣٧ لم تشهد النور.

ثم فتنت ثانية: حزنت بعضهم من الكتابة... وقد اشتركت في

حملة التلاعب هذه واستنكار كتب أقلام ٣٧، رغم أن عددا

منهم يطمع [illegible] بالكتابة في ظرف... وبعضهم [illegible]

تسيل من قلمه!

لكن الشيء الجميل الغريب الذي يبذل حقيقة لصفحة هذا القلم... ذلك

الأقلام الكبيرة: أصيبت بالسكتة القلبية!

بل هذه الأقلام أدارت ظهرها لكل [illegible] [illegible]!

الفهرست

الجزء الثاني
الاعـــــتــــــــراف

الجزء الثالث
مـلـفــــات شـــــخصيـة

الجزء الرابع
ســـــنوات الســـــادات

منشورات محمد حسنين هيكل

- حديث المبادرة .
- آفاق الثمانينات .
- الحل والحرب .
- قصة السويس .
- السلام المستحيل .
- عند مفترق الطرق .
- لمصر لا لعبد الناصر .
- وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي.
- خريف الغضب .
- بين الصحافة والسياسة .

